صُوفيَّةُ المَسِيحيَّةِ

١ ـ الإنجيل بحسب يوحنا

The Mysticism of Christianity

1- In the Evangel According to John

الأستاذ يُوسف درّة الحدّاد
Professor Youssef Durrah al-Haddad

www.muhammadanism.org
November 7, 2011
Arabic

دِرَاسَاتٌ إنجيلية

٤

صوفيَّةُ المَسيحيَّة

* الإنجيل بحسب يوحنا
* وفي سفر الرؤيا

دِرَاسَاتٌ إنجيلية

مصادرُ الوَحي الإنجيلي

٤

صوفيَّةُ المَسيحيَّة

١ ـ الإنجيل بحسب يوحنا

*

الأستاذ يُوسف درّة الحدّاد

*

مَنشورَات المَكتَبة البُولسِيّة

توطِئَة

صوفية المسيحية ، للرسول يوحنا

١ ـ قمة الوحي الإنجيلي

لقد وصف علماء المسيحية قديماً الإنجيل بحسب يوحنا أنه « **الإنجيل الروحي** » بالنسبة إلى الأناجيل المؤتلفة : « الإنجيل الجسدي » .

وهذا التعبير « الإنجيل الروحي » يصف كل ما نقلته السنّة المسيحية باسم الرسول يوحنا : الرسالة، والإنجيل، والرؤيا.

والجامع المانع الذي يميّز تلك الكتب الثلاثة من العهد الجديد على سواها أنها كلها تصف « **صوفية المسيحية** » ، كما نقول اليوم، أي « الإنجيل الروحي » كما قالوا.

في نهاية الحرب اليهودية الرومانية، عام ٧٠ للميلاد، **انتهى عهد الرسل**، ولا نعرف مَن بقي منهم على قيد الحياة سوى الرسول يوحنا بن زبدى، الذي توفي عام ١٠٢؛ **وانتهى تدوين الوحي الإنجيلي** في الأناجيل المؤتلفة، والرسائل التي تفصله، مع سفر أعمال الرسل الذي يؤرّخ قصة الدعوة المسيحية، وانتشارها في العالم الإسرائيلي والسوري واليوناني والروماني. وتبلورت الدعوة المسيحية في عقيدة « الرب يسوع » و « ابن الله » .

وهذه العقيدة تصدم العقلية الإسرائيلية القائمة على التوحيد التوراتي؛ وتصدم العقلية الإغريقية الرومانية ربيبة الفلسفة اليونانية؛ فكان لا بدّ لهما من إثارة **الفتنة** في إيمان المسيحيين. وقد رأينا طلائع الفتنة في رسائل يهوذا

وبطرس وأبولّس (الرسالة العبرية). ومع انتشار المسيحية وغزوها للمسكونة، زادت الفتنة، وظهر الخوارج على المسيحية من أبنائها.

بقي من الرسل، شهود العيان للمسيح والإنجيل، الرسول يوحنا الحبيب. وشخصيته التأملية كانت تحمل جانباً من تعليم المسيح، ما كانت الدعوة الأولى كما اقتضتها ظروفها لتبوح به. فجاءت دعوة يوحنا **تكميلاً** لتدوين الوحي الإنجيلي، **ورداً** على الفتنة القائمة ضد الإيمان بإلهية المسيح، بأسلوب يوحنا الصوفي، **مرآة نفسه الصوفية** التي ظلت تتأمل مدة سبعين سنة في سر المسيح وسر كنيسته.

*

٢ - « التلميذ الذي كان يسوع يحبه »

بهذه التورية كنى كاتب الإنجيل عن نفسه. وأجمعت الأمة المسيحية عبر التاريخ على أنه يوحنا بن زبدى.

وفي علم النقد الكتابي الحديث قامت شبهات على صحة ذلك التفسير المتواتر. فاقترحوا أسماء أخرى، وما زالوا يقترحون. لكن الدلائل الذاتية تؤيد التفسير المتواتر في السُنّة المسيحية. **وأكبر شاهد لها** هو تلاوة الإنجيل باسم يوحنا (الرسول) منذ ظهوره إلى اليوم.

فالذين نشروا الإنجيل، مجلس أساقفة وكهنة أفسس، شهدوا في ملحق للإنجيل (ف ٢١) بأن « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » (٢١ : ٧ و٢٠) « هذا التلميذ هو الشاهد بهذه الأمور، وهو الذي كتبها (أو استكتبها)؛ ونحن نعلم أن شهادته حق » (٢١ : ٢٤). فهم شهود عيان على أن كاتبه هو هذا « التلميذ » الذي ميّزوه من بين الرسل السبعة الذين شاهدوا معجزة صيد السمك الأخيرة : « سمعان بطرس، وتوما المدعو ذيذيموس، ونثنائيل الذي من قانا الجليل، وابنا زبدى، واثنان آخران من تلاميذه » (٢١ : ٢). وجميعهم قد انطفأت أخبارهم قبل الحرب السبعينية، ولم يبق على قيد الحياة في أواخر القرن الأول سوى يوحنا بن زبدى. فالنتيجة الحاسمة أنه

هو « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » . وكان المسيحيون المعاصرون له يظنون، لطول عمره، أنه لا يموت، لقول الرب له « إن شئت أن يبقى إلى أن أجيء، فماذا لك ؟ » (٢١ : ٢٢). فلما مات قبل رجعة الرب، سبّب ذلك صدمة في نفوس محبيه؛ فكان الفصل (٢١) تفسيراً لنبوءة الرب بشأنه، وشهادة من « مدرسته » بصحة إنجيله.

وفي قولهم : « التلميذ الذي كان يسوع يحبه ـ ذاك الذي كان في العشاء قد استند إلى صدره وقال له : يا رب مَن الذي يسلمك » (٢١ : ٢٠) كشفوا عن الهوية المستورة في العشاء السري (١٣ : ٢٣)، وعند أقدام الصليب (١٩ : ٢٦)، وفي كشف القبر الخالي: « **التلميذ الآخر** الذي كان يسوع يحبه » (٢٠ : ٢). وهذه الآية كشفت عن هوية « التلميذ الآخر » المذكور في مطلع الإنجيل (١ : ٣٥ ـ ٤٠) و « التلميذ الآخر الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة » (١٨ : ١٥).

أقام بعضهم شبهة على صحة تفسير هذا « **التلميذ الآخر** » من كونه « كان معروفاً عند رئيس الكهنة » : كيف يكون أحد صحابة المسيح صديقاً أو نسيباً لرئيس الكهنة ؟ نقول : في الآية (١٨ : ١٥) يستخدم النكرة « تلميذ آخر » ولا يصفه بأنه « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » ، فقد يكون غيره، من أعضاء السنهدريم المتتلمذين سراً ليسوع. وقد يكون يوحنا الرسول نفسه، إذ ليس من المستغرب أن يستعمل رئيس الكهنة أحد الصحابة مثل يوحنا، لصغر سنّه، مخبراً عن أعمال يسوع؛ وأن يرضى يسوع نفسه بذلك ليطّلع بواسطته على مؤامرات السنهدريم بحقه.

فجميع الدلائل الذاتية في الإنجيل تدل على أن « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » هو يوحنا بن زبدى الرسول.

٣ ـ يوحنا بن زبدى الرسول

هو ابن زبدى (متى ١٤ : ٢١) وأُمّه سلامة (بالأرامية : صالومة) التي كانت نسيبة مريم أُمّ المسيح (مر ١٥ : ٤٠؛ متى ٢٧ : ٥٦). ونعرف من أخوته يعقوب الملقب « بالكبير » . وهما يُذكران معاً على الدوام في الإنجيل.

كانت الأُسرة من سكان « بيت سعيد » (بيت صيدا) إلى الشمال من الضفة الشرقية لبحيرة طبرية. وكانت **الأُسرة ميسورة**، تتعاطى صيد السمك، بواسطة زوارق وعمّال (مر ١ : ٢٠؛ متى ٤ : ٢١؛ ٢٠ : ٢٠ ـ ٢١؛ ٢٧ : ٥٥ ـ ٥٦). وكانت مع أُسرة بطرس وأندراوس أخيه تؤلفان شركة مساهمة كبرى. كما كان لبطرس أيضاً بيت في كفرناحوم، عاصمة منطقة البحيرة (لو ١٤ : ٣٨ ـ ٣٩)، على الضفة الغربية. وهكذا أمسكت الشركة بالبحيرة من طرفيها.

وقد ساعد يُسْر العائلة وتديّنها يوحنا أصغر الأخوين على الانضمام أولاً إلى دعوة يوحنا المعمدان (يو ١ : ١٤). ولما أعلن يسوع دعوته بعد عماده أشار المعمدان إلى تلميذيه يوحنا وأندراوس باللحاق يسوع، فقضيا معه أمسية سعيدة، هي الأولى من حياتهما الجديدة (يو ١ : ٣٥ ـ ٣٩).

كان يوحنا أصغر من أخيه يعقوب، لأنه يُذكر عادة بعده (متى ١٠ : ٢؛ ٤ : ٢١؛ مر ١ : ١٩؛ ٣ : ١٧؛ لوقا ٥ : ١٠؛ ٩ : ٥٤) إلاّ مرة واحدة (أع ١ : ١٣).

فكان يوحنا وأندراوس أولي المدعوين (يو ١ : ٤٠). فهو الشاهد منذ الساعة الأولى، حتى الساعة الأخيرة للسيرة والدعوة.

ثم دعا يسوع فيلبس؛ وهذا جلب نثنائيل (برتلماوس) إلى يسوع (يو ١ : ٤٥). وانطلق يسوع بهؤلاء التلاميذ الستة الأولين، من الأردن إلى الجليل، إلى الناصرة، فافتتح دعوته فيها (لو ٤ : ١٦). ثم حضر يوحنا معهم عرس قانا الجليل (يو ٢ : ١)، ونزل مع يسوع والرفاق الأوَل إلى كفرناحوم، عاصمة منطقة البحيرة، لاتخاذها مركزاً للدعوة في الجليل (يو ٢ : ١٢).

وبعد قليل صعد يسوع وتلاميذه الأولين إلى الفصح الأول في أورشليم (يو ٢ : ١٣). وهناك شاهد سلطان يسوع على الشعب، بطرد تجار الدين من الهيكل لأول مرة، واجتراح المعجزات بالجملة (يو ٢ : ١٤ و٢٣). وحضر حوار يسوع في الهيكل مع الأحبار، وليلاً مع نيقوديم، علاّمة إسرائيل (يو ٣ : ١ ـ ١٢).

ثم رجع يوحنا مع يسوع والرفاق إلى الجليل، عن طريق السامرة،

فخطَّ أحداث الرحلة (يو ٤ كله). ويظهر أنه رجع مع رفاقه إلى مهنتهم وتجارتهم. وتداولوا مليّاً في أمر المعلم الجديد، القدير بالقول والعمل، وما جرى له في أورشليم والسامرة وقانا الجليل. فلا نستغرب سرعة امتثالهم لدعوة يسوع الأخيرة لصحبته والرسالة، وترك الأهل والمهنة (متى ٤ : ٢١؛ مر ١ : ١٩؛ لوقا ٥ : ١). فإنه لما باشر يسوع دعوته الموقتة في كفرناحوم، دعا يوحنا وأخاه، وبطرس وأخاه إلى صحبته والرسالة (متى ٤ : ١٨ - ٢٢). ثم أتم دعوة الاثني عشر (لو ٦ : ١٤).

وصعد يسوع مع صحابته الاثني عشر « إلى اليهودية وأقام معهم هناك، وكان يعمد » (يو ٣ : ٢٢)، والصحيح أن الرسل كانوا يعمّدون تحت إشرافه (يو ٤ : ٢). فحضر يوحنا دعوة المسيح الأولى في أورشليم واليهودية مدة سنة تقريباً.

ثم صحب يوحنا يسوع مدة دعوته سنةً ونصف السنة في الجليل وإلى أطرافها. وكان أحد **« الثلاثة المقرّبين »** ، بطرس وابني زبدى (مر ٩ : ٢). ونرى « الثلاثة المقرّبين » إلى جانب يسوع في المواقف الحاسمة، في أول معجزة بعث، إقامة ابنة يائير، رئيس جامع كفرناحوم (مر ٥ : ٣٧)؛ وفي « تجلّي » يسوع على جبل (متى ١٧ : ١)؛ وفي محنة يسوع الكبرى، النزاع في بستان الزيتون (متى ٢٦ : ٣٧)؛ وفي جلوسه إلى جانب يسوع، واتكائه على صدره في العشاء السري (يو ١٣ : ٢٣ - ٢٦)، وكان يسوع قد كلفه مع بطرس بتحضير هذا العشاء (لو ٢٢ : ٨).

إن الأناجيل المؤتلفة لا تذكر ليوحنا دوراً خاصاً في استشهاد السيد المسيح، ربما حتى لا تعرّضه إلى نقمة الناقمين على المعلّم المحبوب. فلما دالت دولتهم في الحرب السبعينية، كشف يوحنا عن دوره. إنه « التلميذ الآخر » الذي مع بطرس لحق بيسوع إلى الاستنطاق في محكمة السنهدريم (يو ١٨ : ١٥). ولمّا خاف بطرس على نفسه وأنكر معلمه وخرج يبكي، ظل يوحنا يتابع فصول الاستشهاد، حتى وصل وحده مع أُمّ المسيح إلى أقدام الصليب، لذلك اختصه يسوع من دون الجميع بكفالة أُمه من بعده (يو ١٩ : ٢٦)، ثم كان مع بطرس أول المسارعين، يوم القيامة، لاستطلاع خبر القبر الخالي (يو ٢٠ : ١ - ١٠).

وكان يوحنا مع الرسل الصحابة حين ظهر لهم يسوع حيّاً بعد استشهاده (الإنجيل بأحرفه الأربعة). وكان معهم حين ظهر لهم للمرة الثانية في العلية الصهيونية (يو ٢٠ : ٢٦ - ٣١)؛ وللمرة الثالثة على شاطئ بحيرة طبرية (٢١ : ١ و١٤). وكان معهم حين صعد يسوع أمامهم إلى السماء (الأناجيل المؤتلفة الثلاثة).

نرى في الإنجيل بأحرفه الأربعة **بعض مظاهر شخصية يوحنا : الولاء** حتى تعريض نفسه للموت في سبيل معلمه؛ **والذكاء** في متابعة أعمال يسوع الفريدة، لفهم سر تعليمه وسر شخصيته؛ **والاندفاع** حتى التهوّر في الدفاع عن كرامة معلمه، إذ طلب منه مرة أن يستنزل ناراً من السماء على بلدة سامرية رفضت استقبال يسوع (لو ٩ : ٥١ - ٥٦)، ممّا حمل يسوع على تلقيبه مع أخيه « ابني الرعد » (مر ٣ : ١٧)؛ **والاستئثار** بخدمة المسيح حتى اجتراح المعجزات، في سبيل الدعوة له، من دون الآخرين، فلا يحق على زعمه لغير صحابة المسيح أن يصنعوا معجزات باسمه (مر ٩ : ٣٨ - ٤٠)؛ **والتفاني** في سبيل المعلّم المحبوب، حتى قبل أن يشرب كأس الاستشهاد الذي وعده به يسوع (متى ٢٠ : ٢٠ - ٢٣؛ مرقس ١٠ : ٣٥ - ٤١)؛ مع **الطموح** إلى الجلوس عن يمين يسوع في مجده العتيد (المصادر نفسها)؛ خصوصاً **المحبة حتى العبادة والدلال**، ممّا جعله يتّكئ على صدر يسوع في عشاء الوداع (يو ١٣ : ٢٣ - ٢٦)؛ ويحتضن أمّ المسيح من بعده (يو ١٩ : ٢٦)؛ ويحفظ في عقله وقلبه ووجدانه كل شاردة وواردة من أعمال يسوع وأقواله وأحواله، كما يفعل الحبيب مع حبيبه المعبود، فحق له أن يوقّع إنجيله بهذه **التورية المكشوفة** : « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » (١٣ : ٢٣؛ ٢٠ : ٢؛ ٢١ : ٧ و٢٠).

وفي « **أعمال الرسل** » نرى يوحنا دائماً إلى جانب بطرس الزعيم : في الدعوة بأورشليم وشفاء المُقعد (٣ : ١ و١١)؛ والسجن مع بطرس (٤ : ١ - ٢١)؛ والدعوة في السامرة (٨ : ١٤)؛ وحضور استشهاد أخيه يعقوب الكبير (١٢ : ٢).

ونعرف من **بولس الرسول** أن يوحنا كان في بدء الدعوة المسيحية أحد « **أعمدتها** » الثلاثة (غلا ٢ : ٦)؛ وبولس قد فاوضه مع بطرس ويعقوب، أخي الرب، قبل مجمع أورشليم (غلا ٢ : ٩)؛ وقد قبل معهم اختصاص بولس في دعوة الأمميين (أع ١٥ : ١ - ٤٠).

وفي **السنّة المسيحية** تقول إحدى الروايات بأن العذراء أُمّ المسيح قد عاشت ٧٣ سنة، أي نحو ١٥ أو ٢٠ سنة مع يوحنا بعد صعود المسيح إلى السماء. هل تركت العذراء فلسطين ؟ هناك رواية بأنها تبعت يوحنا الحبيب إلى إنطاكية ثم إلى أفسس، حيث توفيت ودفنت. لكن هناك رواية أوثق تشهد بأن العذراء توفيت في أورشليم، وقد أقامت القديسة هيلانة كنيسة على مكان قبرها، إلى شمال الجسمانية. وعلى ذلك يصح أن يقال بأن مريم العذراء بقيت إلى وفاتها وانتقالها إلى السماء مع يوحنا الحبيب في فلسطين.

إن القديس ابيفانيوس (+٤٠٣) الفلسطيني يشهد في كتابه « الشامل » في تاريخ الكنيسة (ف ٧٨ ع ١) : « **فليفتشوا** الكتب : فلن يجدوا فيها، لا موت مريم، ولا إن مريم ماتت، ولا إنها لم تمت؛ لا إنها دُفنت، ولا إنها لم تُدفن. يوحنا قام برحلة إلى آسيا الصغرى، لكنه لم يقل في موضع أنه اصطحب معه العذراء القديسة » .

على ذلك يظهر أن يوحنا قبل الحرب السبعينية تردّد ما بين أورشليم وإنطاكية حتى غياب العذراء. وبعد الحرب السبعينية انتقل إلى الدعوة في الأناضول، واستقر في أفسس حتى وفاته سنة ١٠٢ م.

ينقل أوسابيوس (تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٣ ع ٦ ـ ١٩) عن اكليمنضوس الاسكندري أن أحد تلاميذ يوحنا قد تركه وتزعّم عصابة. فلاحقه يوحنا حتى ردّه إلى الصواب والإيمان. وينقل أيضاً (ك ٣ ف ٢٨ ع ٦) عن إيريناوس الذي ينقل عن بوليكربوس تلميذ يوحنا الرسول، أنه ذات يوم صادف كيرنتش، زعيم البدعة، في الحمام، فخرج مهرولاً يقول : « لننجُ بأنفسنا، لئلا يهبط الحمام علينا، فإن كيرنتش عدو الحق فيه » . وكان يتجول في مدن الأناضول للدعوة ويعود إلى أفسس.

ولمّا قام اضطهاد دوميتيانس عام ٩٤ ـ ٩٥ اقتيد يوحنا أولاً إلى رومة. وعلى زعم ترتليانس (نحو سنة ٢٢٠)[١] أنه أُلقي في برميل زيت مغلي فخرج منه سالماً ونُفي إلى جزيرة « بطمس » . لكن كتاب « أعمال يوحنا » المنحول لا تذكر قصة البرميل، لكنها تنقل معجزاته التي شفعت بحياته فنفي

---

(١) في كتابه « الحق المكتسب ضد الهراطقة » ف ٣٦، في مجموعة الآباء اللاتين ٢٠ : ٤٩.

إلى الجزيرة. فلم يقتل في رومة بسبب شيخوخته. وفي منفاه شاهد « رؤياه » وكتبها على يد كاتب غير ضليع في اليونانية. وبعد موت الطاغية في ١٨ تشرين الأول سنة ٩٦، رجع يوحنا إلى أفسس واستكتب كاتباً آخر الإنجيل، وأرسله إلى كنائسه، مع تقديم له في « رسالة يوحنا » الجامعة التي كتبها له كاتب ثالث.

وينقل إيريناوس[١] ، نقلاً عن معلمه بوليكربوس، تلميذ يوحنا الرسول، وشاهد العيان أن « كل الكهنة الذين عملوا في آسيا مع يوحنا تلميذ الرب يشهدون أن يوحنا سلمهم هذه الأمور، لأنه بقي معهم إلى زمن ترجانوس » .

قضى يوحنا شيخوخته حتى أرذل العمر في أفسس، بحسب إجماع المصادر. هناك بعض الأحاديث المتأخرة التي تزعم أن يوحنا استشهد مع أخيه يعقوب عام ٤٤. وتمسك بها بعض المغرضين لنفي صحة الإنجيل والرؤيا والرسالة. كما تمسّك بعضهم بفارق الأسلوب، لنفي وحدة المؤلف، وفاتهم اختلاف الكتبة ليوحنا فيها. لكن شهادة بولس الرسول (غلا ٢ : ٩) أنه فاوضه في مجمع أورشليم سنة ٤٩ تنقض تلك الأحاديث المتهافتة.

جاء في « أعمال يوحنا » المنحول عن آخرة الرسول الحبيب ما هو قريب من الصحة. لمّا أزفت ساعته، ذات أحد، قدّم الذبيحة الإلهية، وتناول القربان، ثم خرج من المدينة، وطلب إلى مرافقيه حفر قبر عميق. ثم نزل فيه، ورسم إشارة الصليب مع الدعاء إلى يسوع المسيح، وتمدّد في القبر. ثم قال : « أيها الإخوة السلام عليكم » ، وأسلم الروح والفرح يطفح على محياه. فكانت وفاته عن مائة عام، سنة ١٠٢ م.

فيوحنا الرسول هو آخر كتبة الوحي الإنجيلي، وقد بلغ التنزيل الإنجيلي فيه ذروته، للكشف عن « سر الله » ، بالكشف عن « سر المسيح » في الإنجيل. و « سر الكنيسة » في الرؤيا. و « سر الحياة المسيحية » في الرسالة.

فيوحنا الرسول يعلمنا صوفية المسيحية

* * *

(١) « الرد على الهرطقات » ك ٣ ف ١ ع ١، مجموعة الآباء اللاتين ك ٢ ف ٢٢ ع ٥ العامود ٧٨٥.

فصل تمهيدي

رسالة يوحنا العامة

وهي

تقديم للإنجيل بحسب يوحنا

توطئة خاصة : رسالة يوحنا تقديم للإنجيل بحسب يوحنا

إن رسالة يوحنا العامة **أعجز رسالة في آداب الدين والدنيا**، لأنها موجز الإنجيل بحسب يوحنا. وفيهما بلغ الوحي والتنزيل **أعمق ما يمكن أن يكشفه الله لمخلوق.** والرسالة توجز ما يفصّله الإنجيل.

بين العلماء **خلاف** في هل الرسالة **تقديم** للإنجيل، بها قدّمه للمسيحيين؛ أم هي **تذييل** اختصر فيها يوحنا الإنجيل، فيما بعد حين دعت الحاجة لتحذير المسيحيين من الخوارج المنافقين.

ونحن نعتقد أن الرسالة تقديم الإنجيل للمسيحيين، كما يظهر من ظواهرها واستطراداتها.

فليس للرسالة ظاهر الرسالة المكتوبة لأناس مخصوصين في مسائل ومشاكل تخصهم؛ فلا فيها عنوان الرسالة، من مرسِل ومراسَلين؛ ولا فيها ختام الرسالة من أخبار وسلام.

فاتحة الرسالة (١ : ١ ـ ٤) تشبه فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا (١ : ١ ـ ١٨). وفيها يقول إنه كتب إليهم ليشهد لهم، وهو الشاهد العيان، ما شاهده ولمسه بيده من « كلمة الحياة : لأن الحياة قد ظهرت، وقد رأيناها، **ونشهد لها، ونبشركم بهذه الحياة** التي كانت في الآب وظهرت لنا ... ونكتب لكم بهذه الأمور ليكون فرحنا جميعاً مكمّلاً » . هذه لهجة تقديم للإنجيل.

ثم يشير إشارة إلى مضامين الإنجيل : إن الله نور؛ إن الله حياة وقد ولدنا كأب أولاداً له؛ إن الله محبة، فمن ثبت في محبته ثبت فيه. **يشير ولا يفصّل**، وليس هذا أسلوب رسالة تعليمية؛ فهي تقديم للتعليم المفصّل في الإنجيل؛ والإنجيل تفصيل للموجز في الرسالة.

ويقطع يوحنا حديثه **بالاستطرادات المتواترة** ليعلن فيها أنه « **كتب** » إليهم ليبيّن لهم ما يشير إليه، في استطراد أول : « أكتب إليكم لأنكم

تعرفون الذي هو منذ البدء ›› ! (٢ : ١٣)؛ ‹‹ كتبت إليكم، لأنكم تعرفون الذي هو منذ البدء ›› (٢ : ١٤). فالإشارة صريحة إلى مطلع الإنجيل : ‹‹ في البدء كان الكلمة ›› (١ : ١). وفي استطرد ثان : ‹‹ لقد كتبتُ إليكم، لا لأنكم لا تعرفون الحق. بل لأنكم تعرفونه ›› ، وتعرفون أن الكذاب ‹‹ هو الذي ينكر أن يسوع هو المسيح! ذاك هو المسيح الدجال المنكر الآب والابن ›› (٢ : ٢١ ـ ٢٢). وفي استطراد ثالث : ‹‹ ذلك ما أكتب به إليكم بشأن الذين يضلونكم ›› (٢ : ٢٦ ـ ٢٧). نلاحظ تواتر صيغة الخطاب بين الماضي والحاضر : فقد ‹‹ كتب ›› ! وهو ‹‹ يكتب ›› ليقدم ما كتب.

ويعلن في الرسالة أنه كتب إليهم ليكشف لهم ‹‹ **المسحاء الدجالين** الذين خرجوا منا، بيد أنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منّا لاستقاموا معنا ›› (٢ : ١٩)، ‹‹ فإن **أنبياء كذبة كثيرين** خرجوا إلى العالم. فيا أيها الأحباء لا تركنوا إلى كل روح، بل اختبروا الأرواح هل هي من الله. بهذا تعرفون روح الله : إن كل روح يشهد بأن يسوع المسيح قد أتى في الجسد، هو من الله! وكل روح لا يشهد ليسوع، ليس من الله، بل هو روح المسيح الدجّال الذي قد سمعتم أنه يأتي. وها إنه الآن في العالم ›› (٤ : ١ ـ ٣).

وهذا ما أعلنه يوحنا في ختام الإنجيل : ‹‹ وصنع يسوع أمام التلاميذ آيات أخرى كثيرة لم تدوّن في هذا الكتاب؛ وإنما دُوّنت هذه لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله؛ وتكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه ›› (يو ٢٠ : ٣٠ ـ ٣١).

وهذا كله كلام مقدمة لا كلام رسالة؛ وهذه الرسالة مقدمة معجزة لأسمى كتاب معجز طلع على الأرض أو نزل من السماء : الإنجيل بحسب يوحنا.

* * *

بحث أول

تمهيد للرسالة

أولاً : صحة الرسالة

١ ـ تنسب السنّة المسيحية بالإجماع والتواتر رسالة يوحنا الأولى إلى الرسول يوحنا. فمنذ القرن الثاني يستشهد بها بوليكربوس، تلميذ يوحنا الرسول[١]؛ والفيلسوف المدافع عن المسيحية. يستينوس في دفاعه الأول (ك ١ ف ٣٢ : ١) والثاني (ك ٢ ف ٦ : ٥) أو في الرد على تريفون (١٢٣ : ٩). كذلك إيريناوس، رجل الشرق والغرب، في « الرد على الهرطقات » ؛ وعلاّمة الإسكندرية اكليمنضوس الذي ينسبها صراحة ليوحنا الرسول مراراً عديدة، والعلاّمة الأكبر أوريجين[٢]. وتأتي شهادات المحققين الذين ينقلون تراث السنّة المسيحية أمثال جيروم[٣]، وأوسابيوس القيصري مؤرخ الكنيسة [٤] وقانون موراتوري. لم يظهر التردد، إلا في الكنيسة السريانية، وما زال أن زال.

٢ ـ وفي الرسالة دلائل على أن كاتبها هو صاحب الإنجيل بحسب يوحنا، مع ما فيهما من فوارق تُفهم باختلاف الأسلوب والموضوع.

منذ القرن الثالث لاحظ ديونيسيوس الإسكندري **وحدة المواضيع** بين الرسالة والإنجيل، كما لخّصها أوسابيوس[٥] : « ففيهما الحياة والنور الذي

---

(١) في رسالته إلى الفيلبيين (٧ : ١) = ١ يو ٤ : ٢ ـ ٣.
(٢) في تفسيره لإنجيل يوحنا (٥ : ٣) قابل : أوسابيوس، تاريخ الكنيسة (ك ٧ ف ٢٥ : ٧ ـ ٨).
(٣) في « مشاهير الرجال » ٩ = المجموعة اللاتينية ٢٣ : ٦٢٣.
(٤) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٥ : ٢.
(٥) تاريخ الكنيسة ك ٧ ف ٢٥ : ٢١.

يهزم الظلام. والحقيقة والنعمة والفرح. وجسد ودم المخلص. والدينونة وغفران الخطايا، ومحبة الله لنا، ووصية المحبة الأخوية، وضرورة حفظ الوصايا، وحملته على العالم والشيطان والمسيح الدجّال، والموعد بالروح القدس، والبنوة الإلهية، والإيمان المطلوب، حيث الآب والابن يُذكران على الدوام. فمن يلاحظ ميزات الإنجيل والرسالة يتضح له أنها واحدة » .

وتعليمها في المسيح واحد، بالتعابير ذاتها : فالمسيح هو الكلمة (يو ١ : ١٤ = ١ يو ٤ : ٩)، الأزلي (يو ١ : ١ - ٣ = ١ يو ١ : ١)، إله مثل أبيه (يو ١ : ١٨؛ ٢٠ : ٢٨ = ١ يو ٥ : ٢٠)، جاء ليكشف حب أبيه (يو ٣ : ١٦ = ١ يو ٤ : ٩ - ١٠). ففيه الحياة (يو ٥ : ٢٦ = ١ يو ٥ : ١١) وهو يعطي الحياة (يو ١٠ : ١٠ = ١ يو ٤ : ٩). وهو مخلص العالم (يو ٣ : ١٧ = ١ يو ٤ : ١٤) الذي يرفع خطايا العالم (يو ١ : ٢٣ = ١ يو ٣ : ١٥).

والرسالة والإنجيل وحدهما من دون سائر كتب الوحي الإنجيلي يسميان المسيح « الكلمة » و « الابن الوحيد » ، « الذي جاء في الجسد » ، « ليحمل خطايا العالم » .

وكلاهما يمثلان الإيمان المسيحي « انتقالاً من الموت إلى الحياة » ، « ولادة جديدة من الله » . فالحياة المسيحية قوامها في كليهما الإيمان والمحبة؛ **مع المقابلات الخاصة بأسلوب يوحنا** : بين النور والظلمة، الحياة والموت، الحقيقة والكذب، أبناء الله وأبناء الشيطان، التلاميذ والعالم.

وفي كليهما دور الروح القدس المُنير واحد، ودور المحبة الأخوية واحد.

وصورة الحياة المسيحية فيهما واحدة : المحبة هي الوصية الجديدة (يو ١٣ : ٣٤ = ١ يو ٢ : ٨)؛ وضرورة الإيمان لأبناء الله (يو ٣ : ٣٦ = ١ يو ٣ : ٢٣؛ ٥ : ١ و٥ و١٠) للوصول إلى الابن والآب (يو ٨ : ١٩؛ ١٤ : ٧ = ١ يو ٤ : ٧؛ ٥ : ١)؛ فالمسيحيون هم أبناء الله (يو ١ : ١٢ = ١ يو ٣ : ١).

ولغة الرسالة والإنجيل واحدة، ففيهما كلمات واحدة لا توجد في غيرهما،

مثل : ((هو في الخطيئة)) ، ((عمل الحقيقة)) ، ((ثبت في الله - في الابن - في الآب - في المحبة)) ؛ ((وُلِدَ من الله - من الحقيقة - من العالم - من إبليس)) ، ((حفظ الوصايا، حفظ الكلمة)) ...

والإنشاء في الرسالة والإنجيل واحد : فهو ساميٌّ بحرف يوناني، تبدأ الجُمَل بحرف العطف، وتتابع بدون أسلوب الروابط اليونانية، ويميل إلى النظم على طريقة الرباعيات. وقد نقل بعضهم **العبارات الواحدة** في الرسالة والإنجيل (يو ١٢ : ٥٣ = ١ يو ١ : ٦؛ يو ٨ : ٤٤ = ١ يو ١ : ٨؛ يو ١٢ : ٣٥ = ١ يو ٢ : ١١؛ يو ٥ : ٤٢ = ١ يو ٢ : ١٥؛ يو ١٦ : ٣٠ = ١ يو ٢ : ٢٧؛ يو ٥ : ٢٤ = ١ يو ٣ : ١٤؛ يو ٦ : ٨ = ١ يو ٤ : ١٦؛ ٥ : ٣٤ = ١ يو ٥ : ٩).

٣ - وتظهر وحدة المصدر في الرسالة والإنجيل بمقارنتهما مع سائر كتب الوحي الإنجيلي. بينما الأناجيل المؤتلفة ترى ((الحياة)) أو ((الحياة الأبدية)) في اليوم الآخر عند تجلّي الملكوت (مر ١٠ : ١٧ و٣٠؛ متى ١٨ : ٨ - ٩؛ ١٩ : ١٦ - ١٧؛ لوقا ١٨ : ١٨ و٣٠) يراهما يوحنا في الرسالة (٢ : ٢٥؛ ٣ : ١٤؛ ٤ : ٩؛ ٥ : ١٣) وفي الإنجيل (٣ : ١٥ - ١٦ و٣٦؛ ٥ : ٢٤؛ ٦ : ٤٧) قائمتين منذ الآن في حياة المسيحيين بالإيمان والمحبة. ولكن هذا الخلاف الظاهري هو من باب اللغة، لا من باب استيعاب المعنى : فحياة الإيمان والمحبة تحمل أصل الحياة الأبدية.

كذلك يتطور مفهوم الإيمان من الأناجيل المؤتلفة حيث هو القبول النظري للمسيح وكلامه، إلى بولس حيث هو ((طاعة الإيمان)) ، إلى يوحنا حيث هو ((حياة الإيمان)) . فهو تطور وتعمق للمعنى أكثر منه اختلاف فيه.

كذلك نجد التطور نفسه في مفهوم القداسة، من الأناجيل المؤتلفة حيث هي سلبية، بالتطهير من الخطيئة، إلى بولس حيث هي أيضاً حياة في المسيح وفي الروح، إلى يوحنا حيث هي ولادة من زرع إلهي. ففي الرسالة والإنجيل استقلال واحد في التفكير والتعبير.

٤ - لكن بما أن الإنجيل على لسان المسيح، والرسالة على لسان يوحنا،

فلا بد من **بعض الفوارق.** فهناك في الإنجيل تعابير ليست في الرسالة، مثل : خلّص وخلاص، أهلك وهلاك، الكتاب، الشريعة، المجد، التمجيد، طلب، أرسل، الروح القدس، وُلد من فوق أو وُجد من أسفل، دان ودينونة. وهناك أيضاً تعابير في الرسالة ليست في الإنجيل : المسحة، الزرع، الشركة، رجوع المسيح، الضحية، الأنبياء الكذبة، النصر، المسيح الدجّال، « كان له الآب » ، « كان له الابن » ، « أنكر الآب » ، « أنكر الابن » ، « الرسالة » أو الشهادة.

وهذه الفوارق تظهر في الأسلوب، فإنشاء الرسالة يوناني أكثر من الإنجيل، لكنه شعبي أكثر من الإنجيل؛ وبينما الإنجيل يُكثر من الاستشهادات بالعهد القديم، فقد لا تلتفت الرسالة إليها.

والفارق الأكبر أن الإنجيل يسمي الروح القدس « الفارقليط » ؛ والرسالة (٢ : ١) تحفظ هذا الاسم للمسيح ـ لكن نلاحظ أن التعبير مأخوذ بمعنيين مختلفين : في الرسالة بمعنى « شفيع » ، وفي الإنجيل بمعنى « معين » . فالتعبير من المختلف المؤتلف.

ونظرة اليوم الآخر تظهر في الرسالة حية قائمة : « هذه هي الساعة الأخيرة » بسبب ظهور الخوارج، المسحاء الكذبة (٢ : ١٨) والأنبياء الكذبة (٤ : ١)؛ بينما هي في الإنجيل تتطور إلى الروحانية. ولكن هذا أيضاً من المختلف المؤتلف.

والرد على الغنوصية ظاهر في الرسالة أكثر منه في الإنجيل : « فالله نور » ، والتأليه « بالاستنارة، والتنوير » من تعابير الغنوص. ولكن لا ننسَ أن المسيح يقول في الإنجيل : « أنا نور العالم » ؛ وهذا من قبيل اشتراك الابن والآب في صفات الذات.

فالرسالة تُطوّر على لسان يوحنا، ما جاء في الإنجيل على لسان يسوع؛ فالإنجيل من قبيل التعليم التاريخي، والرسالة تعليم عملي مباشر من قِبَل الرسول. وهذا سبب **الفوارق الظاهرة**، التي هي دون **الموافقات الصريحة والكامنة.**

٥ ـ فالرسالة والإنجيل بحسب يوحنا وحدة لغوية وإنشائية وأسلوبية وتعليميّة، لا توهنها الفوارق الطارئة التي يُفسرها اختلاف المخاطب ونوع الخطاب؛ وهي وحدة متميزة عن سائر كتب الوحي الإنجيلي كأنهما من مدرسة واحدة، إن لم يكونا من كاتب واحد تدلّ شخصيتُه المعروفة على أبوّته للرسالة والإنجيل، يوحنا الرسول الحبيب. هذا هو حكم الخبير أوسابيوس في تراث المسيحية : « إن رسالة يوحنا الأولى، لا خلاف في صحتها لا بين المعاصرين، ولا بين الأقدمين » (١) .

*

ثانياً : أسلوب الرسالة ـ المرسِل والمراسَلون

يختلف العلماء في هل هي مكتوب أم عظة. وقد رأينا أنها تقديم للإنجيل، ففيها من المكتوب شيء، ومن العظة شيء. والتقديم لا يذكر المراسَلين لأنه يشمل جميع المسيحيين الذين يدعو يوحنا فيما بينهم. ونعرفهم من ردّ الرسالة العامة وتحذيرها لهم من « المسحاء الدجالين » و « الأنبياء الكذبة » الذين خرجوا من صفوف المسيحية ويبلبلونها ببدعتهم : فهم ينكرون إلهية المسيح وتجسده : « إن كل روح يعترف بأن يسوع المسيح قد أتى في الجسد هو من الله؛ وكل روح لا يعترف بيسوع ليس من الله، بل هو روح المسيح الدجال » (٤ : ١ ـ ٣). ومَن يسمع لهم ليس من الله، ومَن يسمع للرسول فهو يعرف الله، « بذلك نعرف روح الحق وروح الضلال » (٤ : ٦).

ويظهر الكاتب أنه يعرف مُراسَليه، ويعرف مشاكلهم (٢ : ١٢ و١٤ و٢٠ و٢٦؛ ٣ : ١٣؛ ٤ : ٤؛ ٥ : ١٣). وهو يخاطبهم بلهجة الأب والشيخ الجليل المحبوب : « يا أولادي الصغار » (سبع مرات). وهذه اللهجة لا توجد في كتب الوحي الإنجيلي كلها، إلاّ عند يوحنا على لسان يسوع في الوداع الأخير (يو ١٣ : ٣٣). وهذا النداء المحبوب هو

---

(١) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٤ : ١٧.

بمنزلة **توقيع من المرسِل،** لا يمكن أن يختلف فيه اثنان ممن سمعوا رسالته ونداءه. يؤكد هذا التوقيع بالتورية تركيز مطلع الرسالة على صفة الشاهد العيان لكلمة الحياة « الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بأعيننا ولمسته أيدينا » (١ : ١) - **هذا هو عنوان المرسِل.**

وهو يخاطبهم، لا بلغة الكلام، بل بلغة الصوفية التي بالمحبة تستغرق في الآب والابن, فلا يأتي الحديث في تأليف متسلسل، بل ومضاتٍ من الرائي الذي يقطع مشاهدته بعبارات متقطعة. فهو يريد أن **يشرك مراسَليه بخبرته الروحية** في القرب من الله والفناء فيه (١ : ٦؛ ٢ : ٥ - ٦؛ ٣ : ٢٤؛ ٤ : ١٢ - ١٦؛ ٥ : ١٩ - ٢٠) حتى يعرفوه مثله (٢ : ٣ - ٥؛ ٣ : ٦؛ ٤ : ٧) ويشاهدوه مثله (٣ : ٦؛ ٤ : ١٤)، ويسعدوا بالاتحاد به (١ : ٩ و١٠ و١٥؛ ٢ : ٣ - ٥؛ ٤ : ٧ و١٢ و١٧؛ ٥ : ١ و١٨). وهكذا يعمل روح المسيح فيهم كما يعمل فيه (٢ : ٢٠ و٢٧؛ ٣ : ٢٤؛ ٤ : ١٣). فاللغة شفافة، والإنشاء أثيري روحاني، والأسلوب « لاهوتي » بكل معنى الكلمة. إنه **إمام الصوفيين** الذين يدعون بخبرتهم إلى الاستغراق في الله والمسيح.

ولكن الرسول الصوفي يخاطب مسيحيين عاديين، فلغة المحبة ليست عنده أفلاطونية، **بل عملية :** فالوحدة مع الله النور والحياة والمحبة، تقوم على الطهارة من الخطيئة، وعلى عمل البر، وعلى الحفاظ على شرعة المحبة على مثال المسيح الحبيب، ثم على حياة الإيمان والمحبة، الذراعين اللذين بهما نتسلق إلى الله. فالرسالة صوفية رعويّة.

وجدلية الرسالة في ردها على الأنبياء الكذبة تقوم **على العرض،** لا على البرهنة، وعلى الشهادة، لا على الاستدلال أو الاستشهاد : الحقيقة تُظهر ذاتها في سموها وكمالها. وموقف الرد، وموقف الشهادة، يفسران اختلاف الإنشاء في المواطنين.

*

ثالثاً : مناسبة الرسالة

تحمل الرسالة على بعض الخوارج : « لقد خرجوا منّا، بيد أنهم لم

يكونوا منّا : لأنهم لو كانوا منّا لاستقاموا معنا » (٢ : ١٩). ويسميهم « مسحاء كذبة » (٢: ١٨) و « أنبياء كذبة » (٤ : ١) لأنهم مثل المسيح الدجّال ينكرون تجسّد المسيح (٤ : ٢).

فمناسبة الرسالة تحذير المسيحيين من **البدعة الجديدة**، بدعة الخوارج على الإيمان المسيحي بإلهية المسيح وبنوته وتجسده. فالخطر ليس من الخارج كما كان في سائر الرسائل، بل هو من الجماعة المسيحية نفسها : **خطر البدعة والهرطقة.**

وقد رأينا في الرسالة إلى العبرانيين انتشار تلك البدعة مع النصارى اليهود في مهاجرهم بعد الحرب السبعينية. ونرى في رسالة يوحنا تأثير بدعتهم في المسيحيين الذين حلّوا فيما بينهم، وقد تزعّم البدعة بعض معلميهم، مما حمل يوحنا على تسميتهم « بالمسيحاء الدجالين » و « الأنبياء الكذبة » . ففي نظر يوحنا إنهم وأتباعهم « **خوارج** » (٢ : ١٩). وهذه هي الصفة التي تسم النصارى اليهود في مؤلفات الآباء المسيحيين. فرسالة يوحنا تفيدنا عن مرحلة من مراحل انحراف النصرانية اليهودية عن المسيحية الصحيحة. وتخبرنا أن الانحراف يقوده في عهدها بعض معلميهم.

ونعرف من إيريناوس أن زعيم البدعة النصرانية هو **كيرنثس.** وينقل(١) عن معلمه بوليكربوس، تلميذ يوحنا الرسول، أن الرسول صادفه يوماً في الحمام العام فهرب من وجهه ودعا المسيحيين إلى الهرب من « عدو الحقيقة » . وقبله نقل لنا العلاّمة هيجسبّس(٢) : إنه بعد موت الرسل ظهر « علماء **الغنوص**، ذات الاسم الخدّاع، وصاروا يعارضون بها دعوة الحقيقة » . وكيرنثس كان من النصارى اليهود الذين تأثروا بالغنوص وصاروا ينكرون إلهية المسيح وتجسده، ويجمعون إكرام موسى والمسيح معاً، والعمل بالتوراة والإنجيل معاً. كذلك كان يسميهم يوحنا « الخوارج » .

وكيرنثس كان ينكر التجسد والعماد والاستشهاد والقيامة، ويعلّم أن

---

(١) أوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٨ : ٦ = إيريناوس ك ٣ ف ٣ و٤.
(٢) عند أوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٢ : ٧.

يسوع هو أحد الأنبياء وأعظمهم، وفي عماد يسوع حلّ المسيح، وهو كائن روحي، على يسوع، فعلّم أبوّة الله ؛ وقبل آلامه فارقه ورُفع إلى الآب، فمات يسوع وقد تركه المسيح، روح من الله.

وهذا ما تأخذ الرسالة على هؤلاء « الأنبياء الكذبة » الذين ينكرون أن يسوع هو المسيح أتى بالجسد، وهو ابن الله » (٤ : ٢)، وأن « يسوع هو ابن الله » (٤ : ١٤)؛ وأن « يسوع هو ابن الله الذي أتى بالماء والدم، وهو يسوع المسيح، لا بالماء فقط، بل بالماء والدم » (٥ : ٥ - ٦).

فمعطيات الرسالة والتاريخ واحدة.

فالرسالة مثل الإنجيل رد على **النصرانية اليهودية التي انحرفت** مع كيرنثس بتأثير الغنوص. لذلك يحمل اسم « اليهود » في الإنجيل معنى العداء للمسيحية.

*

رابعاً : المراسَلون - الزمان - المكان

قضى يوحنا آخرته في أفسس، عاصمة آسيا الرومانية، كما نقل إيريناوس[1]، عن معلمه بوليكربوس، أسقف سميرنه، وتلميذ يوحنا الرسول.

فرسالته كُتبت من أفسس إلى كنائس آسيا الرومانية التي كان له الإشراف عليها، كما نعرف ذلك من الرسائل السبع في مطلع سفر الرؤيا.

وبما أن الرسالة من زمن الإنجيل، وكلاهما من بعد نفي يوحنا إلى جزيرة بطمس ٩٤ - ٩٥؛ فالرسالة والإنجيل هما من أواخر القرن الأول ومن آخر حياة الرسول يوحنا، كما يظهر من لهجة خطابه، فهو يسمي المسيحيين « **أولادي الصغار** » (٢ : ١ و١٢ و١٤ و١٨ و٢٨؛ ٣ : ٧ و١٨؛ ٤ : ٤؛ ٥ : ٢١).

وهو لا يتهم المَراسَلين بالانحراف، بل يكتب إليهم لأنهم « يعرفون الذي هو من البدء، ويعرفون الآب، وقد غلبوا الشرير، وكلمة الله ثابتة

---

(١) الرد على الهرطقات ك ٣ ف ٣ : ٤ ؛ قابل أوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٣ :٣.

فيهم ›› (٢ : ١٢ - ١٤) بل يكتب إليهم ليحذرهم من ‹‹ المسحاء الدجالين ›› (٢ : ١٨)، ‹‹ الأنبياء الكذبة ›› (٤ : ١) الذين ينكرون أن المسيح أتى بالجسد (٤ : ٢) وينكرون أنه ‹‹ أتى بالماء والدم، لا بالماء فقط، بل بالماء والدم ›› (٥ : ٥).

فهدف الرسالة والإنجيل واحد : حقيقة تجسد المسيح، وحقيقة عماده، وحقيقة موته على الصليب ‹‹ وقد كُتبت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه ›› (يو ٢٠ : ٣٠ - ٣١).

*

خامساً : موضوع الرسالة

الكشف، ضد أهل البدعة الخوارج، عن سر الله أنه النور والحياة والمحبة؛ وعن سر المسيح أنه الابن الذي أتى بالجسد، والماء، والدم أي التجسد والعماد والاستشهاد؛ وعن سر الحياة المسيحية أنها ‹‹ شركة مع الآب ومع يسوع المسيح ابنه ›› (١ : ٣) بالإيمان والمحبة، وأن طريق المعرفة الكبرى هي المحبة. والرسالة شهادةُ شاهد عيان : ‹‹ ونحن قد شاهدنا ونشهد أن الآب قد أرسل ابنه مخلصاً للعالم : فمن شهد أن يسوع هو ابن الله ، فالله يقيم فيه وهو في الله ›› (٤ : ١٤ - ١٥).

بحث ثان

تحليل الرسالة

فاتحة : ما شاهدناه من « كلمة الحياة » نشهد به لكم ونبشركم به لتكون لكم شركة معنا في الابن والآب (١ : ١ - ٥).

قسم أول : البشرى الأولى : إن الله نور (١ : ٥ - ٢ : ٢٩).

مطلع : إن الله نور، فلنسلك في النور (١ : ٥ - ٧).

١ - **بمقاطعة الخطيئة** (١ : ٨ - ٢ : ٢).

إن اعترفنا بخطايانا فهو يغفر لنا لأنه أمين وعادل (١ : ٨ - ١٠). ولنا في ذلك شفيع، يسوع المسيح البار، الذي هو كفارة عن خطايانا (٢ : ١ - ٢).

٢ - **وبحفظ وصاياه** (٢ : ٣ - ٦)

لأن مَن يحفظ وصاياه يعرفه حقاً (٢ : ٣ - ٤) وتكون محبة الله فيه كاملة (٢ : ٥).

وبذلك نعلم أننا فيه (٢ : ٥) فمن ثبت فيه سلك كما سلك هو (٢ : ٦).

٣ - **خصوصاً المحبة الأخوية** (٢ : ٧ - ١١)

لأنها وصيته القديمة الجديدة، تشرق مع نوره (٢ : ٧ - ٩).

ولأن من يُبغض أخاه ليس من نوره بل في الظلمة (٢ : ١٠ - ١١)

استطراد : بهذه البشرى أكتب لكم الآن (٢ : ١٢ - ١٣)، وبها كتبتُ لكم أيضاً (٢ : ١٤).

٤ - **بالتحفظ من العالم** (٢ : ١٥ - ١٧)

لأن مَن أحب العالم ليست فيه محبة الله الآب (٢ : ١٥)

ولأن كل ما في العالم شهوة زائلة (٢ : ١٦ - ١٧)

٥ - **بالتحفظ من الخوارج** (٢ : ١٨ - ١٩)

لأنهم هم المسحاء الدجالون الذين يخرجون منا في الساعة الأخيرة (٢ : ١٨ - ١٩).

أمّا أنتم فمسحة القدوس تعلمكم كل شيء (٢ : ٢٠).

* **استطراد :** كتبتُ إليكم لتعرفوا في الخوارج المسيح الدجال منكر الآب والابن (٢ : ٢١ - ٢٣) فاثبتوا في ما سمعتموه من البدء، لتثبتوا دائماً في الآب والابن (٢ : ٢٤ - ٢٥)

* **استطراد :** أكتب إليكم بشأن المضلين حتى تثبتوا في ما تعلمكم مسحة المسيح (٢ : ٢٦ - ٢٧)

ختام وتخلّص: فاثبتوا في إيمانكم الصحيح، لأن من يعمل البر فهو مولود من البار (٢ : ٢٨ - ٢٩).

*

قسم ثان : البشرى الثانية : إن الله حياة وأُبوّة (٣ : ١ - ٤ : ٦).

مطلع : إن الله حياة وأُبوّة لذلك جعلنا أولاداً له، وسنكون أمثاله حين نعاينه كما هو (٣: ١ - ٢).

١ - **بالمحافظة على الطهارة من الخطيئة** (٣ : ٣ - ٦).

لأنه هو طاهر وقد ظهر ليرف الخطيئة (٣ : ٣ و٥).

والخطيئة هي تعدي الشريعة، فمن يثبت فيه لا يخطئ، ومَن يخطئ لا يعرفه (٣ : ٤ و٦).

٢ - **بعمل البرّ** (٣ : ٧ - ١٠)
لأن مَن يعمل البر فهو بار كما أنه هو بار، ومَن يعمل الخطيئة فهو من إبليس (٣: ٧ - ٨).

ولأن مَن هو مولود من الله لا يفعل الخطيئة لأن فيه زَرْعُ الله (٣ : ٩ - ١٠)

٣ - **بحفظ وصية المحبة الأخوية** (٣ : ١١ - ١٥)

لأنها بشارته ووصيته؛ فلا نتشبه بقايين (٣ : ١١ - ١٣)

ولأنها دليل انتقالنا من الموت إلى الحياة (٣ : ١٤ - ١٥)

٤ - **على مثاله** (٣ : ١٦ - ٢٠)

فكما بذلك نفسه لأجلنا، علينا أن نبذل نفوسنا لأجل الإخوة (٣ : ١٦ - ١٧).
ولا بالكلام واللسان، بل بالواقع والحقيقة (٣ : ١٨ - ٢٠)

٥ - **- وبحفظ وصاياه، خصوصاً وصية الإيمان** (٣ : ٢١ - ١٤)

لأنا إن حفظنا وصاياه لنا دالة لديه ومهما سألناه ننالـه (٣ : ٢١ - ٢٢). ووصيته أن نؤمن بيسوع ونحب بعضنا حتى نثبت في الله والله فينا (٣ : ٢٣ - ٢٤).

وبتمييز روح الله من روح المسيح الدجال (٤ : ١ - ٦)

٦ - روح الله هو الذي يعترف بتجسد المسيح، والروح الذي لا يعترف بيسوع هو روح الدجّال (٤ : ١ - ٣)

بهذا تميزون الأنبياء الكذبة، وروح الحق من روح الضلال (٤ : ٤ - ٦)

*

قسم ثالث : البشرى الثالثة : إن الله محبة (٤ : ٧ - ٨)

مطلع : إن الله محبة؛ وكل مَن يُحب فهو مولود من الله، ويعرف الله (٤ : ٣)

١ - **براهين المحبة** (٤ : ٩ - ١٦)

- ظهرت محبة الله ببعثة الابن لنحيا به، وكفّارة عنا (٤ : ٩ - ١٠)

* **استطراد :** المحبة الأخوية برهان محبتنا لله، ودليل إقامته فينا (٤ : ١١ - ١٢)

- دليل محبة الله أيضاً أنه أعطانا من روحه (٤ : ١٣)

* **استطراد :** الشهادة ليسوع برهان محبتنا لله ودليل إقامته فينا (٤ : ١٥ - ١٦)

خاتمة : إن الله محبة، فمن ثبت في المحبة، ثبت في الله، والله فيه (٤ : ١٦)

٢ - **- كمال المحبة** (٤ : ١٧ - ١٨)

- بالثقة في يوم الدين (٤ : ١٧)
- وبنفي الخوف لأنه لا خوف في المحبة (٤ : ١٧ - ١٨)

٣ - **واجب المحبة** (٤ : ١٩ - ٥ : ٣)

- علينا أن نحب الإخوة على مثاله، بحسب وصيته (٤ : ١٩ - ٢١)
- وكل مَن يحب الوالد (الله) يحب المولود منه، أي أولاد الله (٥ : ١ - ٣)

٤ - **شهادة المحبة بالإيمان حتى الدم** (٥ : ٤ - ٨)

- لأنا بالإيمان بابن الله نغلب العالم (٥ : ٤ - ٥)
- وشهادة الإيمان بالماء والدم والروح (٥ : ٦ - ٨)

٥ - **على مثال شهادة الله الآب لابنه** (٥ : ٩ - ١٢)

- مَن يؤمن بابن الله يحمل شهادة الله في نفسه (٥ : ١٠)
- وشهادة الله أنه أعطانا الحياة الأبدية بابنه (٥ : ٩ و١١ - ١٢)

ختام الرسالة : المؤمن باسم ابن الله له الحياة الأبدية (٥ : ١٣)

ملحق أول (٥ : ١٤ - ٢٠) الصلاة لأجل المعرّضين لخطيئة الكفر

- الصلاة لأجل المعرّضين للرِدّة (٥ : ١٤ - ١٧)

- لأن المولود من الله يصونه الله من الشرير المسيطر على العالم، لأنه آتانا بصيرة لكي نعرف الحق، ابن الله، الإله الحقيقي والحياة الأبدية (٤ : ١٨ - ٢٠)

مطلع ملحق ثان : صونوا أنفسكم من الأوثان[1] (٥ : ٢١)

* * *

(١) إنه ملحق لا يمت إلى الرسالة التي ترد على الخوارج بصلة، لذلك ذكروه وأهملوه.

بحث ثالث

تعليم الرسالة

أولاً : رسالة يوحنا شهادة الشاهد العيان

يوحنا الرسول يكتب رسالته تقديماً للإنجيل بصفته الشاهد العيان، الذي يؤدي الشهادة المسيحية الحقة.

إنه شاهد « كلمة الحياة الذي كان عند الله وظهر لنا » (١ : ١ ـ ٣)

« الذي كان من البدء — الذي سمعناه، الذي رأيناه بأعيننا
الذي تأملناه، والذي لمسته أيدينا — كلمة الحياة ...
لأن « الحياة » قد ظهر ! — وقد رأيناه! ونشهد له!
ونبشركم بهذا « الحياة الأبدية » — الذي كان في الآب وظهر لنا!
أجل إن الذي رأيناه وسمعناه — به نبشركم لتكون لكم شركة معنا
وشركتنا إنما هي مع الله الآب — ومع يسوع المسيح ابنه!

بعد هذا النشيد يقول : « ونكتب إليكم بهذه الشهادة ليكون فرحنا مكمّلاً » (١ : ٤).

ثم يعطي ميزان الشهادة المسيحية الحقة : « بهذا تعرفون روح الله : إن كل روح يشهد أن يسوع المسيح أتى بالجسد هو من الله! وكل روح لا يشهد ليسوع ليس من الله، بل هو روح المسيح الدجال » (٤ : ٢ ـ ٣)؛ « بذلك نعرف روح الحق وروح الضلال » ! (٤ : ٦)

أخيراً يشهد لشهادة المسيح : « ونحن قد شاهدنا، ونشهد أن الآب

قد أرسل ابنه مخلصاً للعالم : فمن شـهد أن يسوع هو ابن الله، فالله يقيم فيه وهـو في الله ›› (٤ : ١٤).

وهذه الشهادة المسيحية هي انتصار الإيمان على العالم : ‹‹ إن كل مولـود من الله يغلب العالم! **والغلبة التـي بهـا غُلبَ العـالم هـي إيماننـا!** فمن ذا الذي يغلب العالم إلاّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله، وهو الذي أتى بالماء والدم، يسوع المسيح نفسـه، لا بالمـاء فقط (بالعمـاد)، بل بالماء والدم (الاستشهاد). والروح هو الشاهد، لأن الروح هو الحق. ومن ثمّ فالشهود ثلاثة : الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة شهادة واحدة ›› .

وهـذه الشـهادة هـي الحيـاة الأبديـة التـي شـهد بهـا الله نفسـه لابنـه : ‹‹ إن كنـا نقبل شـهادة الناس، فشهادة الله أعظم : فإن هذه هي شهادة الله التـي شـهد بهـا لابنـه ـ فمن يؤمن بـابن الله فلـه هذه الشهادة في نفسه، ومن لا يصدق الله فقد جعله كاذباً، إذ إنه لا يؤمن بالشهادة التـي شـهد بهـا الله لابنه ـ **فها هي ذي الشهادة :** إن الله أعطانا الحياة الأبدية، وهذه الحياة هي في ابنه! فمن لـه الابن له الحياة؛ ومن ليس له ابن الله، فليست له الحياة ›› (٥ : ٩ ـ ١٢).

فرسالة يوحنا شهادة الشاهد العيان؛ فهي أفضل تقديم للإنجيل، الشهادة الكبرى للمسيح؛ وهي شهادة الشاهد العيان ‹‹ للحياة الذي كان في الآب، وظهر لنا ›› (١ : ٢).

*

ثانياً : الرسالة ردٌ على الخوارج، بالشهادة

قلنا إن رسالة يوحنا **تقديمٌ** للإنجيل بحسب يوحنا.

وهي أيضاً **ردٌ** على ‹‹ المسحاء الدجالين ›› والأنبياء الكذابين الذين يبدّلون دين المسيح (٢ : ١٨ ـ ١٩) : ‹‹ ذلـك مـا أكتـب بـه إلـيكم، بشـأن الـذين يبلبلـونكم ›› (٢ : ٢٦). **وهـو ردّ بالشهادة.**

١ ـ **فالكاتب شاهد يشهد** على الأنبياء الكذبة الذين يبدلون دين

المسيح : « ونحن قد شاهدنا ونشهد أن الآب قد أرسل ابنه مخلصاً للعالم : فمن شهد أن يسوع هو ابن الله، فالله يقيم فيه، وهو في الله » (٤ : ١٤ ـ ١٥). وشهادته شهادة الشاهد العيان لأسمى ما يمكن أن يُشاهد:« إن الحياة » ظهر، وقد رأيناه، ونشهد له، ونبشركم بهذا « الحياة » الذي كان في الله وظهر لنا » (١ : ٢).

والمراسَلون أيضاً يشهدون : « أكتب إليكم لأنكم تعرفون الذي من البدء! ... كتبتُ إليكم لأنكم تعرفون الآب! كتبتُ إليكم لأنكم تعرفون الذي من البدء! » (٢ : ١٢ ـ ١٤). وهو يستشهد بشهادتهم : « لقد كتبتُ إليكم لا لأنكم لا تعرفون الحق، بل لأنكم تعرفونه! ولأنه ما من كذب يصدر عن الحق » (٢ : ٢١)؛ ويستشهد بظفر إيمانهم على إلحاد الملحدين: « إن كل مولود من الله يغلب العالم؛ والغلبة التي بها غُلب العالم إنما هي إيماننا » (٥ : ٤). ويستشهد بخبرتهم المسيحية لسرّها : « انظروا أية محبة أحبنا الآب حتى نُدعى أولاد الله ؟ ونحن كذلك! » (٣ : ١)؛ « ومن حفظ وصاياه، فإنه يثبت في الله، والله فيه؛ ونعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا » (٣ : ٢٤).

٢ ـ وشهادة الكاتب والمُراسَلين تقوم على **شهادة ابن الله لذاته :** « ها هي ذي الشهادة : إن الله أعطانا الحياة الأبدية، وهذه الحياة هي في ابنه » (٥ : ١١). وهو يختم الرسالة بقوله : « ونعلم أخيراً أن ابن الله قد أتى، وآتانا بصيرة لكي نعرف الحق! ونحن في الإله الحقيقي، في ابنه يسوع المسيح : هذا هو الإله الحقيقي والحياة الأبدية » (٥ : ٢٠).

وتقوم على **شهادة الآب لابنه :** « إن كنا نقبل شهادة الناس، فشهادة الله أعظم : وهذه هي شهادة الله لابنه ... أن الله أعطانا الحياة الأبدية، وهذه الحياة هي في ابنه » (٥ : ٩ ـ ١١). وشهادة الآب لابنه بذل وعطاء : « بهذا ظهرت محبة الله لنا بأن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به! على هذا تقوم المحبة : لا أننا نحن أحببنا الله، بل هو نفسه أحبنا، وأرسل ابنه كفارة عنّا! » (٤ : ٩ ـ ١٠). وشهادة الآب لابنه وصية لنا : « وها هي ذي وصيته : أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح » (٣ : ٢٣).

وتقوم على **شهادة الروح للمسيح :** « نعرف أن الله يثبتُ فينا، بالروح الذي أعطانا » (٣ : ٢٤). وروح الله فينا هو مسحة المسيح فينا : « أما أنتم فلكم مسحة من القدوس، وتعلمون كل شيء » (٢ : ٢٠)؛ ومسحة الله فينا : « إن المسحة التي نلتموها منه تثبت فيكم؛ ولا حاجة لكم أن يعلّمكم أحد. وبما أن مسحته تعلمكم كل شيء، وهي حق لا كذب، فاثبتوا فيه كما علّمتكم » (٢ : ٢٧). وهو أيضاً مثل « زرع الله » فينا : « كل مولود من الله لا يفعل الخطيئة (خصوصاً الكفر) لأن زرع الله حالٌّ فيه » (٣ : ٩). ونعرف روح الحق من روح الضلال بالشهادة منه للمسيح : « بهذا تعرفون روح الله : إن كل روح يشهد أن يسوع المسيح قد أتى بالجسد، هو من الله! وكل روح لا يعترف بيسوع ليس من الله! بل هو روح المسيح الدجال ... بذلك نعرف روح الحق وروح الضلال » (٤ : ٢ - ٦). ونعرف أننا في الله بروحه : « بهذا نعرف أنّا ثابتون فيه وهو بأنه قد أعطانا من روحه » (٤ : ١٣).

« الروح هو الشاهد، لأن الروح هو الحق » (٥ : ٦).

٣ - وهذه الشهادة تتجمّع وتظهر **في الحياة المسيحية :** فالحياة برهان الحقيقة. والحياة المسيحية هي شركة من الآب وابنه بروحه : « إن الذي رأيناه وسمعناه به نبشركم أنتم أيضاً، لتكون لكم أنتم أيضاً شركة معنا؛ وشركتنا نحن، إنما هي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح » (١ : ٣)؛ « بهذا نعرف أننا ثابتون فيه وهو فينا بأنه قد أعطانا من روحه » (٤ : ١٣). وهذه الحياة المسيحية هي شهادتنا للمسيح : « ومن ثَمّ فالشهود ثلاثة : الروح والماء والدم! وهؤلاء الثلاثة شهادة واحدة » (٥ : ٧). روح الله يشهد بمواهبه التي تغيّر المسيحيين؛ والماء الذي يصيّر المسيحيين بالعماد هو شهادة الإيمان؛ والدم الذي سفكه المسيح لأجلنا، والدم الذي يسفكه المسيحيون لأجله هو شهادة الاستشهاد الذي لا شهادة بعدها.

هذه الشهادات كلها ردٌّ على الخوارج على دين المسيح الصحيح؛ وبها نغلب العالم الذي يتآمر مع المسيح الدجال على مسيح الله : « إن كل مولود من الله يغلب العالم، والغلبة التي بها غُلبَ العالم إنما هي إيماننا :

ومَن ذا الذي يغلب العالم إلاّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله » ! (٥ : ٤ - ٥). والرسول يكتب إليهم لأنهم يعرفون الآب، والذي من البدء، كلمة الحياة، وقد غلبوا الشرير : « كتبتُ إليكم أيها الأولاد الصغار لأنكم تعرفون الآب؛ كتبتُ إليكم أيها الآباء لأنكم تعرفون الذي هو من البدء؛ كتبتُ إليكم أيها الفتيان لأنكم أقوياء، ولأن كلام الله ثابت فيكم، وقد غلبتم الشرير » (٢ : ١٤).

ويلاحظ الرسول الحبيب أنه رغم الردّة والخوارج، ورغم اضطهاد الوثنية ومقاومة اليهودية، فإن المسيحية تنتصر، وإيمانها يغلب العالم : « إنّ الظلمة تزول، والنور الحقيقي آخذ في الإشراق » ! (٢ : ٨).

تلك هي **جدلية الرسالة** : ردٌّ على الخوارج **بالشهادة**؛ وهذه الشهادة عرْض للمسيحية الحقة في أسرارها السامية.

*

ثالثاً : سر الله

تصف الرسالة الله تعالى بثلاث صفات، هي مصدر المسيحية.

« **إن الله نور** » (١ : ٥) هذه هي بشرى الإنجيل الأولى. وبما أنه نور أرسل لنا ابنه نوراً للعالم، « فالظلمة تزول، والنور الحقيقي آخذ في الإشراق » (٢ : ٨). فلنسلك « في النور » ، كما أنه هو في النور (١ : ٧).

والله حياة : « **إن الله أب**، ونحن من الآن أولاد الله » (٢ : ١ و٢)، لأن « زرع الله حالٌّ فينا » (٢ : ٩). لذلك « نعلم أنـّا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة » (٢ : ١٤)؛ وأنـّا « نثبت في الله والله فينا؛ ونعرف أنه يثبت فينا بالروح الذي أعطانا » (٢ : ٢٤). فهو « الآب » على الإطلاق (٢ : ٢٢ - ٢٣).

« **إن الله محبة** » (٤ : ٨ و١٦) : « بهذا ظهرت محبة الله لنا، بأن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به » (٤ : ١٩)؛ « على هذا تقوم المحبة، لا أنّا نحن أحببنا الله، بل هو نفسه أحبّنا، وأرسل الله كفّارة

عن خطـايانا » (٤ : ٨)؛ « ونحن قد شـاهدنا، ونشهد أن **الآب** أرسل ابنه مخلصاً للعـالم » (٢ : ١٤) لذلك « **إن الله بار**؛ مَن يعمل البر فهو مولود منه » (١ : ٢٩)؛ و « مَن يعمل البر فهو بارّ كما أنه هو بارّ » (٢ : ٧).

*

رابعاً : سرّ المسيح

سر المسيح هو الذي يكشف لنا سر الله، النور والحياة والمحبة.

١ ـ وسرّ المسيح في ذاته أنه « كلمة الحياة » ، « الحياة التي كانت في الله وظهرت لنا » (١ : ٢).

إنـه « ابـن الله » ، « الابـن الوحيـد » (٢ : ٩). وهـذه هـي الشـهادة المسـيحية تجـاه المرتدّين والخوارج : « مَن شهد أن يسوع هو ابن الله، فالله يقيم فيه وهو في الله » (٢ : ١٥)؛ وهذا هو انتصار إيماننا على العالم : « مَن ذا الذي يغلب العالم، إلاّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله » (٤ : ٥).

والصفة الإلهية التي تميّزه أنه الأزلي : « الذي منذ البدء » (٢ : ١٣ و١٤).

فهو « الابن » على الإطلاق، كما أن الله هو « الآب » على الإطلاق. والكافر « ينكر الآب والابن؛ وكل مَن ينكر الابن ليس لـه الآب؛ ومَن يعترف بالابن، فله الآب أيضاً » (٤ : ٢٢ ـ ٢٣).

والرسالة تؤكد مراراً مساواة الابن بالآب (١ : ٢ و٣ و٧؛ ٢ : ١؛ ٣ : ٢٣؛ ٤ : ٩ و١٠ و١٤ و١٥؛ ٥ : ١٠ و٢٠) فهي شهادة متواترة بإلهية الابن، ابن الله، يسوع المسيح، التي بها تختتم : « في ابنه، يسوع المسيح : هذا هو الإله الحقيقي والحياة الأبدية » (٥ : ٢٠).

٢ ـ وسرّ المسيح في رسالته أنه « مخلص العالم » . تلك هي مشاهدة الرسول وشهادته : « ونحن قد شاهدنا، ونشهد أن الآب قد أرسل ابنه مخلصاً للعالم » (٢ :١٤).

ورسالة المسيح لخلاص العالم هي برهان محبة الله الأكبر لنا : « بهذا

ظهرت محبة الله لنا : أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به » (٤ : ٩). فالمسيح هو حياتُنا في الله، كما هو كفّارة عن خطايانا : « على هذا تقوم المحبة : لا أنّا نحن أحببنا الله ، بل هو نفسه أحبّنا، وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا » (٤ : ١٠).

فالمسيح هو مخلص الله العالم بما أنه « كفارة » (٤ : ١٠) وحياة لنا (٤ : ١٥) وشفيع لنا (٢ : ١).

فبالإيمان بابن الله « يقيم الله فينا ونحن فيه » (٤ : ١٥)؛ وبيسوع عرفنا المحبة الإلهية : « فمَن ثبت في المحبة، ثبت في الله، وثبت الله فيه » (٤ : ١٦).

« إن الله لم يشاهده أحد قطّ » (٤ : ١٢). ونحن رأيناه في المسيح « الإله الحقيقي والحياة الأبدية » (٥ : ٢٠).

٣ ـ فيسوع المسيح هو الشفيع الأوحد لنا : « إن خطئ أحد، فلنا لدى الآب شفيع، يسوع المسيح البارّ : إنه هو كفارة عن خطايانا، لا عن خطايانا فقط، بل عن خطايا العالم كله أيضاً » (٢ : ١ ـ ٢)، لأنه « قد بذل نفسه لأجلنا » (٣ : ١٦).

وشفاعته، من حيث هو الرب المخلص، إنه « البار » (٢ : ١) كما أن الله الآب « هو بار » (٢ : ٢٩) : « فمَن يعمل البرّ فهو بار (مثله)، كما أن ذاك بار » (٣ : ٧). إنه « القدوس » (٢ : ٢٠).

ورجاؤنا بشفاعته أنه هو « الطاهر » : « مَن له هذا الرجاء يُطهّر نفسه، كما أنه هو طاهر » (٣ : ٣)؛ « وأنتم تعلمون أنه ظهر ليرفع الخطايا، ولا خطيئة فيه البتة » (٣ : ٥)؛ « ودم يسوع ابنه يطهرنا من كل خطيئة » (١ : ٧).

*

خامساً : سر الروح

إنه « روح الله الذي يشهد بأن يسوع المسيح قد أتى في الجسد » (٤ : ٢).

فهو « مسحة القدوس » يسوع المسيح (٢ : ٢٠) ومسحة الله (٢ : ٢٧).

والروح، تلك المسحة الإلهية، هو الذي يجعلنا نعرف أن الله فينا ونحن في الله : « ونعرف أن الله يثبت فينا، بالروح الذي أعطانا » (٣ : ٢٤).

ومسحته « تعلّمنا كل شيء » (٢ : ٢٧)، وبها « نعلم كل شيء » (٢ : ٢٠) : « أما أنتم فإن المسحة التي نلتموها منه تثبت فيكم، ولا حاجة أن يعلمكم أحد » (٢ : ٢٧).

*

سادساً : سر المسيح يكشف سر الله

بيسوع المسيح عرفنا الله، وعرفنا أنه « الآب، والابن، والروح » . والابن هو « القدوس » (٢ : ٢٠)، « الابن الوحيد » (٤ : ٩)، « كلمة الحياة » (١ : ١). والروح هو « مسحة القدوس » (٢ : ٢٠) ومسحة الله الآب (٢ : ٢٧).

توحيد في تثليث؛ وتثليث في توحيد. هذا هو سر الله الذي كشف لنا المسيح عنه، لأنه « كلمة الحياة التي كانت في الله وظهرت لنا » (١ : ٢)؛ ولولاه ما عرفنا سرّ الله في ذاته، « لأن الله لم يشاهده أحد قط » (٤ : ١٢) إلاّ « كلمة الحياة الذي كان في الله وظهر لنا » (١ : ٢).

وهذه هي الشهادة المسيحية لله : إنه الآب والابن والروح؛ « ومَن ينكر الابن ليس له الآب! ومَن يعترف بالابن فله الآب أيضاً » (٢ : ٢٣) والآب والقدوس أعطيانا مسحتهما، الروح (٣ : ٢٤)، فهو منهما ومعهما.

والآب والابن والروح هو الله أحد، لا إله إلاّ هو سبحانه وتعالى.

*

سابعاً : سرّ الحياة المسيحية

في رسالة يوحنا، أسمى تفصيل لسرّ الحياة المسيحية.

١ ـ هذا هو تحديدها: « إنها شركة مع الآب ومع يسوع المسيح ابنه » (١ : ٣) « بالروح الذي أعطانا » (٣ : ٢٤). لذلك فهي أيضاً « شركة لبعضنا مع بعض » (١ : ٧).

وهذه الشركة في الحياة الإلهية يصفها يوحنا أنها « إقامة الله فينا، وإقامتنا فيه » (٤ : ١٥ و١٢). وذلك لا على سبيل المجاز، بل في الحقيقة والواقع: « مَن ثبت في المحبة (الله) ثبت في الله، وثبت الله فيه » (٤ : ١٦).

ويبلغ التصوير عند يوحنا حدّ المحسوس : كما أن الولادة البشرية تكون بزرع بشري، كذلك ولادتنا من الله « بزرع إلهي » : « المولود من الله، فيه زرع الله » (٣ : ٩).

لذلك نحن حقيقة « أولاد الله » (٣ : ١)؛ ويظهر ذلك جليّاً متى ظهر هو : « نحن منذ الآن **أولاد الله ...** ونعلم أنه متى ظهر سنكون **أمثاله**، لأنّا سنعاينه كما هو » (٣ : ٢).

فالحياة المسيحية **شركة كيانية حياتية بالله الثالوث :** « هو فينا ونحن فيه » كما يؤكد مراراً (٣ : ٢٤؛ ٤ : ١٣ و١٥ و١٦). وهذه الحياة الإلهية التي نشترك فيها هي « بنوة إلهية » من الله : «انظروا أية محبة أحبنا الله حتى نُدعى أولاد الله. ونحن في الواقع كذلك » (٣ : ١). وبما أنّا نحن أبناء الله بالابن ومع الابن، فنحن «**نحيا فيه** » (٤ : ٩)، «بالروح الذي أعطانا » (٤ : ١٣). لم ترقَ أحلام الصوفية إلى مثل هذه الوحدة مع الله.

٢ - وهذه الحياة الإلهية البنوية فينا تشركنا في « الله النور » (١ : ٥)، فالمسيحي « ثابت في النور » (٢ : ٩) و «يسلك في النور » (١ : ٦ - ٧)، و «يثبت في النور » (٢ : ١٠)؛ فهو «في الحقيقة » (٣ : ١٩) و «تكون له الحقيقة » (٢ : ٤)، و «يسلك في الحقيقة » (١ : ٦).

وبما « أن الله محبة » (٤ : ٨) فقد أحبّنا هو أولاً (٤ : ١٩) « وأرسل ابنه إلى العالم لكي نحيا به » (٤ : ٩ و١٤). ونحن نحب الله، لأن « المولود يحب الوالد » (٤ : ٧؛ ٣ : ٩ - ١٠).

والابن هو الذي يشركنا في بنوته (٤ : ١٤) وفي حياته (٤ : ٩) : « فمَن له الابن له الحياة، ومَن ليس له الابن ... ليست له الحياة » (٥ : ١٢). فالمسيح هو « الحياة الأبدية » (٥ : ١٣)، « كلمة الحياة »

(١ : ٢)، فهو يشركنا في الحياة الإلهية (٥ : ١١). وهو « النور الحقيقي » (٢ : ٨) الذي أتى وآتانا بصيرة لكي نعرف « الحقيقي » (٥ : ٢٠). وهو برهان محبة الله لنا (٤ : ٩ و١٤ و١٦) ففيه « ظهرت محبة الله لنا » (٣ : ١)؛ وهو برهان الحب الأسمى لنا، « إذ بذل نفسه لأجلنا » (٣ : ١٦) فيه نشترك بمحبة الله، « ونحن في الإله الحقيقي (إذا كنا) في ابنه يسوع المسيح » (٥ : ٢٠). لذلك « مَن ينكر الابن ليس له الآب! ومَن يعترف بالابن فله الآب » (٢ : ٢٤).

والابن الذي هو « المسيح » يعطينا « المسحة » ، مسحة القدوس (٢ : ٢٠) ومحبّة الله (٢ : ٢٧) ومعه نعمة الروح القدس (٣ : ٢٤) : « بهذا نعرف **أنّا ثابتون فيه، وهو فينا،** بالروح الذي أعطانا » (٤ : ١٣). ومسحته تحمينا من الضلال وتعلّمنا كل شيء (٤ : ٢ و٦؛ ٥ : ٦).

٣ ـ بالخطيئة نسقط من تلك الحياة، إلى سلطان الشرير (٣ : ١٢؛ ٥ : ١٩) الشيطان الذي يخطئ منذ البدء (٣ : ٨ و١٠)، ونسلك سلوك العالم (٢ : ١٥ ـ ١٧؛ ٣ : ١؛ ٤ : ١ ـ ٥)، « وكل ما في العالم شهوة الجسد، وشهوة العين، وصلف الغنى » (٢ : ١٦).

في مسألة « الخطيئة » يظهر في الرسالة تعارض : فالمؤمن المولود من الله لا يخطئ (١ : ٨ ـ ١٠؛ ٢ : ١؛ ٣ : ٣؛ ٥ : ١٦ ـ ١٧)، لا بل يخطأ (٣ : ٦ ـ ٨؛ ٥ : ١٨). والتعارض يزول متى عرفنا أن الخطيئة المذكورة هي الكفر، الردّة، نكران الإيمان : فالمؤمن لا يكفر؛ وإذا كفر لا يكون مؤمناً، لأن الإيمان والكفر لا يجتمعان.

ومتى ذكر الخطيئة على العموم حدّدها أنها « مخالفة الشريعة » (٣ : ٤) وذكر معها شفاعة المسيح : « إن خطئ أحد فلنا لدى الآب شفيع، يسوع المسيح البار : إنه كفارة عن خطايانا » (٢ : ١ ـ ٢). فهو قد جاء لينقض أعمال إبليس (٣ : ٨) ويرفع خطايانا (٣ : ٥؛ ٤ : ١٠)، وهي تغفر لنا باسمه (٢ : ١٢) وذلك بسبب ذبيحة دمه : « ودم ابنه يطهّرنا من كل خطيئة » (١ : ٧).

ففي المسيح الخلاص من كل خطيئة : « كل من له به هذا الرجاء،

يطهّر نفسه)) (٣ : ٣)، فيؤمن به (٣ : ٢٣) ويعترف بمسيحيته (٢ : ٢٢؛ ٥ : ١) وبنوته الإلهية (٣ : ٢٣؛ ٤ : ١٥؛ ٥ : ٥ و١٠) وحقيقة تجسده (٤ : ٢). ومن يطهّر نفسه (٣ : ٣) بالمحبة (٣ : ١٦) والإيمان (٥ : ٤) تكون فيه الحياة الأبدية (٥ : ١١) وقد ((انتقل من الموت إلى الحياة)) (٣ : ١٤) وصار ابن الله (٣ : ١ - ٢) لا يخزى في يوم الدين (٢ : ٢٨؛ ٤ : ١٧) لأن بنوة الله فيه تجعله ((مثل الله)) : ((سنكون أمثاله، لأنّا سنعاينُه كما هو)) (٣ : ٢).

٤ - والسيرة المسيحية إيمان (٤ : ٤) وشهادة (٤ : ١٤). وهي أيضاً محبة. ولغة الرسالة كلها محبة، كأن الدين المسيحي كله محبة. محبة الله لنا، ومحبتنا لله؛ محبة المسيح لنا حتى بذْل دمه، ومحبتنا له حتى الاستشهاد. ومحبة الله لا تتم إلا بمحبة القريب؛ ومحبة القريب هي برهان محبتنا لله (٤ : ١٩ - ٢١) : ((أجل هذه هي الوصية التي لنا منه : مَن أحبّ الله فليحبب أخاه أيضاً)) (٤ : ٢١) هذه هي الوصية القديمة الجديدة (٢ : ٧ - ٨) التي يكرّرها في الرسالة (٢ : ٣ - ١١؛ ٣ : ١١ - ٢٠؛ ٤ : ١٩ - ٢١).

والحياة المسيحية **ليست نظرية بل عملية،** فهي تقوم في الأساس على حفظ وصايا الله ووصايا المسيح : حفظ الوصايا هو برهان معرفتنا لله (٢ : ٣) وبرهان محبتنا لله (٢ : ٤): ((فهذه هي محبة الله : أن نحفظ وصاياه، ووصاياه ليس بثقيلة)) (٥ : ٣).

فسرّ الحياة المسيحية أنها حياة في الله، مع الله، بالله؛ إنها حياة مع الآب، في الابن، بالروح. فهي شركة حياة الله (١ : ٣).

بتلك الرسالة الرائعة قدّم يوحنا الرسول الإنجيل بحسب يوحنا، للمسيحيين، ضدّ ((الخوارج)) منهم الذين ينكرون أن يسوع المسيح ((هو ابن الله)) .

* * *

[Blank Page]

الكتاب الأول

سر المسيح في سيرته ودعوته

أو

الإنجيل بحسب يوحنا

[Blank Page]

توطئة : منزلة الإنجيل بحسب يوحنا

إنه **ذروة الوحي** الإنجيلي كله.

ولم يبلغ الوحي والتنزيل، في كتاب منزل، سمو هذا الإنجيل المعجز، فقد بلغ فيه الإعجاز كل طاقاته.

١ - إنه الإعجاز المطلق في ذاته

إن عباقرة الدنيا، والمتصوّفين في الأرض، يعتريهم الذهول عند تلاوته. فهو يسبح في عالم الروح، ويشعر تاليه أن الروح الإلهي قد لامس، في المسيح، بشريتنا ودنيانا.

كان الوحي قبل المسيح إلهاماً وتنزيلاً، **بوسيط ووسط.** فصار بالمسيح كشفاً ذاتيّاً، قائماً على **المشاهدة العيان لغيب الله :** « الله لم يره أحد قط؛ الإله الابن، الوليد الوحيد، الكائن في حضن الله، هو الذي أخبر عنه » (١ : ١٨).

كان الوحي قبل المسيح **كلام الله،** فصار في المسيح **« كلمة » الله الذاتي :** « الحق الحق أقول لك : إننا نشهد بما شاهدنا » (٣ : ١١)؛ « إن الذي أرسلني هو الحق، وما سمعته منه، به أتكلّم في العالم » (٨ : ٢٧).

والإنجيل بحسب يوحنا، بالكشف عن « **سر المسيح** » ، يكشف لنا « سرّ الله » في ذاته : « فمَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٦).

٢ - انه الإعجاز المطلق في بيانه

إنه الإعجاز المطلق في السهل الممتنع. فلا نعرف كلاماً في سهولته وفي سموّه، بآن واحد.

إن **فنونه البيانية** المتنوعة والمتعدّدة، في **إدماج رائع،** من الفن القصصي، إلى الفن الخطابي، إلى الفن التعليمي، إلى الفن الجدلي، فتمتّعه بالفن

التصويري، والفن الرمزي، والفن الملحمي، والفن الصوفي، في الأقوال والأعمال والأحوال، في شتى المواقف المعجزة، تجعل الإنجيل بحسب يوحنا **معجزة الافتنان** في التبيين والبيان.

٣ ـ إنه الإعجاز المطلق في أسلوبه

نكرّر : إنه معجز السهل الممتنع في أساليبه.

فأساليبه البيانية، والرمزية، والشرعية، والملحمية، والكلامية، والجدلية، والكشفية، تجعل الإنجيل بحسب يوحنا **معجزة الاقتدار الفني المطلق** في أسلوبه.

فقد عاش يوحنا هذا الإنجيل نحو سبعين سنة، بعد رفع المسيح، يتأمله بروح الله، « يقيم معكم ويكون فيكم » (١٤ : ١٧)؛ « يعلّمكم كل شيء، ويذكّركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ١٧)، « ويرشدكم إلى الحقيقة كلها » (١٦ : ١٣). وقد دعا به يوحنا نحو أربعين سنة، في أرقى بيئة على الأرض، قبل تدوينه.

٤ ـ إنه الإعجاز المطلق في بيئته

في بيئة الدعوة. كانت الثقافة الإسرائيلية حينئذٍ صفوة الثقافة الكتابية. والحكمة الهلينية، والمعرفة السورية. فدعا السيد المسيح في هذه البيئة الجامعة، فأعجزها بدعوته، حتى الشعب نفسه شهد له : « **ما نطق إنسان قط مثل هذا الإنسان** » (٧ : ٤٥).

وفي بيئة التدوين. لقد دُوّن الإنجيل بحسب يوحنا، في البيئة الهلنستية، جامعة الثقافة العالمية؛ وعلى الأرجح بمدينة أفسس، عاصمة الهلنستية بعد أثينا، والتي كانت تزهو « **بالغنوص** » ، جُماع الحكمة اليونانية و « العلم » المشرقي. فكان الردّ الجميل المعجز على تلك « الغنوص » بأشكالها المختلفة : الهلينية، والأسيوية، واليهودية، و « النصرانية » ، والمندائية.

٥ ـ إنه الإعجاز المطلق، الجامع لإعجاز الإنجيل كله

فقد جاء الإنجيل بحسب يوحنا **تكميلاً** للوحي الإنجيلي كله في « العهد الجديد » **وخاتمة له** في سيرة المسيح ودعوته.

لقد دوّن « المؤتلفة » **الإنجيل الجليلي،** فأكمله يوحنا بتدوين **الإنجيل الأورشليمي.**

هم دوّنوا **الدعوة الإنجيلية الشعبية** في الجليل؛ وهو كتب **الدعوة الإنجيلية الكلامية والصوفية** في بيئة السلطات والعلماء عندهم.

هم سجّلوا « **الإنجيل الجسدي** » - كما يقول الآباء الأقدمون منذ اكلمينضوس الإسكندري - وهو انفرد « **بالإنجيل الروحي** » ، حيث الكشف الإلهي أقرب إلى السماء منه إلى الأرض.

هم اقتصروا في دعوتهم الأولى على **العرْضة الأولى للإنجيل،** لدعوة المهتدين؛ وهو أكمل الدعوة في **العرْضة الأخيرة للإنجيل** على المؤمنين وعلى المريدين.

فجاء بالإعجاز الإنجيلي المطلق، الجامع لإعجاز الإنجيل كله.

٦ - إعجازه أيضاً في شهادته

ميزة يوحنا الإنجيلي، على كتبة الوحي الإنجيلي، أنه سجّل **شهادته الشخصية،** شهادة شاهد العيان منذ البداية (١ : ٤٠) حتى النهاية (٢٠ : ٣١).

فكان أيضاً **أحد** « **الثلاثة المقرّبين** » الذين اصطفاهم يسوع من بين صحابته، لصحبته في المواقف الحاسمة، مثل التجلّي، ومثل النزاع في بستان الزيتون.

وكان **الصحابي الوحيد** الذي تجاسر على حضور محاكمة يسوع الدينية، فالمدنية؛ وعلى صحبته مع أُمّ المسيح على درب الاستشهاد؛ وعلى الوقوف وحده، مع أُمّ المسيح وصاحباتها، عند أقدام الصليب (١٩ : ٢٥). فشهادته معجزة في واقعها وصحتها.

٧ - إعجازه كذلك في تعليمه

إنه يركّز دائماً على **بشرية** السيد المسيح، كما يركّز على **بنوته وإلهيته.** هدفه وطريقته تظهران في خاتمته : « وضع يسوع آيات أخرى كثيرة لم تُدوّن في هذا الكتاب؛ وإنما دُوّنت هذه (الآيات) لتؤمنوا أن يسوع

هو المسيح، ابن الله؛ ولتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه » (٢٠ : ٣٠ - ٣١).

انه يختار **بعض المشاهد والمواقف**، من أعمال يسوع وأقواله وأحواله تبرز فيها **دعوته في سيرته. فهو تاريخ وتعليم معاً**، تاريخ في تعليم، وتعليم في تاريخ؛ وتقوم فيها صحة التعليم على صحة التاريخ. فجاء إعجازه كذلك في تعليمه.

٨ - إعجازه أيضاً أنه شهادة ووحي

فالوحي فيه **مضاعف.**

إنه ينقل **الوحي الإنجيلي**، بشهادة شاهد العيان الممتاز.

وهو يردّ قيمة شهادته الشخصية إلى **كشف الروح القدس** له لأبعاد الإنجيل، في أعمال يسوع وأقواله وأحواله : « ومتى جاء روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحقيقة كلها ... إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم : فجميع ما للآب هو لي؛ من أجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٣ - ١٥).

٩ - إعجازه أيضاً في « تهلين » الإنجيل

بلغ فيه « تهلين » الإنجيل مداه في ترجمته، مع الحفاظ على أصالته؛ فكان أبعد « تهليناً » من المؤتلفة ومن بولس نفسه. وذلك يعود إلى الكاتب الذي يُملي عليه يوحنا. فمَن هو، يا ترُى ؟ إنها مدرسته التي نشرته (٢١ : ٢٤)؛ ولعلّه كان فيها أحد العلماء « القمرانيين » المهتدين على رأينا. وهذه الخلفية قد تفسّر القربى القمرانية والغنوصية التي تطفو في ثناياه؛ وهذا ليس بغريب عند من كان، قبل المسيح، تلميذاً للمعمدان، بجوار قمران.

١٠ - إعجازه أخيراً في الكشف عن « سر المسيح »

طريقة يوحنا في البيان والتبيين أنه يؤالف دائماً بين التاريخ والتعليم، بين الكلام والصوفية، بتمازج أساليبه القصصية والتعليمية والرمزية، كشفاً « لسرّ المسيح » في سيرته ودعوته.

فالإنجيل بحسب يوحنا هو **إنجيل « سر المسيح »** ، حيث يتآلف « سرّه » في سيرته : سرّ المسيح يكشف سيرته، وسيرته تكشف سرّه.

قديماً قال العلاّمة أوريجين[١] في مطلع تفسيره له : « نعلن بجرأة أن زهرة الكتب المقدسة كلها **هي الأناجيل**؛ وأن **زهرة الأناجيل هو الإنجيل بحسب يوحنا**. فلم يفقه معناه إلاّ الذي اتكأ على صدر يسوع، الذي ورث من يسوع نفسه مريم أُمّاً له » .

فهو أسمى كتاب في آداب الدين والدنيا.

إنه ذروة الوحي في الإنجيل، وقمة كل وحي وتنزيل.

---

(١) مجموعة الآباء اليونانيين، مجلد ١٤ ص ٣٢.

الفَصْل الأوّل

تمهيد - مسائل ومشاكل

بسبب تعليمه الصريح لإلهية المسيح؛ وبسبب استخدامه للتعبير الفلسفي « الكلمة » ؛ والتعبير الغنوصي « النور والظلمة » ؛ وبسبب شخصية الرسول يوحنا، أحد صيادي السمك في الجليل الشمالي؛ كان الإنجيل بحسب يوحنا أكثر أسفار الوحي الإنجيلي تعرّضاً لحملات النقد والتجريح. فكثرت حوله المشاكل والمسائل. ونحن نعرض لها في هذا التمهيد.

بحث أول

بيئة الإنجيل بحسب يوحنا

١ - لقد أجمعت المصادر التاريخية المسيحية أن دعوة يوحنا الرسول الأخيرة كانت في **أفسس**، عاصمة آسيا الرومانية؛ ومنها كانت تشعّ شرقاً إلى سوريا، وغرباً إلى اليونان. يتزعّم هذه الحقيقة القديس إيريناوس الإنطاكي، تلميذ بوليكربوس تلميذ يوحنا الرسول نفسه، كما نقل في كتابه (الردّ على الهرطقات) ونقل عنه أوسابيوس أبو (التاريخ الكنسي). وهناك شهادة بوليكراتس سابع سبعة أساقفة من عائلته في أفسس وسميرنة.

وهناك رأي آخر قال به طاطيانس في كتابه (الإنجيل الرُباعي) ونجده في (أعمال استشهاد القديس اغناطيوس) أسقف إنطاكية : إن مكان تدوين الإنجيل بحسب يوحنا كان **إنطاكية.** وهذه المكانية تفسر استيعاب (رسائل اغناطيوس) لأفكار وتعابير الإنجيل بحسب يوحنا! كما هو الحال

أيضاً في (أناشيد سليمان) المنحولة. لكن هذا الرأي **ظل إفرادياً، لا إجماع عليه** مثل الأول. والمسحة الفلسفية في الإنجيل باستخدام التعبير الفلسفي « كلمة الله » ؛ والمسحة الغنوصية في صراع « النور والظلمة » ، تُفهمان أكثر في **موطن الغنوصية**، آسيا الصغرى، حيث تفاعلت الحكمة المشرقية مع الحكمة اليونانية، فجددت نشاط الوثنية في كفاح الدعوات الكتابية.

في هذه **البيئة الأسيوية،** في أواخر القرن الأول، كانت تتصارع الدعوات الكتابية مع الدعوة الوثنية القائمة على **الفلسفة اليونانية** التي كانت مسيطرة على التفكير، وعلى **الغنوص** التي كانت تتسرب إلى الدعوات الدينيّة.

نعرف من أعمال الرسل ورسائل بولس أن **اليهودية** كانت منتشرة في آسيا الصغرى وكانت الخصم الأكبر للدعوة المسيحية؛ وكان لها من حماية الدولة، بصفتها « ديناً مباحاً » عوناً كبيراً على المسيحية التي قرّر نيرون « عدم شرعيتها » ! « لا يُسمح بوجود مسيحيين » !

وكانت **الدعوة المعمدانية** قد انتشرت فيها، كما نعلم من سفر الأعمال، من وجود اثني عشر تلميذاً ليوحنا المعمدان في أفسس، هداهم بولس إلى الإيمان المسيحي (أع ١٩ : ١ ـ ٧)؛ حتى العلاّمة أبولّس قد خلط في أول أمره بين دعوة المعمدان ودعوة المسيح (أع ١٨ : ٢٤ ـ ٢٦). وفي أواخر القرن الأول كانت هذه الدعوة المعمدانية قد تطعمت بالغنوص، وأخذت اسم « **المندائية** » ، وانتشرت في الأناضول وسوريا والعراق.

وبعد الحرب اليهودية السبعينية كان **النصارى من بني إسرائيل** قد تشرّدوا في سوريا الكبرى حتى آسيا الصغرى. وقد رأينا في رسائل يهوذا وبطرس الثانية والرسالة العبرية ورسالة يوحنا الأولى، كيف تطوّرت « النصرانية » بتأثير الروح التوراتي، إلى اعتبار المسيح بشراً أكثر منه إلهاً، فعمّ فيها النفاق فالردّة، حتى سمّاهم يوحنا في رسالته : **الخوارج** (١ يو ٢ : ١٩). تلك النصرانية اليهودية كانت قد انشقت إلى محافِظة تعتبر يسوع المسيح بشراً مثل موسى؛ وتسمت « **الأبيونية** »[1] من صفة « أبيون » أي مسكين،

---

(١) قابل أوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧.

بحسب كلمة المسيح الأولى في الإنجيل بحسب متى : « طوبى للمساكين » أي الأبيونيين! وإلى متحرّرة قد تطعمت بالغنوص بزعامة كيرنثس الذي زعم أن المسيح روح من الله قد حلّ على يسوع يوم عماده فدعا إلى أُبوّة الله في رسالته، ثم فارقه قبل استشهاده وارتفع إلى الله، فمات يسوع بشراً كالبشر. وسُمّيت هذه البدعة « النصرانية » « **الكيرنثية** »[1] ، وهي على مذهب « الظاهرية » الذي شاع فيها وفي سواها في القرون الأولى، فكانت من ميزات هذه « النصرانية » في تطورها حتى الإسلام.

فهذه الدعوات الكتابية الأربع : اليهودية، والمندائية المعمدانية، والنصرانية الأبيونية، والنصرانية الكيرنثية كانت تتصارع مع الفلسفة اليونانية والغنوص، وتتفاعل كلها في صراعها مع المسيحية. فكان الإنجيل بحسب يوحنا ردّاً عليها كلها.

* * *

بحث ثانٍ

أهداف الإنجيل بحسب يوحنا

ينقل لنا مؤرخ الكنيسة الأول، أوسابيوس القيصري[2] ، نظرة علماء المسيحية الأوائل إلى الإنجيل بحسب يوحنا، على لسان العلاّمة اكليمنضوس الإسكندري : « وأخيراً رأى يوحنا أن معالم سيرة المسيح **الخارجية** قد وُصفت في الأناجيل الأولى؛ فكتب هو، بناء على رجاء من تلاميذه، وبدافع من الروح القدس، **الإنجيل الروحي** » .

---

(١) قابل أوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٨.
(٢) أوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٦ ف ١٤.

١ ـ فالإنجيل بحسب يوحنا هو **أولاً : تعليم للمسيحيين من الأمميين**، دوّن فيه يوحنا دعوته فيما بينهم، ليظهر لهم حقيقة دينهم وسموّ أسراره.

فلم يكتب يوحنا لليهود : تعليمه وأساليبه توحي بذلك. فهو يفسر كل الكلمات العبرية أو الأرامية، التي لا تُخفى على بني إسرائيل؛ ويفسر أسماء الأماكن، ويحدّد المواقع، ويسمي الفصح « عيد اليهود » ؛ وهذا كله يوضح أنه لا يكتب لليهود. وإنجيله وصف درامي للصراع الهائل الذي قام بين يسوع وبني قومه، فلا يأتلفهم يوحنا بوصف ذاك الصراع. وهو يسميهم دائماً « اليهود » بشيء من المرارة والتهكم والخصومة. ويفتتح إنجيله بهذه الكلمة، مفتاح الدوام الذي سوف يفصله : « أتى إلى بني قومه، وبنو قومه لم يقبلوه » ! (١ : ١١).

ولم يكتب للنصارى اليهود؛ وقد رأينا من رسالته أنه يسميهم « الخوارج » ؛ لكنه كتب للردّ عليهم.

بل كتب إلى المسيحيين المهتدين من الأمم، فهو ينقل لهم من سيرة المسيح وتعليمه كل ما من شأنه أن يزيدهم إيماناً بدينهم، وفهماً لإيمانهم. فقد عرف المسيحيون من الأناجيل المؤتلفة تاريخ المسيحية، ومن رسائل بولس حكمة المسيحية؛ بقي عليهم أن يعرفوا صوفيتها كما كانت تتضح من دعوة يوحنا تجاه الدعوات المعارضة من غنوصية وكتابية.

٢ ـ فجاء الإنجيل بحسب يوحنا **تكميلاً للأناجيل المؤتلفة** التي كتبت « **الإنجيل الجليلي** » ؛ فإنها مراعاة لشعور أهل أورشليم قد جعلت مسرح رسالة المسيح في الجليل خاصة؛ فأكملها يوحنا بكتابة « **الإنجيل الأورشليمي** » . وقد زالت دواعي التحفّظ، فذكر خصوصاً رسالة المسيح في أورشليم عاصمة الدين والدولة، وفي اليهودية، بمناسبة صعود المسيح إلى الأعياد اليهودية كما اعتاد من صغره أن يحضرها (لو ٢ : ٤١ ـ ٤٢).

وبما أنه كان مع أندراوس أول المدعوين، وبين الرسل من الثلاثة المقرّبين، فقد رافق الدعوة من أولها، واطلع على خفاياها. فذكر إلى جانب **الدعوة في أورشليم** بمناسبة أعياد اليهود، **الدعوة الأولى** على عهد المعمدان قبل توقيفه، وقد أهملها الرسل في الدعوة المسيحية الأولى كما

جاءت في الأناجيل المؤتلفة؛ وذكر **الدعوة الأخيرة** في اليهودية، التي ذكر شيئاً منها الذين سبقوه بمناسبة « صعود يسوع إلى أورشليم » ، وقد فصّل لوقا تلك الدعوة الأخيرة في فصول خاصة به، كما تلقّنها من يوحنا في أفسس، دون التطرّق إلى ما حدث في زمنها بأورشليم. فجاء يوحنا وأكمل تلك النواقص الثلاثة في الأناجيل المؤتلفة.

وظاهرة **التكميل المقصود** بادية عليه : فهو يُهمل ما يذكرونه إلاّ معجزة تكثير الخبز ومعجزة المشي على ماء البحيرة لأنهما تمهيد رمزي للخطاب في « الخبز الحي النازل من السماء » ؛ ويذكر ما يهملونه. فهو مثلاً يترك رسم سر القربان لأنه بات معروفاً، لكنه ينقل الخطاب في « الخبز الحي النازل من السماء » (ف ٦) كتفسير سابق له يفصّل معانيه. تنقل الأناجيل المؤتلفة خبر مؤامرات زعماء أورشليم وخبر وفودهم، لكنها لا تذكر شيئاً من جدالهم ليسوع وخصومهم له، فنقل يوحنا أحاديثه معهم فأعطانا سرّ الصراع المحتوم. وإذا ما اتفق يوحنا مع المؤتلفة في نقل أحداث الاستشهاد، فلأنها ذروة تخطيطه في إبراز سر شخصية المسيح، ولكن يزيد عليها معلومات توضحها وتفسّرها.

وهذا التكميل المقصود يفسّر **نواقص السيرة** عند يوحنا، ونواقصها في المؤتلفة. فلا يمكن أن يجهل « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » الأناجيل المؤتلفة وما فيها؛ ولا يُفهم إنجيله بدونها؛ كما أنها بدونه تظل ناقصة، وفي السيرة كما ترويها أسرار مغلقة، مثل مقاومة زعماء أورشليم وتجسّسهم عليه.

وجاء الإنجيل بحسب يوحنا **تكميلاً لبولس**، خصيصاً في رسائله الأخيرة، وتكميلاً لأبولّس في رسالته العبرية. في الثلاثة، بولس وأبولّس ويوحنا، وحدة تعليمية أساسية في إلهية المسيح أنه « ابن الله » ، « صورة الله غير المنظور » (كو ١ : ١٥)، « صورة جوهره » (عبر ١ : ٣)؛ لكنها تعابير كتابية لا ترضي الحكمة اليونانية؛ فأكملها يوحنا باستخدام تعبير « كلمة الله » (يو ١ : ١)، « كلمة الحياة » (١ يو ١ : ٢) التي تفسّر معنى البنوّة وكيفيتها، وتبرز دور المسيح، كلمة الله، كنور الله في التكوين،

ونور العالم في التنزيل. وهكذا تبرز أزلية المسيح أوضح وأصحّ ممّا عند بولس وأبّولس.

فكان الإنجيل بحسب يوحنا **تعليماً وتكميلاً** للمسيحيين من الأمميين.

٣ ـ وهو يقصد أيضاً من ورائهم **دعوة الأمميين** للإيمان المسيحي، بلغة الغنوص التي تسحرهم. كانوا ينشدون في حكمة الغنوص وأسرارها « الكلمة » الذي « ينير كل مخلوق » ، والحقيقة الكامنة في سرّ الوجود، والاتصال السري بها. فأراهم الإنجيل بحسب يوحنا ما ينشدون، في يسوع المسيح « كلمة الله » ، و « نور العالم » ، و « الصراط والحقيقة والحياة » . فأظهر لهم دور المسيح في الخلق، وفي الخلاص، وفي الخلود.

وأظهر لهم في صراع المسيح مع « اليهود » أنّ دعوة المسيح تتخطّى اليهود، لتنقل الدين المُنزَل من أهل الكتاب إلى الأمميين. وأبان لهم كيف أن يسوع في مطلع دعوته ذهب أيضاً إلى السامرة والسامريين وكشف لهم أنه يأتي يوم يعبدون فيه الله، لا في أورشليم، ولا على جبلهم، بل في كل مكان « بالروح والحق » ؛ وكيف أن يسوع قبل بحماس ظاهر وفد اليونانيين الذين أرادوا في زمن الفصح الأخير أن يروه، فقبلهم وأعلن أنه بقبولهم بدأ ابن البشر يتمجّد. فالمسيح هو « نور العالم » ، لا نور اليهود وحدهم؛ وهو الراعي الصالح، وله خراف خارج حظيرة بني إسرائيل يجب أن يأتي بها لتكون « الراعية » من أهل الكتاب والأميّين « واحدة، لراع واحد » . ويختم إنجيله بالدعوة للإيمان المسيحي : « وإنما دوّنت هذه الآيات لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله؛ وتكون لكم، **إذا آمنتم**، الحياة باسمه » (يو ٢٠ : ٣١). والإنجيل كله دعوة صريحة للإيمان.

٤ ـ وجاء الإنجيل بحسب يوحنا **ردّاً على التيارات الكتابية** التي تحاصر المسيحية لئلاّ تنتشر، وتُسيء فهمها فتضعف من سموّها.

فهو ردٌّ على اليهودية. يعلن ذلك منذ الفاتحة بمعارضة الإنجيل بمقدسات اليهودية : « إن الشريعة نزلت بموسى؛ وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧)؛ موسى لم يرَ الله، أمّا يسوع الابن الوحيد فهو الذي يراه ويظهره : « إن الله لم يره أحد قط، إلاّ الإله الابن الوحيد! إنه في

حضن الآب، وهو الذي كشف عنه)) (١ : ١٨)؛ كان الأنبياء يتكلمون باسم الله لهدايتهم، أما هو فقد رأى الآب : ((ليس أن أحداً رأى الآب. إلاّ الذي هو من لدن الآب : فهذا قد رأى الآب)) (٦ : ٤٥ - ٤٦). إبراهيم نفسه، أبو الآباء والأنبياء، أدنى من يسوع، ولا وجود له إلاّ بسبب يسوع : ((إبراهيم أبوكم قد فرح بأن يرى يومي، وقد رأى وفرح! فقال له اليهود : ليس لك بعد خمسون سنة، وقد رأيت إبراهيم؟! فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن!)) (٨ : ٥٦ - ٥٩).

ويسوع يجادلهم بكتابهم في صحة رسالته : ((إنكم تبحثون الكتب ظناً منكم بأن لكم فيها الحياة الأبدية! وهي التي تشهد لي)) ! إنكم تكفرون بي وموسى نفسه يشهد لي : ((ولا تظنوا أني أنا أحججكم أمام الله! فإن لكم من يحججكم، موسى الذي فيه رجاؤكم. فلو كنتم تصدقون موسى، لصدقتموني أنا أيضاً، لأنه قد كتب عني)) (٥ : ٣٩ - ٤٧).

والإنجيل يفاضل بين مؤسساته ومقدسات العهد القديم : فما الحمل الفصحي تجاه ((حمل الله الذي يحمل خطايا العالم)) ؟ (يو ١ : ٢٩ = سفر الخروج ١٢). وما المنّ معجزة إسرائيل الكبرى تجاه ((الخبز الحيّ النازل من السماء)) ، والمأكول في القربان؟ (يو ٦ : ٣١ = حز ١٦ : ٤). وما الماء المتفجر بمعجزة في التيه، من الماء الحي الذي يسكبه روح المسيح في النفوس ؟ (يو ٧ : ٣٨ = حز ١٧ : ١ - ٧). وما حيّة موسى النحاسية التي كان منظرها يشفي الملسوعين بالحيّات، تجاه صليب المسيح الذي يخلّص من الكفر والهلاك الأبدي ؟ (يو ٣ : ١٤ = العدد ٢١ : ٤ - ٩). وقد رمز يسوع إلى زوال العهد القديم بطرد تجار الدين من الهيكل (٢ : ١٣ - ٢٢).

فالمسيح يسوع هو النبي الأعظم، والرسول الأعظم، والمخلص الأعظم، لأنه ابن الله، مهما كفروا به : ((أتى إلى بني قومه، وبنو قومه لم يقبلوه! أما الذين قبلوه فقد آتاهم السلطان بأن يصيروا أبناء الله)) على مثاله (١ : ١١ - ١٢).

وهو ردٌّ على المعمدانية المندائية. ليس يوحنا هو « منْدا » كلمة الله الذي يكشف سر الله؛ بل المسيح هو كلمة الله، الكائن في ذات الله، وهو الذي يظهر الله بذاته وكلامه (١ : ١ و١٨). ويوحنا نفسه لم يكن سوى سابق ليسوع المسيح : « أنا لم أكن أعرفه؛ لكن، لكي يظهر لإسرائيل، جئتُ أنا أُعمّد بالماء » ! (١ : ٣١). وهو نفسه شهد أن يسوع هو « حمل الله الحامل خطايا العالم » (١ : ٢٩)؛ وقد أعطاه الله إشارة لكي يعرفه بها : « إن الذي ترى الروح ينزل ويستقرّ عليه هو الذي يعمّد بالروح القدس؛ فذلك ما قد عاينت! وأشهد أنه هو ابن الله » (١ : ٣٣ ـ ٣٤). وشتان ما بين عماد الله، وعماد الروح القدس! وشتان ما بين العبد وسيده! ويوحنا نفسه هو الذي وجّه خيرة تلاميذه إلى يسوع (١ : ٣٥ ـ ٤٠) وقد صرّح بنفسه لوفد السنهدرين، المجلس اليهودي الأعلى، أنه ليس المسيح الذي وعد به داود، ولا إيليا الذي ذكره الأنبياء، ولا النبي الذي تنبأ عنه موسى؛ إنما هو « صوت صارخ في البرية : أعدّوا طريق الرب! أنا أُعمّد بالماء، ولكن بين ظهرانيكم مَن لستم تعرفونه : هو الآتي بعدي، وأنا لست أهلاً أن أحلّ حذائه » (١ : ١٩ ـ ٢٨). وآخر كلمة يوحنا لتلاميذه : « أنتم أنفسكم تشهدون لي بأني لستُ المسيح، بل أنا مرسل أمامه! ... فله ينبغي أن ينمو! ولي أنا أن أنقص! » (٣ : ٢٥ ـ ٣٠).

وهو ردٌّ على النصرانية اليهودية، التي انحرفت عن الإيمان الصحيح بيسوع المسيح. لقد آمن النصارى اليهود أن يسوع هو المسيح، لكنه هو « النبي مثل موسى » ، لا ابن الله بالحقيقة، بل قد يكون مجازاً مثل المقرّبين من الله كالأنبياء والأولياء. وقد تحجّرت تلك النظرية في النصرانية التي أمست « **أبيونية** » في أواخر القرن الأول. فيردّ عليهم يوحنا بتركيز تعليمه من أقوال وأعمال وأحوال يسوع أنه المسيح، وأنه ابن الله ، ويختم بقوله: « واجترح يسوع أمام تلاميذه معجزات كثيرة لم تدوّن في هذا الكتاب؛ إنما دُوّنَت هذه لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله، ولكي تكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه » (٢٠ : ٣٠ ـ ٣١).

وهناك النصرانية اليهودية المتأثرة بالغنوص، « **الكيرنثية** » التي كانت تقول : إن كلمة الله روح منه تعالى حلّ على يسوع في العماد، وفارقه قبل

الاستشهاد. فيؤكد الإنجيل أن يسوع المسيح هو « كلمة الله صار لحماً وسكن في ما بيننا » وذلك منذ فاتحة الإنجيل (١ : ١ - ٥ و ١٤). ويُظهر في الإنجيل كله أن يسوع هو ذاته القائم والعامل في بشريته، كما هو ذاته القائم والعامل بإلهيته؛ وفي كلا الحالين يقول دائماً « أنا » نحو خمسين مرة؛ ويكشف عن سرّ شخصيته بقوله « أنا هو » نحو عشرين مرة. وينقل في استشهاد يسوع أقواله التي تشهد أن يسوع ابن الله هو الذي يستشهد، وأن الشهود من مؤمنين وكافرين اعترفوا بأن الشهيد هو المسيح، ملك إسرائيل، كما علّق بيلاطس الصك على الصليب.

فيسوع هو المسيح ابن الله قبل عماده، منذ تجسده؛ وفي استشهاده قبل قيامته.

وفاتحة الإنجيل بحسب يوحنا هي أحد الأناشيد المسيحية التي كان يروّجها الرسل وتلاميذهم بين الناس وبها يوجزون إيمانهم بالمسيح. فأوجز يوحنا في نشيد الفاتحة ردّ المسيحية على كل التيارات المعارضة لها. فكان المسيحيون ينشدونها في الصلوات، ويردّدونها في المجتمعات، ردّاً على التحديات.

* * *

بحث ثالث

كاتب الإنجيل بحسب يوحنا

إن السُنّة المسيحية تؤكد بالتواتر والإجماع أن كاتب الإنجيل بحسب يوحنا هو الرسول يوحنا بن زبدى، وقد أعانه عليه قوم آخرون من كتبة الوحي له. لقد رأينا سيرة الرسول يوحنا؛ وسندرس صحة نسبة الإنجيل إليه. نرى الآن القرائن والدلائل من الإنجيل بحسب يوحنا نفسه.

١ - كاتب الإنجيل بحسب يوحنا إسرائيلي

- هذا ما يظهر من اللغة والإنشاء. لغة الإنجيل بحسب يوحنا أرامية

بحرف يوناني. فالإنجيل كله تقريباً، خصوصاً في كلمات يسوع وخطبه، مكتوب بأسلوب « الثنائيات » بحسب التعبير العبري والعربي، أو أسلوب « الرباعيات » بحسب التعبير الآري. وهذا ليس من أساليب اليونانية في شيء. والإنشاء فيه مربوط بالربط السامية كالعطف وما إليه، وليس بحمل الجُمَل بعضها على بعض كما في اليونانية. والبيان فيه مطبوع بطابع البيان الفطري السامي كالتصدير في أول المقاطع وختامها بكلمة مفردة. وهو ينقل كلمات آرامية ثم يترجمها (١ : ٣٨ و٤١ و٤٢؛ ٤ : ٢٥؛ ٥ : ٢؛ ٩ : ٧؛ ١٩ : ١٧؛ ٢٠ : ١٦ و٢٤). وهو يستعمل تعابير سامية أرامية، كالعربية، لا تُستعمل في اليونانية الصحيحة، مثل قوله : « تعالَ وانظر » (١ : ٣٩ و٤٧؛ ٤ : ٢٩؛ ١١ : ٣٤) وهو شائع في لغة الرابيين؛ وقوله « نظر » في الأمر أي بحثه (٣ : ٣ و٣٦؛ ٨ : ٥٢)؛ وقوله : « فأجاب وقال » (٢ : ١٨؛ ٥ : ١٧؛ ٧ : ١٦ و٢٠)؛ وقوله : « دخل وخرج » بمعنى « مشى ذهاباً وإياباً » (١٠ : ٩)؛ وقوله : « ما لي ولك يا امرأة » (٢ : ٤) أي (لا يعنينا)؛ وقوله : « مشى في الظلام أو النور » أي سلك السلوك الخلقي (٨ : ١٢؛ ١١ : ٩ و١٠؛ ١٢ : ٣٥)؛ وقوله : « في يده » أي في سلطانه (٣ : ٣٥؛ ١٠ : ٢٨ و٣٩، ١٣ : ٣)؛ وقوله : « ألقى في قلب يهوذا » أي ألهمه (١٣ : ٢). فاللغة، والإنشاء، والبيان، والتأليف كلها دلائل على أن كاتب الإنجيل ليس يونانيّاً.

وقد يقول قائل : إن تلاميذ يوحنا وبولس في آسيا الرومانية لم يكونوا من أصل يوناني! ـ ولكنهم تهلّنوا وصارت اليونانية لغتهم الأصيلة.

ـ وهذا ما يظهر من معرفة الكتاب. فالكاتب يعرف الكتاب المقدس ويرى تحقيق رموزه في الإنجيل : فالمسيح يسوع هو حمل الله الحقيقي، والحمل الفصحي رمز له (١ : ٣٦)؛ وهو الهيكل الحقيقي، وهيكل سليمان رمز له (٢ : ١٩)؛ والحية النحاسية في تيه بني إسرائيل رمز للصليب (٣ : ١٤) ، والمن رمز للمسيح وقربانه (٦ : ٤٩ ـ ٥٠).

ويرى أيضاً في الإنجيل تحقيق نبؤات الكتاب : عمى اليهود بكفرهم بيسوع المسيح (١٢ : ٣٧)؛ وفي خيانة يهوذا (١٣ : ١٨؛ ١٧ : ١٢)؛ وفي أحداث الصلب، مثل قسمة ثوب يسوع بالاقتراع (١٩ : ٢٣)،

وعطش يسوع على الصليب (١٩ : ٢٩) وطعن جنب يسوع بحربة حتى خرج منه دم وماء (١٩ : ٣٧).

- وهذا ما يظهر من اطلاع الكاتب على **عوائد اليهود** اطلاع خبير. فهو يعرف أن اليوم الأخير من عيد الخيام هو اليوم العظيم (٧ : ٣٧)؛ وأن عيد تجديد بناء الهيكل يقع في الشتاء (١٠ : ٢٢)؛ وأن تهيئة الفصح تصير قبل غروب يوم العيد، وقد استشهد يسوع الفصح الحقيقي وقت ذبح الحمل الفصحي (١٩ : ١٤ و٣١ و٤٢). فيذكر تصاريح يسوع بمناسبة تقاليدهم : كانوا في عيد الخيام ينقلون الماء من سلوان إلى الهيكل، فقال يسوع بالمناسبة : « من عطش فليأتِ إليّ ويشرب » (٧ : ٣٨)؛ وكانوا في عيد الخيام يقيمون تنويراً عظيماً في الهيكل، فقال يسوع بالمناسبة : « أنا نور العالم : مَن تبعني لا يمشي في الظلام » (٨ : ١٢).

- وهذا ما يظهر من معرفة الكاتب **لشرائع اليهود،** من وضوء وغَسْل أوانٍ (١١ : ٦)، وأن المشركين نَجَسٌ فلا تصح مؤاكلتهم ولا دخول بيوتهم، خصوصاً في زمن الفصح فيمنعهم من أكله (١٨ : ٢٨). ويعرف عوائد الفصح (ف ١٣) وضرورة الامتناع عن الاستشفاء في يوم السبت (٩ : ١٤). ولا يجهل معنى حرْم السنهدرين الذي يقطع الإسرائيلي من جسم الأمة (٩ : ٢٢) وعادة ختم القبر (٩ : ٣٨؛ ٢٠ : ١) وعادة تنفيذ الإعدام (١٩ : ٣١).

فالكاتب هو ابن البيئة الإسرائيلية.

٢ - والكاتب هو أيضاً من البيئة الفلسطينية

فلم تنسه اللغة اليونانية التعابير العبرية : « فرح فرحاً » (٣ : ٢٩) - والمفعول المطلق ميزة سامية لا آرية - « ابن الهلاك » أي الهالك (١٧ : ١٢)؛ « هذا الدهر » و « الدهر الآتي » كناية عن الحياة الدنيا، والحياة الأخرى (٩ : ٣٢)؛ والتوكيد بتعبير « أمين أمين » مكرراً أي « الحق الحق أقول » ، وهذا أسلوب مضطرد فيه؛ ونلاحظ أن يوحنا وحده يكرر « أمين » بخلاف الأناجيل المؤتلفة.

ولم تنسه اليونانية تكرار الكلمة الواحدة بحرفها مراراً، وهو أسلوب مستهجن في اليونانية، فهو يقول «عرف» ٥٥ مرة؛ «آمن» ٩٨ مرة؛ «أحب» ٤٥ مرة. وهو يكرّر ألفاظ «الحقيقة» ٢٥ مرة، و «النور» ٢٣ مرة، و «الحياة» ٢٦ مرة، و «العالم» ٧٨ مرة، و «الظلمة» ١٣ مرة، و «الاسم» ٢٥ مرة، و «الكلمة» ٥٠ مرة، و «العمل» ٢٧ مرة، و «الآية» ١٥ مرة، و «الشهادة» ٤٧ مرة، و «إحياء» ٥٢ مرة، و «مجد» ٤٢ مرة.

وظاهرة أخرى عنده أنه لا ينقل النبؤات عن الترجمة السبعينية مثل الأناجيل المؤتلفة، كما يفعل اليهود «**الهلّينين**» . فعنده ثلاث نبؤات مأخوذة عن النص العبري (١٢ : ١٤ ـ ١٥؛ ١٣ : ٣٨؛ ١٩ : ٣٧). وفي نبؤات أخرى ينقّح نصّ الترجمة السبعينية بالأصل العبري (١ : ٢٣؛ ٣ : ٣٦؛ ١٢ : ٤٠).

والكاتب يعرف **جغرافية فلسطين** معرفة خبير فلسطيني، فيحدّد المواقع بدقة، مثل عين نون «قرب ساليم» (٣ : ٢٣)، وسيختار «قرب البئر التي أعطاها يعقوب لابنه يوسف» (٤ : ٥). وهو يميّز بيت عنيا «التي قرب أورشليم» (١١ : ١٨) عن بيت عنيا «التي في شرق الأردن» (١ : ٢٨)، وقانا «الجليل» من غيرها (٢ : ١؛ ٤ : ٢١؛ ١٢ : ٢١). ويعرف أن الطريق من قانا إلى كفرناحوم «تنزل» (٢ : ١٢)، وأن وادي قدرون شرقي أورشليم لا ماء فيه إلاّ في أيام المطر (١٨ : ١). ويعرف معرفة خبير مواقع أورشليم : فبستان الزيتون عبر وادي قدرون (١٨ : ١)، وأن بركة سلوان (٩ : ٧) غير بركة بيت حسدا (٥ : ٢)؛ ويميّز في هيكل سليمان موقع الخزانة (٨ : ٢٠) من باب سليمان (١٠ : ٢٧).

وتلك المعلومات تأتي عفوية عند كاتب صوفي غارق في التأمل؛ لكنّ نظره لا ينقطع عن الواقع المحسوس. فهو فلسطيني، ابن بيئته.

قيل : لا ذكر فيه للكتبة والصدوقيين والهيرودسيين والشيوخ، الذي يملأ الأناجيل المؤتلفة ويُشغل فيها رسالة المسيح كلها. أجل، لكن مرور الزمن جمعهم في نظره جبهة واحدة في مقاومة دعوة المسيح، فصاروا «اليهود» . وعداء اليهودية المستفحل في زمانه للمسيحية ألبس القوم كلهم

لباس زعمائهم : فهم «اليهود» أعداء المسيح والصليب! وفصول كاملة (٥ و٧ و٨ و٩) هي جدال متواصل مع تلك الفئات التي جمعها في اسم «اليهود» الذي تشعر فيه شيئاً من المرارة والترفّع. وهو لا يجهل، وقد يكون وحده مَن ينقل حالاتهم القومية والدينية بطريقة أدقّ وأوفى من الأناجيل المؤتلفة : مثل دور الأعياد العظيم، ودور الشريعة، ودور الطهارة والنجاسة في حياتهم الدينية والاجتماعية؛ واحتقار اليهود للسامريين المخالفين (٤ : ٩)، واحتقار الأئمة للأمة، التي تجهل الشريعة؛ وانتظار الشعب للمسيح، كمخفيّ لا يلبث أن يظهر فجأة (٧ : ٢٧)، وللمسيح أنه خالد لا يموت (١٢ : ٣٤).

فالكاتب فلسطيني يعرف بني قومه وعاداتهم وتقاليدهم.

*

وتلك الظاهرة الطاغية جعلت بعض العلماء يقولون بأن الإنجيل اليوناني بحسب يوحنا هو **مترجم عن الأرامية السريانية.** ولكن لا يذكر التاريخ ترجمته كما ذكر ترجمة الإنجيل بحسب متى.

قالوا : إن لغة الإنجيل الصحيحة تختلف عن لغة الرؤيا الركيكة؛ فإن صحّ أن كلاهما لكاتب واحد، فلا بدّ من أن يكون الإنجيل ترجمةً !

نقول : إن ظروف جمع «الرؤيا» تختلف عن ظروف جمع «الإنجيل» . فيوحنا جمع الرؤيا في منفاه في جزيرة بطمس حيث كان دون حاشية من تلاميذه؛ أمّا جمع الإنجيل فقد تمّ في المدينة بين المريدين الذين كان منهم كتبة الوحي بين يديه. وهذا ما يفسر فارق اللغة. ونضيف : إن يوحنا كان يفكّر بالأرامية، ويعبّر بيونانيته وكتبة الوحي ينقّحون التعبير الشعبي بتعبير فصيح.

فالإنجيل بحسب يوحنا هو بحرف يوناني، لكن بتفكير آرامي؛ وتعبير أقرب إلى الأرامية منه إلى اليونانية؛ لكن لا تُشتم منه رائحة الترجمة التي لا تخفى عادة.

هذا، مع العلم أن الإنجيل نطق به السيد المسيح بالأرامية السريانية.

ثم نقله الرسل أو أتباعهم إلى اليونانية؛ لكن في هذا النقل نزل الإنجيل بالحرف اليوناني، لغة « المسكونة » في ذلك الزمان. وشبهة الترجمة التي يقول بها بعضهم دليل آخر على صحة الإنجيل.

٣ ـ وصاحب الإنجيل بحسب يوحنا شاهد عيان

في الرسالة التي بها يقدّم يوحنا الإنجيل للمسيحيين، يركّز قيمة الإنجيل على أنه شهادة الشاهد العيان : « الذي من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بأعيننا، الذي تأملناه، الذي لمسته أيدينا، كلمة الحياة ـ لأن « الحياة » قد ظهر، وقد رأيناه، ونشهد له، ونبشركم بهذا « الحياة » ـ أجل إن الذي رأيناه وسمعناه، به نبشركم » (١ يو ١ : ١ ـ ٣).

ويفتتح الإنجيل بذكر المشاهدة العيان : « ونحن قد رأينا مجده » (١ : ١٤)؛ وفي المواقف الحاسمة بذكر المشاهدة العيان كما في العشاء السرّي : « ومتى جاء الفارقليط فهو يشهد لي، وأنتم أيضاً تشهدون بما أنكم معي منذ الابتداء » (١٥ : ٢٧)؛ « إن الذي شاهد هو الذي شهد؛ وشهادته حق؛ وهو يعلم أنه يقول الحق؛ وذلك لكي تؤمنوا أنتم أيضاً » (١٩ : ٣٥ ـ ٣٦)؛ والرسول الذي ظن المسيحيون أنه لا يموت لطول عمره : « هذا التلميذ هو الشاهد بهذه الأمور؛ وهو الذي كتبها؛ **ونحن نعلم** أن شهادته حق » (٢١ : ٢٤). بهذه الشهادة وقّع التلاميذ كتبة الإنجيل على شهادة يوحنا، وختموها بشهادتهم أيضاً؛ بتلك الشهادة المزدوجة يُختم الإنجيل.

والواقعية، والمشاهدة العيان تظهر على أحداثه كلها.

فهو يذكر تفاصيل الزمان والمكان، والأشخاص والأشياء، حتى التي لا ضرورة لها في سياق الحديث. فالمعمدان يشهد أمام « كهنة ولاويين من الفريسيين أتوا من أورشليم » أنه ليس المسيح (١ : ١٩ ـ ٢٨)؛ و « في الغد » أمام تلاميذه : « هذا هو حمل الله » (١ : ٢٩)؛ و « في الغد » التالي يقول أمام « اثنين من تلاميذه » القول نفسه، « وكان نحو

الساعة العاشرة؛ وكان أندراوس أخو بطرس من الاثنين)) (١ : ٣٥ - ٤٠)؛ ((وفي الغد)) الثالث دعا فيلبس (١ : ٤٣)؛ ((وبعد ثلاثة أيام - من تلك الثلاثة - كان عرس في قانا الجليل)) - لا غيرها (٢ : ١). فهذه ستة أيام محددة بكامل ظروفها، انقضت الثلاثة الأخيرة في السفر من شاطئ البحر الميت إلى الشمال، تحديد شاهد عيان.

وفي رحلة تالية من أورشليم إلى الجليل، مرّ بالسامرة، فوصل ((إلى سيخار، قرب البئر التي أعطاها يعقوب لابنه يوسف، وكان قد تعب من المسير، وكان نحو الساعة السادسة)) (٤ : ٥ - ٦)؛ وبقي في سيخار ((يومين)) (٢ : ٤٣). ولمّا وصل من جديد إلى ((قانا الجليل جاءه من كفرناحوم ضابط ملكي ابنه مريض)) يلتمس من يسوع شفاءه، فشفاه يسوع من بعيد وكان ذلك ((أمس، الساعة السابعة ... الساعة التي قال له يسوع فيها : ابنك حي!)) (٤ : ٤٣ - ٥٣).

وهذا الأسلوب في تحديد الظروف التي لا تمس الأحداث، لكنها مشاهدات الشاهد العيان التي انطبعت في نفسه، نراه في تكثير الخبزات الخمس (٦ : ١ - ١٥) وفي خطب عيد الخيام (ف ٧ - ٨) وفي تفاصيل شفاء الأعمى منذ مولده (ف ٩) في ظروف توقيف يسوع في بستان الزيتون (١٨ : ١ - ١١) وفي تسلسل حوادث محاكمة يسوع المدنية أمام بيلاطس (١٨ : ٢٨ - ١٩ : ١٥) وفي تفاصيل الأحداث يوم القيامة. وكيف سبق يوحنا بطرس في الركض إلى القبر (ف ٢٠).

فكل تلك المعلومات الدقيقة الواقعية الحية لا يأتي بها إلا شاهد عيان وهذا الشاهد العيان الذي تشير كلها إليه من طرف خفي هو يوحنا بن زبدى.

وهناك **ظاهرتان** تزيدان من قيمة شهادة هذا الشاهد العيان.

الأولى أنه صوفي مستغرق في تأملاته؛ مع ذلك تأتي تلك التفاصيل المُشَاهَدة تدل على أنه لا ينقطع عن الواقع، فصوفيتُه من صميم الواقع التاريخي. فنجد أن هذا الصوفي يلتصق بالتاريخ والجغرافية أكثر من الأناجيل المؤتلفة، وهو في ذلك يضع لسيرة المسيح **إطاراً تاريخياً وجغرافياً** أفضل منهم.

والثانية أن صاحب الإنجيل بحسب يوحنا **يستقل في تخطيط سيرة المسيح** عن الأناجيل المؤتلفة، حتى يظهر كأنه يعارضها؛ مع أنه في الواقع يتفق معها. فالأناجيل المؤتلفة تبدأ كلها سيرة المسيح بعد توقيف المعمدان وفي الجليل؛ ويوحنا يبدأها قبل ذلك في اليهودية؛ لكنهم هم يؤكدون أن يسوع جاء إلى الجليل يدعو بالإنجيل « بعد » توقيف المعمدان؛ (مر ١ : ٢٤؛ متى ٤ : ١٢) ويوحنا أيضاً يقول في سرد الرسالة الأولى : « إن يوحنا لم يكن بعد قد أُلقي في السجن » (٢ : ٢٤). والأناجيل المؤتلفة يظهر أنها تسرد سيرة المسيح في سنة واحدة، لكنها تشير مراراً أن « وجهه كان متجهاً إلى أورشليم » ؛ ولوقا يمتاز عن المؤتلفة بقسم خاص يجري في اليهودية، ذكره بمناسبة صعود يسوع إلى أورشليم (لوقا ٩ : ٥١ ـ ١٨ : ٣١)؛ وهذه كلها دلائل على أن تخطيط يوحنا تاريخي؛ وإن خالف المؤتلفة في ظاهره، فهو متفق معها في الواقع والحقيقة. إنها شهادة الشاهد العيان الذي لا يربطه اتفاق الرسل على إظهار دعوة المسيح كأنها تمت كلها في الجليل؛ وقد زالت ظروف ذاك الاتفاق. فجاء تخطيطه التاريخي يكمّل تخطيطهم المقصود. إنه تخطيط الشاهد العيان المستقل.

٤ ـ هذا الشاهد العيان كان من تلاميذ المعمدان، في جوار قمران

نعرف من المصادر التاريخية وجود حزب « الأسينيين » من اليهود؛ ووجود جماعة رهبانية منهم في قمران، على الشاطئ الغربي من البحر الميت. لكن ظهور مخطوطات قمران أظهر **الشبه مع الفارق** بين عقيدتهم ودعوة الإنجيل. وذاك الشبه يظهر أكثر ما يكون في الإنجيل بحسب يوحنا، في التفكير والتعبير.

كان رهبان قمران يفهمون مؤسسات اليهودية **فهماً روحيّاً** فلا يتقيدون بتقاليد الهيكل، ويكثرون من التطهير بالغسل والتعميد. وقد لاحظ الأقدمون أن الإنجيل بحسب يوحنا هو « الإنجيل الروحي » لسيرة المسيح، بينما المؤتلفة كانت « الإنجيل الحسي » .

ونجد في مخطوطات قمران تعابير الإنجيل بحسب يوحنا، مثل « النور

والظلمة »، « أبناء النور وأبناء الظلمة » . « سيد الأنوار وملاك الظلمات »، « طرق النور وطرق الظلمة »، « أرواح الإثم وأرواح الحق » . وهذه تعابير قريبة من لغة الإنجيل بحسب يوحنا؛ ونجد فيه وحده تعبير « روح الحق » (١٤ : ١٧؛ ١٦ : ١٣)، وتصريح يسوع، « أنا نور العالم » . وتشديد يوحنا على المحبة الأخوية كأنها وصية المسيح الفريدة، قريب من أحكام الجماعة في قمران. ونجد عند يوحنا أن تلاميذ يسوع كانوا يعمّدون في أول دعوته مثل المعمدان وتلاميذه، ومثل جماعة قمران، عماد التوبة؛ ويسوع نفسه قد بدأ دعوته في اليهودية على طريقة المعمدان : « وبعد ذلك قدم يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، **وأقام معهم هناك،** وكان يعمّد » (٣ : ٢٢). ونجد عند جماعة قمران انفصالهم عن العالم، عن « أبناء الظلمة »، وبغضاً للكافرين؛ كما نجد عند يوحنا قول الرب : « العالم لا يقدر أن يبغضكم، أما أنا فيبغضني لأني أشهد عليه بأن أعماله شريرة » (٧ : ٧). وفي كل الإنجيل، يحمل لفظ « العالم » معاني الشر والظلام والإفك؛ ويسوع يوصي تلاميذه : « إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم » (١٥ : ١٨ الخ). ويوحنا في رسالته يقول : « لا تحبوا العالم ولا ما في العالم ... لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العين وصلف الغنى » (٢ : ١٥ - ١٦).

فلغة يوحنا ولغة المعمدان ولغة قمران متشابهة. ونعلم من الإنجيل بحسب يوحنا أن يوحنا بن زبدى كان من تلاميذ المعمدان الذين أشار عليهم المعمدان باتباع يسوع : « وكان أندراوس أخو سمعان بطرس، واحداً من الاثنين اللذين سمعا من يوحنا وتبعا يسوع » (١ : ٤٠). إنه لا يذكر اسم الثاني كي لا يذكر اسمه هو، والإشارة صريحة. ولا نعرف أحداً من كتبة الوحي الإنجيلي كان من تلاميذ المعمدان سوى يوحنا بن زبدى؛ فهو كاتب الإنجيل بحسب يوحنا كما يظهر أيضاً من نزعته الروحية الصوفية ومن أساليب تعبيره. وتلك التلمذة للمعمدان هيأت يوحنا لفهم الإنجيل أكثر من غيره.

٥ - أخيراً كاتب الإنجيل بحسب يوحنا رسول من « الثلاثة المقربين »

فهو يعرف ما يدور من أحاديث في حلقة التلاميذ الأولين، وينقل كلمات يسوع الخاصة لأندراوس (١ : ٣٨ - ٤٠) ولنثنائيل (١ : ٤٨). ويعرف ما دار من حديث خاص، في الليل، بين يسوع ونيقوديم عالم إسرائيل (٣ : ١ - ١٢) وبين يسوع والسامرية (٤ : ١ - ٢٦) وبين يسوع والزانية المقبوض عليها في الجرم المشهود (٨ : ١ - ١١).

وينقل بشغف ظاهر كلمات معلمه الأول المعمدان؛ ثم كلمات المعلم المحبوب يسوع في جداله اللاهوتي والكلامي مع علماء إسرائيل، خصوصاً في هيكل سليمان؛ وأحاديث يسوع الوديّة في العشاء السرّي.

لا بل يظهر مطلعاً على أفكار يسوع ونياته (٢ : ٢٤ - ٢٥؛ ٤ : ١ - ٣؛ ٥ : ٦؛ ٦ : ٦ و١٥؛ ٧ : ١؛ ١٣ : ١ و٣ و١١؛ ١٦ : ١٩؛ ١٨ : ٤؛ ١٩ : ٢٨)؛ وعلى أفكار الرسل وأحاديثهم في خلواتهم (٢ : ١١ و١٧ و٢٢؛ ٤ : ٢٧؛ ٦ : ١٩ و٢١؛ ١٢ : ١٦؛ ١٣ : ٢٢؛ ٢٠ : ٢٩؛ ٢١ : ١٢). ويعرف ألقاب الرسل الخاصة فيما بينهم، مثل نثنائيل بدلاً من برتلماوس (١ : ٤٦ و٥٠؛ ٢٠ : ٢) وتوما الملقّب بالتوأم (١١ : ١٦؛ ٢٠ : ٢٤؛ ٢١ : ٢٠).

وكلها تفاصيل لا يمكن أن يطّلع عليها إلاّ **أحد المقربين** من يسوع وصحابته.

ويظهر من الإنجيل بحسب يوحنا أنه **هو، يوحنا بن زبدى** (١٣: ٢٢؛ ١٩ : ٢٦؛ ٢٠ : ٢؛ ٢١ : ٧ و٢٠).

وبحسب الأناجيل المؤتلفة كان « **الثلاثة المقربون** » بين الاثني عشر : بطرس، وابني زبدى يعقوب ويوحنا. والآثار المسيحية لا تذكر لبطرس، ولا ليعقوب إنجيلاً صحيحاً. فالرسول، **المقرّب بين المقربين**، « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » هو يوحنا بن زبدى كاتب الإنجيل بحسب يوحنا. استنتاج محتوم مقبول بالإجماع والتواتر.

إشارة أخرى في علاقة ابني زبدى ببطرس وأخيه أندراوس. فقد كان الأربعة شركاء في شركة واحدة لصيد السمك وتجارته قبل دعوتهم. ودامت

هذه المودّة وتلك الرابطة بين الأربعة في جوار المعمدان (١ : ٤٠ ـ ٤١) ثم مع المسيح (١ : ٤٢)؛ كما يظهر من الأناجيل المؤتلفة في التجلي وبستان الزيتون وفي محاكمة يسوع عند قيافا؛ وكما يظهر من أعمال الرسل حيث يوحنا يرافق بطرس في حركاته وجولاته في فلسطين؛ وكما يظهر من رسائل بولس حيث يوحنا الرسول أحد « الوجوه الثلاثة » أو « الأعمدة الثلاثة » في الدعوة المسيحية الذين يتقرّب بولس إليهم ويتفق معهم على النشاط الرسولي (غلا ٢ : ٦ و٩).

ويوحنا الحبيب هو أيضاً في الإنجيل الرابع المقرّب بين المقرّبين (١٣ : ٢٤ ـ ٢٦؛ ١٨ : ١٦؛ ٢٠ : ٣ ـ ٩؛ ٢١ : ٧ و٢١ ـ ٢٢).

فالشاهد العيان كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا بين زبدى أحد « المقرّبين الثلاثة » و « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » .

٦ ـ التوقيع الخفي الظاهر : « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » .

فهذا الإسرائيلي، من فلسطين، من تلاميذ المعمدان، ثم من تلاميذ يسوع، أحد المقرّبين الثلاثة بين الاثني عشر، الشاهد العيان لتفاصيل السيرة ما ظهر منها وما خفي، **يوقّع الإنجيل بهذه الكناية :** « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » ، التي لا تخفى على القارئ اللبيب للإنجيل، كما كشف عنها كتبة الإنجيل في الشهادة له، في ختام الإنجيل (٢١ : ٢٤).

ويوحنا يكشف عن هذه الهوية في **مواقف المودة الحاسمة :** ففي عشاء الوداع الأخير طلب بطرس من يوحنا أن يسأل يسوع عن اسم الخائن، « وكان أحدُ التلاميذ، ذاك الذي كان يسوع يحبه، متكئاً في حضن يسوع ... فاستند إلى صدر يسوع وقال له : ربّ مَن هو ؟ » (٣ : ٢٣ ـ ٢٥).

وفي الموقف الأعظم، عند أقدام الصليب، « نظر يسوع إلى أُمه وبقربها التلميذ الذي كان يحبه » ، وسلمها أمانة الأمانات إليه وكلفه بها من بعده (١٩ : ٢٦).

وفي صباح القيامة هرعت المجدلية إلى قبر يسوع فوجدته مفتوحاً خالياً، « فهرولت مسرعة إلى سمعان بطرس، وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما : لقد أخذوا الرب من القبر، ولا نعلم أين وضعوه! » (٢٠ : ١ ـ ٢). وهنا يتعمد على الكناية « التلميذ الآخر » تعمداً مقصوداً (٢٠ : ٢ و٣ و٤ و٨). ثم يقول : « رأى وآمن » (٢٠ : ٨)، بينما احتاج بطرس إلى رؤية خاصة من يسوع.

وللمحبة عيون ترى ما لا يراه سائر الناس حتى من المقرّبين : فبعد القيامة، وبعد صيد ليلة فاشلة، يظهر يسوع متخفياً على الشاطئ، ويأمر بصيد معجز، وللحال « قال التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس : هو الرب! » (٢١ : ٧). وكان ما كان من اللقاء العطوف. وبعد الأكل معاً، وبعد العتاب الحلو لبطرس « التفت بطرس فرأى في أثره التلميذ الذي كان يسوع يحبه، ذاك الذي كان في العشاء قد استند إلى صدر يسوع؛ فقال (بطرس) ليسوع : وهذا، يا رب ؟ قال له يسوع : إن شئت أن يبقى إلى أن أرجع فماذا لك ؟ أنت اتبعني. فشاع بين الإخوة أن ذاك التلميذ لا يموت » ! (٢١ : ٢٠ ـ ٢٣).

وقد شاع هذا اللقب ليوحنا الرسول : « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » ، وشاع خبر بقائه إلى رجوع المسيح، حتى أنه اضطر أن يكتب ملحقاً للإنجيل (الفصل ٢١) يفسر فيه معنى كلمة يسوع : « فشاع بين الإخوة أن ذاك التلميذ لا يموت! مع أن يسوع لم يقل قط أنه لا يموت، بل : « إن شئت أن يبقى إلى أن أرجع، فماذا لك ؟ » (٢١ : ٢٣).

وفي نسخ الإنجيل لسائر الكنائس، ذيله الشهود كتبة الوحي ليوحنا بهذه الشهادة: « فهذا التلميذ ـ (الذي كان يسوع يحبه وقد وعده بالعمر الطويل) ـ هو الشاهد بهذه الأمور، وهو الذي كتبها. ونحن نعلم أن شهادته حق » (٢١ : ٢٤).

فهذا التلميذ، حبيب المسيح، وصديق بطرس، الذي تنبّأ له يسوع أنه سيعمر طويلاً، وأكثر من سائر الرسل، **هو يوحنا بن زبدى،** كما تدل عليه كل القرائن في الإنجيل الرابع نفسه، كما في الأناجيل المؤتلفة وأعمال الرسل، والرسائل.

وهو الذي يعرف كل شيء عن يسوع، وعن صحابته الاثني عشر، وعن المقرّبين إلى يسوع، لا يذكر اسمه في إنجيله، ولا اسم أهله، بل يكتفي بهذا **التوقيع الخفي الظاهر**، الذي اشتهر في الكنيسة : « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » .

وقد نقلت الأخبار والآثار في الحديث المسيحي هذه الشهادة التي تقوم مقام التوقيع. فقد نقل أوسابيوس(١) ، عن القديس إيريناوس، من الشرق وأسقف ليون في فرنسا، وهو تلميذ بوليكربس، تلميذ يوحنا الرسول، رسالة إلى فلورينوس يقول فيها : « وبعد الجميع، فإن يوحنا التلميذ الذي اتكأ على صدر الرب، سلّم إلينا الإنجيل كتابةً عندما كان مقيماً في أفسس، من أعمال آسيا » .

فهذا التوقيع الخفي الظاهر، بكتابة معروفة ومشهورة، برهان قاطع تؤيده سائر القرائن والدلائل في مصادر الوحي الإنجيلي كلها، على أن كاتب الإنجيل بحسب يوحنا هو يوحنا بن زبدى، الرسول الحبيب.

* * *

بحث رابع

مصادر الإنجيل بحسب يوحنا

هنا يبرز الاعتراض الضخم : أمن المعقول أو المنقول أن يكتب **صيّاد سمك أُمّي** مثل الإنجيل بحسب يوحنا، وهو من أرفع ما كتب الفلاسفة الصوفيون، بإعجاز من « السهل الممتنع » لا مثيل له ؟!

نحن لا نلجأ إلى **أُميّة الرسول** الكاتب لنقول **بإعجاز الإنجيل**؛ فالإنجيل معجز سواء كان كاتبه أُمّيّاً أو علاّمة : فليس للأرض عهد بمثل كلمات السيد المسيح!

---

(١) تاريخ الكنيسة ك ٥ ف ٢٠ : ٤.

لكن يوحنا بن زبدى كان أهلاً لكتابة « الإنجيل الروحي » .

كانت حالته الاجتماعية قبل دعوته ميسورة : فهو تاجر سمك في شركة أكثر منه صيّاد سمك عامل. والتجارة تقتضي شيئاً من الثقافة والاطلاع. وملازمته لأسمى دعوة في اليهودية، بعد جماعة قمران وامتداداً لها، دعوة المعمدان، دليل فيه على نزعة صوفية منذ شبابه. وحالما أشار عليه معلمه المعمدان باللحاق بيسوع الذي عرف من معلمه معجزات عماده، لحق به ولازمه : فهو طالب علم وطالب كمال.

في الأناجيل المؤتلفة نراه أحد « الثلاثة المقرّبين » الذين يصطفيهم يسوع للأحداث الجسام التي تكشف سرّ شخصيته وسرّ رسالته. والله أدرى حيث يجعل رسالته.

ونعرف من الإنجيل بحسب يوحنا أنه كان « التلميذ الذي يحبه يسوع » . فهو مطّلع على أسرار وسرائر معلمه وصحابته. ما لا يبوح به المعلم للجميع يختص به التلميذ الحبيب، مما يدل أن فكر يوحنا وقلبه كانا أقرب الجميع لفكر يسوع وقلبه. فاستطاع أن يرى في أقوال يسوع وأعماله وأحواله أبعاداً لم يرها الآخرون مثله. وفي مشهدَي التجلّي على الجبل والنزاع في البستان، وفي مشهدَي الصلب والقيامة المجيدة، ظهرت له شخصية معلمه كاملة في بشريتها وإلهيتها؛ فانطبعت في نفسه كاملة، كما انطبع في نفسه تعليم المسيح العام والخاص.

فإنه ليس من المعقول أن يكلم المسيح الشعب البسيط في الجليل كما يخاطب العلماء في العاصمة والهيكل.

ونعرف من بولس أن الدعوة المسيحية الأولى كانت من نوعين في مرحلتين : **التعليم الابتدائي**، ويسمونه « البلاغ » وهو الشهادة « لله الآب والرب يسوع » كما يعلن بولس في عنوان رسائله ؟ وكما فعله في « الكلام في الصليب » (١ كو ١ : ١٨)، والكلام في « إنجيل القيامة » (١ كو ١٥ : ١ ـ ١١)؛ **والتعلم التكميلي** للكاملين في الإيمان، ويسميه بولس « كلام الحكمة بين الكاملين » (١ كو ٢ : ٦).

ونعرف من أبولّس في الرسالة العبرية أن الدعوة المسيحية تتضمن مرحلة

تعليم « أركان الدين الأساسية : التوبة من الأعمال الميتة، والإيمان بالله، ومعرفة المعموديات، ووضع الأيدي، وقيامة الأموات، والدينونة الأبدية » ؛ و « **التعليم الكامل،** للكاملين » (٥ : ١٢ - ٦ : ٣) مثل كهنوت المسيح، وحياة المسيح في السماء، وسرّ المسيح « الابن، ضياء مجده وصورة جوهره، وضابط كل شيء بكلمة قدرته، الذي بعدما طهرنا من الخطايا، جلس عن يمين الجلال في الأعالي » (عبر ١ : ١ - ٤).

فكانت الأناجيل المؤتلفة صورة عن الدعوة الأولى، والتعليم الابتدائي؛ وكانت الرسائل صورة عن التعليم التكميلي للبالغين في الإيمان.

فلا غرو وقد شاعت المسيحية وأناجيلها ورسائلها بين المؤمنين، أن يتخصّص يوحنا، في أواخر القرن الأول، بإعطاء التعليم التكميلي الذي عرفه من تعليم يسوع الخاص، وتعليم الرسل الخاص، ويركّزه في الردّ على البدعة بأنواعها.

ونعرف أيضاً من أعمال الرسل أنهم اتفقوا على بلاغ الإنجيل « منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي فيه ارتفع يسوع عنا، ليكون شاهداً معنا بقيامته » (أع ١ : ٢٢). فركّز الرسل شهادتهم الأولى ليسوع « الرب المسيح » (أع ٢ : ٣٦) على القيامة؛ وحصروا ذكرى رسالته بدعوة المسيح في الجليل، لأن دعوة يسوع في اليهودية وأورشليم والهيكل لا تزال نيرانها شاعلة؛ فسكتوا عنها في بلاغهم لغير المؤمنين، تحفّظاً من سخط اليهود عليهم كسخطهم على المعلم؛ تاركين التعليم الخاص بأورشليم إلى بلوغ المؤمنين كمال الإيمان.

فنقلت الأناجيل المؤتلفة بلاغ الدعوة الأولى؛ وبعد أن زالت الظروف الحرجة وملابساتها وتحفظاتها، وزال العهد الأول، وانتقل الرسل كلهم إلى المسيح في السماء، ولم يبق منهم إلاّ الرسول الحبيب، جمع قبل موته دعوته وتأملاته في إنجيل المسيح الخاص الذي ظل يدعو به ويتأمله ثلاثين عاماً بعد خراب أورشليم وموت الرسل، وهو واثق من وعد المسيح أن « الفارقليط، روح الحق، يرشده إلى الحقيقة كلها » (يو ١٦ : ١٣). ولم يكن بحاجة إلى إعادة ما كتبه سابقوه وكان منتشراً معروفاً؛ **فاكتفى**

بتكميلهم بما تعمّد الرسل حفظه لهم في الدعوة الأولى. فكان الإنجيل بحسب يوحنا: « **الإنجيل الأورشليمي** » .

وبما أن البدع التي كانت تصارع المسيحية من غنوص وحكمة يونانية، ويهودية، ونصرانية أبيونية، ونصرانية كيرنثية، كانت **مناسبة جمع** الإنجيل بحسب يوحنا، للرد عليها من سيرة المسيح وتعليمه، كان الإنجيل بحسب يوحنا « **الإنجيل الروحي** » للمسيحيين الذين تأصلوا في المسيحية، وتثقفوا برسائل بولس، خصوصاً الرسائل الأخيرة الصوفية، والرسالة العبرية.

ونعرف من بولس أن يوحنا كان أحد « **الوجوه الثلاثة** » ، أو « **الأعمدة الثلاثة :** يعقوب وكيفا ويوحنا » في الكنيسة الأولى (غلا ٢ : ٦ و٩). فبعد أن زال الرسل وجيلهم، ولم يبق سوى الرسول الحبيب، كان أحد « الأعمدة الثلاثة » ، أحد « المقرّبين الثلاثة » ، « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » ويخصّه بأسراره وسرائره : **مدرسة وحدة في الدعوة المسيحية.**

ونرى آثار هذه المدرسة أولاً في لوقا بالقسم الخاص فيه بدعوة المسيح في اليهودية (لو ٩ : ٥١ - ١٨ : ٣٥)؛ ثم في رسائل بولس الصوفية إلى الفيلبيين والكولوسيين والأفسسيين القريبة في تفكيرها وتعبيرها من مدرسة يوحنا؛ أخيراً في الرسالة العبرية التي تركز الدعوة المسيحية على يسوع بصفته « الابن » على الإطلاق (١ : ٢). وقد اجتمع الثلاثة الأنوار، بولس وأبولس ويوحنا، في بيئة أفسس، المشبعة بالتفكير والتعابير العنوصية، فلا غرو أن يتخذ أسلوب مدرسة يوحنا شيئاً من اللغة التي يخاطب بها القوم على قدر عقولهم.

فمصادر الوحي هو نفسه، فهو مدرسة وحده.

فلا غرو أن يكون الإنجيل بحسب يوحنا صورة صادقة عن المسيح، وعن يوحنا كاتبه، وعن مدرسته في فهم المسيحية وإعلانها. وليس من **شبهة عليه** إذا امتاز بعرضه لسيرة المسيح وشخصيته بميزات فريدة تميّزه عن الأناجيل المؤتلفة، وبينه وبينها شخصيته ومدرسته وفترة ثلاثين سنة من النضج « بإرشاد روح الحق إلى الحقيقة كلها » ، وقد ذهب الرسل والجيل

الأول من المسيحيين ما بين اضطهاد نيرون واضطهاد دوميتيانس، وبقي هو الشاهد الأول منذ الساعة والشاهد الأخير حتى الساعة الأخيرة.

والغرابة كل الغرابة أن لا يكون الإنجيل بحسب يوحنا في **المدرسة والبيئة** اللتين نزل فيهما، كما هو عليه، في عبقريته وميزاته.

*

١ ـ صلة يوحنا بالعهد القديم ظاهرة. فهو يُظهر بأسلوب خفي ظاهر تحقيق العهد القديم في الجديد، ويرى تحقيق رموزه في الإنجيل : فالمسيح هو حمل الله الحقيقي، لا الفصحي (١ : ٣٦)؛ ويشير بلباقة إلى تهيئة حمل الله للذبح، بينما كانت تتم تهيئة الفصح وذبح الحمل الفصحي؛ وهو الهيكل الحقيقي الذي يقيمه في ثلاثة أيام (٢ : ١٩)؛ وهو الذي سيرفع على الصليب لخلاص الشعب كما رمزت حية موسى النحاسية (٣ : ١٤)؛ وهو المن الحقيقي في شخصه وفي قربانه (٦ : ٤٩ ـ ٥٠). ويرى أيضاً في الإنجيل تحقيق نبوءات الكتاب، مثل عمى اليهود عن معرفة مسيحهم (١٢ : ٣٧) وفي خيانة يهوذا (١٣ : ١٨؛ ١٧ : ١٢) وفي أحداث الصلب مثل قسمة ثوب يسوع المسيح بالاقتراع (١٩ : ٢٣) وعطش يسوع الرمزي على الصليب (١٩ : ٢٩) وطعن جنبه بحربة، حتى خرج منه دم وماء (١٩ : ٣٧) وهو يتعمد الرد على اليهود أنه هو المسيح أفضل من موسى، وأفضل من إبراهيم، لأنه ابن الله أتى في الجسد. وهذا أيضاً رد على النصارى اليهود الخوارج الذين يتأثرون بالتوراة والدس اليهودي في إيمانهم بالمسيح. وذروة تعليم يوحنا أن يسوع المسيح ابن الله الآتي بالجسد هو « الحكمة الإلهية » التي بنت لها بيتاً بين بني البشر، فكان ما تسميه الحكمة اليونانية بالغنوص وفيلون اليهودي « الكلمة » . فقد امتص الإنجيل بحسب يوحنا عصارة ما في الكتاب والنبوة والحكمة. **وحوار يسوع** المتواصل مع « اليهود » هو ردّ على يهود زمانه.

وإذا كان أبولس في رسالته العبرية قد جمع كلام **مدرسة فيلون** إلى صوفية مدرسة يوحنا الرسول، فإن يوحنا أيضاً قد اتصل بواسطته بزعيم الكلام اليهودي وردّ عليه بتلك اللمسات.

٢ - **وصلة يوحنا بتعليم رهبان قمران**، عن طريق **معلمه الأول المعمدان**، العائش في جوارهم، ظاهرة أيضاً. فيوحنا مثل المعمدان وأهل قمران ينظرون إلى الدين نظرة روحية صوفية رمزية أكثر منها حسية. وحياتهم التي تدور في صراع بين النور والظلمة، وبين الحقيقة والكذب، هي صبغة الإنجيل بحسب يوحنا. لكن يوحنا يطور تلك الصلات الراسبة فيه بنور المسيح « الصراط والحقيقة والحياة » و « نور العالمين » . فهو يظهر لجماعة معلمه الأول المعمدان، ولأسلافهم جماعة قمران والاسينيين، أن مُثُلَهم كلها قد تحققت في المسيح « كلمة الله الذي صار بشراً » لأجلنا لتصير نحن فيه نوراً وحقيقة وحياة.

٣ - **وصلة يوحنا ببيئته الهلينية ظاهرة**، حتى اتهموه **بتهلين المسيحية**. فقالوا إنه طوّر مسيحية الأناجيل، ومسيحية بولس، حتى جعلها جذّابة للعقل الهليني؛ كما حاول قبله فيلون توطين اليهودية في الثقافة الهلنستية، بصبغها بالصبغة اليونانية. أجل لقد أخذ يوحنا عن الحكمة اليونانية تعبير « الكلمة » ، كلمة الله، واستخدمه كأفضل تعبير لشخصية المسيح في مطلع إنجيله. لكن يوحنا فهم « كلمة الله » على نور العهد القديم في « حكمة الله التي بنت لها بيتاً بين بني البشر » ، لا على ضوء مفهوم « الكلمة » في الحكمة اليونانية أو الغنوص أو الفيلونية. وشتان ما بين مفاهيمها ومفهوم يوحنا : فكلمة الله عنده هو يسوع المسيح (١ : ١ - ١٧) « الكلمة الذي صار بشراً وسكن في ما بيننا، وقد شاهدنا مجده، مجد الآب في ابنه الوحيد، الممتلئ نعمة وحقيقة » (١ : ١٤). ولكن تلك النظرية الجامعة المانعة، لم تؤثر على سرد سيرة المسيح في الإنجيل، بل تأتي خاتمة لها كأفضل تعريف بشخصية المسيح وسرّه، استخدام له تعبير « كلمة الله » الشائع في البيئة وحلقات المثقفين الذين يستمعون إليه. وعبقرية يوحنا، النابعة ممّا شاهده وسمعه ورآه بعينه، وتأمله ولمسه بيده في « كلمة الحياة الذي كان عند الله وظهر لنا » (١ يو ١ : ١ - ٣) في المفهوم المسيحي المستقل « لكلمة الله » . فلا نستغرب أن يعلق بأسلوب يوحنا بعض التفكير والتعبير من رواسب بيئته الأفسسية، والعكس هو المستغرب؛ لكن إعجاز

يوحنا يظل فريداً عالياً على الجميع « بإرشاد روح الحق الذي يهديه إلى الحقيقة كلها » .

٤ - **وصلة يوحنا بالغنوص**، تلك الحكمة المشرقية المتطعّمة بالحكمة اليونانية، ظاهرة أيضاً. فقد كان تأثيرها في أواخر القرن الأول على سائر التيارات الدينية والثقافية عظيماً كما يبدو في اليهودية الفيلونية، والمعمدانية المندائية، والنصرانية الكيرنثية، الوثنية السرية. لكنها عند يوحنا لا تتعدّى استخدام تعابير « النور والحقيقة والحياة » ، وهي تعابير مشاعة وصلت إلى علماء إسرائيل في أورشليم وأروقة الهيكل حيث يتباحث فيها المثقفون الوافدون إلى الحج من يهود الشتات والدخلاء من الأمميين. فلا غرو أن يباحثوا بها وفيها المعلم الجديد الذي يحرص أن يكون في الهيكل وأورشليم، في مواسم الحج؛ ولا بدْع أن يحدّد يسوع تعليمه وشخصيته بتلك التعابير المشاعة بين حلقات المثقفين، في حواره معهم، أو في جداله معهم، أو في جداله مع سلطات إسرائيل. واستخدام لغة القوم ميزة كل معلم عبقري. ويسوع يخاطب الشعب بلغة الشعب، ويخاطب علماء إسرائيل، مثل نيقوديم، وعلماء الدخلاء في إسرائيل، مثل اليونانيين الذين التمسوا من أندراوس أن يروا يسوع (١٢ : ٢٠ - ٢٢)، بلغتهم. فالفارق بين اللغتين دليل الواقع، لا دليل التلفيق.

ويظل يوحنا ذاك النابغة الإسرائيلي المعمداني المسيحي الذي شاهد المسيح ويشهد له في الإنجيل. فكل الصلات التي تربطه بخيط من عنكبوت إلى تلك البيئات المختلفة، هي أوهى من الصلة الوجودية والحياتية التي تربط « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » بالمعلم المحبوب، « كلمة الحياة » الذي عاش في سيرته وسريرته، وظل يعيش في سرّه إلى آخر عمره، « بإرشاد روح الحق الذي يقوده إلى الحقيقة كلها » .

فمصادر يوحنا هي في الختام مدرستُه وشخصيتُه وشهادتُه.

* * *

وليس فيه **مصادر مشبوهة** من هلنستية وفيلونية وغنوصية وقمرانية.

١ - يقولون **بتأثير الهلنستية** في الإنجيل بحسب يوحنا، من تعبير « **الكلمة** »

الذي افتتح به الإنجيل، ومن تركيز دعوة الإنجيل على « المعرفة » و « الحقيقة » . فكما حاول فيلون الإسكندري « تهلين » اليهودية، يحاول الإنجيل الرابع تهلين المسيحية.

أجل يستخدم الإنجيل بحسب يوحنا تلك التعابير الهلنستية، **لكن بلفظها، لا بمعناها الهلنستي.** لقد اقتبس من الهلنستية ومن فيلون تعبير « الكلمة » لأنه رأى فيه التعبير الذي يستوعب سرّ المسيح. لكن شتّان ما بين معناه عندهم، ومعناه في الإنجيل. إن « لوغس » عندهم هو العقل المدبّر الكامن في الكون؛ بينما هو عند يوحنا « **نطق** » **الله الذاتي**، من ذات الله، في ذات الله، لذات الله.

و « الكلمة » عندهم **أول خلق الله،** بينما هو عند يوحنا مصدر خلق الله : « كل شيء به كوّن، وبغيره لم يكون شيء ممّا كوّن » . فالآية تردّ عليهم.

يقول اغسطينوس الذي تبعهم قبل هدايته : « قرأت في كتب الفلاسفة أنه (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان في الله). ولكن كون (الكلمة صار بشراً وسكن فيما بيننا) هذا لم أقرأه في كتبهم ». ويقدر أن يضيف اغسطينوس: ولم أقرأ أبداً عندهم : « وكان الكلمة الله ». وتعابير « المعرفة » و « الحقيقة » موضوعها في الإنجيل « سرّ الله » ، وسرّ « كلمة الله المتجسد » . وهذا كشف لم يخطر على بال بشر!

٢ ـ يقول آخرون **بتأثير اليهودية** في الإنجيل بحسب يوحنا ـ وهذا ردٌّ أيضاً على أهل المقالة بالهلنستية ـ في الموضوع وفي الأسلوب.

في الموضوع ينقل يوحنا في دعوة المسيح تعابير : الماء والطعام والمن والراعي والكرمة والهيكل. نقول : من المؤكد أن بيئة الدعوة الإنجيلية كانت اليهودية المعاصرة والكتاب المقدس. فلا شك أن السيد المسيح بنى عليهما دعوته الجديدة. فاستعار في كلامه تعابير الكتاب خصوصاً في أسفار الحكمة، خصوصاً لقب « ابن البشر » الذي عرّف به عن نفسه. لكنه اقتبسها ليطبقها على ذاته، ففيه بلغت كمالها. وفي ذلك شهادة على تتمة الكتاب والنبوة والحكمة فيه؛ وشهادة على تكميل الكتاب بالإنجيل.

في الأسلوب، يستخدم يسوع أسلوب قومه وبيئته. والغريب أن يكون غير ذلك. وهذا شهادة على صحته. فلغة الإنجيل، وأساليب تأليفه، وجدليته على طريقة الربانيين قائمة تشهد بأن الإنجيل بحسب يوحنا أرامي بلغة يونانية. لذلك قال بعضهم بأنه ترجمة لإنجيل أرامي. فليس هو ترجمة، بل كاتبه باليونانية يشهد بلغته وأساليبه أنه أرامي، ابن بيئته، وشاهد عيان للدعوة الإنجيلية فهو يعرف عادات قومه، ويشهد بالواقع التاريخي عندما يجعل دعوة المسيح في أورشليم بمناسبة **الأعياد اليهودية**، التي كان يحج فيها يسوع إلى هيكل الله، ويغتنم مناسبة تجمّع اليهود في الوطن والمهاجر، ليبلّغهم « إنجيل الحقيقة » ، بما فيه من اعتماد على الكتاب، وتجديد في الدعوة بما لم يحلم به نبي ولا حكيم عندهم.

٣ - يقول آخرون : إن **آثار الغنوص** بادية عليه. ولغتها من تعابير « النور » و « الحياة » و « الاتحاد بالله » هي لغته. نعرف أن تيارات الغنوصية قد غزت الحكمة والديانة في العالم الهلنستي؛ وقد بلغ تأثيرها العالم اليهودي، حتى المعتزلين منهم في دير قمران. فالتأثير الغنوصي في الإنجيل بحسب يوحنا هو من بيئته اليهودية أكثر منه من البيئة الهلنستية.

لقد شاعت التعابير الغنوصية في البيئات اليهودية المتطورة. فاستخدام المسيح والإنجيل لها ليس اقتباساً غريباً؛ إنما هو مخاطبة علماء الدين في أورشليم بلغتهم العلمية. والشبهة ليست في كون الإنجيل الأورشليمي على صورته، بل لو كان على صورة الأناجيل المؤتلفة. هنا حديث المسيح **شعبي** يخاطب الجماهير؛ وفي الإنجيل الأورشليمي حديث المسيح **كلامي** يخاطب العلماء. واختلاف البيئة يجرّ حتماً اختلاف الخطاب. والآثار الغنوصية في الإنجيل بحسب يوحنا هي من لغة بيئته الأورشليمية.

٤ - يقول آخرون : إن **آثار المندائية** التي تنتسب إلى يوحنا المعمدان ظاهرة عليه، من اغتسال وعماد؛ والإنجيل بحسب يوحنا، مثل الأناجيل المؤتلفة، يستفتح بذكر دعوة المعمدان بالعماد.

نقول : هذا دليل صحته، لا شبهة عليه. فقد أراد السيد المسيح أن يبدأ **دعوته في كنف المعمدان** « سابقه » الذي « يهيئ الطريق » له.

فكانت دعوة المسيح الأولى في اليهودية متضامنة مع دعوة المعمدان في الموضوع، « ملكوت الله » القريب، وفي الأسلوب، التوبة بالعماد. ولم يكن العماد طريقة المعمدان وحده، بل كان اليهود أنفسهم يعمّدون « الدخلاء » أي المهتدين إلى اليهودية من الأمميين. فاقتضت حكمة الإنجيل أن يبدأ يسوع دعوته، بأسلوب بيئته، تأليفاً لهم، كما يشهد هو نفسه : « وبعد ذلك قدم يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، وأقام هناك معهم. **وكان يُعمّد.** وكان يوحنا أيضاً يعمّد في « العيون » ، بقرب « ساليم » لوفرة الماء هناك » (يو ٣ : ٢٢ ـ ٢٣). واغتاظ تلاميذ المعمدان من نجاح دعوة يسوع بأسلوب معلمهم، فزجرهم (٣ : ٢٥ ـ ٣٠). لكن لمّا اعتُقل المعمدان، هاجر يسوع من اليهودية إلى الجليل، واستقل بدعوته. لذلك افتتح المؤتلفة أناجيلهم بدعوة المسيح في الجليل. كان يوحنا المعمدان يبشر بظهور المسيح؛ فنادى يسوع بأنه هو المسيح، هذا هو الفارق الجوهري بين الدعوتين.

٥ ـ أخيراً يقول آخرون : إن دعوة المسيح من **دعوة قمران.** فهؤلاء المعتزلة اليهود ـ الذين عرفنا دعوتهم من كتبهم المكتشفة حديثاً في خربة قمران ـ كانوا ينتظرون « ملكوت الله » ، ويعتمدون في تعليمهم على « معلم الحكمة » ؛ بإلهام الروح القدس، ويميزون في أسلوب دعوتهم بين « النور والظلمة » ، بين « الحقيقة والكذب » ؛ ويعتبرون أنفسهم جماعة « الأزمنة الأخيرة » قبل ظهور المسيح الموعود.

أجل هذه **موافقات قائمة** تدل على قربى في بيئة التعليم، وتعليم يسوع في اليهودية، في كنف المعمدان، وبجوار قمران، ينتسب إلى بيئة واحدة. لكنهم كانوا ينتظرون مسيحين، المسيح ابن داود، والمسيح ابن لاوي. وقد استقل المعمدان بالدعوة لمسيح واحد، ابن داود. ويسوع أعلن أنه هو المسيح الأوحد، ابن داود. وكم يختلف تعليم يسوع عن تعليم « معلم الحكمة » عندهم : هذا يبني تعليمه على التوراة، بالتشديد على حرفيتها في تفسيرها؛ بينما يسوع يكمّل التوراة بالتشريع الإنجيلي الجديد كما نرى ذلك خصوصاً في خطاب المسيح على الجبل. **فالفوارق كبيرة** في الموضوع وفي الأسلوب بين قمران والمسيح.

ونشيد الفاتحة في الإنجيل بحسب يوحنا يردّ من طرف خفي على كل تلك التيارات المتأثرة بالغنوص : على الغنوص الهلنستية والغنوص اليهودية الفيلونية، والغنوص المندائية المعمدانية، والغنوص « النصرانية » الإسرائيلية، بعقيدة إلهية كلمة الله، وبعقيدة تجسّد كلمة الله في يسوع المسيح.

* * *

بحث خامس

صلات يوحنا بالأناجيل المؤتلفة

الواقع الملموس أن الإنجيل بحسب يوحنا يختلف عن الأناجيل المؤتلفة من عدة نواحٍ، ويأتلف معها من عدة نواحٍ؛ فهو منها من « **المختلف المؤتلف** » : خلاف ظاهري وائتلافٌ باطني.

أولاً : مظاهر الاختلاف :

١ ـ قيل : إن شخصية المسيح مختلفة فيما بينهم

في الأناجيل المؤتلفة يظهر يسوع بشراً بكل مظاهره : فهو يقول ويعمل كبشر. يُحبل به ويولد كبشر، ولو كان بمعجزة. ينمو في السن والحكمة كبشر. يتنقل بين الناس كبشر، يأكل عند الفريسي كما عند العشار، كبشر. يدع خاطئة شهيرة تلمسه وتقبّل قدميه كبشر. والشيطان يجرّبه في مطلع رسالته، وفي آخرها كبشر. يبكي ويحزن كبشر. يتألم ويموت كبشر. فهو بكل ما يظهر منه بشر أكثر منه إله متأنس.

أمّا المسيح، بحسب يوحنا، فهو كائن أسمى من بشر، أقرب إلى السماء منه إلى الأرض. يسيطر على الطبيعة وعلى الناس، كربّ الكون. ينطق بجوامع الكَلم، وصواعق الحكَم، كشخص من عالم الغيب.

وكلامه كله إعلان عن إلهيته، ومصدره الإلهي. فهو في أحواله وأعماله وأقواله إله أكثر منه بشر.

٢ - وقيل : إن مسرح رسالة المسيح مختلف فيما بينهم

يظهر من الأناجيل المؤتلفة أن رسالة المسيح تمّت بمعظمها في الجليل، فلا يذكرون له إلاّ سفراً واحداً إلى أورشليم، كان للاستشهاد. ويسوع في المؤتلفة يعلّم الشعب ويحيا مع الشعب. وما صلته بعلماء إسرائيل وزعمائها سوى صلة معارضات عارضة مع جواسيس لهم. فنقدر أن نسميها « **الإنجيل الجليلي** » .

أمّا الإنجيل بحسب يوحنا فيجعل أكثر مسرح رسالة المسيح في اليهودية وأورشليم والهيكل. وحواره الدائم مع علماء إسرائيل أكثر منه مع الشعب. ونقدر أن نسميه « **الإنجيل الأورشليمي** » .

٣ - وقيل : إن مدّة الرسالة تختلف فيما بينهم

في الأناجيل المؤتلفة يظهر أن مدة رسالة يسوع دامت نحو سنة. بينما يتضح من الإنجيل بحسب يوحنا أنها تمتد إلى أكثر من سنتين، فهو يحضر مدة رسالته ثلاثة أعياد للفصح (٢ : ١٣؛ ٦ : ٤؛ ١٣ : ١) غير العيد المجهول الهوية (٥ : ١).

٤ - وقيل : إن أحداث سيرة المسيح تختلف فيما بينهم

يوحنا يشترك مع المؤتلفة ببعض الأحداث : عماد يسوع (١ : ٣٢ - ٣٤) طرد الباعة من الهيكل (٢ : ١٣ - ١٦) تكثير الخبز (٦ : ١ - ١٣) السير على الماء (٦ : ١٦ - ٢١) تطييب يسوع في بيت عنيا (١٢ : ١ - ٨) دخول يسوع إلى أورشليم يوم الشعانين (١٢ : ١٢ - ١٩) الإنباء بخيانة يهوذا (١٣ : ٢١ - ٣٠). وخصوصاً أحداث الآلام والصلب. لكن يوحنا في هذه الأحداث يستقل في نظرته إليها، فلا يعتمد مصدراً من مصادرهم بل أكثر معلوماته فيها جديدة؛ ويجعل لطرد الباعة من الهيكل، وتطييب يسوع في بيت عنيا، تاريخاً غير تاريخهم؛ ويختلف معهم في بعض

التفاصيل كما في دخول يسوع إلى أورشليم (متى ٢١ : ١ - ٩؛ مر ١١ : ١ - ١٠؛ لو ١٩ : ٢٨ - ٣٨ = يو ١٢ : ١٢ - ١٩)؛ وفي جحود بطرس للمسيح (متى ٢٦ : ٣٠ - ٣٥؛ مر ١٤ : ٢٦ - ٣١ لو ٢٢ : ٣١ - ٣٤ - يو ١٣ : ٣٦ - ٣٨).

لكن يوحنا يذكر من **الأحداث** ما لا تذكره المؤتلفة، وهي أحداث معجزة شهيرة فلا يمكن أن يسكت عنها سابقوه.

ويوحنا يهمل أحداثاً ذكروها، ولا يجوز أن يهملها هو، مثل نسب يسوع النبوي والملكي، والحبل المعجز، والمولد المعجز، والطفولة المعجزة (يكتفي بالإشارة إلى الناصرة ١ : ٤٥ - ٤٦)، والعماد (يكتفي بالإشارة) والتجربة في صومه، والتجلّي, والنزاع (وإن ذكر توقيف المسيح في بستان الزيتون) والصعود، ورسم سر القربان (وإن مهّد له بخطابه في الخبز النازل من السماء)، ورسم سر العماد (وإن مهّد له بحديثه مع نيقوديم) - ومنها ما يؤيّد غايته في إظهار إلهية المسيح يسوع : فما هو سرّه ؟

ويوحنا لا يذكر حادثاً واحداً من حوادث إخراج الشياطين.

في المؤتلفة **٢٩ معجزة** لا يذكر منها إلاّ اثنتين : تكثير الخبز والسير على الماء، بما أنهما توطئة لخطاب يسوع في « الخبز الحي النازل من السماء » .

ويوحنا ينفرد **بسبْع معجزات** : تحويل الماء إلى خمر في قانا الجليل (٢ : ١ - ١٠)؛ وشفاء ابن قائد حامية كفرناحوم (٤ : ٤٦ - ٥٤)؛ وشفاء مقعد بيت حسدا (٥ : ١ - ٩)؛ وتكثير الخبز والسير على ماء البحيرة (٦ : ٥ - ٢١)؛ وشفاء الأكمة (الأعمى منذ مولده) (٩ : ١ - ٧)؛ وإحياء لعازر (١١ : ١ - ٤٤)؛ والصيد المعجز بعد القيامة (٢١ : ١ - ١٤). وتأخذ هذه المعجزات عنده صفة رموز للخطب التي تليها. فكأنه في رسالة المسيح تعمّد عدد المعجزات وعدد الخطب، ٧ + ٧، وهو العدد المقدس، صفة الكمال. فما هو سرّه ؟ بالعدد سبعة بلغ يسوع في تعليمه وأعماله الكمال في إعجازه.

٥ - وقيل : إن كلام المسيح في المؤتلفة يختلف عنه عند يوحنا

في المؤتلفة كلام يسوع شعبي يفهمه جميع الناس؛ ويمتاز بضرب

الأمثال المأخوذة من صميم حياة الشعب؛ وخطب يسوع، كما في متى، كلها في ملكوت الله. وتصاريح المسيح عن إلهيته مبطنة ونادرة، فيه تصريح واحد صريح مثل يوحنا (متى ١١ : ٢٥ ـ ٣٠؛ لوقا ١٠ : ٢١ ـ ٢٢).

وعند يوحنا كلام يسوع رفيع يفوق أفهام الشعب، وهو عادة كلام مع علماء. وأحداث السيرة عند يوحنا قليلة، لكن خطب المسيح كثيرة؛ وخطبه في يوحنا فريدة لا مثيل لها في المؤتلفة؛ كما أن خطب يسوع في المؤتلفة، لا مثيل لها عند يوحنا. ومع أن أسلوب يوحنا يميل إلى التمثيل والرمز، فلا نجد فيه شيئاً من أمثال يسوع في المؤتلفة؛ وقول يوحنا في الراعي الصالح (١٠ : ١ ـ ١٨) والكرمة والأغصان (١٥ : ١ ـ ٦)، هما استعارة رمزية أكثر منهما مثلين. فهل هما مسيحان مختلفان ؟

في المؤتلفة إعلان يسوع عن إلهيته عابر، وبالتورية أكثر منه بالتصريح. بينما إعلان يسوع عن إلهيته عند يوحنا فهو صريح مكشوف : « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (٨ : ٥٨)؛ « ما يفعله الآب يفعله الابن كذلك » (٥ : ١٩)؛ « من الله خرجتُ وأتيت » (٨ : ٤٢)؛ « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠).

كلام المسيح عند المؤتلفة في ملكوت الله، ومؤسسه يسوع المسيح، ومنها يُستدل أنه سيد الشريعة، وسيد الملكوت، وملك يوم الدين، ورب العالمين؛ لكن تلميحاً لا تصريحاً.

أمّا عند يوحنا فالكلام في ملكوت الله يتوارى، ويقوم مقامه الإيمان بسر المسيح في تجسّده : « والكلمة صار جسداً وسكن فيما بيننا » (١ : ١٥)، وفي سرّ الفداء : « هكذا أحب الله العالم حتى أنه بذل ابنه الوحيد ... ليخلص به العالم » (٣ : ١٦ ـ ١٧)، وفي سر الثالوث : « صدّقوني أني أنا في الآب والآب فيّ » (١٤ : ١١)، « مَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٩)، « وأنا أسأل الآب فيعطيكم فارقليط آخر يقيم معكم إلى الأبد ... يقيم معكم ويكون فيكم ... الفارقليط، الروح القدس، الذي يرسله الآب باسمي، وهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم جميع ما قلتُ لكم » (١٤ : ١٥ ـ ١٦ و٢٦).

محور الدعوة في المؤتلفة ملكوت الله، ومحور الدعوة عند يوحنا شخصية المسيح. فهل تغيّر المسيح ودعوته ؟

٦ - وقيل : إن أسلوب السيرة في المؤتلفة يختلف عنه عند يوحنا

أحداث السيرة تختلف في المؤتلفة، وأحداثها تجري في بساطة رائعة، تتخللها بعض الخلافات الطارئة مع زعماء اليهود الذين يتجسّسون عليه من بعيد.

وأحداث السيرة عند يوحنا تختلف عنها، وهي أشبه بمأساة منها بسيرة، مأساة متواصلة، في جولات متواصلة، ومؤامرات متواصلة، في صراع يحتدم حتى ينفجر في استشهاد المسيح.

محور السيرة في المؤتلفة الجليل؛ ومحور السيرة عند يوحنا أورشليم.

أسلوب يسوع في حديثه يميل في المؤتلفة إلى التشبيه والتمثيل، ينتزعهما من صميم الواقع.

وأسلوب يسوع عند يوحنا يميل إلى الاستعارة والرمزية.

إنشاء يسوع في المؤتلفة شعبي، صريح حتى في أمثاله؛ وعند يوحنا فالإنشاء رفيع سام، مغلق أحياناً، يميل إلى الحكم وجوامع الكلم، منه إلى الحديث المرسل.

قصص الإنجيل في المؤتلفة موجز، وقصص الإنجيل عند يوحنا روايات في لوحات فنية قصصية ورمزية.

خطب يسوع في المؤتلفة متنوعة بأساليب متعددة؛ بينما كلها عند يوحنا تجري على وتيرة واحدة، وترمي إلى هدف واحد، وهي، وإن كانت تنبض بالحياة والواقعية أكثر ممّا في المؤتلفة، ليست متنوعة مثلها.

٧ - وقيل : إن تاريخ السيرة والرسالة عند يوحنا يختلف عنه في المؤتلفة

إن الإطار التاريخي والزمني والجغرافي عند يوحنا هو غيره في المؤتلفة. ففي المؤتلفة تبدأ دعوة يسوع بعد توقيف المعمدان ويظهر أنها تدوم سنة، وتتم فصولها في الجليل في جولات حول كفرناحوم ورحلات إلى أطراف

البلاد. أما عند يوحنـا فدعوة المسيح تبدأ على زمن المعمدان، وتسير في كنفه ردحاً (١ : ٣٥)، وعلى طريقته بالعماد زمناً : « وبعد ذلك قدم يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، وأقام معهم هنـاك؛ وكـان يعمّد » (٣ : ٢٢). ويظهر يسوع في الجليل، لكن رسالته في الجليل محاطة برسالتين ليسوع في اليهودية، تكاد كل واحدة منهما تدوم نحو سنة. ونراه يصعد من الجليل إلى أورشليم أربع مرات (٢ : ١٣؛ ٥ : ١؛ ٧ : ١٠؛ ١٢ : ١٢). ويقتصر في تفصيل رسالة المسيح في الجليل على مطلعها (٤ : ٤٣ - ٥٤) وعلى ختامها (ف ٦) حيث بعض تلاميذه ينفرون منه بعد تحوّل الشعب عنه. ويوضح يوحنا أن يسوع ترك الجليل نهائياً في عيد الخيام من سنته الأخيرة أي قبل ستة أشهر من استشهاده؛ ويحدّد أن استشهاده تمّ في تهيئة العيد، أي في اليوم السابق له (١٨ : ٢٨).

تلك مظاهر الاختلاف في السيرة والرسالة والدعوة والشخصية ما بين يوحنا والمؤتلفة. لكنها اختلافات ظاهرة أكثر منها حقيقية.

*

ثانياً : مواطن الائتلاف :

ما بين يوحنا والمؤتلفة ائتلاف في السيرة وفي التعليم وفي شخصية المسيح.

١ - سيرة المسيح في صُلْبها واحدة ما بين يوحنا والأناجيل المؤتلفة

فالأحداث الكبرى واحدة عند الجميع : مثل رسالة المسيح في كفرناحوم (يو ٤ : ٣ و٤٣؛ ٦ كله؛ ٧ : ١ = متى ٤ : ١٢ - ١٨)؛ ورسالته في السامرة (يو ٤ : ٥ - ٤٢ = لوقا ٩ : ٥١؛ ١٧ : ١١)؛ وتكثير الخبز (يو ٦ : ١ - ٤ = متى ١٤ : ١٣ - ٢١)؛ والسير على الماء (يو ٦ : ١٧ - ٢١ = متى ١٤ : ٢٢ - ٣٦)؛ ورسالته في شرق الأردن (يو ١٠ : ٤٠ = متى ١٩ - ٢٠). ويلتقي يوحنا مع المؤتلفة في قصة الآلام كاملة.

وأسفار يسوع إلى أورشليم تشير إليها الأناجيل المؤتلفة ولا تفصّلها لغاية فيها؛ بينما يوحنا يفصّلها. فقد بدأ يسوع رسالته في اليهودية (لو ٤ :

٤٤ = يو ٢ : ١٣ - ٤ : ٣). ولوقا يصرّح بأن يسوع كان يسافر إلى اليهودية : « وإذ كان زمن ارتفاعه قد اقترب صمّم أن ينطلق إلى أورشليم » (لو ٩ : ٥١)؛ « وسيّر قدامه رسلاً فمضوا ودخلوا قرية للسامريين » (لو ٩ : ٥٢)؛ « وفيما هم في الطريق دخل قرية » (لو ١٠ : ٣٨)؛ « وكان يجتاز في المدن والقرى، وهو يعلّم، قاصداً أورشليم » (لو ١٣ : ٢٢)؛ « وفيما هو شاخص إلى أورشليم جاز ما بين السامرة والجليل » (لو ١٧ : ١١). فلوقا يشير إلى أسفار يسوع إلى أورشليم لكنه لغاية مقصودة يجمعها كأنها رحلة واحدة طويلة؛ وطولها وكثرة أحداثها وتركيز الإشارة إلى السفر دليل على تعدّد الأسفار.

ونعرف أن يسوع كان له في أورشليم أصحاب (متى ٢١ : ١ - ٣؛ لوقا ١٢ : ١١ - ١٢)؛ وكان له أيضاً أتباع، فنرى بنات أورشليم يبكين عليه وهو في دربه إلى الصليب (متى ٢٦ : ١٨؛ ٢٨ : ٥٧؛ مرقس ١٤ : ١٢؛ لوقا ١٩ : ٣٢ - ٣٤). والشعب والسلطات في أورشليم كانوا يعرفون يسوع (متى ٢١ : ٨ - ١١؛ ٢٦ : ٣ - ٤؛ ٢٧ : ٦٢ - ٦٣؛ لوقا ١٩ : ٣٨). وكل ذلك لا يفهم بدون تردّد يسوع على أورشليم ودعوته فيها. وتكفينا هذه الكلمة التي تذكرها المؤتلفة دليلاً على رسالات يسوع في أورشليم : « يا أورشليم! يا أورشليم! **كم من مرة** أردت أن أجمع بنيك فيك! » (متى ٢٣ : ٣٧؛ لوقا ١٣ : ٣٤).

وأعياد الفصح التي يركّز يوحنا السيرة عليها في رسالة يسوع في أورشليم واليهودية، تذكرها الأناجيل المؤتلفة ولا تفصّل ما حدث فيها كما يفعل يوحنا. ففي مجموعة أولى من معجزات وأحاديث ترينا تلاميذ يسوع يقطعون سنبلاً ويأكلون؛ وظهور السنابل في حقول أورشليم لا يظهر إلاّ في زمن الفصح، فيكون الحصاد قرب العنصرة (متى ١٢ : ١٨؛ مر ٢ : ٥٢ - ٢٨؛ لو ٦ : ١ - ٥). وفي مجموعة ثانية من أعمال يسوع وأقواله حتى تكثير الخبز تنقلها المؤتلفة، نرى الناس في معجزة تكثير الخبز يتكئون على « العشب الأخضر » ، وهذا لا يكون إلاّ قرب الفصح، فهو الفصح الثاني الذي يذكره يوحنا (مرقس ٦ : ٣٩ = يو ٦ : ٤). أخيراً تصف المؤتلفة مثل يوحنا صعود يسوع إلى أورشليم للفصح الذي تمّ في استشهاده.

فالاختلاف في السيرة ظاهري أكثر منه حقيقي؛ وائتلاف باطني خير من ائتلاف ظاهري يستر خلافاً كامناً في الصميم.

٢ ـ تعليم المسيح عند يوحنا وفي المؤتلفة واحد، في إعلان بشرية المسيح وإلهيته

فبشرية المسيح ظاهرة عند يوحنا كما في المؤتلفة :

فالجماهير تزحم يسوع في تكثير الخبز، بحسب المؤتلفة، كما تزحمه في عيد الخيام بحسب يوحنا. ويسوع يحادث الخطأة وينفرد مع السامرية، بحسب يوحنا، كما يقبل الزانية بحسب المؤتلفة. يسمح يسوع لأخت لعازر بتطييب جسده بحسب يوحنا (١٢ : ١ ـ ٧) كما سمح للعاهرة في كفرناحوم أن تغسل قدميه بالطيب (لوقا ٧ : ٣٦ ـ ٣٨). وجدال يسوع مع علماء اليهود واحد عند الجميع، وإن اتخذ شكل صراع عند يوحنا؛ لكن الخاتمة واحدة في القضاء على يسوع. يسوع يبكي على أورشليم عند لوقا، كما يبكي على قبر لعازر عند يوحنا. ويسوع يثور على تجار الدين في الهيكل عند يوحنا كما في المؤتلفة. أخيراً فصول استشهاد المسيح واحدة عند يوحنا كما في المؤتلفة.

وإلهية يسوع صريحة في المؤتلفة كما عند يوحنا، وإن اختلف الأسلوب فيما بينهم ما بين التلميح والتصريح. فهم مثل يوحنا يُسمّون يسوع « ابن الله » في عماده (متى ٣ : ١٧؛ مر ١ : ١١؛ لو ٣ : ٢٢)؛ وفي تسكين العاصفة في البحر (متى ١٤ : ٣٣) وفي شهادة بطرس في قيصرية فيلبس (متى ١٦ : ١٦)؛ وفي شهادة الشهادات أمام السنهدرين المجلس اليهودي الأعلى (متى ٢٦ : ٦٣). ويجمع يوحنا والمؤتلفة أن سبب الحكم على يسوع بالإعدام ليس ادعاءه أنه المسيح فحسب، بل تمسكه حتى الموت بإعلان إلهيته. ويسوع نفسه في المؤتلفة كما عند يوحنا يسمّي الله « **أبي** » بنوع خاص : في حداثته (لو ٢ : ٤٩)، وفي دعوته (متى ١٦ : ١٧؛ ٢٠ : ٢٣؛ ٢٥ : ٣٤؛ مرقس ٨ : ٣٨). ويسميه أيضاً « أبي السماوي » (متى ١٥ : ١٣؛ ١٦ : ١ و٣٥)؛ أو « أبي الذي في السماوات » (متى ٧ : ٢١؛ ١٠ : ٣٢؛ ١٢ : ٥٠؛ ١٤ : ١٣؛ ١٨ : ١٠). ويسوع في المؤتلفة،

كما عند يوحنا، يُجري المعجزات بسلطانه الذاتي، وليس كالأنبياء بالالتجاء إلى الله : فكلمة منه تشفي، ولمسة منه تبرئ، ولمس طرف ثوبه يصنع المعجزة. ففي الأناجيل الأربعة سلطان يسوع على الطبيعة والأرض والسماء والحياة والموت دليل شخصيته الإلهية. وقد تصل تصاريح يسوع عن إلهيته في المؤتلفة ما تبلغه عند يوحنا، وتوحي بأن يسوع قال مثلها أكثر منها: فهو يعادل سلطانه بسلطان الله في التشريع: « قيل للأولين ... وأنا أقول لكم » (يكررها مراراً عند متى ف ٥)؛ ويساوي علمه بعلم الله : « لا أحد يعرف الابن إلاّ الآب! ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن! » (متى ١١ : ٢٣)؛ في السماء كما على الأرض : « لقد دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض » (متى ٢٨ : ١٨). وكلمة الختام في الأناجيل المؤتلفة أصرح من كل تصاريح يوحنا، ولا نجد لها مثيلاً في يوحنا : « وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » .

فالعقيدة، في سرّ المسيح، وسرّ الله، واحدة ما بين يوحنا والمؤتلفة.

*

ثالثاً : صلة يوحنا بالأناجيل المؤتلفة من « المختلف المؤتلف » :

فالاختلاف ما بين يوحنا والأناجيل المؤتلفة شبهة أكثر منه حقيقة. وهذا الاختلاف هو في الأسلوب، كما سنرى أكثر منه في الموضوع.

والاختلاف في الموضوع مقصود من الفئتين. ففي الدعوة الأولى، وقد كانت الثورة على يسوع ودعوته لا تزال ترشح دماً في أورشليم، أراد الرسل أن يكتفوا بالدعوة للرب يسوع في موته وقيامته، معجزة المعجزات التي تظهر أنه « المسيح الرب » كما قال؛ واقتصروا على رسالته في الجليل ودعوته لملكوت الله الذي يتحقق في الكنيسة التي يدعون لها. لذلك فهم **يشيرون كثيراً** إلى رسالته في اليهودية وأورشليم **ولا يذكرون منها شيئاً**. وقد أراد المؤرخ لوقا أن يتوسع بذكر شيء من دعوة المسيح في اليهودية، ففعل ولكنه في الإطار المرسوم، ضمن رحلة يسوع إلى أورشليم التي تستغرق تفاصيلها أكثر من تفاصيل الدعوة في الجليل (٩ : ٥١ - ١٨ : ٣٥).

وجاء يوحنا، وقد انتشرت الأناجيل المؤتلفة وشاعت في الكنائس، ومضى زمن تحفظ الرسل من اليهود، وأمسى المسيحيون بحاجة إلى معرفة أصول إيمانهم، فنشر خصوصاً دعوة يسوع في أورشليم واليهودية، مشيراً كما فعلوا هم إلى دعوة يسوع ورسالاته في الجليل. **فغايته في تكميل الأناجيل المؤتلفة ظاهرة**، ولا يسعه أن يجهلها أو يتجاهلها، وقد طبقت شهرتها المسكونة كلها. وهذه الشهرة هي التي جعلته يقتصر على التكميل : فأهمل ما كان شائعاً، وفصّل ما كان مجملاً، وأظهر ما كان مستوراً، وبيّن ما كان خفيّاً أو متشابهاً؛ في مطلع الإنجيل، وهو يذكر رسالة يسوع الأولى في اليهودية التي لم تذكرها المؤتلفة : « وبعد ذلك قدم يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية وكان يعمّد ... وكان الناس يأتون ويعتمدون؛ لأن يوحنا لم يكن بعد قد أُلقي في السجن » (يو ٣ : ٢٢ - ٢٤)، فهو يذكر في الفصول الأربعة الأولى رسالة يسوع إلى جوار المعمدان قبل سجنه؛ وكما صرّح في العشاء السرّي مشيراً إلى التعليم بأمثال الذي لم ينقله يوحنا لشهرته : « لقد قلت لكم ذلك بأمثال، لكنها أتت الساعة التي لا أُكلمكم فيها بأمثال؛ بل أُحدثكم فيها عن الآب بصراحة ... فقال له التلاميذ : ها إنك الآن تتكلم بصراحة ولا تقول مثلاً ما » (١٦ : ٢٥ و٤٩)؛ وكما صرّح في ختام الإنجيل : « وصنع يسوع أمام التلاميذ آيات أخرى كثيرة، لم تدوّن في هذا الكتاب » (٢٠ : ٣٠)، فنية التكميل صريحة، والإشارة إلى الأناجيل المؤتلفة واضحة. وكما كانت الإشارات في المؤتلفة توحي برسالة المسيح في اليهودية من دون تفصيلها. كذلك تدل إشارات يوحنا على رسالة المسيح في الجليل من غير أن تفصلها لأن تفاصيلها معروفة ومشهورة. فلا نفهم كيف يقتصر يوحنا، في آخر القرن الأول، على الإشارة فقط إلى عماد المسيح (١ : ٣٢) وإلى توقيف المعمدان معلمه الأول (٣ : ٢٤) وإلى مجلس الرسل الاثني عشر (٦ : ٦٧) وإلى ابن عبّاس الذي فضّلوه على المسيح (١٨ : ٤٠)؛ ولا نفهم سكوته عن رسم سر القربان وهو الذي هيّأ له بخطاب « الخبز الحي » ؛ ولا سكوته في رسم العماد المسيحي « باسم الآب والابن والروح القدس » ، وهو الذي فصل معناه في حديثه مع نيقوديم، إلاّ بالنية المقصودة في التكميل.

وهذا التكميل يظهر من صفة **يوحنا بمرقس**. فكلاهما يهدفان إلى بيان إلهية يسوع المسيح، مرقس بطريقة شعبية، ويوحنا بطريقة علمية. ونجد مطابقة صريحة في الأحدث مع بين يوحنا (ف ٦ ـ ٧) ومرقس (٦ : ٣٤ ـ ١٠ : ١)؛ ومشابهة في بعض التعابير (يو ١ : ٢٧ = مر ١ : ٧؛ يو ٦ : ٢٠ = مر ٦ : ٥٠؛ يو ٦ : ٦٩ = مر ٨ : ٢٩؛ يو ٢ : ١٣ = مر ١١ : ٩ إلخ).

وهذا التكميل يظهر خصوصاً في **مطابقات يوحنا ولوقا**، وخصوصاً في آلام المسيح، مثل دور إبليس (لو ٢٢ : ٣ = يو ١٣ : ٢ و٢٧) وظفر الظلمة على النور في قتل المسيح (لو ٢٢ : ٥٣ = يو ١٦ : ٤ و٢١)؛ وإقدام يسوع من تلقاء نفسه على الاستشهاد أصرح عند لوقا ويوحنا منهما عند متى ومرقس؛ وبينما يجعل متى ومرقس جلسة الإعدام على يسوع في الليل، يجعلها لوقا ويوحنا في الصباح التالي. وهناك تقارب ظاهر بين لوقا ويوحنا في سرد رسالة المسيح في اليهودية، وإن اختلف الأسلوب، بخلاف متى ومرقس. وقد تصل المطابقة ما بين لوقا ويوحنا إلى استعمال تعابير حنّاوية (٢ : ٣٤ ـ ٣٥ و٤٩؛ ٤ : ٢٢ و٣٠؛ ٧ : ٣٥؛ ٩ : ٥١؛ ١٠ : ٢١ ـ ٢٢؛ ١٢ : ٤؛ ١٦ : ٣١؛ ٢٤ : ٤٢) خصوصاً في سلام المسيح المعروض (١ : ٧٣؛ ٢ : ٢٤ و٢٩؛ ٧ : ٥٠؛ ١٩ : ٣٨ و٤٢؛ ٢٤ : ٣٦) ودور الروح القدس. فقد كانت مدرسة يوحنا في التعليم قائمة قبل كتابة الإنجيل. ولا ننس سُنّة الإنجيل الشفوي التي يعتمد الجميع عليها. فالأساس واحد عند الجميع، والمطابقة قائمة، ونية التكميل عند يوحنا ظاهرة.

وقد شعر الأقدمون بهذه الظاهرة عند يوحنا وجعلوها سبب اختلافه في الموضوع مع المؤتلفة، كما قال أوسابيوس[١]، ونقل عن اكلمينضوس الإسكندري[٢] ؛ وكما صرّح ابيفانوس في كتابه (الشامل ف ٥١).

تكميل في الموضوع، **وإظهار أبعاده**؛ وقد أظهر الأقدمون أيضاً هذه الميزة الثانية عند يوحنا. وهذا ما يسميه اكلمينضوس الإسكندري « **الإنجيل**

---

(١) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٤ : ٧ ـ ١٣.
(٢) تاريخ الكنيسة ك ٦ ف ١٤ : ٧.

الروحي »، بالنسبة إلى المؤتلفة التي يسميها « الإنجيل الجسدي » أي الحسي. مرقس كتب إنجيل يسوع المسيح « ابن الله »؛ مع ذلك فهو ينقل وصية المسيح بحفظ « سرّ مسيحيته » . ولما زالت ظروف التحفظ عند المسيح ثم عند الرسل، جهر يوحنا بالسرّ دعوةً وكتابةً. واختار بعض الأحداث وبعض الخطب التي تدل على أبعاد شخصية المسيح وتعليمه : « وإنما دُونت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله » (٢٠ : ٣١). ونشعر أن يوحنا يكشف تلك الأبعاد بإرشاد الروح القدس الموعود دعوةً وكتابةً : « ومتى جاء الفارقليط، روح الحق، فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها » (١٦ : ١٣) بطريقتين : « فهو الذي يعلّمكم كل شيء؛ ويذكّركم جميع ما قلتُ لكم » (١٤ : ٢٦). ونعرف من المؤتلفة ومن يوحنا أن الرسل لم يكونوا يفهموا أبعاد أعمال يسوع وأقواله في حينها، ويعدهم أنهم سيفهمون. وعلى نور القيامة فهموا جميعهم؛ وعلى نور نزول الروح الموعود أدركوا الأبعاد؛ وبعد الدعوة والخبرة نحو سبعين عاماً تجلّت الأبعاد ليوحنا كاملة فبشّر بها ثم أوجزها في إنجيله.

فتكميل في الموضوع، مع إظهار أبعاده، **واختلاف في الأسلوب**. وهذا الاختلاف في الأسلوب يرجع أولاً إلى اختلاف البيئة في دعوة المسيح ما بين المؤتلفة ويوحنا. كانت دعوة المسيح في الجليل أكثرها مع الشعب فخاطبهم يسوع بلغة الشعب، كما نرى في الأناجيل المؤتلفة. وكانت دعوة يسوع في أورشليم خصوصاً مع علماء الشعب، فخاطبهم بلغة العلم التي يفهمون. فاختلاف البيئة في دعوة المسيح يحدّد اختلاف لغتها وأسلوبها. ويرجع ثانياً اختلاف البيئة في دعوة الإنجيليين : فدعوة المؤتلفة بالإنجيل كانت لهداية الناس للمسيح؛ بينما دعوة يوحنا بعد المؤتلفة ورسائل بولس كانت لتعليم المؤمنين والردّ على الخارجين. وهنا أيضاً اختلاف البيئة والغاية يحدّد اختلاف الأسلوب. ويرجع أخيراً إلى اختلاف كتبة الوحي الإنجيلي؛ فنعرف من المؤتلفة ومن يوحنا نفسه ميله الصوفي إلى رؤية الأمور؛ وقد رأى في بيئة دعوته ميل أهل البيئة إلى الغنوصية والصوفية، فجاء أسلوب إنجيله على شاكلته وشاكلتهم. ويرجع ذلك كله إلى المسيح نفسه، معلم الصوفية الأكبر، بأسلوب الإيحاء والرمز، الذي يطبع به أحواله

وأعماله وأقوالـه، قـائلاً : « مَن استطـاع منكم أن يفهم فليفهم » (متـى ١٩ : ١٢)؛ و « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » استطاع أن يفهم لغة معلمه المحبوب وسرّه. وهناك سبب آخر لاختلاف الأسلوب : إن يوحنـا ينقل كـلام المسيح **بـالمعنى أكثر منـه بـالحرف،** وان كنـا نشعر أحيانـاً أن بعض التعابير أكثر حرفية عنده من الأناجيل المؤتلفة، خصوصاً في جوامع الكَلِم التي يقول فيها المسيح « أنا » أو « أنا هو » ؛ فتلك الكلمـات الخـالدات لا يمكـن أن يـأتي بمثلهـا فـي العـالمين إلاّ المسيح رب العالمين.

وطول التأمل مدة سبعين عاماً في كلام الرب جعل كلام التلميذ مثل كلام معلمـه، وهو ينقله بالمعنى أكثر منه بالحرف، يتقاربان ويتشابهان تفكيراً وتعبيراً حتى لا نكاد نرى أحياناً أين ينتهي كلام المعلم وأين يبدأ كلام التلميذ (يو ٣ : ١٧ ـ ٢١ ثم ٣ : ٣١ ـ ٣٦). فـالتفكير هو دائماً فكر المعلم، الكلمة المتجسد، ولا يمكن ليوحنا ولا لغير يوحنا أن يـأتي بمثلـه؛ أما التعبير ـ إذا ما قورن بالأناجيل المؤتلفة من جهة، وبرسالة يوحنـا من جهـة أخرى ـ فهو أسلوب يوحنـا الحبيب، يخلع فيه التلميذ على كـلام معلمـه أسلوبه فـي التعبير، كـأن « التلميذ الـذي كـان يسوع يحبه » قد ذاب في معلمه.

وهذا الاختلاف في الأسلوب، مع الاتفـاق فـي الموضـوع، يجعل صلـة الإنجيل بحسب يوحنا بالأناجيل المؤتلفة من « المختلف المؤتلف » ، دليلاً على الصحة، ودليلاً على التاريخية.

* * *

بحث سادس

ميزات الإنجيل بحسب يوحنا

يمتاز الإنجيل بحسب يوحنا عن الأناجيل المؤتلفة بميزات خاصة تدل على صفة الشاهد العيان الممتاز، وعلى عبقريته في نقل الشهادة، في تكميل شـهادتهم وإظهـار أبعادهـا فـي أحـوال وأعمال وأقوال المسيح، بأسلوبه الخاص.

١ - يمتاز يوحنا بمادّة إنجيله

في أواخر القرن الأول كانت سيرة المسيح وتعليمه والإيمان به قد شاعت في المسكونة، خصوصاً بين المؤمنين بواسطة الأناجيل المؤتلفة المكتوبة قبل السنة السبعين، وخصوصاً بواسطة الإنجيل الشفوي المتواتر. فما كان يوحنا بحاجة إلى نقلها من جديد. بل توخّى صراحة تكميلها (يو ٣ : ٢٢ - ٢٤؛ ١٦ : ٢٥ و٢٩ : ٢٠ : ٣٠). لذلك جاء، وهو الشاهد العيان، الذي « يعلمه الروح القدس كل شيء، ويذكّره بجميع ما قال المسيح » (١٤ : ٢٦)، « ويرشده روح الحق إلى الحقيقة كلها » (١٦ : ١٣) **بمادة جديدة** من أعمال المسيح وأقواله وأحواله التي تظهر سرّ شخصيته الإلهية الإنسانية معاً، وتحمل على الإيمان بها. فالمعجزات السبع التي ينقلها، لا يشترك فيها إلاّ باثنتين (تكسير الخبز والسير على الماء) مع المؤتلفة. والخطب التي يفصلها لا مثيل لها في المؤتلفة؛ مثل الأحاديث الودية في عشاء الوداع التي فيها الكشف الأخير. قد اقتصرت الأناجيل المؤتلفة على رسالة المسيح في الجليل مع إشارات إلى رسالته في اليهودية وأورشليم؛ وقد دامت رسالة المسيح في الجليل سنة؛ ونعلم من يوحنا أن هذه الرسالة الجليلة سبقتها رسالة أولى مدة سنة تقريباً، في كنف المعمدان، قبل توقيفه كما يشير : « وقدم يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، **وأقام هناك معهم، وكان يعمّد ...** وكان الناس يأتون ويعتمدون، لأن يوحنا لم يكن بعد قد أُلقي في السجن » (٣ : ٢٢ - ٢٤). ويكتفي بذكر مطلع الرسالة في الجليل : « وبعد ذينك اليومين (في السامرة) مضى يسوع من هناك، وشخص إلى الجليل ... ولما انتهى إلى الجليل احتفى به الجليليون لأنهم شاهدوا جميع ما صنع في أورشليم أثناء العيد، وقد كانوا هم أيضاً جاؤوا إلى العيد » (٤ : ٤٣ - ٤٥)؛ وبذكر خاتمتها بعد خطابه في الخبز الحي النازل من السماء في شخصه (ف ٦) و « طلب « إخوته » منه أن يمضي إلى اليهودية » (٧ : ١ - ٤)؛ حينئذٍ يستقل بذكر رسالة المسيح الثانية في اليهودية (٧ - ١٢)، التي نقل منها لوقا قسماً (لو ٩ : ٥١ - ١٨ : ٣٥).

وهكذا يمتاز يوحنا عن المؤتلفة بمادة إنجيله الجديدة.

٢ - يمتاز يوحنا بطريقة في عرْض الإنجيل

تلك المادة الجديدة يقدمها يوحنا بطريقة عرْض جديدة. نقل الأناجيل المؤتلفة أعمال المسيح وأقواله كما **أوجزتها** الدعوة المسيحية الأولى في الإنجيل الشفوي. فجاء يوحنا، وهو الشاهد العيان الممتاز، فنقل من معجزات يسوع ومن خطاباته **ما قلّ ودلّ، لكن بتفصيل** يجمع ما بين الواقع الملموس والأبعاد المعنوية المقصودة.

كان بيان الأناجيل المؤتلفة يبيّن أن يسوع هو **المسيح الرب؛** فجاء كشف يوحنا يكشف أن المسيح الرب هو «ابن الله»، **«الابن» على الإطلاق.**

كان تعليم يسوع في المؤتلفة شعبيّاً مع الشعب، ويعتمد على **الأمثال** النابعة من حياة الشعب؛ فجاء تعليم يسوع عند يوحنا **كشفاً بصراحة.** بدأ لـُمَحاً، وتطور من التصاريح للخاصة إلى التصاريح لعامة العلماء، حتى الكشف الأخير لرسله الأخصّاء في عشاء الوداع. ويوحنا يعلن ذلك: «لقد قلتُ لكم ذلك بأمثال؛ لكن قد أتت الساعة التي لا أُكلمكم فيها بأمثال، بل أُحدثكم عن الآب بصراحة: ... لقد صدرت من الآب وأتيت إلى العالم؛ والآن أترك العالم وأعود إلى الآب! فقال له التلاميذ: ها إنك **الآن** تتكلّم بصراحة، ولا تقول مثلاً ما ... لذلك نؤمن إنك من الله صدرت» (١٦ : ٢٥ - ٣٠).

وهذا الإعلان يدل على أنه ليس من تعارض ما بين المؤتلفة، خصوصاً مرقس، وبين يوحنا، في **فرض يسوع الصمت على سر شخصيته،** الذي لا وجود له عند يوحنا، كما يقولون. لقد تدرّج يسوع في الكشف عن ذاته، وفرض في أول دعوته على الأخصّاء الذين يكشف لهم سره الصمت؛ لكن مع تطور الدعوة وبروز سلطان المسيح الإلهي، وبدء الصراع بين الإيمان والكفر، أخذ يسوع منذ رسالته في الجليل، في السنة الثانية من دعوته، وعند صعوده للأعياد في أورشليم (يو ٥) يكشف بصراحة سرّ شخصيته (يو ٧ - ١٢)، حتى كان الكشف الصريح في قيصرية فيلبس: «أنت المسيح ابن الله»،

كما في المؤتلفة، وتم بخطابه الأخير في الجليل في مجمع كفرناحوم : «أنا الخبز الحي النازل من السماء» كما في يوحنا (ف ٦)؛ والحديث والخطاب من زمن واحد، قبل الرجوع إلى اليهودية، لرسالة ثانية تتوالى فيها التصاريح في أورشليم ما بين عيد الخيام في مطلع الصيف، وعيد التجديد في الشتاء، وفي اليهودية كما نقل لوقا في قسمه الخاص.

وهكذا يمتاز يوحنا بطريقة جديدة في عرض مادة جديدة للإنجيل.

٣ - يمتاز يوحنا بالتأليف المحكم للسيرة والدعوة

نمهّد هنا لما نفصّله في بحث لاحق. إن الإنجيل بحسب يوحنا محكم التأليف أكثر من كتب العهد الجديد كلها، لا يضارعه إلاّ الإنجيل بحسب متى. فهو وحدة فنيّة قائمة بذاتها؛ وميزته على الإنجيل بحسب متى أنه يربط الخطب بالأحداث ربطاً زمانياً ومكانياً وتعليميّاً. بينما الخطب عند متى مجموعة تعاليم تجمعها وحدة الموضوع من أزمنة مختلفة، تأتي الخطب عند يوحنا **وحدة فنية وزمنية معاً**. وهذه الخطب تتناول، كما في متى، موضوعاً جديداً في كل خطبة. وفضله على متى أنه يختار لكل خطبة حدثاً معجزاً رمزياً يفسّر بالواقع أبعاد الخطاب؛ بينما يفصل متى سيرة المسيح مجموعات تطوّرُ السيرة مع التعليم تطويراً. فتأتي رسالة المسيح عند يوحنا (١ - ١٢) **وحدة فنية كاملة** من سبع معجزات في سبع خطب أو أحاديث، تستوعب نواحي رسالة المسيح وسرّه، ومع سرّه سرّ الله. وهو كما سنرى يقسم الإنجيل إلى كتاب الآيات (١ - ١٢) وكتاب الأسرار (١٣ - ١٧) وكتاب الآلام المجيدة (١٨ - ٢٢) مع فاتحة معجزة توجز أهداف الإنجيل، وخاتمة تختم صدق الشهادة. فالإحكام في التأليف من وحدات فنية تشكل وحدة فنية كاملة، ميزة من ميزات الإنجيل بحسب يوحنا.

٤ - يمتاز يوحنا في التعليم نفسه

تقوم دعوة المسيح في المؤتلفة لملكوت الله؛ وتصير دعوته عند يوحنا للإيمان بالمسيح « الصراط والحقيقة والحياة » .

فليس المسيح فقط « المسيح الرب » ، بل « ابن الله » بالذات، « الابن » على الإطلاق. لذلك لا يكتفي يوحنا بالإشارة والتلميح والاستنتاج، مثل المؤتلفة؛ بل يسير من تصريح إلى تصريح؛ يبدأ التصريح في حلقة صغيرة ويتسع كموجات البحر حتى يشمل الشعب كله مع زعمائه وأحباره، في هيكل الأمة والدين. وساعده على ذلك أنه **اختار من سيرة المسيح وتعليمه** ما قلّ ودلّ؛ ولم يجمع كل تعليم المسيح وتفصيل سيرته كما فعل المؤتلفة؛ لذلك لا يصح أن نتهمه بأنه حرّف السكوت الذي فرضه يسوع في أول أمره على إعلان مسيحيته وإلهيته. هذا الأمر تمّ على العموم كما في المؤتلفة، وشذّ عنه المسيح نفسه في أحوال خاصة كما في يوحنا؛ لكن في السنة الثالثة أصبح التصريح عاماً في المؤتلفة كما عند يوحنا. ويختار يوحنا من تصاريح المسيح ما دلّ منها على تنزيهه وسموّه وعلى أزليته.

وبسبب اختيار يوحنا من السيرة والدعوة ما قلّ ودلّ، فهو يردم الهوّة التي تفصل ما بين يسوع على الأرض ويسوع في السماء : فيسوع الحي الخالد في السماء، والذي يؤمن به المسيحيون ويعبدونه، هو نفسه يسوع التاريخ الذي ظهر، النور والحقيقة والحياة كما قال، وكما أبان في معجزاته الرمزية.

وفي نور هذه الوحدة الحياتية قبل الزمن وفي الزمن ومع الخلود لا تبدو بشرية المسيح، ولا يظهر صلبه خصوصاً، ذلاً كما يتوهمون، بل مجداً حتى في استشهاده الاختياري. لذلك يركز يوحنا قصة الآلام على إقدام المسيح على الاستشهاد.

فالدعوة للملكوت، بحسب المؤتلفة، تصير عند يوحنا الدعوة لسيد الملكوت، ولا يأتي ذكر الملكوت إلاّ مرتين (٣ : ٣ ـ ٥؛ ١٨ : ٣٦). فملكوت الله في نظر يوحنا، كما ظهر في آخر رسالة المسيح عند المؤتلفة، هو المسيح نفسه، النور والحياة والحقيقة : « لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » ! « مَن رآني فقد رأى الآب » ، « مَن أحبني يحبه أبي، وإليه نأتي، وفيه نجعل إقامتنا » !

وفي المؤتلفة يدعو يسوع إلى شرعة الملكوت، ويفصل أحكامها في

الإنجيل وكله؛ ويختصرها في شِرْعة محبة الله والقريب حبّاً بالله، أمّا يوحنا، في الإنجيل كما في الرسَالة، فإنه يذكر «وصايا الله والمسيح» (١٤ : ١٥) جملة، لكنه لا يفصّل إلا شرعة المحبة كأنها الدين كله : «من لا يحب لا يعرف الله، لأن الله محبة» !

ودعوة الأناجيل المؤتلفة لليوم الآخر، تصير عند يوحنا لسيد اليوم الحاضر واليوم الآخر معاً، لأن المسيح ملك يوم الدين هو سيد الكون في اليوم الحاضر، وحياة المسيحيين بالإيمان والمحبة في اليوم الحاضر، في كنيسته التي يسميها «رعيته» .

فبصفته التكميلية يظهر يوحنا ما كان في حواشي الأناجيل المؤتلفة وأبعادها، فكأنه يأتي بجديد، وهو في الصميم لا يأتي بجديد.

٥ - يمتاز يوحنا بصفته الكنسية في تعليمه

تعليم المسيح في يوحنا فردي وجماعي معاً، موجّه للأفراد وموجّه للأمة كجماعة شعب الله وكنيسة المسيح. فيسوع هو «الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل حياته عن الخراف ... أنا الراعي الصالح، وأبذل حياتي عن خرافي» (١٠ : ١١ و١٤ و١٥). فهو يسمي جماعته، كنيسته، «رعيته» . وهذه الرعية لا تحوي فقط أهل الكتاب، «فلي خراف أخرى من غير هذه الحظيرة؛ وهذه أيضاً ينبغي أن أجيء بها، وستسمع صوتي - نبوءة عن مستقبل المسيحية في الوثنية - فتكون رعية واحدة لراع واحد» (١٠ : ١٦).

وليست الصلة بين المسيح الراعي والمسيحيين الرعية خارجية كصلة الراعي والخراف - والاستعارة تؤخذ من وجه الشبه فقط - بل هي صلة كيانية ذاتية حياتية وجودية كصلة أغصان الكرمة بالكرمة : «أنا الكرمة وأنتم الأغصان : مَن يثبت فيّ وأنا فيه، فهو الذي يأتي بثمر كثير! ... اثبتوا فيّ وأنا فيكم!» (١٥ : ١ - ٨).

والمسيح يتمتع بصفة جمع وتوحيد وإحياء أعضاء رعيته كأغصان كرمة، لأنّ له وحدة الحياة ووحدة العمل ووحدة الإحياء، في اليوم الحاضر واليوم الآخر، مثل الآب ومع الآب : «ما يفعله الآب يفعله الابن

كذلك! فكما أن الآب له الحياة في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون لـه الحيـاة فـي ذاتـه! فكمـا أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، كذلك الابن أيضاً يحيي مَن يشاء! » (٥ : ١٩ ـ ٣٠). وتجري حياة المسيح في المسيحيين كما تجري حياة الكرمة في الأغصان، وكم تتدفق المياه من النبع في المجاري : « مَن آمن بي، تجري فيه أنهار ماء حي ... » (٧ : ٣٨).

وهذه الرعية الكرمة هي أيضاً عروس المسيح؛ قال المعمدان لتلاميذه : « أنتم أنفسكم تشهدون لي بأني قلت: إني لستُ المسيح، بل أنا مرسل أمامه. فمَن لـه العروس، فهو العريس » (٣ : ٢٨ ـ ٣٠).

وهذه الرعية الكرمة العروس قد أوكلها الراعي الكرّام العريس إلى ذمة الرسل، وأوكل عليها بطرس بنوع خاص : « ارعَ نعاجي! ارعَ خرافي! » (٢١ : ١٥ ـ ١٧).

فحياة المسيح في المسيحيين كنسية، ووجودية حياتية.

٦ ـ يمتاز إنجيل يوحنا بصفته الحياتية في المسيح

ليس الدين، في الإنجيل بحسب يوحنـا، شرائع وطقوسـاً؛ إنمـا هـو حيـاة فـي المسيح « الحياة » . هذا ما يعلنه المسيح : « أما أنا فقد أتيت لتكون لهم (الخراف) الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). فالمسيح هو « الحياة » (١٤ : ٦) في الله وفي الكون (١ : ٤)، وقد أتى ليعطي الحياة (١٠ : ١٠) وهذه الحياة هي فيه : إنه « القيامة والحياة » كما أظهر ذلك في إقامة لعازر (١١ : ٢٥). وهذه الحياة هي شركة في حياة المسيح القائم من بين الأموات : « بعد قليل لن يراني العالم البتة! أما أنتم فترونني لأني أنا الحي، وأنتم ستحيون؛ في ذلك اليوم ستعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيّ وأنا فيكم » ! (٤ : ١٩ ـ ٢٠). وحياتنا من المسيح هي حياة من الله ذاته : « إن أحبني أحد يحفظ كلمتي، وأبي يحبه، وإليه نأتي، وفيه نجعل مقامنا » (١٤ : ٢٣). ومن الله، إلى المسيح، تصل الحياة الإلهية إلى النفوس المسيحية كما تصل حياة الكرمة إلى الأغصان (١٥ : ١ ـ ٨).

هذه هي الحياة الإلهية المسيحية التي وصفها يسوع للسامرية أنها عبادة

الله « بالروح والحقيقة »: « إن الله روح، والذين يعبدونه، فبالروح والحقيقة يجب أن يعبدوه » (٤ : ٢٤ - ٢٥)، **في وحدة وجود ووحدة حياة** : « فكما أنك، أيها الآب، أنت فيّ وأنا فيك، فليكونوا هم أيضاً فينا » (١٧ : ٢١).

وحياة المسيح تجري في أعضائه ورعيته بالعماد والقربان والتوبة.

٧ - يمتاز إنجيل يوحنا بصفته القدْسية

كما كان المسيح القدْس الأكبر الذي جسّد فيه الله حياته لتكون تقديساً للناس، جعل المسيح في رعيته أقداساً بها يشتركون بقداسته وحياته الإلهية.

وأولها **العماد** الذي يحدّده ولادة جديدة بالماء والروح. فالولادة البشرية جسدية؛ أما الولادة المسيحية فهي سماوية وروحية : « لا يقدر أحد أن يدخل ملكوت السماوات ما لم يولد من الماء والروح. فالمولود من الجسد إنما هو جسد، والمولود من الروح، إنما هو روح. لذلك لا تعجبنّ من قولي لك : إنه لا بدّ لكم أن تولدوا من فوق » (٣ : ٣ - ٨).

وثانيها **القربان** من جسد المسيح ودمه. يسوع يعرّف بنفسه، تجاه افتخار اليهود بمعجزة المن في التيه : « أنا الخبز الحي النازل من السماء » مَن يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد! والخبز الذي سأعطيه أنا هو جسدي! مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه! كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب فمَن يأكلني يحيا هو أيضاً بي. ليس هو كالذي أكله الآباء، وماتوا! بل مَن يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد! » (٦ : ١ - ٦٠).

وثالثها **سلطان الغفران** في سر التوبة : ظهر يسوع القائم من بين الأموات لرسله؛ وكانت البشرى الأولى لهم بعد استشهاده أنه استحق لهم سلطان الغفران، وهو يمنحهم إياه: « ثم نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس، مَن غفرتم لهم خطاياهم غُفرت لهم! » (٢٠ : ٢٣).

بالغفران يشترك المسيحيون بالماء (العماد) والدم (دم المسيح في القربان)

النابعيْن من قلب المسيح على الصليب، ثمرة استشهاده وفدائه : « وإن واحداً من الجند طعنه بحربة فخرج للوقت دم وماء. والذي شاهد هو الذي يشهد وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق ـ لكي تؤمنوا أنتم أيضاً » (١٩ : ٢٣ ـ ٢٥).

بهذه الأقداس يشترك المسيحيون بقداسة المسيح، لأنّ بشريته قنال قداسة الله إلينا، والقدْس الأكبر لسر الله وحياته في المخلوقين.

٨ ـ يمتاز يوحنا بصفته الرمزية في تفكيره وتعبيره

نمهّد هنا لما نفصّله في بحث لاحق. إن الرمزية صفة تعم الإنجيل بحسب يوحنا جملةً وتفصيلاً. كلّ شيء عنده له لغة : الأشياء والأعمال والأشخاص. منذ مطلع الإنجيل، لمّا عرف أندراوس يسوع ذهب وأحضر أخاه سمعان « وجاء به إلى يسوع. فحدّق إليه يسوع وقال : أنت سمعان ابن يونا ؟ أنت ستدعى كيفا ـ أي بطرس ـ الصخر » (١ : ٤٢). وفي ختام الإنجيل يرى في الماء والدم النابعين من جنب يسوع المطعون بالحربة، ماء العماد ودم القربان (١٩ : ٢٣). والمعجزات السبع التي اختارها، إنما اختارها لأنها رموز لتعليم المسيح. يقول المسيح « أنا نور العالم » ثم يشفي الأكمه أي الأعمى منذ مولده. يقول يسوع : « أنا القيامة والحياة » ! ثم يقيم لعازر من القبر! طلب إلى أندراوس بعض اليونانيين المتهوّدين أن يروا يسوع فرأى فيهم يسوع باكورة الأمميين المهتدين. يسوع يشفي مقعد بركة بيت حسدا رمزاً لشفاء اليهود الذين قيّدتهم الشريعة. ويسوع يحوّل الماء إلى خمر في قانا الجليل لأنه يحوّل ماء العهد القديم إلى خمر العهد الجديد. ويسوع الذي يسير على الماء والذي يكثر الخبزات الخمس ويشبع منها خمسة آلاف يقدر أن يحوّل الخبز إلى جسده، والخمر إلى دمه! ومعجزات المسيح تُسمى في المؤتلفة « قوات » ، ويوحنا يسميها « آيات » لأنها ترمز إلى حقائق رمزية في التفكير والتعبير، جملةً وتفصيلاً؛ لكنها نابعة من الحقيقة والواقع، فإعجازه في جمع التاريخية إلى الرمزية، كما سنرى.

٩ - يمتاز يوحنا بطريقة المقابلة

طريقة المقابلة تشمل الإنجيل بحسب يوحنا جملةً وتفصيلاً. منذ الفاتحة يبدأ بالكلمة التي تفتتح سفر التكوين : « في البدء » ؛ ففي التوراة : « في البدء بَرَأ الله السماوات والأرض » ؛ وفي الإنجيل : « في البدء كان الكلمة ... فيه كانت الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ١ - ٤). ويوحنا المعمدان « لم يكن هو النور، بل جاء ليشهد للنور » (١ : ٨)؛ « إن الناموس نزل بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧)؛ والأنبياء كلهم لم يروا الله « فالله لم يره قط إلاّ الابن الوحيد الذي في حضن الآب، وهو الذي كشف عنه » (١ : ١٨).

في ستة أيام خلق الله العالم. وفي ستة أيام، يعدّها يوحنا يوماً فيوماً بدأ المسيح تجديد الخلق (١ : ١٩ - ٢ : ١). وسيرة المسيح صراع بين النور والظلمة التي يجسمها « اليهود » . وتبرز الأشياء والأشخاص متقابلة عنده : أمام العالم الإسرائيلي نيقوديم المتردّد، تبرز السامرية بنت الشعب المنحرف مندفعة في ايمانها. وبعد خطاب يسوع في الخبز الحي نفر منه الشعب وازداد تعلق الرسل به : « إلى أين نذهب ؟ إن عندك كلام الحياة الأبدية » ! (٦ : ٦٦ - ٦٨). المجلس اليهودي الأعلى يحقق في شفاء الأعمى منذ مولده ويتنكرون للمسيح، والأكمة يؤمن ببساطته الشعبية.

فالإنجيل بحسب يوحنا، بنزعته المضطردة في المقابلة منبع لا ينضب للمقارنة والتأمل. فهو يرى في سيرة المسيح وتعليمه دلائل وأبعاداً لا تنتهي.

١٠ - يمتاز يوحنا بصفة الدفاع المستور عن المسيحية

فهو يروي سيرة المسيح ورسالته ببساطة معجزة، لكنه يضمنها في حواشيها رداً على خصوم المسيحية في الوثنية والغنوص واليهود والمعمدانية والنصرانية اليهودية، وهو يعلّم الحقيقة بنقل تاريخ المسيح وتعليمه : ففي أقوال المسيح وأعماله إثبات للإيمان المسيحي، وردّ على الكافرين وعلى المنحرفين. إنه يظهر بأحوال يسوع المسيح وأعماله وأقواله أنه « ابن الله » ، « الابن » على الإطلاق، « الصراط والحقيقة والحياة » ، وفي هذه الشهادة توطيد

للعقيدة المسيحية، وردّ على جميع التيارات المعارضة، فهو ضدها، ودفاع مستور جملة وتفصيلاً.

تلك الميزات العشر في الإنجيل بحسب يوحنا، تجعله من الإعجاز المطلق.

* * *

بحث سابع

أسلوب الإنجيل بحسب يوحنا

إن الإنجيل بحسب يوحنا غني متنوع بأساليبه؛ لكنّ غنى التفكير يُضفي فيه على غنى التعبير؛ وتنوّع الأساليب مع وحدة اللغة دليل وحدة الكاتب.

١ ـ الأسلوب اللغوي

يوحنا يلتفت إلى إعجاز الفكرة أكثر منه إلى عبقرية اللفظة. فلعنة واحدة في كل الأساليب فلا تتنوع بتنوّعها. وقد جمع بعضهم الكلمات التي يهوى ترديدها فكانت كما يلي : أحبّ، محبة ٤٤ مرة؛ الحقيقة، حقيقي ٤٦ مرة؛ عَلِمَ، العلم ٥٦ مرة؛ «أنا» أو «أنا هو» ٥٤ مرة الحياة والأفعال المتفرعة منها ٣٤ مرة؛ النور ٢٣ مرة؛ مشهد، شهادة ٤٧ مرة؛ أقام في، ثبت في ٤٠ مرة؛ حَكَمَ، الحكم، الأحكام ١٩ مرة؛ اليهود ٦٦ مرة؛ العالم ٧٨ مرة ـ الآب (اسم الله الأعظم في الإنجيل) ١١٨ مرة؛ أرسل ٣٢ مرة. هذه اللغة حيث تكثر كلمات العلم والحقيقة والحياة والنور والمحبة والشهادة تعطي الإنجيل طابعه الصوفي الرفيع. وتدل على أن الكلام عنده يسمو على الكلمة؛ ولكن مثل تلك الكلمات، يرفع من سموّها؛ والتركيز عليها يدل على أهداف قائلها.

ظاهرة أخرى، إن كثيراً من الكلمات الشائعة في المؤتلفة غائبة عند

يوحنـا، أو تكـاد : الملكوت، الشيطان (مع أن الصـراع الخلقـي فـي الإنجيـل قـائم بـين المسيح وإبليس علـى سلطان العـالم)، البرّ، القدرة (في المعجزة، فهو يفضّـل أن يـرى فيهـا الآيـة)، التحنّن (الـذي يبذله بلغة المحبة)، إنجيل والفعل « أنجَلَ » ، دعـا أو كرز، تـاب، مَثـَل، عشّـار ... تلك الظـاهرة اللغويـة الغريبـة عنـه تـدل علـى العـالم الأسـمى الـذي يحيـا فيـه كمـا تـدل عليـه الظـاهرة الأولـى؛ وتـدل علـى أن التعليم فيـه يرتفـع مـن الشـرعية المفروضـة علـى الشـعب إلـى الصوفية المطلوبة في الكاملين. فلغته دليل تعليمه.

ظاهرة ثالثـة : إن لغتـه واحدة فـي خطـب يسـوع وفـي قصـص الإنجيل؛ وهذه الظـاهرة **شبهة علـى صحة الخطب**، كمـا يقولـون. ولكن فـاتهم أن يوحنـا ينقل خطـب يسـوع بـالمعنى لا بالحرف، وفي نقلها بالمعنى يوجزها، لأنه لو فصّل أقوال يسوع وأعماله « لما ظننتُ العالم كلـه يسع الصحف المكتوبة » (٢١ : ٢٥). فلا بأس من القول بأن يوحنا يعير لغته إلى يسوع؛ مع ذلك هناك آيات توحي بذاتها أنها من نطق يسوع نفسه لأنه يعجز يوحنا وغير يوحنا في العالمين عن مثلها، خصوصاً الآيات من جوامع الكلم التي يعرف فيها بنفسه.

٢ ـ الأسلوب الإنشائي

ظواهر الأسلوب الإنشائي عند يوحنا عديدة.

الظاهرة الأولى بساطة التعبير مع سموّ التفكير. فهو مستغرق في تفكيره حتـى لا ينتبـه إلى تعبيره. وهكذا وجد بعض العلماء أنه يأتي أثناء العرض بملاحظات كانت أولـى فـي مطلـع القصة أو الخطبة (١ : ٢٨ و٤٤؛ ٤ : ٨؛ ٦ : ١٧ و٥٩؛ ١١ : ٥ و١٧؛ ١٨ : ١٢؛ ١٩ : ١٤ و٢٣ و٢٦؛ ٢١ : ٨)؛ حتى يبدو أحياناً كأنه يعارض نفسه، فيما هو يحدّد فكره (٣ : ٢٢ مع ٤ : ٢؛ ٧ : ٨ ـ ١٠؛ ٨ : ١٥ ـ ١٢ : ٣٧ مع ١٢ : ٤٢ ـ ١٤ : ١٦ مع ١٦ : ٢٦ ـ ١٥ : ١٥ مع ١٦ : ١٢ ـ ١٥ : ١٥ مع ١٥ : ٢٠).

ظاهرة ثانية، إن إنشـاء يوحنـا أقـرب إلـى الأسلوب السـامي الأرامـي منـه إلـى الأسـلوب الآري اليوناني. فتأتي جمله متعاقبة جنباً إلى جنب، لا محمولة بعضها على بعض. وهو يعطـف الجُمَل بحرف العطف « الواو »

ممّا قد لا يروق لأذن يونانية. وقد يأتي هذا العطف بافتتاح الجملة بآخر كلمة من الجملة السابقة؛ لكنه أسلوب بياني معروف، كما في فاتحته.

ظاهرة ثالثة : إنه يهوى الخطاب المباشر على غير عادة الآريين واليونانيين الذين يفضلون الخطاب بلغة الغائب، ولغة المجهول. وهذا دليل آخر على صحة الكاتب وأنه سامي أرامي مثل يوحنا الرسول. فقد لا نجد فيه خطاباً مباشراً بلغة الغائب إلاّ في آية (٤ : ٥١).

ظاهرة رابعة : إنه يحافظ على أسلوب **السجع العبراني الأرامي** في الجملة أكثر منه في الرويّ؛ فنرى فيه أنواع التسجيع في مصراعي الجملة الثلاثة : المترادف حيث يكرر العجز ما في الصدر للتقرير؛ والمتقابل حيث يأتي العجز عكس الصدر؛ والجامع الذي يجمع الصدر والعجز معاً. نرى مثال ذلك كله في الفاتحة، وفي (٣ : ١١ و١٨ و٢٠ ـ ٢١ و٣١ ـ ٣٢) مثلاً. وهذا الأسلوب دليل لا يقبل الشك على أن الكاتب باليونانية ليس يونانيّاً بل إسرائيليّاً مثل يوحنا.

ظاهرة خامسة : إن أسلوبه الإنشائي **أقرب إلى النظم** منه إلى النثر المرسل. وقد حاول بعضهم أن يرتب الإنجيل كله رباعيات، بحسب التعبير الآري، أو « ثنائيات » بحسب التعبير والترتيب العربيّين. فتأتي فاتحته مثلاً نشيداً أكثر مما هي نثراً. وهذا النظم يرفع الإنشاء إلى مرتبة الاعجاز، مع ما فيه من بساطة التعبير، وسموّ التفكير.

٣ ـ الأسلوب التأليفي

إن الإنجيل بحسب يوحنا مؤلف **تأليفاً محكماً**. يبدأ بفاتحة معجزة تُعجز كل فاتحة، وهي نشيد للكلمة المتجسد، يحتوي على أغراض الكتاب وأهدافه كلها. ويقسم الإنجيل كما رأينا وسنرى في تخطيطه إلى ثلاثة كتب مع فاتحة وخاتمة لكل كتاب، وتبويب محكم لكل فصل، وعنوان لكل جزء في تصدير يجعل الجزء وحدة فنية في وحدة أكبر حتى الوحدة الشاملة. وهذا التقسيم إلى كتب وفصول وأجزاء يُظهر ميزة التأليف فيه جملةً.

وتظهر ميزة التأليف فيه تفصيلاً من **تطوّر السيرة** في صراع وملحمة

يتعقّدان حتى النهاية المحتومة، الاستشهاد، فالقيامة المفاجئة التي تقلب الموازين.

١ ـ ففي رسالة أولى في أورشليم واليهودية (١ : ١٩ ـ ٤ : ٤٢) نرى تأسيس الدعوة وأنصارها؛ ونرى بدء الخطر يشمل بتوقيف المعمدان، فيتحول إلى الجليل. ٢ ـ ومن رسالة يسوع (٤ : ٤٣ ـ ٧ : ٩) في الجليل ينقل لنا بدأها في نشوة الحماس الجليلي وخاتمتها في ارتداد الشعب الجليلي عن مواطنهم ومعلمهم، يتخلّل تلك الرسالة رحلة إلى أورشليم في « عيد لليهود » يُظهر سبب المعارضة البعيد الذي يعمل على فشل يسوع. ٣ ـ وفي رسالة يسوع الثانية في اليهودية (٧ : ١٠ ـ ١١ : ٥٦) ينقل لنا مطلعها في أحداث عيد الخيام الذي ينتهي بمؤامرة لقتل يسوع، وعقدتها في تصاريح يسوع عن إلهيته في عيد التجديد التي تنتهي بمؤامرة أخرى؛ وختامها في قيامة لعازر التي بعدها يقرر اليهود نهائياً قتل يسوع. ٤ ـ وفي الأسبوع الأخير من سيرة المسيح (١٢ ـ ١٧) ينقل لنا بداية النهاية في مأدبة بيت عنيا ودخول يسوع إلى أورشليم دخول الفاتحين، ثم في ختام الأسبوع العشاء الوداعي مع الرسل صحابته وما سلمهم فيه من أسرار. ٥ ـ قصة القصص في استشهاد المسيح (١٨ ـ ١٩). ٦ ـ الخاتمة المجيدة في القيامة (٢٠ ـ ٢١).

وتظهر ميزة التأليف أيضاً في **دمج ثلاثة درامات في ملحمة واحدة :** صراع المسيح واليهود، وصراع المسيح وإبليس من خلف الستار، وصراع النور والظلمة أو الإيمان والكفر الذي يخيم فوق الأحداث؛ والثلاثة تؤلف ملحمة تعقدها المعجزات وتبينها خطب المسيح.

وتظهر ميزة التأليف في **التخطيط المرسوم :** يسوع المسيح هو الكلمة المتجسد، النور والحياة للعالمين (الفاتحة) الذي برسالته، ثم بفدائه، جعلهم مثله أبناء الله ينعمون بالنور والحياة. فهو يرينا نور المسيح يشعّ رويداً رويداً حتى الإعلان : « أنا نور العالم » ، وبينه بمعجزة شفاء الأكمه. وبتداخل رائع من الفنون يرينا أيضاً في يسوع الحياة التي تنتشر على الأرض حتى تتجلّى في قيامة لعازر. ويرينا أخيراً في يسوع الفادي والراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف، فيخلصها من الظلمة إلى النور، ومن

الموت إلى الحياة في استشهاده وقيامته. في أثناء ذلك نرى في خطين صاعدين متعارضين نمو الإيمان في الرسل والتلاميذ، وتطور الكفر عند اليهود حتى الحكم على يسوع بالإعدام. وفي قيامة المسيح يشع المسيح النور والحياة إلى الأبد.

وتظهر أخيراً ميزة التأليف المحكم في **تواتر المعجزات والخطابات**. فالمعجزة هي الحادثة الآية التي تظهر المسيح وتستثير اليهود؛ فيأتي الخطاب بياناً لها وتبياناً لأبعادها. وكل معجزة مع الخطاب الذي يبيّنها يزيدان في الكشف عن سر المسيح وسر دعوته، حتى ينتزع يوحنا الإيمان من سامعي إنجيله.

بتلك الميزات في التأليف يظهر إعجاز الإنجيل بحسب يوحنا في **الافتنان**.

٤ ـ الأسلوب البياني

الظاهرة الكبرى فيه أنه **وحدة فنية كاملة**، من **وحدات فنية مستقلة** مترابطة. فالإنجيل كتاب من ثلاثة كتب : كتاب الآيات (١ : ١٩ ـ ١٢)، وكتاب الأسرار (١٣ ـ ١٧)، وكتاب الاستشهاد والقيامة (١٨ ـ ٢١). وفي الكتاب الواحد تقوم **الوحدة الفنية الشاملة** على **العدد المقدس : سبعة**. ففي الكتاب الأول مثلاً تتكون الوحدة الفنية الشاملة من سبع معجزات مع سبع خطب. وكل معجزة برهان للخطاب، وكل خطاب بيان للمعجزة. يقول يسوع مثلاً « أنا نور العالم » ثم يبين ذلك بخطاب ويبرهن عليه بمعجزة.

وتقوم الوحدة الفنية في الأجزاء على **التصدير**، أي اختتام المقطع من خطاب أو حديث أو حادثة، بكلمة وردت في المطلع (١ : ١ و١٨؛ ١ : ١٩ و٣٤؛ ٥ : ١٩ و٣٠؛ ٥ : ٣١ و٣٧؛ ٥ : ٣٩ و٤٧؛ ٦ : ٢٧ و٥٨؛ ٧ : ١٦ و٢٩؛ ٧ : ٣١ و٤٤؛ ٨ : ١٢ و٢٠؛ ٨ : ٣٣ و٥٨ الخ).

وتقوم الوحدة الفنية في الأقسام على **التبويب**، وفي الأجزاء على **العنوان**. فهو يمهّد للفصل بعنوان عام يجعله وحدة فنية كبرى مستقلة؛ ويمهّد للأجزاء في الفصل بعنوان خاص في مطلع الجزء فيأتي المقطع وحدة فنية صغرى مستقلة تنتظم في العقد. خذ مثلاً الفصل الخامس : شفاء المقعد عند بركة الغنم في أورشليم في « **عيد لليهود** » . فهو قسمان : أولاً الحادث

(٥ : ١ - ١٨) ثم الخطاب البياني في وحدة السلطان بين الله الآب والابن يسوع (٥ : ١٩ - ٤٧). في رواية الحادث يذكر في المطلع مناسبته (٥ : ١ - ٤) ويفصّل الحادث في ثلاثة مقاطع : الحادث نفسه (٥ : ٥ - ٩) ثم استفظاع اليهود للعمل في يوم السبت، فلم ينظروا إلى المعجزة إلاّ من زاويتها الشرعية (٥ : ٩ - ١٤) ثم اصطدام المسيح بالعقلية اليهودية (٥ : ١٥ - ١٨). في القسم الثاني يعطي خطاب يسوع البياني في ثلاثة خطب أو أحاديث يميّزها بفنّ التصدير (٥ : ١٥ و٣١؛ ٥ : ٣١ و٣٧؛ ٥ : ٣٩ و٤٧) : عمل يسوع من عمل الله الذي أرسله (٥ : ١٩ - ٣٠)؛ الآب يشهد بهذه المعجزة للابن أنه أرسله (٥ : ٣١ - ٣٧)؛ الكتاب يشهد ليسوع أنه هو النبي المسيح الموعود (٥ : ٣٩ - ٤٧).

الظاهرة الثانية في **طريقة البيان في خطبه وقصصه.** ففي خطبه لا يجري البيان والتبيين على طريقة اليونان من مقدّمات واستنتاجات وقياسات وبراهين؛ على طريقة الصوفي السامي الذي يقلّب الفكرة على جهاتها كلها، ويردّدها مضيفاً إليها نواحي جديدة، فيأتي بيانها مثل موجات البحر تتراكم وتتفاعل لتصل إلى غايتها. وفي قصصه تفصيل لا تعرفه المؤتلفة؛ فهو يكتفي ببعض الأحداث التي يرى فيها آيات ويسرد القصة حتى تستوفي نواحي الآية في الحادثة. فيوحنا مثل مرقس يعجّ بالواقع الملموس، لكن شتان ما بين الأبعاد؛ في مرقس **قصص شعبي** ينبض بالحياة والواقعية، وفي يوحنا **قصص بياني** ينبض بالحياة والواقعية، لكنه حافل بدلائل التبيين، فالحداثة آية من آيات « الابن » .

الظاهرة الثالثة : **صفة الرمزية في بيانه.** فالأشياء والأحداث والأشخاص تأخذ في بيانه أبعاداً رمزية تزيد التبيين فيه بياناً. فرؤية أكمه، أعمى منذ مولده، لا تدل على قصاص من الله، بل على غاية عنده تعالى ستجليها المعجزة. مريم أخت لعازر تطيّب جسم يسوع في عشاء عائلي، والعمل في أبعاده تطييب جسد الرب للدفن! في عيد المظال يضيئون الهيكل بالأنوار الكثيرة، فهي مناسبة ليعلن يسوع أنه هو نور العالم، لا هيكلهم. في العيد نفسه يحملون الماء من عين سلوان لحاجات العيد في الهيكل! فهذه المياه رمز للمياه التي ستجري من المؤمن بالمسيح وترويه. يسوع يُسلم

للصلب ويموت على الصليب ساعة ذبح الحمل الفصحي، فيسوع هو الحمل الإلهي الذبيح للفصح الجديد الذي ينشِئُه باستشهاده. فبيان يوحنا يستغرق في الرمزية التي تزيد في أبعاد بيانه.

الظاهرة الرابعة : **صفة الدراما والقصص الملحمي** في بيانه. فالإنجيل بحسب يوحنا يأخذ في رواية السيرة شكل دراما في صراع مزدوج : في الواجهة صراع تاريخي بين المسيح وزعماء اليهود يتطور من تحدٍّ إلى تحدٍّ عند يسوع، ومن مؤامرة إلى مؤامرة عند « اليهود » : « فقال قيافا : إن مصلحتكم تقضي أن يموت واحد عن الأمة، ولا تهلك الأمة كلها » (١١ : ٥٠)، حتى الاستشهاد فينتصر الخصم، وحتى القيامة فيكون النصر الأخير للشهيد. وفي الخلف صراع خارق للطبيعة بين المسيح وإبليس على سلطان العالم، فيصرّح يسوع قبل استشهاده : « الآن دينونة هذا العالم! الآن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً! وأنا متى رُفعت جذبت إليّ الجميع » (١٢ : ٣١)، فينتصر إبليس بواسطة أعوانه في قتل المسيح؛ ويغلب المسيح في النهاية بقيامته المجيدة. وفي تلك الدراما صراع ثالث رمزي بين النور والظلمة، فما شعّ نور المسيح حتى تكاثفت حوله الظلمات فكادت تقضي عليه، لولا نور القيامة الذي بدّد الظلمات. وفي تلك الدراما ذات الصراع الثلاثي تأتي المعجزات مثل قصص الملحمة تزيد الصراع وتعقده، فيما هي تفصّل بطولات « فتى يهوذا » ومخلص البشرية في شتى أنواعها التي ترمز إليها المعجزات.

الظاهرة الخامسة : **صفة الجلال والقدسية** في البيان والتبيين، التي يتجلّى من خلالها جلال المسيح الذي ينطق بالسماويات (٣ : ١٢) ويؤسس عباد الله بالروح والحق (٤ : ٢٣)، ويعمل ما يعمل الله (٥ : ١٩)، الذي وحده قد رأى الآب (٦ : ٤٦)، الذي هو نور العالم (٨ : ١٢) الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف (١٠ : ١١) الذي هو والآب واحد (١٠ : ٣٠)؛ لذلك فهو القيامة والحياة (١١ : ٢٥) والصراط والحقيقة والحياة (١٤ : ٦). وهذا الجلال في سلطان إلهي يجعل السيد المسيح يسيطر سيطرة إلهية على الكون والبشرية : بإشارة يحوّل الماء إلى خمر! بكلمة يشفي المريض من بعيد! وبكلمة يقيم المقعد المزمن! وبكلمة يكثر خمس خبزات فيشبع

منها خمسة آلاف! يسير على الماء! ويتفل على عيني الأعمى فيبصر! وينادي لعازر الميت فيلبي النداء ويقوم من الموت.

إنه بيان قدْسي يملأ النفس خشية ومهابة، ويضفي عليها من جلاله وقدسيته. فهو بيان أقرب إلى السماء منه إلى الأرض.

وبامتزاج الأساليب القصصي والخطابي والجدلي والتعليمي فيه يبلغ ذروة **الاقتدار الفني** في البيان.

٥ ـ الأسلوب القصصي

في الأناجيل المؤتلفة المليئة بالقصص الموجز المعجز، ليست القصة مقصودة لذاتها مثل القصص في الإنجيل بحسب يوحنا. لقد انتقى من سيرة المسيح ما قلّ ودلّ من المعجزات، لكنه يسردها ويفصّلها بفن قصصي رائع، تجعل كل معجزة وحدة فنية كاملة معجزة.

يبدأ بمناسبة الحادثة، ويروي الحدث المعجز بكلمات خالدات، ثم يفصّل ردود الفعل في صاحب المعجزة، وأصداء المعجزة في الشعب، حتى تصل إلى المسؤولين فتأخذ شكل الصراع. وفي ثنايا الحديث **لمحات أو لمسات أو إشارات تضفي على القصة روعة فنية**. يسوع يقف على باب قبر لعازر، فيما الشعب يزحمه وينتظر ما لا يُنتظر : « فلما رآها تبكي، واليهود الذين جاؤوا معها يبكون، ارتعش في روحه واضطرب. ثم قال : أين وضعتموه ؟ فقالوا له : يا سيد هلمّ وانظر! فبكى يسوع! » (١١ : ٣٣ ـ ٣٥). بعد خطاب يسوع في جامع كفرناحوم في « الخبز الحي النازل من السماء » ارتد الشعب عنه، وارتدّ بعض التلاميذ، فنظر يسوع بلوعة إلى رسله وقال : « وأنتم أيضاً أفلا تريدون أن تذهبوا ؟! » حينئذٍ يكشف يسوع تلميحاً عن الخائن الذي بدأ يتآمر عليه مع المتآمرين؛ فيقول يوحنا : « كان يتكلّم عن يهوذا بن سمعان الاسخريوطي، أحد الاثني عشر الذي كان مزمعاً أن يسلّمه » (٦ : ٧١). وفي العشاء السرّي بطرد يسوع بتورية الخائن فيخرج « وكان ليل! » (١٣ : ٣٠)، ليل في الطبيعة، بل ليل في نفس الخائن!

وإلى جانب الإشارات التي تُظهر كوامن النفوس، ملاحظات تنقل

ردود الفعل في المشاهدين، وعبارات عابرة من حوارهم، تجعل القصة **تنبض بالحياة.**

ويوحنا يتقن أكثر من سائر كتبة الوحي الإنجيلي **فنّ التهكم** مثل قول يسوع لنيقوديم : « أنت معلم إسرائيل ولا تعرف هذا » (٣ : ١٠)؛ وقول الأعمى المبصر للمحققين معه: « أوَتريدون أنتم أيضاً أن تصيروا له تلاميذ! » (٩ : ٢٧).

وقد رأينا أن صفة الرمزية تزيد في روعة القصة بياناً وتبييناً، فتجعل الأحداث آيات من آيات المسيح.

ففي الإنجيل بحسب يوحنا **فن قصصي** قائم بذاته يتحدّى الفن ببساطته الفنية.

٦ - الأسلوب الخطابي

ظاهرة كبرى في الإنجيل بحسب يوحنا، كما في متى، ورود خطب فيه قائمة بنفسها. وميزة يوحنا فيها، على متى، **دخول الحوار على الخطاب**؛ وقد يكون ذلك من الواقع التاريخي، وقد يكون أسلوباً بيانيّاً لتطوير الخطاب، وملئِه بالحيوية. وأحياناً يأتي الخطاب كله حواراً كما جرى مع نيقوديم ومع السامرية؛ وأحياناً يأتي الحوار بعد الخطاب.

ظاهرة ثانية أن الخطاب فيه يأتي على الأسلوب السامي، لا على الأسلوب اليوناني : في الأسلوب اليوناني يتطور الفكر في التعبير عنه بدون ما إعادة له؛ وفي الأسلوب العبري والعربي هناك فنٌّ يقال له « **الاقتدار** » ، أي إبراز المعنى الواحد في عدة صور. ويوحنا يتناول الفكرة ثم يردّدها وهو يقلّبها على جوانبها حتى تستوفي أغراضها. فالخطاب عنده كموج البحر يتراكم موجه فوق موجه حتى ينتهي عند حده؛ ويأتي الحوار في الخطاب كالحواجز التي تعترض الموج، فيستعلي عليها ويتجاوزها هدّاراً أو منسجماً. هم يرون في هذا الأسلوب عيباً شرقيّاً، ونحن نرى فيه فنّاً من فنون البيان والبديع؛ ولله في خلقه وفي أذواقهم شؤون.

والظاهرة الثالثة أن **كلّ خطاب يعالج موضوعاً قائماً بنفسه**، ومجموعها

يكوّن الكشف عن سر المسيح وسر الله، وسر الحياة والنور في الله والمسيح. فحديثه مع نيقوديم في الحياة الجديدة المسيحية، القائمة على ولادة جديدة « بالماء والروح » . وحديثه مع السامرية أن هذه الحياة المسيحية هي العبادة الجديدة « بالروح والحق » المفتوحة لجميع الناس. وخطابه بعد شفاء مخلع في أورشليم أن سلطان يسوع في ذلك من سلطان الله الآب. وخطابه في « الخبز الحي النازل من السماء » أن هذا الخبز الحي هو الذي يُولد الحياة الجديدة وينميها. فمن يقبل ذلك يسلك في النور، لأن المسيح هو « نور العالم » كما في خطابه في عيد الخيام؛ وهو النور لأنه ابن الله. لذلك فهو الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف لتنال الحياة، كما في خطابه بعد العيد. وفي عيد التجديد يعطي التفسير الأخير للنظام الجديد : إنه هو والآب واحد، لذلك فهو « القيامة والحياة » . ويختم : « فما دام النور معكم فآمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور » (١٢ : ٣٦). وفعل الخطاب في سر المسيح وسر الله وسر الحياة الجديدة في الله والمسيح : « مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥).

وهكذا الأمر أيضاً في كتاب الأسرار (١٣ - ١٧).

والظاهرة الرابعة أن يوحنا **يظهر بتعليقاته** التي يوحيها إليه روح الله **أبعاد خطاب** يسوع. فيكشف معنى كلام يسوع لنيقوديم (٣ : ١٦ - ٢١) ومعنى كلام المعمدان لتلاميذه في تفوّق يسوع عليه (٣ : ٣١ - ٣٦) ومعنى كفر اليهود بالمسيح (١٢ : ٣٧ - ٤٣) ومعنى رسالة المسيح كلها أنه مَظهرٌ على الأرض : « مَن رآني فقد رأى الآب » (١٢ : ٤٤ - ٥٠).

والظاهرة الخامسة **الكشف عن معاني كلام المسيح التي لم تُفهم في حينها**، بتفسيرات عابرة (٢ : ٢١ - ٢٢؛ ٧ : ٣٩؛ ١١ : ٥١ - ٥٢؛ ١٦ : ١٦؛ ربما أيضاً ١٤ : ٢٥ - ٢٦؛ ١٦ : ١٢ - ١٥).

وكلام المسيح في الكشف عن سر الله، يكشفه عن سر ذاته، وأنه النور والحياة، والقيامة والحياة، والصراط والحقيقة والحياة، هو أسمى ما سمعته الأرض من وحي وتنزيل، يبلى الجديدان ولا تبلى جدّتُها؛ وينهل منها العالمون ولا يرتوون، بل يظلون يتأملون.

٧ - الأسلوب الجدلي

إن الإنجيل بحسب يوحنا **تعليم في حوار**، على طريقة أكبر مفكري البشرية مثل أفلاطون؛ وفي هذا الحوار **جَدَل مع اليهود** الذين كانوا الخصم الأول لدعوة المسيح ثم لدعوة الرسل؛ لذلك أسماء الأحزاب اليهودية التي عرفناها في المؤتلفة تتوارى في هذه الكنية البليغة « اليهود » التي تأخذ معناها كله في تاريخ المسيح، وفي تاريخ تدوين الإنجيل.

جدلية الإنجيل مع اليهود تقوم على **الكشف بالأعمال والأقوال، أولاً تلميحاً ثم تصريحاً**، أن يسوع هو المسيح الموعود، وأن المسيح المشهود هو أكثر من ذلك : إنه ابن الله.

أظهر ذلك لسلطانه الإلهي في المعجزات التي يجريها بقدرته الذاتية؛ وكان يسمّي الله « أبي » بنوع خاص، « فازداد اليهود لذلك طلباً لقتله، ليس فقط لأنه كان ينقض السبت، بل أيضاً لأنه كان يدعو الله أباه، مساوياً نفسه بالله » (٥ : ١٨). ثم يؤيد تلك المساواة بالتصريح أن عمله المعجز من عمل الله، وسلطانه من سلطان الله (٥ : ١٩ - ٣٠). وبعد الإعلان يأتي الاستشهاد : أعماله الإلهية شهادة من الآب لابنه (٥ : ٣١ - ٣٨)؛ ثم الاستشهاد بالكتاب : إنه هو « النبي مثل موسى » الموعود (٥ : ٣٩ - ٤٧). فليس معجزة موسى، المنّ النازل من السماء، بأعظم من « الخبز الحي النازل من السماء » في شخصه (ف ٦). فهو أعظم من موسى، وأعظم من إبراهيم نفسه، لأن إبراهيم كان يؤمن به وينتظره، « وقبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (٨ : ٥٨). ثم يصرّح لهم بأن مصدره إلهي (٨ : ٢١ - ٣٠) فهو مثل الله « نور العالم » . وفي ختام الشوط، في عيد التجديد « تحلّق اليهود حوله وقالوا له : حتى مَ تريب أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح فقلْه لنا جهراً! - أجابهم يسوع : لقد قلته لكم، ولا تصدقون! والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي ... أنا والآب واحد » (١٠ : ٢٢ - ٣٠). وتأتي معجزة إحياء لعازر خاتمة الأقوال المعجزة « أنا القيامة والحياة » (١١ : ٢٥) والأعمال المعجزة. فجدلية يسوع تقوم على الإعلان عن ذاته، والاستشهاد بأعماله، والاستشهاد بالكتاب.

ظاهرة ثانية في جدلية المسيح مع اليهود : **الإغراق في التصريح والتحدّي.** المثل الرائع في ذلك خطاب يسوع في جامع كفرناحوم، في « الخبز الحي النازل من السماء » : تذمّر لهذا الإعلان (٦ : ٤١)، فتحداهم بإعلان أبلغ : « ليس أن أحداً رأى الآب (من الأنبياء) إلاّ الذي هو من الآب، فهذا هو الذي قد رأى الآب! الحق الحق أقول لكم : إن مَن يؤمن له الحياة الأبدية » (٦ : ٤٧). ثم يفسر معنى « الخبز الحي » : « إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد! والخبز الذي سأُعطيه أنا هو جسدي، لأجل حياة العالم » (٦ : ٥١). فآمن بعضهم وكفر بعضهم، وأخذوا يتساءلون: « كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله ؟! » (٦ : ٥٢). وبتصاريح أربعة متتالية يفسر بعضها بعضاً ويزيد بعضها على بعض يبلغ التحدي مداه، فيرتدّون عنه، ويتبعهم « كثيرون من تلاميذه » (٦ : ٦٦).

وقد أوجز في الفاتحة المسيحية من الموسوية : « إن الشريعة نزلت بموسى! وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧).

وجدلية الإنجيل بحسب يوحنا مع البدع الوثنية والكتابية التي تتحدى المسيحية، تقوم على الردّ عليها بطريقة التورية، على هامش الجدل الأكبر مع اليهود.

يردّ على الغنوص الوثنية وعلى الكلام اليهودي في الفيلونية باستخدام أسمى تعبير عندهم يمكن أن يفسّر سر المسيح « كلمة الله » ، ومنذ الفاتحة يعلن أن كلمة الله هو يسوع المسيح. فهو كلمة الله من حيث هو « في الله، وكان الكلمة الله؛ فهو منذ البدء في الله » (١ : ١ - ٢)؛ بذلك يتميّز من « كلمة الله » عند اليونان، حيث الكلمة مخلوق بطريق الصدور. وهو كلمة الله الذي « به كُوّن كل شيء، وبدونه لم يكوّن شيء مما كُوّن » (١ : ٣)؛ بذلك يتميّز عن كلمة الله بحسب الفيلونية، فليس هو واسطة الخلق بل فاعل الخلق.

ويردّ على المعمدانية المندائية التي تطعّمت بالغنوص بأن يوحنا ليس « **مندا** » أي نور الله، بل يسوع المسيح هو « النور الذي يضيء في

الظلمة » ؛ فيوحنا « لم يكن هو النور، بل جاء ليشهد للنور! أما النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان » ، فهو يسوع المسيح (١ : ٦ - ٩).

ويردّ على النصرانية الأبيونية التي مع كيرنثس تجعل المسيح بشراً فقط، أن يسوع المسيح هو ابن الله. ويظهر من خاتمة الإنجيل الأولى أن الإنجيل كان بالدرجة الأولى ردّاً عليها : « وإنما دُوّنت هذه، لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله » ! ويضيف إلى الأميين من مسيحيين ووثنيين : « ولكي تكون لكم، إذا آمنتم الحياة باسمه » (٢٠ : ٣١).

فيسوع « المسيح، ابن الله » هو تعلمي الإنجيل، والحوار الأزلي الذي بعثه الإنجيل في البشرية، والردّ على جميع البدع من وثنية وكتابية.

٨ - الأسلوب الرمزي

قلنا إن الرمزية هي ميزة من ميزات الإنجيل بحسب يوحنا. ونقول إن الرمزية هي أسلوب مضطرد فيه.

هذا الأسلوب ينبع من عقيدة الكاتب أن المسيح مَظْهر الله على الأرض. فيسوع يقولها لليهود : « مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٢٥)؛ ويقولها لرسله وصحابته، لمّا سأله أحدهم : « يا رب أرنا الآب وحسبنا! قال له يسوع : « أنا معكم كل هذا الزمان ولا تعرفني! يا فيلبس، مَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٨). فيسوع هو ذاته الرمز الأكبر لله تعالى : « إن الله لم يره أحد قط، إلاّ الإله، الابن الوحيد، الذي في حضن الآب! وهو الذي أظهره » (١ : ١٨).

والرمزية تظهر في تخطيط الإنجيل كله. فهو يختار من سيرة المسيح سبع معجزات، أي ما قلّ ودلّ، لأنها بسبب قدسية العدد « سبعة » تدل أوفى دليل على سر المسيح، وسر رسالته ودعوته.

والنظرة الرمزية تظهر من تعبيره وتفكيره. إن سفر التكوين، كما رأينا، يبدأ : « في البدء خلق الله السماوات والأرض » ؛ والإنجيل في تجديد الخلق يبدأ : « في البدء كان الكلمة » . وكما كان روح الله يرفّ على الخلق وهو سديم ليخلق فيه النور والحياة؛ كذلك « كلمة الله » « فيه الحياة،

والحياة نور العالمين » (١ : ٤). وما الإنجيل كله إلاّ إظهار يسوع « كلمة الله » ، نور وحياة للبشرية، ومن ورائها للكون كله. وفي بدء تجديد الخلق بالمسيح، يعدّ مبادئ التجديد عداً، في **سبعة أيام**، حتى تحويل الماء إلى خمر في قانا الجليل (١ : ١٩ و٢٩ و٣٥ و٤٣؛ ٢ : ١). وتحويل الماء إلى خمر رمز إلى تحويل العهد القديم إلى الجديد، وإلى تجديد الخلق القديم. وكما تمّ الخلق الأول في ستة أيام، وفي اليوم السابع استراح الرب من عمله، فسبت فيه إلى الأبد، كذلك يتم الخلق الجديد بالمسيح في سبعة فصول، محورها المعجزات السبع.

لذلك فالإنجيل لا يرى في معجزات يسوع « **قوات** » أي عمل قدرة إلهية، كما في المؤتلفة؛ بل « **آيات** » ترمز من ظاهرها الحسي المعجز. فكل معجزة « آية » أي رمز يكشف عنه الخطاب المبين الذي يستند إلى المعجزة. فالمسيح أبرأ الأكمه، الأعمى منذ مولده، لأنه « نور العالم » ؛ المسيح أقام لعازر من الموت وأحياه لأنه هو « القيامة والحياة » ؛ المسيح يغسل أرجل تلاميذه لكي يفهموا أن النقاوة شرط للشركة في القربان، الذي هو رمز حي للمسيح نفسه. ويهوذا يخرج ليخون معلمه، « وكان ليل » ، ليل في الطبيعة، وليل في نفس الخائن. ويسوع الصليب يجعل أُمّه أُمّاً « للتلميذ الذي كان يسوع يحبه » لأنه رمز لكل التلاميذ المحبوبين.

فالأشياء والأحداث والأشخاص تصير عند يوحنا **رموزاً للحقائق** الكبرى : فيسوع، كلمة الله المتأنس هو رمز حي لله تعالى؛ والقربان رمز حي إلى المسيح؛ وتحويل الماء إلى خمر رمز إلى تحويل نظام الدين وتجديد الخلق؛ وتكثير الخبزات رمز إلى توزيع الحياة بالقربان؛ وسير المسيح على الماء رمز إلى سيطرة المسيح على الكون؛ والماء والدم النابعان من قلب المسيح المطعون بحربة وهو على الصليب، رمز إلى العماد الذي به يستنير المؤمن بالمسيح، ورمز إلى القربان الذي يحييه بدم المسيح وجسده.

وتلك الرمزية ليست خيالاً من يوحنا، بل هي **تنبع من واقع الأمور**. لذلك ليس فيها شبهة على تاريخية السيرة في الإنجيل بحسب يوحنا كما سنرى.

٩ ـ الأسلوب الصوفي

الصوفية هي الاستغراق في الله، الوجود الواجب الوجود، الحي القيوم، الكمال والجمال؛ والاتحاد به تعالى حتى الوحدة الممكنة للمخلوق مع الخالق؛ والحياة منه وفيه وبه ومعه حتى « وحدة الوجود » في خالص التجريد والتنزيه. وقد اختصر بولس الرسول الصوفية المسيحية أنها « **الحياة في المسيح** » ، وبه في الله.

والإنجيل بحسب يوحنا يرينا أن المسيحية هي « **حياة الله فينا**، بالمسيح » : « في ذلك اليوم (يوم القيامة ولقاء المسيح) ستعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيّ وأنا فيكم » (١٤ : ٢٠).

حياة الله فينا بالمسيح هي **غاية تجسد كلمة الله ورسالة المسيح :** « وأنا، إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). والمسيح ذاته هو قوام هذه الحياة الإلهية في البشرية : « أنا الخبز الحي النازل من السماء : إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد! مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة! مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه! كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب : فمَن يأكلني يحيا هو أيضاً بي » (٦ : ٥١ ـ ٥٧).

والصوفية المسيحية غايتها خلق الإنسان خلقاً جديداً **بتكوينه ابناً لله** على مثال المسيح، وبالمسيح : « والذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله » ، لا بولادة من مخلوق، بل بولادة من الله (١ : ١١) تتم بولادة جديدة « بالماء والروح » (٣ : ٥) وتنمو « بالخبز الحي النازل من السماء » (٦ كله).

فليست الصوفية المسيحية اجتهاداً من العبد، بل عطية من الله : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان : من يثبت فيّ وأنا فيه، فهو الذي يأتي بثمر كثير! فإنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً » (١٥ : ٥). ولكن هذه العطية تقتضي أولاً حفظ وصايا الله التي تهيئ النفس للحياة والاتحاد : « مَن كانت عنده وصاياي وحفظها، فهو الذي يحبني؛ والذي يحبني يحبه أبي،

وأنا أُحبه وأظهر له ذاتي ... مَن أحبني حفظ كلمتي، وأبي يحبه وإليه نأتي وفيه نجعل مقامنـا » (١٤ : ٢١ و٢٣).

ففـي المسـيحية تـتم أسـمى صـوفية فـي « وحـدة الوجـود » الحقـة : المسـيح، كلمـة الله المتأنس، هو صلة الوصل الكيانية والوجودية والحياتية بين الخالق والمخلوق : « كما أنك، أيها الآب، أنت فيّ، وأنا فيك، فليكونوا هم أيضاً فينا ... أنا فيهم، وأنت فيّ، لكـي يكونـوا فـي الوحدة الكاملة » (١٧ : ٢١ و٢٣).

هذا الأسلوب الصوفي في التفكير والتعبير هو الإنجيل بحسب يوحنا كله.

١٠ ـ الأسلوب التعليمي

لـيس الأسـلوب التعليمـي، فـي الإنجيـل بحسـب يوحنـا، علـى طريقـة الاسـتدلال بـالكون والإنسان على وجود الواحد الأحد، كما في الكتاب وغيره ـ فهذا مفروغ منه ومفروض ـ ولـيس على طريقة التعليم بسلطان وبالأمثال للإيمان بالله الآب والرب يسوع، وتطوير الوصـايا العشر من الظاهريـة إلـى الباطنيـة، ومـن السلبية إلـى الإيجابيـة، ومـن التعدد إلـى الوحدة فـي محبـة الله والقريب على مثال المسيح، كمـا فـي الأناجيل المؤتلفـة؛ بل إنمـا الأسـلوب التعليمـي عند يوحنـا بالكشف؛ والكشف أسمى أنواع الوحي والتنزيل.

فيسوع يكشف رويداً رويداً عن سره : « لم يصـعد أحد إلـى السماء، إلاّ الـذي نـزل مـن السماء، ابن البشر الكائن في السماء » (٣ : ١٢). فيسوع هو ابـن البشـر الـذي رآه دانيـال آتيـاً على سحاب السماء، فهو ينزل من السماء لا يولد فقط من الأرض كسائر البشر، لذلك فهو كائن في السماء، وعلى الأرض معاً. ويسمي الله أباه. « مساوياً نفسه بالله » (٥ : ١٨)؛ وسلطانه من سلطان الله، وعمله هو عمل الآب، في إحياء النفوس في اليوم الحاضر، واحياء الأجساد فـي اليوم الآخر (٥ : ١٩ ـ ٣٠)؛ فهو « الخبز الحي النازل من السماء لكي لا يموت كل من يأكل منه » (٥ : ٦٠)؛ وهو « نور العالم » (٨ : ١٢)، لكنه « ليس من هذا العالم، بل مـن فـوق » (٨ : ٢٣) : « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن! » (٨ :

٥٨). لا مجال بعد للشك : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)، « مَن رآني فقد رأى الآب الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥). لذلك فهو « القيامة والحياة » (١١ : ٤٥)، « الصراط والحقيقة والحياة » (١٤ : ٦).

وبالكشف عن سره يكشف عن سر الله : إن الله أب؛ أب خاص ليسوع الذي هو « الابن » على الإطلاق. بهذا التعبير « الآب والابن » يكشف يسوع سره وسر الله : « كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته ... لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب! فمَن لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله » (٥ : ١٩ - ٣٠). ويتم الكشف عن سر الله، بالكشف عن الروح القدس، الفارقليط، روح الحق، « الذي من الآب ينبثق » ، والذي يرسله الآب باسم يسوع للتلاميذ « لكي يكون معكم، ويكون فيكم » (١٤ : ١٦ - ١٧ و٢٦؛ ١٥ : ٢٦). فالله آب وكلمة وروح في كيان واحد.

وبالكشف عن سر الله، وسر المسيح، يكشف لنا عن سر الحياة الدينية الجديدة : إنها ولادة لله ، في المسيح، بالروح، وذلك « بالماء والروح » ، لعبادة الله الحقيقية « بالروح والحق » ؛ وذلك بحياة الله فينا، كما رأينا.

وبما أنّ هذا التعليم كشف بالتنزيل، لا سبيل فيه إلى الاستقراء أو الاستدلال أو الاستشهاد؛ السبيل الوحيد هو تزكية الله للشاهد الكاشف، بالمعجزات والآيات؛ وختمها بمعجزة المعجزات، الاستشهاد للشهادة، والقيامة لتصديق الشهادة : « وبعد ثمانية أيام كان التلاميذ أيضاً في البيت، وتوما معهم؛ فأتى يسوع، والأبواب موصدة، وقال : السلام عليكم! ثم قال لتوما : هاتِ إصبعك إلى ههنا وانظر يديّ! وهات يدك وضعها في جنبي! ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمناً! أجاب توما وقال له : ربي! وإلهي! » (٢٠ : ٢٦ - ٣٠).

وتأتي خاتمة الإنجيل في منطق البداهة والإيمان : « وصنع يسوع أمام التلاميذ آيات كثيرة، لم تدوّن في هذا الكتاب. وإنما دوّنت هذه لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله؛ ولكي تكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه » (٢٠ : ٣١ - ٣٢).

ذاك هو الأسلوب اللغوي والإنشائي والبياني والتأليفي والقصصي والخطابي والجدلي والرمزي والصوفي والتعليمي، في الإنجيل بحسب يوحنا. وهو بفن **ادماج** هذه الأغراض بعضاً ببعض، وبفن **الافتنان** بأساليبها المتعارضة، وبفن **الاقتدار** لإبراز المعنى الواحد في عدة صور وعدة أساليب، لعدة أغراض، قد بلغ ذروة الإعجاز في الوحي والتنزيل.

* * *

بحث ثامن

تاريخية الإنجيل بحسب يوحنا

تلك الأساليب والميزات البيانية والرمزية والصوفية والتعليمية عدّها بعضهم شبهة على تاريخية الإنجيل بحسب يوحنا، وعلى صحته. سنرى صحته في بحث لاحق. نبحث الآن في تاريخيته.

أولاً : صلة يوحنا بالمؤتلفة

إن تاريخية الإنجيل بحسب يوحنا تقتضي التمهيد لها بمعرفة صلة الإنجيل بحسب يوحنا بالأناجيل المؤتلفة.

لقد اختلف العلماء فيها : فمن قائل **باستقلاله المطلق عنهم** ـ وهذا أيضاً شبهة عليه ـ ومن قائل **بانتمائه المطلق إليهم**، شهادة من قائله في صحة يوحنا. فقد أراد، على رأيهم، إمّا أن يكمّل المؤتلفة، وإمّا أن يستبدلها بإنجيله بين « الكاملين » والغنوصين.

والحقيقة القائمة هي بين القولين : إنه مستقل عن المؤتلفة لأنه بإنجيله الأورشليمي يكمل إنجيلهم الجليلي؛ ومع ذلك فهو ينتسب إليهم من طرف خفي، في هدفه التكميلي عينه. هذا يظهر من **إغفاله ما لا يمكن إغفاله :**

مثل عماد المسيح على يد المعمدان، ومثل رسم سرّ القربان، الذي أكمله بنقل خطاب يسوع في خبز الحياة (ف ٦).

وإشارات يوحنا لا تفهم أحياناً إلاّ باطلاعه على المؤتلفة وتكميلها : مثل وطن يسوع، ناصرة الجليل (١ : ٤٥؛ ٦ : ٤٢؛ ٧ : ٤١ و٥٢؛ ١٩ : ١٩)؛ ومثل توقيف المعمدان (٣ : ٢٤)؛ ومثل كثرة معجزات يسوع (٢ : ٢٣؛ ٦ : ٢؛ ٧ : ٣؛ ١١ : ٤٧؛ ٢٠ : ٣٠) التي لا ينقل منها إلاّ قليلاً؛ ومثل اصطفاء الرسل الصحابة (٦ : ٧٠؛ ١٥ : ١٦؛ ٢٠ : ٢٤)؛ ومثل ظروف خيانة يهوذا (٦ : ٦٤؛ ١٢ : ٦؛ ١٣ : ٢ و٢٧)، وغير ذلك.

فتلك الإشارات وذلك الاغفال قد يُعرفان من الإنجيل الشفوي القائم على حياة الرسل حتى يوحنا. لكن قصد يوحنا بتكميل الأناجيل المؤتلفة؛ وأحياناً تخصيص عموميتها ظاهر فيه. فهو يعرف المؤتلفة ويكملها كشاهد العيان منذ الساعة الأولى حتى اللحظة الأخيرة، وهذه ميزته عليهم.

فهدفه التكميلي المستقل يفسّر قلّة صلاته البيانية بالمؤتلفة. يقتصر ذلك على بعض الحِكَم المشهورة عن السيد المسيح، مثل قوله: « لا كرامة لنبي في بلده » (٤ : ٤٤)؛ وقوله: « ليس العبد أعظم من معلمه » (١٣ : ١٦؛ ١٥ : ٢٠)؛ وقوله : « مَن يقبل الذي أُرسله يقبلني؛ ومَن يقبلني يقبل الذي أرسلني » (١٣ : ٢٠) ... وبعض الاستشهادات من الكتاب في الأحداث الكبيرة، مثل (أشعيا ٤٠ : ٣) في يوحنا المعمدان؛ ومثل (زكريا ٩ : ٩) في دخول يسوع إلى أورشليم في أحد الشعانين؛ ومثل (أشعيا ٦ : ٩) في سرّ تصلّب اليهود وكفرهم بدعوة يسوع.

وذلك **الهدف التكميلي المستقل عينه** يفسر انفراد يوحنا بصفة الأحداث المشتركة بينه وبين المؤتلفة: مثل طرد تجار الدين من الهيكل (٢ : ١٣ - ٢٢)؛ ومثل تكثير الخبز (٦ : ١ - ٢١)؛ ومثل وليمة بيت عنيا (١٢ : ١ - ٨)؛ ومثل الدخول الفاتح إلى أورشليم (١٢ : ١٢ - ١٩). إنه يقصها برواية الشاهد العيان المستقل.

والمؤتلفة الثلاثة يزكون الإنجيل بحسب يوحنا « **الأورشليمي** » بنقلهم كلمة يسوع: « يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة النبيين وراجمة المرسلين،

كم من مرة أردت أن أجمع بنيك فيك، فأبيتِ ... » دون ذكرٍ لدعوة يسوع في أورشليم، وتفصيلها.

وتظهر **الصلة الخاصة** بين الإنجيل بحسب يوحنا، والإنجيل بحسب لوقا. فلوقا أكمل سابقَيه، متى ومرقس، باستعارته الظاهرة من رواية يوحنا : مثل تكثير الخبز وشهادة بطرس بمسيحية يسوع (لوقا ٩ : ١٠ - ٢٠ = يوحنا ٦ : ١ - ٦٩)؛ ومثل صداقة يسوع لمرتا ومريم (لوقا ١٠ : ٣٨ - ٤٢ = يوحنا (١١ : ١؛ ١٢ : ١)؛ ومثل رفقة بطرس ويوحنا (لوقا ٨ : ٥١؛ ٩ : ٢٨؛ ٢٢ : ٨ = يوحنا ١٣ : ٢٣؛ ١٨ : ١٥؛ ٢٠ : ٣ - ٩؛ ٢١ : ٧ و٢٠؛ قابل أعمال الرسل ١ : ١٣؛ ٣ : ١ و١١؛ ٤ : ١٣ و١٩؛ ٨ : ١٤)؛ ومثل دور الشيطان في خيانة يهوذا (لوقا ٢٢ : ٣ = يوحنا ١٣ : ٢ و٢٧)؛ ومثل إشارات عديدة في قصة الاستشهاد والقيامة، وفي اعتبار الرفع إلى السماء كخاتمة لرسالة المسيح (لوقا ٩ : ٥١؛ ٢٤ : ٥٠ = يوحنا ٦ : ٦٢؛ ١٣ : ١؛ ٢٠ : ١٧)؛ ومثل نزول الروح القدس على التلاميذ بدعاء المسيح في مجده (لوقا ٢٤ : ٤٩ = يوحنا ١٤ : ١٦؛ ١٦ : ١٢؛ ٢٠ : ٢٢). فتلك البيانية والتاريخية والكلامية المشتركة بين لوقا ويوحنا تدل على أن مدرسة يوحنا كانت تدعو بإنجيله قبل تدوينه، وعنها أخذ لوقا. وهذه شهادة قيّمة على قِدَم دعوة الإنجيل بحسب يوحنا. ولم يقتصر التأثير من يوحنا على لوقا، بل كان أيضاً من الإنجيل بحسب لوقا على تدوين الإنجيل بحسب يوحنا الذي يظهر أنه استعار بعض تحقيقاته من الإنجيل بحسب لوقا الذي سبقه في التدوين : مثل اسم بلدة مرتا ومريم ولعازر (لوقا ١٠ : ٣٨ = يوحنا ١١ : ١؛ ١٢ : ١)؛ ومثل اسم خادم رئيس الأحبار (لوقا ٢٢ : ٥٠ = يوحنا ١٨ : ١٠)؛ ومثل اسم خادم رئيس الأحبار (لوقا ٢٢ : ٥٠ = يوحنا ١٨ : ١٠)؛ ومثل أثر المسامير في يدي يسوع ورجليه (لوقا ٢٤ : ٤٠ = يوحنا ٢٠ : ٢٠؛ و٢٥ و٢٧). لكن هذه الموافقات بين يوحنا ولوقا ليست اقتباساً، بل توافقاً في التحقيق.

فمجمل موقف الإنجيل بحسب يوحنا، من المؤتلفة، وعلى التخصيص من الإنجيل بحسب لوقا يدل على معرفة يوحنا بالأناجيل المؤتلفة - إذ كيف تُقرأ في كنائسه وهو لا يعرفها - كما تدل على استقلاله عنها، وعلى قصده

في تكميلها وتفسيرها تفسير الشاهد العيان، « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » حيث تظهر المحبة سبيل أسمى درجات المعرفة.

ثانياً : واقع اختلاف يوحنا عن المؤتلفة

لكن هل واقع اختلاف يوحنا عن المؤتلفة هو شبهة عليه ؟ هنا ندرس الواقع؛ وفي بحث لاحق نبحث قصة الشبهة.

فما بين يوحنا والمؤتلفة خلاف في الموضوع وفي الأسلوب.

فمن **حيث الأسلوب**، تختلف لغة يسوع عند يوحنا عنها عند المؤتلفة. هنا إنشاء يسوع شعبي، حي، ملآن بالتشابيه والاستعارات والأمثال؛ أما عند يوحنا فهو كلام علمي لاهوتي، قد لا تجد فيه مثلاً من حياة الشعب، سوى قصة المرأة الزانية في الجرم المشهود والتي هي أقرب إلى أسلوب لوقا منها إلى أسلوب يوحنا. لكن سنرى في غير موضع أن هذا الاختلاف في الأسلوب نابع من اختلاف البيئة : في المؤتلفة، بيئة شعبية جليلية؛ وعند يوحنا بيئة أورشليمية علمية.

ومن حيث الموضوع، فالخلاف ظاهر في **محور التعليم**. كان عند المؤتلفة، الدعوة إلى ملكوت الله. أمّا عند يوحنا فلا ذكر لملكوت السماوات بالحرف إلاّ مرة واحدة في حديث يسوع مع نيقوديم (٣ : ٣ و٥)؛ ويُستبدل الملكوت بتعابير الحياة والنور والحقيقة.

والخلاف ظاهر أيضاً في **جدل الإنجيل :** ففي المؤتلفة الخلاف على الشريعة وتطبيقها في الصيام وفي السبت وفي التطهير وفي الكمال بحسب الكتاب أو الإنجيل؛ لكن عند يوحنا يُقتصر الجدل على الإيمان بيسوع أو الكفر به؛ وينحصر « عمل الله » (٦ : ٢٩) في الإيمان بمسيحية يسوع وإلهيته.

والخلاف ظاهر أيضاً في **أخلاقية الإنجيل :** فيوحنا لا يذكر مثل المؤتلفة تعليم يسوع في الفقر وفي الزهد، وفي الاستسلام إلى عناية الآب السماوي، كما في الحذر في العالم، والسهر للسلوك بحسب إرادة الآب؛ شريعة واحدة

توجز تعليم المسيح، المحبة الأخوية « كما أحببتكم أنا » (٣ : ٣٤؛ ١٥ : ١٢).

والخلاف ظاهر كذلك في **صورة يسوع :** إنها تتنوّع عند المؤتلفة بحسب المشاهد والمواقف، من المعلّم إلى المشترع إلى ابن البشر إلى رب الطبيعة والإنسان؛ بينما تقتصر شخصية يسوع عند يوحنا على أنه ابن الله الآتي إلى العالم ليكشف « سرّ الله » .

حتى المعجزات، تختلف أهدافها عند يوحنا وعند المؤتلفة : فعندهم هي أعمال رحمة؛ أما عند يوحنا فهي « أعمال الله » و « آيات » يسوع التي تُظهر « مجده » أي إلهيته (٢ : ١١؛ ١١ : ٤ و٤٠). والمعجزة عند المؤتلفة غايتها تثبيت الإيمان، بينما هي عند يوحنا باعث الإيمان.

لهذا كله وأمثاله، كانت الشبهة على صحة الإنجيل بحسب يوحنا، وعلى تاريخيته. سنرى أنها ليست بشبهة. **هنا نوجز المبادئ والأهداف.**

هدف يوحنا من إنجيله أن **سيرة يسوع تثبت دعوته** أنه ابن الله. فعليه أن تكون معجزاته تاريخية، لا مختلفة. هذا ما يبرزه في تدوين بعض « آيات » يسوع، بأسلوبه الفذّ.

لذلك فهو **يركّز على بشرية يسوع، كما يركّز على إلهيته :** فإذا لم تظهر إلهية يسوع من خلال بشريته، فليس هو كلمة الله المتجسد كما يعلن في المطلع وفي المقطع (٢٠ : ٣٠ - ٣١).

أخيراً من صفات الإنجيل بحسب يوحنا أنه **شهادة،** ومن **شاهد العيان الأول والآخر** (١٩ : ٣٥). ومحوره صراع يسوع مع السلطات والأحزاب الدينية اليهودية على صحة رسالته وصحة شخصيته اللتين يدّعيهما يسوع لنفسه. وقد انتهى الصراع باستشهاد يسوع شهادة أخيرة لصحة دعوته، بعد شهادة المعمدان (١ : ١٩؛ ٣ : ٣٦؛ ٥ : ٣٣؛ ١٠ : ٤١) وشهادة المعجزات (٥ : ٣٦؛ ٩ : ٣؛ ١٠ : ٢٥ و٣٧؛ ١٤ : ١٠؛ ١٥ : ٢٤)، وشهادة الرسول الكاتب (١٩ : ٣٥). فإذا كانت هذه الشهادات أساطير، لا وقائع تاريخية، فلا معنى للإنجيل، ولا فائدة منه للشاهد وشهادته. ويوحنا الرسول ومدرسته في أفسس أكبر من أن يبنوا العقيدة المسيحية على

أساطير ورموز. فالعقيدة والتاريخ متلازمان في الإنجيل بحسب يوحنا، فلا تقوم العقيدة فيه بدون التاريخ الحق الذي يشهد له.

ثالثاً : دلائل التاريخية في الإنجيل بحسب يوحنا

دلائل التاريخية بادية عليه من أيّ الجهات أتيته.

١ ـ تاريخيته ظاهرة من صفة الشاهد به

إنه شاهد العيان منذ الساعة الأولى حتى الأخيرة. وفي كل ما ينقل يستند إلى مشاهداته. فهو مطلع أكثر من المؤتلفة على أحوال البلاد والعباد، وخبير بسرائر المسيح وصحابته، « كالتلميذ الذي كان يسوع يحبه » . وكل التفاصيل التي يرويها تحمل سِمَة المُشاهَد الملموس. ولغته وإنشاؤه وبيانه وأسلوب الخطابة عنده، ونمَط القصة، وإن وردت بلغة يونانية، فهي سامية، يهودية. فيظهر أن الكاتب إسرائيلي، من فلسطين، من تلاميذ المعمدان، جار قمران، ثم من صحابة المسيح المقرّبين، الذي يتبعه كظلّه، ويعرف سرّه وسريرته، كما يعرف أحواله صحابته. فمتّى الجابي فالرسول، ولوقا الطبيب الأديب لا يشاهدان الأمور بواقعية يوحنا، ولا في بعْد نظره. لا يجاريه في المشاهدات الملموسة سوى مرقس، ترجمان بطرس. وبطرس ويوحنا هما التوأمان اللذان لا ينفصلان، لا في سيرة المسيح، ولا في سير الدعوة من بعده. فتاريخيته هي تاريخية شاهد العيان.

٢ ـ تاريخيته تظهر أيضاً في تفصيل السيرة

لو اقتصرت سيرة المسيح على المؤتلفة لبقيت مبتورة. فقد حصروا دعوة يسوع في الجليل، مدة سنة. وهذا غريب، وليس فيها ما يشهد بحتمية استشهاد المسيح، كما يظهر من يوحنا. فمنه نعرف أن دعوة المسيح **الأولى** كانت في أورشليم واليهودية، حتى توقيف المعمدان؛ وهنا يلتقي مع المؤتلفة في دعوة الإنجيل في الجليل. ومنه نعرف أنه كان للمسيح **دعوة ثانية** في اليهودية، وخصوصاً في أورشليم بمناسبة الأعياد ومواسم الحج. ومنه نعرف

سرّ السيرة القلقة، والتنقلات السريعة في الفترة الأخيرة قبل الاستشهاد. ومنه نعرف دقائق استشهاده وملابساته.

فنحن مدينون ليوحنا **بعشرة تحقيقات** أضافها إلى المؤتلفة : غسل المسيح أرجل تلاميذه قبل العشاء السري؛ توقيف يسوع، ليس فقط بواسطة شرطة الهيكل، بل بمؤازرة الشرطة الرومانية أيضاً؛ مثول يسوع أمام حنان قبل قيافا؛ وجود «التلميذ الآخر». نسيب الحبر الأعظم، وهو الذي شفع لبطرس وأدخله ساحة القصر[1]؛ استجواب يسوع الطويل عند الوالي، وصفته السياسية؛ وجود «زقاق البلاط»، «جبعثه»، شمال قصر الوالي؛ كتابة صك الإعدام ليسوع باللغات الثلاث، العبرية واليونانية والرومانية؛ ثوب المسيح بلا خياطة؛ نزف الدم والماء من جنب يسوع، لمّا طعنه الحرس الروماني بحربة؛ أخيراً التحديد الأوفى لأيام الأسبوع الأخير قبل فصح الاستشهاد. نضيف إليها تسليم يسوع أُمه للتلميذ الذي كان يحبه، كما فرضته ظروف الواقع، فلم يبق لها بعد يسوع معيل ولا ولي يلي أمرها، لأن أبناء عمومته لم يكونوا يؤمنون به قبل القيامة. ومنه نتحقق أن كل ما نقله المؤتلفة ليس كل ما فعل يسوع وقال. فتفصيل السيرة بحسب يوحنا يقربها من الواقع التاريخي.

٢ - تاريخيته تظهر كذلك من جغرافيته

تأتي الأحداث أحياناً عند المؤتلفة معلّقة، غير مربوطة بزمان ومكان كما عند يوحنا. ومع قلة الأحداث التي ينقل، تكميلاً للمؤتلفة، فهو يذكر نحو **عشرين موضعاً**. بعضها لا قيمة له في الحادثة، لكن ذكرها دليل واقعيتها مثل (١٠ : ٢٢). وبعضها يحمل في صفته دليل صحته : فهو يذكر «بيت عنيا في عبر الأردن» (١ : ٢٨)؛ إشارة إلى أن هناك بيت عنيا أخرى، قرب أورشليم (١١ : ١٨). ينصّ على «قانا الجليل» (٢ : ١ و١١؛ ٤ : ٤٦) إشارة إلى أن هناك قانا غيرها (قابل يوسيف ١٩ : ٢٨). أجمل المؤتلفة أن المعمدان كان يعمّد في الأردن؛ ومن

---

(١) من هذه الإشارة نعرف أن التلمذة ليسوع بلغت قرابة الحبر الأعظم وحاشيته؛ وكانت مستورة، مثل تلمذة بعض أعضاء السنهدريم.

يوحنا نعرف أن المكان هو « العيون » حيث تكثر ينابيع المياه (٣ : ٣٤). أكّد يوحنا أن بركة بيت حسدا لها خمسة أروقة، واحتار الجغرافيون في قصة الرواق الخامس، حتى أتت الاكتشافات الأثرية فأظهرت أن الرواق الخامس كان يفصل البركة إلى بركتين[1] . كذلك اكتشفوا شمال بيت الوالي الروماني زقاق البلاط، « جبعثه » ، ومن صحة التاريخ صحة الجغرافية.

٤ ـ تاريخيته تظهر كذلك من بيئته

دعوة السيد المسيح تقوم في فلسطين، زمن الاحتلال الروماني. ونرى فلسطين الرومانية في الإنجيل بحسب يوحنا (١٨ : ٢٨ ـ ٣١)؛ ولم تُنسَ فيها العداوة بين اليهود والسامريين (٤ : ٩؛ ٨ : ٤٨)، ولا ازدراء أهل اليهودية « لجليل الأمميين » (٧ : ٥٢)، ولا المنافسات الإقليمية فيه (١ : ٤٦)، ولا استعداد أهله للسير وراء كل دعيّ أنه المسيح (٦ : ١٤)، تحت حكم هيرود أنتيبّا (٤ : ٤٦). في الإنجيل بحسب يوحنا يعيش الشعب اليهودي كما يصوره لنا معاصروه مثل يوسيف ومخطوطات قمران : شعب كله متجه إلى أورشليم، عاصمة الدين والدولة، وخصوصاً إلى الهيكل الحديث (٢ : ٢٠) موطن حجهم، حيث « يصعدون » في كل موسم، زرافات ووحدانا، آتين من المواطن والمهاجر، يهوداً ومتهوّدين (١٢ : ٢٠)، وحيث يستعلي الفريسيون على « هذا الشعب الملعون الذي يجهل الشريعة » (٧ : ٤٩)؛ شعب زاده الاستعمار الروماني تمسكاً بشريعته وأعياده وطقوسه (٢ : ٦؛ ٣ : ٢٥؛ ١١ : ٥٥) ومآتمه (١١ : ٣٨ و٤٤؛ ١٢ : ٧؛ ١٩ : ٣١ و٤٠) وتحريماته (١٨ : ٢٨؛ ١٩ : ٣١). فبيئة الإنجيل صورة للواقع الحياتي اليهودي.

٥ ـ تاريخيته بادية أيضاً من واقعيته

الأسبوع الأول من الدعوة يسجل أحداثه يوماً فيوماً من الأردن إلى عرس قانا الجليل. ويترك افتتاح الدعوة إلى الفصح الأول بأورشليم. وبالمناسبة يذكر لنا اللقاء الليلي بين يسوع وعلاّمة إسرائيل نيقوديم. وهنا يستدرك

---

(١) هذا ما تؤكده أيضاً مخطوطات قمران، السجل النحاسي.

على المؤتلفة دعوة يسوع فترة طويلة في اليهودية، على طريقة المعمدان. ثم عند توقيف المعمدان هاجر يسوع إلى الجليل، وفي طريقه عرّج على السامرة، فنراه جالساً على حافة البئر عطشانا، كأنه على موعد في الغيب مع السامرية، حيث جرى الحوار الذي تختلج فيه مشاعر القومين. وفي سنة الدعوة في الجليل يصعد يسوع إلى « عيد اليهود » في أورشليم؛ وهنا نراه يطوف « ببركة بيت حسدا، عند باب الغنم، وللبركة خمسة أروقة » - تحديد حيّر العلماء حتى حققته الآثار. وعند البركة يشفي مقعداً « منذ ثمان وثلاثين سنة » ، يوم سبت، فتثور عليه ثائرة المتزمتين لشفائه يوم السبت، كأن المعجزة لا تشفع لصحة عمله. فردّ عليهم بمشكل كان يتحاور فيه فقهاؤهم: الخلْق عمل متواصل، فالله نفسه يعمل يوم السبت، فقال: « أبي يعمل على الدوام وأنا أيضاً أعمل » ، فسمى الله « أباه » على التخصّص والذاتية. « فازداد اليهود طلباً لقتله، ليس فقط لأنه كان ينقض السبت، بل أيضاً لأن كان يدعو الله أباه، مساوياً نفسه بالله » (٥ : ١٨). فأسرع ورجع إلى الجليل. وجاء عيد الفصح، فرفض أن يصعد إلى العيد قبل أن تهدأ الثورة عليه؛ بل انطلق إلى عبر بحيرة طبرية واعتزل في القفر. فلحق به الجمهور فأشبعه بمعجزة تكثير الخبز، ودخل باعتزا إلى كفرناحوم، وخطب فيه يوم السبت أنه هو نفسه « خبز الحياة النازل من السماء » . فارتدّ عنه الشعب الذي تحمّس له حتى كاد يعلنه ملكاً، وتركه بعض تلاميذه. وهذه الردّة سبب رحلة يسوع مع الاثني عشر إلى قيصرية فيلبس، ليبعدهم عن شكها. وسبب سؤاله لهم : مَن أنا على رأي الناس ؟ ثم يتحوّل إلى أطراف الجليل مدة ستة أشهر. ثم قام بدعوته الثانية في اليهودية، وخصوصاً في أورشليم، بمناسبة مواسم الحج. فصعد في عيد الخيام « خفية » ، وظهر فجأة في الهيكل، في منتصف العيد. وفي كل مناسبة من مراسيم العيد يطلق تصريحاً داوياً : بمناسبة إنارة الهيكل بالمصابيح العديدة قال : « أنا نور العالم » فحاولوا توقيفه. وبمناسبة نقل الماء من عين جيحون إلى الهيكل نادى : « مَن عطش فلْيأتِ إليّ! ولْيشربْ مَن آمن بي. فقد قال الكتاب : من باطنه ستجري أنهار ماء حي » ، فحاولوا من جديد القبض

عليه. فأرسل السنهدريم شرطته لجلبه موقوفاً، فرجعوا وقد أُسْقط في أيديهم : « ما تكلّم إنسان قط مثل هذا الإنسان » ! كلها مواقف ومشاهد من صميم الحياة الواقعية. وختم العيد بهذا التصريح الضخم : « الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن! فأخذوا حجارة ليرجموه؛ غير أن يسوع توارى (بين الناس) وخرج من الهيكل » . هذه واقعية لا يقدر أن يذكرها إلاّ يوحنا. ورجع في عيد التجديد؛ وفاجأهم بتصريح أضخم: « أنا والآب واحد » . « فطلبوا أن يقبضوا عليه. **فتخلّص من أيديهم.** وانطلق إلى عبر الأردن » ، ثم استدعته الأختان لإقامة لعازر من الموت. فأقامه بجلال إلهي وهو يصرّح : « أنا القيامة والحياة » . حينئذ طفح الكيل فأهدر السنهدريم دمه. « ومنذ ذلك الوقت وطّنوا النفس على قتله. فأمسك يسوع عن التجول بين اليهود علانية. بل انطلق إلى بقعة قريبة من القفر، إلى قرية اسمها أفرائيم وأقام هناك مع تلاميذه » . هذا واقع حياتي، لا يُختلق اختلاقاً؛ ومن يجرؤ على نسبة الاختفاء إلى المسيح الجبار ؟ فواقعية الإنجيل في أخباره برهان تاريخيته.

ومثل تلك الواقعية لا تُصطنع اصطناعاً. ولم يكن فنّ الرواية - خصوصاً عند مؤلف من عامة الشعب مثل يوحنا - في ذلك الزمان مثل زماننا يعرف سكب الخيال في صورة الواقع. فإن كانت واقعية يوحنا من نسج الخيال، فهو أكبر فنان في التاريخ على الإطلاق. لكن ليست روايته من الخيال المصطنع، بل من الواقع الملموس لدى شاهد العيان.

٦ - تاريخيته تظهر أيضاً من أحاديثه وجدالاته

كانت شرعة السبت عقدة وجدانية عند يهود زمانه، كما نرى من المؤتلفة ومن يوحنا. ولم تكن المعجزة نفسها لتشفع عندهم في عملها يوم سبت. هذه حال مقعد أورشليم (ف ٥). تركوا المعجزة وطعنوا في صحة رسالة يسوع بسبب السبت. فأجابهم يسوع بمجادلة فقهائهم نفسها : « أبي يعمل على الدوام وأنا أيضاً أعمل » . وهذه حال شفاء الأكمه أي الأعمى منذ مولده. تركوا المعجزة، وطعنوا في صحة رسالة يسوع بسبب السبت؛

فأجابهم أيضاً بفتوى فقهائهم، في صحة الختان يوم سبت، « لئلا تُنقض شريعة موسى » (٧ : ٢٥). فالجدال يقوم بأسلوب تلمودي.

فقد طغت الشريعة على عقليتهم، وحوارهم لا يقوم أيضاً إلا بأسلوب تشريعي، من ذلك صحة الشهادة (٥ : ٣١؛ ١١ : ١٣ - ١٨)؛ ومن ذلك الاستشهاد المتواصل بالكتاب (٣ : ١٤؛ ٦ : ٣١)، والانطلاق من الكتاب للتحدي والاستعلاء (١٠ : ٣٢ - ٣٦).

وكم من قيلة فيه تحمل سمة اليهود، مثل هذه: « أنت سامري، ويسكنك شيطان » (٨ : ٣١ - ٥٩).

فالحديث كله والحوار يحمل سمات الواقع التاريخي.

٧ - تاريخيته أيضاً ظاهرة من آثار بشريته

الشبهة الكبرى على الإنجيل بحسب يوحنا هو الإعلان المتواصل عن إلهيته، والوصف المتصل بجلال شخصيته وقدسيتها، حيث يظهر يسوع سيد الزمان والمكان والإنسان والكون، حتى في استشهاده.

لكن فاتهم أيضاً التركيز على بشريته أكثر من المؤتلفة : « والكلمة صار بشراً » (١ : ١٤) بكل معنى الكلمة. فهو يغضب لتدنيس « بيت أبيه » (٢ : ١٣ - ١٧)؛ ويتعب من المسير، فيستريح عند البئر (٤ : ٦)؛ كفرهم بدعوته يحزنه (٤ : ٤٨)؛ « **يتهرّب** » من الجمهور (٦ : ١٥)؛ يدافع عن نفسه عند الافتراء عليه (٥ : ١٨ - ٤٨؛ ٧ : ٢٠ - ٢٤؛ ٨ : ٤٨ - ٥٨؛ ١٠ : ٣٦)؛ أحياناً « يختفي » (٨ : ٥٩؛ ١٢ : ٣٦) وينزوي كرجل ملاحق (١١ : ٥٤ - ٥٧)؛ له أصحابه (١١ : ٥) وبعض « المقربين » من تلاميذه، « والتلميذ الذي كان يحبه » أفضل من سائر الرسل (١٣ : ٢٣؛ ١٩ : ٢٦؛ ٢١ : ٧ و٢٠)؛ فنراه يرتعش ويبكي عند قبر لعازر (١١ : ٣٥ و٣٨)؛ وينتفض لخيانة أحد أتباعه (١٣ : ٢١)؛ ودنو « ساعته » يفزعه (١٢ : ٢٧)؛ ويردّ على الإهانة لمّا صفعه خادم قيافا (١٨ : ٢٣)؛ وعلى الصليب يصرخ : « أنا عطشان » (١٩ : ٢٨).

يرون شبهة الخيال في جلاله. ولكن في مواقف جلاله تتجلى دلائل

بشريته : فالسيد يغسل أرجل تلاميذه (١٣ : ١ - ٥)؛ ومنزل الكشف الرباني الأسمى، يتنازل إلى سؤالات تلاميذه التافهة (١٣ : ٣٦؛ ١٤ : ٥ - ١٠ و٢٢؛ ١٦ : ١٦ - ٣٣)؛ وفي مجد قيامته، وقد تحلل من قيود المادة والزمن (٢٠ : ١٥ و٢٧؛ ٢١ : ٥ و١٠ و١٥ - ٢٢) يداعب تلاميذه مثل أيام بشريته.

والغريب أن تواضعه يظهر عند إعلان إلهيته : ينسب لنفسه مجد الله (٥ : ٢٣) وسلطان الله على الحياة والموت (٣ : ٣٥؛ ٥ : ٢٧؛ ١٧ : ٢). مع ذلك فهو الشاهد الأمين (٣ : ١١؛ ١٨ : ٣٧) « لا يعمل شيئاً ما لم يرَ الآب عامله » (٤ : ٣٤؛ ١٧ : ٤)، ما يُرضي الآب (٨ : ٢٩)، ما هو من مشيئته (٦ : ٣٨). سوف يستشهد طاعة لأبيه (١٠ : ١٨)، وسيشرب كأس الألم التي يقدمها له أبوه (١٨ : ١١) حتى يعلم العالم أنه يحب أباه ويعمل رضاه (١٤ : ٣٠).

يعلن « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)؛ لكن يقول : « الآب أعظم مني » (١٤ : ٢٨) لأنه مصدره. ينقل « ما سمعته من أبي » ، لكن بكشف بسيط، سمته الطَبَعية المطلقة (٣ : ٣٥؛ ٥ : ٢٠؛ ٨ : ٢٩؛ ١٠ : ١٧؛ ١٥ : ٩؛ ١٦ : ٣٢؛ ١٧ : ٢٤ - ٢٦). فلا تتجلّى إلهيته إلا من خلال بشريته. فعلى جلاله الإلهي تظهر آثار بشريته.

٧ - تاريخيته تظهر أيضاً من موافقته للأناجيل المؤتلفة

لقد رأينا أن موافقاته ومخالفاته للمؤتلفة هي من نوع « **المختلف المؤتلف** » ، لأن يوحنا يقصد تكميلها من جهة، وقد زالت ظروف « التَقِيّة » لحصر رسالة المسيح في الجليل كما خطط الرسل الصحابة للدعوة الأولى (أع ١ : ٢١ - ٢٢)؛ كما يقصد أن ينقل للمسيحيين « الكاملين » تعليم المسيح الكامل، وقد نقل المؤتلفة الدعوة الشعبية لهداية المبتدئين. فعمل من حيث السيرة والدعوة ما عمل بولس قبله من حيث « الحكمة » للبالغين (١ كو ٢ : ٤)، وما عمل أبلّس في مقارنة العهد الجديد بالقديم للكاملين (عبر ٩ : ١). فنقل الإنجيل الأورشليمي في البيئة العلمية، كما نقلوا الإنجيل

الجليلي في البيئة الشعبية. فالاختلاف في البيئة والموضوع هو محور الاختلاف ما بين يوحنا والمؤتلفة.

لكنه اختلاف ظاهر كما سنرى. فهو أكمل الإنجيل الجليلي بذكر مطلع الدعوة (٤ : ٤٣ - ٥٤) وعقدتها في شفاء مقعد أورشليم (ف ٥ كله) وخاتمتها (٦ كله). وحافظ على أسلوبهم أيضاً في تعليم يسوع سيد « جوامع الكَلِم » كقوله : « انقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أرفعه » (٢ : ١٩)؛ « أبي يعمل على الدوام وأنا أيضاً أعمل » (٥ : ١٧)؛ « إن حبة الحنطة الملقاة في الأرض، إن لم تمت، تبقى وحدها؛ وإن ماتت أتت بثمر كثير » (١٢ : ٢٤)؛ « إن المرأة عندما تتمخض تتألم لأن ساعتها أتت؛ لكن عندما تلد تنسى آلامها، لفرحها أنه جاء إلى العالم ولد » (١٦ : ٢١)؛ « لقد آمنت لأنك رأيتني! فطوبى لمن يؤمنون، ولم يروا » (٢٠ : ٢٩). وقد افتتح إنجيله بذكر المحورين اللذين تدور عليهما الدعوة بحسب المؤتلفة : ذكر ملكوت السماوات، وذكر ابن البشر النازل من السماء (٣ : ٣ و٥).

والموافقة بين يوحنا والمؤتلفة تجري طرداً وعكساً؛ فكثير من **تعابير يوحنا لها جذور في الأناجيل المؤتلفة**، يركزون مثل يوحنا على قوله « أتيت » (متى ٣ : ١١؛ ٥ : ١٧؛ ١١ : ١٩؛ ٢٣ : ٢٩؛ مرقس ١ : ٢٤؛ لوقا ١٩ : ١٠ وغيرها). ومثله على حتمية الاستشهاد : « ينبغي » (يوحنا ٣ : ١٤؛ ١٢ : ٣٤؛ ٢٠ : ٩ - قابل متى ١٦ : ٢١؛ مرقس ٨ : ٣١؛ لوقا ١٧ : ٢٥). وتعابير يوحنا الممتازة وردت قبله في المؤتلفة: مثل تعبير « الحياة » (متى ٧ : ١٤؛ ١٨ : ٨؛ ١٩ : ١٦؛ ومثيلها عند مرقس ولوقا)؛ ومثل تعبير « النور » و « أبناء النور » (متى ٤ : ١٦؛ ٥ : ١٤ و١٦؛ ٦ : ٢٣؛ ١٧ : ٢؛ لوقا ٢ : ٣٢؛ ٢٦ : ٨)؛ ومثل تعبير « كلام الله » (متى ١٣ : ١٩؛ مرقس ٢ : ٢؛ ٨ : ٣٢؛ لوقا ١ : ٢؛ ٥ : ١؛ ١٠ : ٣٩؛ ١١ : ٢٨).

وتصاريح يوحنا الضخمة **لها نظائرها** في الأناجيل المؤتلفة: مثل الخطاب على الجبل : « سمعتم أنه قيل للأولين ... وأنا أقول لكم » . أتى بصيغة المجهول دفعاً لتحدّي الله الآب بقوله « وأنا أقول لكم » ؛ لكنه يجعل نفسه المشترع الإلهي مثل الله؛ ومثل تصريحه : « لقد آتاني أبي كل

شيء، ولا أحد يعرف الابن إلاّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن، ومن يريد الابن أن يكشف له » (متى ١١ : ٢٥ - ٢٧ = لوقا ١٠ : ٢١). هذا النطق الصحيح هو أسلوب يسوع في الإنجيل بحسب يوحنا. أمثاله كقوله : « وابن البشر هو رب السبت أيضاً » أفراد عند المؤتلفة لأنها تنقل الدعوة في بيئة شعبية؛ بينما أمثاله كثيرة عند يوحنا الذي ينقل الدعوة في بيئة علمية. فصحة تصاريح المسيح في المؤتلفة تشهد بصحة تصاريحه في الإنجيل بحسب يوحنا، وتشهد بتاريخيتها.

٨ - تاريخيته تظهر أيضاً في وحدة التعليم والعقيدة بإلهية المسيح

في رسالة يسوع الأولى في أورشليم واليهودية، تصاريح يسوع عند يوحنا من باب الدعوة السرية الفردية، فلا خلاف في التعليم العام.

وفي تعليم يسوع في الجليل بحسب المؤتلفة يعلن يسوع أنه المشترع الإلهي مثل أبيه وهو يطور شريعته؛ والشياطين قبل البشر تعلن إلهيته فيخرسها؛ وسلطانه على الطبيعة وعلى الإنسان بحسب المؤتلفة شاهد بصحة تصاريحه عند يوحنا.

وفي الدعوة الثانية في أورشليم واليهودية، بمناسبة عيد الخيام وعيد التجديد، وإقامة لعازر، ترد أضخم تصاريح المسيح عند يوحنا في إلهية يسوع؛ ونفهم منها تطور **عقدة الدراما** حتى الإعدام والاستشهاد. لكنها ليست أعظم من تصريح يسوع عند المؤتلفة بأنه « ملك يوم الدين » يرسل الصالحين إلى الجنة والطالحين إلى النار؛ وأنه ابن داود وربه معاً (متى ٢٢ : ٤١)؛ وإعلانه بأن ملكوت الله « يُنزع منهم ويُعطى لأمة أخرى » (متى ٢١ : ٤٣ - ٤٥)؛ ولعناته السبع في الهيكل لعلماء اليهود (متى ٢٣ كله)، كلها تعجل في إعدام يسوع أكثر من تصاريح يوحنا.

ويلتقي يوحنا والمؤتلفة في حكم السنهدريم على يسوع بالموت لأنه يصرّ على ادعائه أنه ابن الله الحي، ويستشهد في موقف الحق بنبوءة دانيال أنه هو ابن البشر النازل على سحاب السماء.

فمعرفة تخطيط يوحنا المحكم الذي يكمّل الإنجيل الجليلي، بالإنجيل الأورشليمي، تدفع الشبهة التي يرون بينه وبين المؤتلفة في التعليم والعقيدة.

٩ - تاريخيته تظهر أيضاً مداورة من دعوة بولس قبله

لا أحد يشك في صحة رسائل بولس الكبرى. ولا أحد يشك أنها أول تدوين لتعليم الإنجيل، وإن كان بأسلوب كلامي، لا بأسلوب تاريخي. فبولس يعلّم « حكمة الإنجيل » في الرسائل الكلامية، و « سرّ الإنجيل » و « سرّ المسيح » في الرسائل الصوفية. ولم يقم خلاف بين بولس والرسل الحواريين في تعليمه؛ إنما قام مع النصارى من بني إسرائيل المتمسكين بشريعة موسى، على ضرورة هذه الشريعة وختانها لتلاميذ المسيح أنفسهم. فلو كان الخلاف على تعليم بولس « حكمة الإنجيل » و « سر المسيح » ، لرشح ذلك في خبايا الزوايا من رسائلهم. و « حكمة الإنجيل » التي يعلمها بولس، بتأييد الرسل الصحابة له (٢ بط ٣ : ١٥ - ١٦) لا تختلف عن حكمة الإنجيل بحسب يوحنا، إلاّ بالأسلوب : فأسلوب بولس كلامي، وأسلوب يوحنا صوفي تاريخي. فدعوة بولس شهادة قائمة على صحة دعوة يوحنا، وعلى تاريخيتها.

١٠ - تاريخيته لا يشوبها أسلوب الصوفية والرمزية

يرى بعضهم في أسلوب الصوفية في التفكير، وأسلوب الرمزية في التعبير، عند يوحنا، شبهة على تاريخيته.

وفاتهم إنها لغة البيئة الأورشليمية التي نطق فيها يسوع بين علماء اليهود الذين يعلّمون كلام فيلون، معاصر يسوع وبولس؛ والتي نطق بها يسوع بين صوفية اليهود مثل جماعة قمران. وخطاب فئات علمية مثل أحبار اليهود وفقهاء كتبتهم، كما هو الواقع عند يوحنا؛ ليس مثل خطاب الجماهير كما هو الواقع عند المؤتلفة في بيئة الجليل الشعبية.

فإذا جاءت شهادة يوحنا، للمشاهدين العيان، بأسلوب من التبيين والبيان، يحمل طابع الصوفية في المعنى والرمزية في المبنى، فما ذلك بشبهة على صحة شهادته، وعلى تاريخيتها.

فتاريخية الإنجيل بحسب يوحنا ثابتة، ودلائلها قائمة.

* * *

بحث تاسع

صحة الإنجيل بحسب يوحنا

يرون شبهة على صحة الإنجيل بحسب يوحنا من اختلافه في الموضوع والأسلوب عن الأناجيل المؤتلفة. هذه **الشبهة من داخل** نبحثها في بحث لاحق. ننظر الآن في **الشبهة المتشعبة من خارج :**

قيل : **هلنستيته شبهة عليه.**

وهي في نظرهم بادية منذ الفاتحة، بتسمية يسوع « كلمة الله » . والتعبير شائع منذ هيراقليط. لكن شتان ما بين الكلمة المخلوق عندهم، والكلمة الخالق عند يوحنا.

وقد وطّن المتكلّم اليهودي، فيلون، تعبير « الكلمة » في الكلام الإسرائيلي للأمميين، كناية عن « الحكمة الإلهية » . لكن وإن اتفق يوحنا مع فيلون في مصدر التعبير كنايةً عن « الحكمة » الإلهية؛ فهو يختلف عنه ويستقل عنه في ذات « كلمة الله » : فعند فيلون « كلمة الله » هو حكمته من حيث هي **صفة ذاتية في الله**؛ أمّا عند يوحنا فالكلمة هو **ذات في ذات الله.**

في الوقت ذاته كانت **الأفلاطونية الشعبية** شائعة في البيئة الهلنستية : فرأى بعضهم في تعبير يوحنا أنه كلمة الله « **النازل من السماء** » اقتباساً منها. لكنها تذكر « الأفكار » القائمة بذاتها في عالمها الفوقاني، والنازلة إلى العالم التحتاني في الإنسان. بينما عند يوحنا « فالكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا. وقد رأينا مجده، مجد الآب في ابنه الوحيد » .

وقد وجد بعضهم بعض المطابقات في بعض التعابير، مثل « النور » و « الخلاص » بين يوحنا **وكتب الأديان السرية.** لكنها موافقات بيئته لا اقتباسات مقصودة.

وقيل : **غنوصيته شبهة عليه.**

الغنوصية الهلنستية تعلم الثنائية المطلقة، والإيمان بكائنات متوسطة بين الله والكون، وهبوط النفس من الملإ الأعلى في المادة، وضرورة الوحي الإلهي للوصول إلى النور الرباني، وقلة عدد المؤهلين للخلاص، وعقيدة الخلاص بموحٍ من قبل الله.

وقد عبرت هذه الأفكار إلى الفيلونية، وإلى المندائية - « مندا » يعني النور - المنتسبة إلى المعمدان، وتعرف اليوم « بالمغتسلة » في شط العرب، وإلى القمرانية، وإلى « النصرانية » الإسرائيلية.

وعلى هذه **التيارات الأربعة** يردّ يوحنا جملةً في فاتحته وتفصيلاً في إنجيله، فاستعار تعبير « الكلمة » الشائع، وفكرة « الحكمة » الكتابية ليحدّد « سر المسيح » بأنه **كلمة الله الذاتية**، وأن « **الكلمة صار بشراً** » . وهذه العقيدة لا مثيل لها في تيار من التيارات الأربعة المتفرعة عن الغنوص الهلنستية.

ندرس في جزء أول : الدلائل الذاتية على صحته؛ وفي جزء ثانٍ الشبهات الذاتية على صحته؛ وفي جزء ثالث شهادة السنّة المسيحية بصحته.

* * *

الجزء الأول : الدلائل الذاتية على صحة الإنجيل بحسب يوحنا

أولاً : صلة يوحنا ببيئته.

إنّ يوحنا **ابن بيئته اليهودية، وريثة الكتاب والحكمة.**

إن الإنجيل بحسب يوحنا مشبع بتراث الكتاب : فكلمته الأولى « في البدء كان الكلمة » تردنا إلى فاتحة التوراة. ومواضيع سفر الهجرة (الخروج) تتجدّد في تعليم المسيح : مثل حمل الله الفصحي، والنبي مثل موسى، والحية النحاسية المرفوعة، والمَنّ المُنزل في البرية، والماء النابع من الصخرة، وتحديد يسوع نفسه « أنا هو » (٨ : ٢٤ و٢٨)، مثل تحديد « يهوه »

عند أشعيا (٤٣ : ١٠ و٢٥؛ ٥١ : ١٢) وأحاديث يسوع في وداع تلاميذه قريبة من أحاديث موسى في سفر التثنية (يوحنا ١٤ : ١ = تث ٣١ : ٨؛ يوحنا ف ١٤ و١٥ = التثنية ٧ و٩). واستعارة « الراعي الصالح » (يو ١٠) قريبة من (حزقيال ٣٤)، مثل استعارة « الكرمة الحقيقة » (يو ١٥) القريبة من المزمور (٨٠). وتعبير « ابن البشر » اقتباس من حزقيال أيضاً. **وعقيدة الكلمة** هي الحكمة الإلهية المتواتر وصفها في أسفار « الأمثال » و « ابن سيراخ » وخصوصاً سفر « الحكمة » .

فلا غرو أن يستخدم يسوع الكتاب الذي تقوم عليه حياة شعبه وهو القائل : « ابحثوا الكتب ... فهي تشهد لي » (يوحنا ٥ : ٣٩) وان يقتفي آثاره « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » .

كذلك لا غرابة أن يلتقي يسوع مع **تعليم الربانيين** الذي جُمع في التلمود : فقول المعمدان لليهود « بين ظهرانيكم قائم مَن لستم تعرفونه » (١ : ٢٦)، وقول اليهود أنفسهم في ما بينهم : « أما المسيح، متى أتى، لا يعلم أحد من أين هو » (٧ : ٢٧) هما إشارة إلى المسيح الخفي في تعليمه.

كذلك كان الربانيون يظنون أن درس الكتاب يقود إلى الحياة الأبدية، فتحداهم بقوله : « إنكم تبحثون في الكتب ظناً منكم أن لكم فيها الحياة الأبدية! مع أنها هي التي تشهد لي » (٥ : ٣٩).

كانوا يظنون أن معجزة المن ستتجدد مع المسيح الموعود. لذلك ردّوا على يسوع، بعد معجزة تكثير الخبز لآلاف الناس، بأنها ليست معجزة المن. فردّ عليهم يسوع : « آباؤكم أكلوا المن وماتوا ... مَن يأكل من الخبز الذي أعطيه أنا يحيا إلى الأبد » .

كانوا يسمحون بنقض السبت بالختان. فاستخدام يسوع فقههم للردّ عليهم بصحة المعجزة يوم السبت (٧ : ٢٢).

ولا غرابة في مثل هذه الموافقات لأنها من صميم الحياة اليومية، وهي شهادة على تاريخية يوحنا وعلى واقعيته.

ثانياً : صلة يوحنا بقمران.

الصلات بينهما متعددة :

١ - لغة يوحنا من لغة مخطوطات قمران : فما هي الصلة بينهما ؟ ففي « قانون الجماعة » نجد تعابير يوحنا : « عمل الحقيقة » (٣ : ٢١) وهذا لا يرد في اليونانية؛ « مَن يعمل الحقيقة يُقبل إلى النور » (١ يو ١ : ٦). ويسمون أنفسهم « **أبناء النور** » كما يسمي المسيح أتباعه (يو ١٢ : ٣٦). كذلك تعبير « نور الحياة » عندهم كما في الإنجيل (يو ٨ : ١٢).

وتصل الموافقة حدّ المطابقة كقولهم : « بعلمه برز كل شيء للوجود؛ وبتدبيره خلق كل موجود؛ وبدونه ليس من وجود » ؛ وكقوله : « كل شيء به كُوّن، وبغيره لم يكوّن شيء ممّا كُوّن » (يو ١ : ٣).

مطابقة في التعبير، ومطابقة في التفكير؛ كقولهم : « أبناء الضلال يسيرون في دروب الظلمات » أو قوله : « مَن يمشي في الظلام لا يدري أين يذهب؛ فما دام النور معكم فآمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور » (١٢ : ٣٥).

وفي صفة العاقل والجاهل عندهم كأنك تقرأ يوحنا : « مَن يعمل الشر يبغض النور، ولا يأتي إلى النور، لئلا تُفْتَضح أعماله. ولكن مَن يعمل الحقيقة يُقبل إلى النور، ليظهر في وضح النهار أن أعماله مصنوعة في الله » (قابل يوحنا ٣ : ٢٠ - ٢١).

٢ - صلة المعمدان بقمران قربى في السلوك والعقيدة، لا بالانتساب، فكلاهما يصفان دورهما بحسب آية أشعيا : « هيّئوا في البرية طريق الرب » . وكلاهما يتشابهان في طقوس العماد : فهم جميعاً يقتضون التوبة كخطوة أولى؛ وجميعاً يدعون اليهود، لا الأميين؛ وجميعاً يهدفون إلى تكوين جماعة تائبين استعداداً ليوم الرب الآتي. وكما يعلن المعمدان « أنا أُعمدكم بالماء، لكن قائم بين ظهرانيكم من يعمّد بالروح القدس » (يو ١ : ٢٦ الخ)؛ كذلك هم ينتظرون « مَن يُطهّر بالروح القدس من كل الأعمال الشريرة » .

٣ - « ثنائيات » ليوحنا من « ثنائيات » قمران : تتواتر عندهم تعابير « النور والظلمة، الروح والجسد، الحياة والموت » ، فلم يقتبس يوحنا تلك « الثنائيات » من الغنوص الهلنستية، كما توهّم بعضهم؛ إنما هي لغة بيئته التي استخدمها المسيح وتلميذه. وهي ليست طبيعية، دهرية كما في الهلنستية، بل توحيدية، أخلاقية، موجهة لليوم الآخر. وهذا اليوم الآخر « قريب، على الأبواب » كما عند قمران والمعمدان.

لكن تلك الموافقات بين قمران ويوحنا **تقابلها مفارقات** تدل على استقلال يوحنا في تعليمه :

١ - الفريقان يؤمنان بالخلق - لا بالحلولية - وصراع البشرية القائم بين أبناء النور وأبناء الظلمة حتى اليوم الآخر. لكن بينما رئيس أبناء النور عندهم هو ملاك، فهو عند المعمدان المسيح الآتي.

٢ - سيرة البشرية صراع بين أبناء النور وأبناء الظلمة. لكن بينما عند أهل قمران هذا الصراع يدوم إلى اليوم الآخر؛ فعند يوحنا « النور يضيء في الظلمة » (١ : ٥)، منذ تجسد المسيح (١ يو ٢ : ٨).

٣ - مشكلة « الخلاص » عند الفريقين واحدة، وطريقها واحدة : « أن نكون أبناء النور » . لكن بينما النور هو في شريعة موسى بحسب قمران، فهو عند يوحنا في الإيمان بالمسيح.

فما يميّز المعمدان والإنجيل عن قمران هو المسيح الذي أتى.

والمفارقات والموافقات بين يوحنا وقمران تظهر خصوصاً في **علم الكلام** ومواضيعه الكبرى.

١ - الفريقان يركّزان على **وحدة الأمة.** فهم يدعون إلى هذه الوحدة مثل يوحنا: « ليجمع في الوحدة أبناء الله » (١١ : ٥٢)؛ « ليكونوا واحداً » (١٧ : ١١)؛ « ليكونوا مكملين في الوحدة » (١٧ : ٢٣).

٢ - كذلك يركّز الفريقان على تعبير « **الحقيقة** » الذي يستخدمه يوحنا خمساً وعشرين مرة. وتعابير الفريقين لها متماثلة : « عمل الحقيقة » ، « سلك في الحقيقة » ، « شهد للحقيقة » ، هم يقولون : « الله يطهّر أعمال الناس بحقيقته » ؛ وهو ينقل قول الرب : « قدّسهم في الحقيقة » .

٣ - والموافقة الكبرى بينهما في تعليم « الروح القدس » . إنه « روح الحق » ؛ « يقود إلى الحقيقة كلها » ، « يبكّت العالم على كفره » . فدوره تعليمي ودفاعي. كذلك عند أهل قمران : « روح الحق يشهد ويبكّت الجميع » ؛ « روح الحق » و « أمير النور » هو معين وحامي أبناء النور. فدور الروح القدس عند الفريقين واحد.

لكن تظل المفارقة الكبرى في الإيمان بالمسيح الذي أتى.

ثالثاً : صلة الإنجيل بحسب يوحنا بأسفار الحكمة.

اقتبس يوحنا من البيئة الهلنستية أو الفيلونية تعبير « **الكلمة** » . لكنه فهمه مرادفاً « **للحكمة** » الإلهية. فتعبير « الكلمة » عنده هو تهلين « الحكمة » الكتابية، بناء على تعليم يسوع.

١ - « الحكمة » أزلية في الله (الأمثال ٨ : ٢٢؛ ابن سيراخ ٢٤ : ٩؛ الحكمة ٩ : ٥). كذلك « في البدء كان الكلمة، والكلمة كان في الله ، واللهَ كان الكلمة، فهو منذ البدء في الله » .

٢ - « الحكمة » قائمة في السماوات، وتنزل إلى الأرض، وتسكن في إسرائيل (باروخ ٣ : ٣٧؛ الأمثال ٨ : ٣١؛ ابن سيراخ ٨٤ : ٨). كذلك « الكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (١ : ١٤)؛ « إن الذي نزل من العلاء هو أعلى من الكل » (٣ : ٣١) : « إني قد نزلت من السماء » (٦ : ٣٨)؛ « لقد صدرت من الآب وأتيت إلى العالم؛ والآن أترك العالم وأرجع إلى الآب » (١٦ : ٢٨).

٣ - « الحكمة » هي « فيض مجد القدير » (الحكمة ٧ : ٢٥)؛ كذلك « الكلمة صار بشراً، ورأينا مجده، مجد الآب في ابنه الوحيد » (١ : ١٤) قابل (٨ : ١٥؛ ١١ : ٤؛ ١٧ : ٥).

٤ - « الحكمة » تعلـّم الناس أمور الله (الحكمة ٩ : ١٦)، تلقّنهم ما يرضي الله (الحكمة ٨ : ٤)، وتقودهم إلى الحياة (الأمثال ٨ : ٢٥؛ ابن سيراخ ٤ : ١٢). هكذا يفعل « كلمة الله » (٣ : ١٩؛ ٧ : ٤٠؛ ١٤ : ١٩).

٥ - خطاب « الحكمة » للناس بصيغة المتكلم (الأمثال ٨؛ ابن سيراخ ٢٤) كذلك « كلمة الله» يقول : « أنا هو » . « الحكمة » تدعو الناس إلى الطعام والشراب منها. كذلك يفعل المسيح كلمة الله (٤ : ١٣؛ ٦ : ٢٥ و٥١).

٦ - « الحكمة » تنشد الإنسان (الأمثال ٨ : ١؛ الحكمة ٦ : ١٦)؛ وتطلق نداءها في الساحات العامة؛ كذلك يسوع يطلب المحتاجين إليه خارج المدينة (٥ : ١٤؛ ٩ : ٣٥) ويناديهم بصوت جهير (٧ : ٢٨ و٣٧). « الحكمة » تسمي تلاميذها « أبنائي » (الأمثال ٨ : ٣٢؛ ابن سيراخ ٦ : ١٨)؛ كذلك يسوع يسمي تلاميذه « أبنائي الصغار » (١٣ : ٣٣). « الحكمة » تمتحن أتباعها (ابن سيراخ ٦ : ٢٠ - ٢٦) حتى يهوونها (الأمثال ٨ : ١٧؛ ابن سيراخ ٤ : ١٢؛ الحكمة ٦ : ١٧) ويبلغون رضى الله (الحكمة ٧ : ١٤ و٢٧)؛ كذلك يسوع يمتحن تلاميذه حتى يسميهم « أحبائي » (١٥ : ١٥) ويقدّسهم بكلامه وحقيقته (١٥ : ٢؛ ١٧ : ١٧).

هكذا يرى يوحنا **شخصية المسيح في صورة « الحكمة »** الكتابية لا الهلنستية، ولا الغنوصية. وله في كلام يسوع بحسب المؤتلفة جذور :

« لهذا قالت حكمة الله ... » (لوقا ١١ : ٤٩).

« هكذا بَرّر الحكمة جميع بنيها » (لوقا ٧ : ٣٥).

« ملكة اليمن أتت من أطراف الأرض لتسمع حكمة سليمان، وههنا أعظم من سليمان » (١١ : ٣١).

الحكمة تنادي إليها (ابن سيراخ ٥١ : ٢٣ - ٢٧)، ويسوع يتجول وينادي: « تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والمثقلين، وأنا أُريحكم » (متى ١١ : ٢٨).

إذا كانت هذه الجذور في الإنجيل الجليلي، في بيئة شعبية، فكم بالحري تزداد وتتواتر في الإنجيل الأورشليمي، في بيئة علمية وكلامية!

فإذا اقتبس يوحنا **تعبير « الكلمة »** من البيئة الهلنستية أو الفيلونية، فقد فهمه بمعنى « الحكمة » الكتابية؛ وارتفع به من الصفة الإلهية إلى الذات الإلهية، فسما على أهل الكتاب وعلى أهل الحكمة.

وإذا اقتصر على ذكر « الكلمة » في فاتحته، إشارة إلى أن يسوع لم يستخدم التعبير؛ فقد تواتر معناه في تفاصيل الإنجيل، بتعابير : الحياة، والحقيقة، والنور، والحكمة، وكلام الله.

رابعاً : لغته دليل صحته.

شهير الجدال الذي قام بين العلماء : في هل الإنجيل بحسب يوحنا كُتب باليونانية مباشرة، أم إنه ترجمة عن الأرامية.

والحقيقة التاريخية وسطاً بين القولين : كاتبه أرامي، فلسطيني، شاهد عيان؛ وهو يكتب باليونانية مباشرة. وهذا من دلائل صحته وتاريخيته.

إنه يكتب اليونانية بأسلوب أرامي.

يظهر ذلك من فن الإثبات والنفي في الجملة الواحدة كقوله : « فاعترف، ولم ينكر » . وهذا لا يقوله يوناني.

إنه يربط الكَلِم في الجملة ربطاً بحرف العطف، ولا يحملها حملاً بعضها على بعض بحسب أسلوب اليونانية (يو ٩ : ٦؛ ١٧ : ١٠ الخ).

إنه يستخدم صيغة الماضي في روايته، ولا يتفنن في تبديل صيغ الفعل.

ولا يستخدم المنطق في تسلسل الخطاب؛ بل يجمع الأفكار جمعاً، ولا يظهر التعليل بين المقاطع.

يكثر، نحو سبعين مرة، من تعبير « قال » ، « قالوا » بدل النقطتين اللتين تشيران إلى القول المنقول.

يضاعف استعمال الضمير، كما تهوى الأرامية، وتأبى اليونانية، مثل قوله : « ولا أستحق أنا أن أحلّ **له** سير حذائه » . يرد ذلك نحو ثمانٍ وعشرين مرة، كقوله أيضاً : « أما جميع الذين قبلوه، فقد آتاهم؛ بينما اليونانية تقول : « فقد آتى جميع الذين قبلوه » .

يستبدل صيغة المجهول بالمفرد، والمعلوم بالجمع كقوله : « جمعوا الأغصان وألقوها في النار » (١٥ : ٦) وليس الفاعل جماعة؛ وقوله :

« أخذوا الرب، ولا نعلم أين وضعوه » (٢٠ : ٢)، ولا نعرف إذا كان الفاعل جمعاً أو فرداً.

يستخدم نحو مائة وتسع وعشرين مرة حرف « حتى » دون أن تعني غاية مقصودة، كقوله : « هذا هو الخبز النازل من السماء، **حتى** أن كل من يأكل منه لا يموت » (٦ : ٥٠). وأصل التعبير في اليونانية: « هذا هو الخبز النازل من السماء، **فكل** من يأكل منه لا يموت ». وقوله : « يؤتيكم فارقليط آخر **حتى** يكون معكم إلى الأبد » (١٤ : ١٦)، وأصلها إسقاطها أو إبدالها بـ « لكي » . وقوله : « أتت الساعة **حتى** أن كل من يقتلكم يتوهّم أنه يقرّب لله قرباناً » (١٦ : ٢)، وأصلها « حيث » .

والسمة الأرامية الكبرى هي نظم أقوال يسوع بحسب الثنائية في تركيب الجملة، في العبرية والأرامية، كما يظهر من أقوال الأنبياء وأشعار المزامير، وتصاريح السيد المسيح. وهذا الأسلوب في النظم يقوم ما بين الشعر والنثر.

خامساً : تعلميه « المشبوه » دليل صحته.

قيل : إن تصاريح الإنجيل بحسب يوحنا تختلف موضوعاً وأسلوباً عن تعليم يسوع بحسب المؤتلفة؛ فهي شبهة على صحته.

وفاتهم إن يوحنا ينقل **تعليم المسيح بالمعنى، لا بالحرف،** فالحرف أكثر الأحيان من الكاتب، لذلك تأتي أقوال المسيح بإنشاء وأسلوب أعماله. فهي ليست فقط أقوال مسيح الإيمان، بل يسوع التاريخ أيضاً؛ وإن اتخذت تلك الأقوال التاريخية أبعادها الحقيقية على نور القيامة وكشف الروح.

ففي الإنجيل بحسب يوحنا نحو **ستة حوارات** بين يسوع وتلاميذه أو بينه وبين أخصامه تحمل طابع الواقعية الذي لا تردّ شهادته، مثل طعام يسوع المجهول (٤ : ٣١ ـ ٣٤)، وشهادة بطرس، زعيم الصحابة، عند ردة بعض التلاميذ (٦ : ٦٧ ـ ٧٠)، وحوار يسوع وأعمى سلوان (٩ : ٢ ـ ٥)، وصلاة يسوع لحفظ تلاميذه (١٧ : ٣ الخ).

ويمتاز تعليم يسوع عند المؤتلفة عن يوحنا بالأمثال. وفارق الأسلوب بين الإنجيل الجليلي والإنجيل الأورشليمي قائم على فارق البيئة، إذ هي

في الجليل شعبية، وفي أورشليم علمية. مع ذلك، فعند التدقيق، قد اكتشف أحد العلماء عند يوحنا **اثني عشر مثلاً** كما سنرى. فأسلوب الأمثال يبرز أو يقلّ بحسب اختلاف بيئة المخاطَبين.

وهناك **عشرون نُطقاً** ـ أو خمسة وعشرون، وربما أكثر ـ تحمل سمة أقوال المسيح بحسب المؤتلفة، فهي « أقوال الرب » لا ريب في ذلك. إن يوحنا يستمد التعليم من تراث المسيح، وان أكمل الإنجيل الجليلي، بالإنجيل الأورشليمي، مع اختلاف البيئة ومحور الدعوة.

وهناك « **أحاديث الوداع** » في العشاء السري، مع الكشف فيها عن مصير الجماعة، فهي أقرب إلى الواقعية وظروف الحال، من خطاب يسوع بحسب المؤتلفة في مصير إسرائيل ومصير العالم، بأسلوب كتب « الرؤيا » عندهم.

فالتعليم « المشبوه » على زعمهم، عند يوحنا، هو دليل صحته، بسبب وحدة التراث المسيحي؛ إن سموه وأسلوبه قدسيته وجلاله، لا ترفع عنه طَبَعيته وواقعيته.

سادساً : معجزاته « المشبوهة » دليل صحته.

قيل : إن معجزات يسوع تمّت في الجليل حيث البيئة الشعبية أكثر ميلاً إلى تصديق الأسطورة؛ والأناجيل المؤتلفة لا تذكر ليسوع معجزة في أورشليم أو في اليهودية. فما نقله يوحنا منها « مشبوه » في نظرهم.

وفاتهم أن يوحنا يكمّل الإنجيل الجليلي، بالإنجيل الأورشليمي. ومن الغريب جداً أن لا يؤيد دعوته بالمعجزة في اليهودية مثل الجليل؛ خصوصاً والمعجزة دليل النبوة عند علماء بني إسرائيل.

وفاتهم أيضاً أنه ينقل أربع معجزات تمّت في الجليل : تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل، وشفاء ابن الضابط الملكي، قائد حامية كفرناحوم، وتكثير الخبز شرقي طبرية لآلاف الناس، وسير يسوع على مياه البحر (٦ : ١٦ ـ ٢١)؛ كما ينقل ثلاث معجزات تمّت في أورشليم

واليهودية : مقعد بركة بيت حسدا (ف ٥) والأكمه أي الأعمى منذ مولده (ف ٩) وإقامة لعازر (ف ١١).

ومعجزات الجليل يشترك فيها يوحنا مع المؤتلفة، لكنه يستقل بمعجزات أورشليم لأنه وحده ينقل الإنجيل الأورشليمي.

وما يلفت النظر و « الشبهة » عندهم هو المعجزة الكبرى، **إقامة لعازر.** مع أن ضخامة المعجزة تحمل طابع الواقعية في روايتها. ولها مثيل عند المؤتلفة، إقامة ابن أرملة نائين، مع فارق الأسلوب بين الإيجاز عند المؤتلفة، والاسهاب عند يوحنا، لاستيفاء عناصر الواقعية والتاريخية. وفاتهم أيضاً أن إقامة لعازر كانت سبب حكم السنهدرين بقتل يسوع، أربعين يوماً قبل التنفيذ، بشهادة التلمود. وهذا القرار الشاهاني كان سبب اختفاء يسوع شهراً في « بقعة قريبة من القفر، في بلدة اسمها افرائيم » (يو ١١ : ٥٤). فالمعجزة أوصلت أزمة الصراع إلى أوجها.

ويرون شبهة في قلة المعجزات عند يوحنا، وكثرتها عند المؤتلفة. وفاتهم أن يوحنا نوّه بكثرتها في مطلعه (٢ : ٢٣) وفي مقطعه الأول (١٢ : ٣٧) والأخير (٢٠ : ٣٠). لكنه اقتصر على تفصيل **سبع معجزات،** إشارة إلى كمال العدد المقدس؛ وأسهب في تفصيل معجزات أورشليم، مقعد بيت حسدا (ف ٥) والأكمه (ف ٩) ولعازر بيت عنيا (ف ١١) لأنه ينقل الإنجيل الأورشليمي، تكميلاً للإنجيل الجليلي.

فالمعجزات عند يوحنا تحمل طابع الصحة مثل المعجزات عند المؤتلفة.

سابعاً : واقعيته في روايته دليل صحته.

واقعيته في **رواية السيرة،** جملةً وتفصيلاً، ولو كان صاحبها شخصية أسمى من البشر والتاريخ.

يكاد يوحنا يوجز السيرة في **سبعة أسابيع،** بمناسبة سبعة أعياد لليهود، تطفو على ذاكرة يوحنا من رسالة المسيح مدة ثلاث سنوات ونيّف. وهي أسابيع ملأى بالحياة والدعوة، تخلد في ذاكرة تلميذ حبيب وشاهد عيان.

فنراه يذكر ظروف الزمان والمكان، وأحوال الأشخاص والحوارات النابعة

من صميم الواقع. لذلك اقتصر على بعض أحداث ليوفيها حقّها من السرد والإيحاء، لكي تكشف عن سر يسوع بأنه « المسيح، ابن الله الحي » .

فهو يفصّل الأسبوع الأول يوماً فيوماً؛ ويفصّل أسبوع عيد الخيام يوماً فيوماً؛ ويفصّل الأسبوع الأخير يوماً فيوماً، من دون أن يكرر ما قاله المؤتلفة وقد بات مشهوراً؛ لكن يكمّلها حيث تدعو الحاجة، للدلالة على صحة السيرة جملةً وتفصيلاً.

في أثناء ذلك ينقل من **دعوة المسيح** ما يشهد أنه حقاً ابن الله. لكن واقعيته تأبى عليه إلاّ أن يرى إلهية يسوع من خلال بشريته. إنه يركّز أكثر من المؤتلفة على تبيان إلهية يسوع. لكنه في الوقت نفسه يركّز أكثر من المؤتلفة على حقيقة بشريته، بما لم يجرؤ المؤتلفة على ذكره : المحاولات المتواترة لاغتياله في أثناء الأعياد؛ **مظاهر ضعفه** في الإفلات من القبض عليه، والتواري بين الشعوب المزدحم، والهرب إلى بعيد، والخلوة في محلات نائية عن مركز السلطة. إن المسيح الإله في دعوة الإنجيل بحسب يوحنا، والذي يسمو بسلطانه وجلاله على الإنسان والشيطان، يظهر كذلك بشراً من لحم ودم يباحث على انفراد، ويسرّ لصحابته ما لا يكشفه للناس؛ لكن إذا جابهته المعارضة يبرز لها بسلطان الكلمة والمعجزة، حتى تقوده شهادته إلى الاستشهاد.

فواقعيته في روايته دليل صحته.

* * *

الجزء الثاني : الشبهات الذاتية على صحته، بحسب بعضهم

مع ذلك على تلك الدلائل الذاتية لصحته، أقاموا **شبهات ذاتية :** من كاتبه صيّاد السمك؛ من دعوة في أورشليم تجهلها الأناجيل المؤتلفة؛ من اختلاف في موضوع الدعوة بين يوحنا والمؤتلفة؛ من اختلاف في أسلوب الدعوة بالخطب الكلامية، لا بالأمثال؛ من اختلاف في كلام يسوع

الشعبي والعلمي. من اختلاف في أهداف المعجزات ما بين يوحنا والمؤتلفة؛ أخيراً من الإضافات المقحمة على الإنجيل، ولا تختلف عنه موضوعاً ولا أسلوباً.

أولاً : كاتب الإنجيل بحسب يوحنا صيّاد سمك!

صاحب الإنجيل بحسب يوحنا هو بالتواتر والإجماع يوحنا بن زبدى. ونعرف من الإنجيل أنه كان صياد سمك مثل أخيه يعقوب مع والدهما وبعض العمال (مرقس ١ : ١٩ ـ ٢٠). أمِنَ المعقول أن يكون هو كاتب الإنجيل بحسب يوحنا، أسمى ما عرفته البشرية في آداب الدين والدنيا ؟

في ذلك الزمان، ما كانت الصنعة تتنافى مع الثقافة والعبقرية. وعلماء بني إسرائيل كانوا يقومون بحرفة إلى جانب علمهم وفقههم.

وكذلك لا تتنافى النبوة في استقبال الإلهام والوحي مع الثقافة البسيطة أو مع الأمية.

ومَن قال بأن يوحنا بن زبدى، الصياد مع أبيه وأخيه، كان أُمّيّاً ؟ لم يكن عاملاً، بل تاجر سمك، من مدينة طبريا، « مع أجراء » (مرقس ١ : ٢٠). والتجارة تقتضي ثقافة. وميل يوحنا منذ شبابه إلى الدين والدعوة ظاهر من تلمذته للمعمدان، بجوار قمران. فاكتسب من المعمدان ومن قمران، قبل أن يكتسب من السيد المسيح.

وعندنا في الفصل الملحق بالإنجيل (يو ٢١ : ٢٠ و٢٤) أن « التلميذ الذي كان يسوع يحبه ... هذا التلميذ هو **الشاهد** بهذه الأمور، وهو الذي كتبها، ونحن نعلم أن **شهادته** حق » ، القول الفصل في الموضوع. فتعبير « هو الذي كتبها » يعني « **استكتبها** » . فإن التركيز قائم **على « الشاهد » و « الشهادة »** . ومدرسته الأفسسية تظهر في قوله : « ونحن نعلم أن شهادته حق » . فهي وريثة تراثه، وهي **صاحبة التدوين الأخير.**

فقد مرّ الإنجيل بحسب يوحنا بفترة شفوية طويلة، نرى آثارها في اقتباسات لوقا منه. ثم تمّ التدوين بمراحل صقلته في صورته الأخيرة.

فيوحنا هو « **الشاهد بهذه الأمور** » (٢١ : ٢٤). ولا شك أنه مثل

غيره في ذلك الزمان استخدام **كاتباً** من مدرسته لتدوين الإنجيل. **ومدرسته صقلته** قبل نشره، بعد وفاة الرسول الحبيب.

ونتحقق من أمانة الكاتب والمدرسة، بإبقائهم على أساليب التفكير والتعبير السامية، الأرامية، مع أنهم كانوا أرباب اللغة والبيان والعلم في أفسس.

يشهد بصحة شهادتهم وصحة الإنجيل عينه، القبول المطلق الذي به قبلته الكنائس جميعها شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، مع أنها رفضت في تلاوتها أناجيل منحولة تحمل أسماء رسل أضخم من يوحنا، مثل الإنجيل بحسب بطرس، أو الإنجيل بحسب الاثني عشر.

فالتمييز بين « الشاهد » ، والكاتب يفصل في الشبهة. إن يوحنا بن زبدى، صياد السمك، هو صاحب الإنجيل بحسب يوحنا، كما تتلوه الكنيسة الجامعة، بالإجماع والتواتر، منذ ظهوره إلى اليوم. ولولا **رسوليته** الصحيحة لما قبلته الكنيسة الجامعة.

هل يمكن أن نعرف مَن كان **كاتب يوحنا الرسول** ؟ اختلفت الآراء في تسميته. ولعلّه يوحنا « الشيخ » أي الكاهن، الذي ذكره پاپياس، وكان يحمل اسم معلمه؛ وقد عرفه كما عرف الرسول.

هكذا ليس من شبهة على صحة الإنجيل بحسب يوحنا من كون صاحبه، « الشاهد » به، هو يوحنا الرسول، ابن زبدى، صيّاد السمك، قبل تلمذته ليوحنا المعمدان، بجوار قمران، وصحبته للسيد المسيح منذ الساعة الأولى، حتى الساعة الأخيرة.

ثانياً : هل قام يسوع بدعوة في أورشليم واليهودية ؟

الشبهة القائمة على الإنجيل بحسب يوحنا أن الأناجيل المؤتلفة الثلاثة لا تذكر ليسوع دعوة في أورشليم واليهودية، قبل صعوده إليها في الفصح الأخير للاستشهاد.

لكن من الغريب أن يقتصر يسوع دعوته على « جليل الأمميين » ولا يظهر في اليهودية، وخصوصاً في أورشليم بمناسبة مواسم الحج! فالشبهة

- إن كانت هناك شبهة - تقوم على حصر دعوة يسوع في الجليل، لا على دعوة له كذلك في اليهودية وفي أورشليم.

وقد رأينا أن الرسل الصحابة، لمَّا خططوا لدعوتهم الأولى، اقتصروها على الجليل، « تقيّة » منهم، وتحسّباً لحساسيات السلطات الإسرائيلية. فجاء الإنجيل بحسب مرقس، والإنجيل بحسب متى، ضمن تلك « التقية » .

ولما قام لوقا الطبيب والأديب، بتحقيقاته في فلسطين لكتابة الإنجيل، بحسب تعليم بولس معلمه، عرف أن يسوع قام بدعوة في اليهودية وأورشليم، وأحب أن ينقل منها شيئاً. لكن مخطط الرسل الصحابة قيّده. فوجد مجالاً له في صعود يسوع من الجليل إلى اليهودية وأورشليم، لينقل شيئاً من الدعوة في اليهودية، في قسمه الوسط الذي انفرد به. وهذا شهادة لقيام دعوة ليسوع في اليهودية.

والأناجيل المؤتلفة الثلاثة نقلت قول يسوع في أورشليم : « يا أورشليم! يا أورشليم! يا قاتلة النبيين، وراجمة المرسلين! كم من مرة أردت أن أجمع فيك بنيكِ! » . فهذه شهادة قائمة لدعوة يسوع مراراً في أورشليم. وتلك الدعوة هي الإنجيل الأورشليمي الذي شهد به يوحنا الرسول، تكميلاً للإنجيل الجليلي.

فليس من شبهة على الإنجيل بحسب يوحنا، لاختلافه مع المؤتلفة في ميدان الدعوة. بل هناك تكامل للشهادة الكاملة.

ثالثاً : هل من شبهة في اختلاف موضوع الدعوة ؟

محور الدعوة الإنجيلية، عند المؤتلفة الثلاثة، هو **ملكوت الله**، وبتعبير يهودي « ملكوت السماوات » - حيث « السماوات » كناية عن الله تعالى. ولا يأتي ذكر ملكوت الله إلاّ مرة واحدة في الإنجيل بحسب يوحنا، في حواره الليلي مع نيقوديم (٣ : ٣ و٥). أليس ذلك بشبهة على صحة دعوته ؟

إن تعبير « ملكوت الله » (٣ : ٣) أو « ملكوت السماوات » (٣ : ٥) تعبير كتابي، يهودي، لا يفهمه العالم الأممي، ولا تستسيغه دولة رومة،

حاكمة المسكونة. فاستبدله يوحنا **بتعبير** « **الحياة** » ، الذي يستثير عقلية الأمم ووجدانها.

فهل حرّف يوحنا لغة المسيح ؟ أم أن السيد المسيح نفسه استبدل التعبير، في بيئة مختلفة يحكمها الوالي الروماني مباشرة ؟ نرى أن يسوع نفسه استبدل التعبير، في بيئة الحكم الروماني المباشر، دفعاً لإثارته وإثارة الجماهير.

وبعدُ فاختلاف الألفاظ لا يمنع اتفاق المعاني. فالمقصود « بالحياة » أو « الحياة الأبدية » هو « ملكوت الله » في نفوس المؤمنين وفي سلوكهم.

فالكشف الإلهي بالإنجيل أن « ملكوت الله » هو « حياته » في المؤمنين. هذا ما نوّه به المؤتلفة، وهذا ما يبسطه يوحنا في « شهادته » . وقد جمع الإنجيل بحسب يوحنا دعوة يسوع « للحياة » في مطلعه : « فيه كانت الحياة؛ والحياة للعالمين نور » (١ : ٤)؛ وفي مقطعه : « لكي تكون لكم الحياة باسمه (فيه) إذا آمنتم » (٢٠ : ٣١). فكل رسالة المسيح « إن الله أحب العالم، حتى أنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦) أي « الحياة » على الإطلاق. ويتواتر تعبير « الحياة » تسع عشرة مرة في الإنجيل، وتعبير « الحياة الأبدية » المرادف له سبع عشرة مرة.

فملكوت الله هو « الحياة » ، « الحياة الأبدية » في المؤمن : اختلاف وترادف في التعبير، لا في موضوع الدعوة، فلا شبهة في ذلك.

رابعاً : أسلوب التعليم بالأمثال هل هو شبهة على صحة يوحنا ؟

تعليم المسيح، بحسب الأناجيل المؤتلفة، يعتمد **أسلوب الأمثال**. وقد عدّ العلماء عندهم نحو ستين مثلاً.

والمثل تشبيه أو استعارة، قد تقصر وقد تطول.

قيل : ليس عند يوحنا من أسلوب الأمثال شيء؛ وهذه شبهة على صحة إنجيله، لأن تعليم المسيح بأسلوب الأمثال ثابت من المؤتلفة.

نقول : إن اختلاف البيئة في الدعوة سبب كمون الأمثال في تعليم المسيح بحسب يوحنا. فبيئة المؤتلفة **بيئة شعبية** خاطبها يسوع بأسلوب الأمثال؛

أما بيئة يوحنا، في الإنجيل الأورشليمي، فهي **بيئة علمية** خاطبها يسوع بأسلوب الكلام الصريح. فتغيير الأسلوب بحسب البيئة المختلفة ليس شبهة عليه، بل هو شهادة له على صحته.

ثم نقول : إن أسلوب الأمثال في تعليم المسيح بحسب يوحنا قائم فيه، مع تغيير في الطريقة. فالأمثال عند المؤتلفة **ظاهرة وكثيرة**؛ أما عند يوحنا فهي **كامنة وقليلة**، وقد عدّ منها بعض العلماء نحو **عشرة**.

١ ـ مثل العريس وصديقه (يو ٣ : ٢٩)

جاء على لسان المعمدان، بهذه الرباعية :

« مَن له العروس فهو العريس أما صديق العريس لقائم قربه يسمعه
فإنه يهتزّ طرباً لصوت العريس ذلك طربي، وقد بلغ الآن كماله »

بهذا المثل شبّه المعمدان السيد المسيح « بالعريس » ، ونفسه « بصديقه » أي « **الاشبين** » في العبرية والأرامية، الذي يحضر العقد ويقوم بحفلة العرس. وهو مثل ناطق لتقييم دور المسيح وسابقه. لذلك استنتج : « فله ينبغي أن ينمو، ولي أن أنقص » (٣ : ٣٠).

٢ ـ مثل الريح في الليل (يو ٣ : ٨).

يسوع يسامر العلاّمة نيقوديم في الليل، ويخاطبه في الميلاد الجديد بالماء والروح. وفي الأرامية ـ كما في العربية ـ الروح والريح من مصدر لغوي واحد. طلب يسوع تشبيهاً لعمل الروح في نفس المعمود، بينما الريح تهينم في الخارج، فاستخدمها مثلاً في هذه الرباعية :

« الريح تهبّ حيث تشاء وأنت تسمع صوتها

لكن لا تدري من أين تأتي، ولا أين تذهب هكذا أمر من يولد من الروح »

٣ ـ مثل الرسالة والحصاد (يو ٤ : ٣٥ ـ ٣٨)

يسوع، في طريق هجرته من اليهودية إلى الجليل، مرّ بأرض السامريين، وجلس عند بئر يعقوب. فكان حواره مع السامرية؛ بينما تلاميذه ذهبوا

يجلبون طعاماً لهم وله ويبشّرون بوجوده. فلما رجعوا دار بينهم هذا الحديث، قال يسوع بلغة المثل :

« أفلا تقولون : أربعة أشهر ويأتي الحصاد.

وها أنا ذا أقول لكم : ارفعوا أعينكم، وانظروا إلى المزارع، فإنها قد ابيضت للحصاد!

ها إن الحاصد ينال أجرته، ويجمع الثمر للحياة الأبدية. فهكذا يفرح الزارع والحاصد معاً.

ففي هذا يصدق القول : واحد يزرع، وآخر يحصد.

إني قد أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم تجنون ثمرة أتعابهم » .

هذا مثل من صميم الواقع، في سهل السامرة، حيث بدأ الزرع ينبت وينمو. فيستخدم يسوع استعارة لرسالته ورسالة صحابته : هو يزرع وهم يحصدون. واستعارة الحصاد مثلاً متواترة عند المؤتلفة (لوقا ١٠ : ٢؛ متى ٩ : ٣٧)، كما عند يوحنا.

٤ - مثل وحدة العمل بين الابن وأبيه (يو ٥ : ١٩ - ٢٠)

شفى السيد المسيح المقعد عند بركة بيت حسدا، في يوم سبت. فثارت علية ثائرة اليهود المتزمتين. « فأجابهم : أبي على الدوام يعمل، وأنا كذلك أعمل » . وفي ثلاث خطب يميزها التصدير (٥ : ١٩ و٣٠؛ ٣١ و٣٧؛ ٣٩ و٤٧) يؤكد وحدة العمل بين الآب والابن، مع تعلّم الابن من أبيه في هذا المثل :

« فأجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم :

الابن لا يقوى من نفسه أن يعمل   إلاّ ما يرى الآب يعمل
فما هو يعمله، الابن كذلك يعمله   فالآب يحب الابن ويريه كل ما يعمل »

هذا مثل في رباعية. وأسلوب نظمه شاهد على صحته.

٥ - مثل الابن والعبد (يو ٨ : ٣٥)

في خطبة من خطب عيد الخيام، يكلّمهم يسوع في التحرير من الخطيئة بهذا المثل الموجز :

« العبد لا يقيم في البيت على الدوام   أما الابن فيقيم فيه على الدوام »

وفي المثل إشارة إلى أن كفرهم بالمسيح سيجعلهم بمرتبة العبيد الذين يُطردون من البيت. وهو إنذار تبعه الحكم المبرم : « هو ذا بيتكم يُترك لكم خراباً حتى تقولوا : أتى » .

٦ - مثل الراعي الصالح (يو ١٠ : ١ - ٥)

استعارة « الراعي » متواترة في الكتاب. و « راعي إسرائيل » هو الله. فحين ينسب يسوع لنفسه هذه الاستعارة النبوية، يحقق النبوة فيه، ويشهد بذلك أنه المسيح الموعود، الذي يأخذ مكان أبيه السماوي. فليس أخصامه « رعاة إسرائيل » (قابل حزقيال ٣٤ و٣٧ : ٢٤)؛ بل يسوع هو الراعي الصالح. ولا يستقل يوحنا بهذه الاستعارة النبوية، بل تتواتر عند المؤتلفة (مر ٦ : ٣٤؛ ١٤ : ٢٧؛ متى ١٠ : ١٦؛ لوقا ٣ : ٣ - ٦؛ ١٩ : ١٠). ويطبق نبوءة ميخا (٥ : ٣) على نفسه فيسمي تلاميذه « القطيع الصغير » (لوقا ١٢ : ٣٢). عند يوحنا يأتي المثل ردّاً على كفرهم بسلطانه ومسيحيته؛ والإنجيل (١٠ : ٦) يسميه « مثلاً » ؛ فيوحنا لا يجهل أسلوب تعليم المسيح بالأمثال، قال :

« الحق، الحق أقول لكم :
مَن لا يدخل إلى الحظيرة من الباب
بل يتسوّر من موضع آخر، فهو سارق ولص
وأمّا الذي يدخل من الباب   فهذا هو راعي الغنم.

له يفتح البوّاب   والغنم تسمع صوته
فيدعو غنمه الخاصة   كلّ واحدة باسمها ويخرجها

ومتى أخرج غنمه كلها   فهو يسير أمامها
والغنم تتبعه   لأنها تعرف صوته

أمّـا الغريب فلا تتبعه بل بالحري تنفر منه
لأنها لا تعرف صوت الغرباء » .

٧ ـ مثل السُرى في الليل (يو ١١ : ٩ ـ ١٠)

وصل إلى يسوع خبر مرض لعازر المخطر، فقرّر الصعود إلى اليهودية. فاعترضه تلاميذه، خشية اغتياله هناك. فطمأنهم بهذا المثل :

« أليس النهار اثنتي عشرة ساعة ؟ مَن يمشي في النهار لا يعثر
لأنه يُبصر نور هذا العالم
ولكن مَن يسري في الليل يعثر لأنه ليس لديه نور » .

٨ ـ مثل السير عند المغيب (يو ١٢ : ٣٥)

في مساء أحد الشعانين، التمس بعض الهلينيين المتهودين أن يروا يسوع. وحدث فجأة صوت كالرعد آتياً من الغيب. ففسره يسوع لهم : الآن دينونة هذا العالم! الآن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً! وأنا متى رُفعت عن الأرض، اجتذبت إليّ الجميع » . فأجابوه بأن المسيح خالد، فكيف هو يقول بموته ؟ فردّ عليهم بهذا المثل :

٩ ـ مثل حبة الحنطة (يو ١٢ : ٢٤)

من كلمات يسوع التي تنبئ بمصيره، هذه الآية :

« الحق، الحق أقول لكم : إن حبة الحنطة التي تقع في الأرض، إنْ لم تمت، فإنها تبقى وحدها؛ وأما إنْ ماتت فإنها تأتي بثمر كثير » .

١٠ ـ المرأة في المخاض (يو ١٦ : ٢١)

في أحاديث وداع يسوع لتلاميذه، هذه الآية :

« المرأة، إذا ما حان وضعها، تحزن، لأن ساعتها قد أتت؛ ولكنها متى وضعت الطفل، لا تعود تتذكر شدتها، لفرحها بأن إنساناً وُلد في العالم » .

وهي صورة كتابية متواترة : « مثل امرأة حبلى ... إذا ما حانت ساعتها » (أشعيا ٢٦ : ١٧).

*

وهناك تشابيه أخرى عند يوحنا قد تكون من قبيل الأمثال. وها نحن نورد بعضها :

١ - يسوع هو باب الغنم (يو ١٠ : ٧ - ١٠)

يسوع يخطب في أروقة هيكل سليمان. وإلى الشرق كان « باب الغنم » الذي منه تدخل الأغنام للضحية، فقال : « الحق، الحق أقول لكم :

« أنا باب الغنم   والذين أتوا قبلي كلهم سرّاق ولصوص!
ولكن الأغنام لم تسمع لهم.
أنا هو الباب   مَن يدخل بي يكون في مأمن
ويدخل ويخرج ويجد مرعى
السارق لا يأتي إلاّ ليسرق   ويذبح   ويهلك
أما أنا فقد أتيت لنكون لهم الحياة   وتكون   لهم   بوفرة »

٢ - يسوع هو الراعي الصالح (يو ١٠ : ١١ - ١٣)

« أنا الراعي الصالح   الراعي الصالح يبذل حياته عن الأغنام
أما الأجير فليس براع   وليست له الأغنام
فإذا ما رأى الذئب مقبلاً   يترك الأغنام ويهرب
ذلك لأنه أجير   ولا يهمه أمر الأغنام » .

٣ - يسوع هو الراعي الصالح (يو ١٠ : ١٤ - ١٦)

« أنا الراعي الصالح   أعرف أغنامي وهي تعرفني
كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب   وأبذل حياتي عن الأغنام

ولي أغنام أخرى ليست من هذه الحظيرة   فهذه أيضاً ينبغي أن أجيء بها
وستسمع صوتي   وتكون رعية واحدة وراع واحد ».

٤ ـ مثل بيت الآب (يو ١٤ : ٢)

« في بيت أبي منازل كثيرة
وإلاّ لقلت لكم : انطلق لأعدّ لكم مكاناً
فإذا ما انطلقت وأعددت لكم مكاناً
أرجع وآخذكم لتكونوا أنتم أيضاً حيث أكون أنا » .

٥ ـ مثل الكرمة الحقيقية (يو ١٥ : ١)

« أنا الكرمة الحقيقية وأبي هو الكرّام
كل غصن فيّ لا يأتي بثمر بنزعه وكل غضن يُثمر ينقّيه ليثمر أكثر » .

خامساً : هل من شبهة في اختلاف كلام يسوع الشعبي والعلمي ؟

قيل : كلام يسوع عند يوحنا يختلف عن كلام يسوع عند المؤتلفة : هنا خطاب شعبي، وهناك خطاب علمي.

أجل، ولا عجب في ذلك : فعند المؤتلفة، بيئة شعبية في الجليل يخاطبها يسوع بكلام شعبي؛ وعند يوحنا بيئة علمية في أورشليم يخاطبها بكلام علمي، على طريقتهم.

والمؤتلفة أيضاً تنقل كلام يسوع بالحرف عادة؛ أما يوحنا فينقل خطب يسوع الكلامية بالمعنى، فيضفي عليها من أسلوبه.

فليس اختلاف الأسلوب بشبهة على صحة الإنجيل بحسب يوحنا.

سادساً : هل من شبهة في اختلاف المعجزات بالمعنى والهدف ؟

ليس من شبهة من حيث العدد، ستون عند المؤتلفة، وسبع عند يوحنا؛ لأن يوحنا أشار إلى كثرتها واقتصر على العدد الرمزي المقدس، دلالة الكمال.

وليس من شبهة في معنى المعجزات : المؤتلفة تسمّيها « قوّات » أي معجزات، بحد ذاتها؛ بينما يوحنا يسمّيها على لسان يسوع « أعمالاً » بمعنى معجزات أيضاً بحد ذاتها؛ وعلى لسان غيره « آيات » من حيث

معناها الرمزي. فيوحنا يرى مع المعنى الحسي مثل المؤتلفة، معنى رمزيّاً يفصح عنه بالخطاب الذي يلي المعجزة.

وليس من شبهة في هدف المعجزات : عند المؤتلفة هي أعمال رحمة تشهد بحضور ملكوت الله؛ وعند يوحنا هي أعمال سلطان إلهي تشهد بأنه سيد الملكوت.

فعند الفريقين، المعجزات شهادة بحضور الله في مسيحه، وبواسطة مسيحه. يقول لليهود : « لكن إذا كنت أنا بإصبع الله أطرد الشياطين، فذلك أن ملكوت الله قائم بين ظهرانيكم » (متى ١٢ : ٢٨)؛ كما يجيب المعمدان الذي أرسل وفداً يسأله : « أأنت الآتي أم ننتظر آخر ؟ » . أجرى أمامهم معجزات شتى وقال لهم : « انطلقوا وأعلموا يوحنا بما تسمعون وترون ... » (متى ٧ : ٢ - ٦). ويبعث رسله إلى الرسالة ويقول لهم : « اشفوا المرضى! أخرجوا الشياطين » ؛ « وقولوا للناس : إن ملكوت الله قريب » (لوقا ١٠ : ٩؛ متى ١٠ : ٧).

وعند يوحنا؛ يقول يسوع لليهود : « مكتوب في شريعتكم : شهادة اثنين قائمة : فأنا أشهد لنفسي، وأبي الذي أرسلني يشهد لي » (يو ٨ : ١٧)؛ « إن الأعمال التي آتاني الآب أن أعملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها، هي تشهد لي بأن الآب قد أرسلني » (يو ٥ : ٣٦).

فالمعجزة عند يوحنا، كما عند المؤتلفة، شهادة الله ليسوع.

سابعاً : الإقحامات على يوحنا هي من أسلوبه، فهل هي شبهة عليه ؟

قيل : في الإنجيل بحسب يوحنا بعض إقحامات طارئة عليه، وهي مثل إنشائه وأسلوبه؛ فهي شبهة قائمة على صحته.

لم يثبت منها إلاّ إقحامان. الأول هذه الآية : « لأن ملاك الرب كان ينزل أحياناً في البركة، ويحرّك الماء ؟ والذي كان ينزل أولاً بعد تحريك الماء كان يُبرأ من كل مرض اعتراه » (٥ : ٤). إنها زيادة هامشية تفسيرية أُقحمت على النص، ولا توجد في المخطوطات الكبرى القديمة. والثاني قصة المرأة الزانية في الجرم المشهود (٨ : ٣ - ١١). إنها تقطع سياق

الحديث فإقحمها في موضعها ظاهر. وهي لا توجد في كثير من المخطوطات القديمة. وهي أقرب إلى أسلوب لوقا، وبعضهم يجعلها في الإنجيل بحسب لوقا بعد (٢١ : ٣٨).

وليس الأمر كذلك في **الإقحامات المزعومة** (٧ : ٥٣؛ ٤ : ١ - ٢؛ ٦ : ٢٣؛ ٩ : ٢؛ ١٢ : ١٦). فإنها ترد في المخطوطات الأصلية. ولكن مهما كان أمرها فليس فيها ما يمس الصحة أو الوحدة في الإنجيل.

وليس الأمر كذلك في **الفصل الحادي والعشرين**. فمن الجلي أن خاتمة الإنجيل الأولى هي (٢٠ : ٣٠ - ٣١) فهي تظهر معنى الإنجيل كله وهدفه. وقد دعت الحاجة يوحنا إلى إضافة هذا الملحق (ف ٢١) للرد على مريديه الذين أخذوا يفضلونه على الرسل، وحتى على بطرس الذي أنكر معلمه؛ فهو « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » كما يقول للمرة الثالثة. ثم أخذوا يقولون لطول عمره بأنه لا يموت. فأضاف هذا الفصل إلى الإنجيل، وختمه بالآية (٢١ : ٢٥) التي تكرر الآية (٢٠ : ٣٠) وتبرّر هذه الإضافة الأصلية.

لكن الآية (٢١ : ٢٤) حيث ينتقل الخطاب من صيغة المفرد إلى الجمع فهي شهادة مجلس أساقفة وكهنة أفسس، القيّمين على تراث يوحنا، والذين نسخوا الإنجيل إلى الكنائس وأكدوا صحته ونسبته. وهذا الفصل الملحق يحمل سمات الإنجيل كلها، دليل وحدة الشهادة ووحدة الكاتب.

فليس من إقحام دخيل سوى آية الملاك (٥ : ٤) وقصة الزانية (٨ : ٣ - ١١) وليس فيهما شبهة على صحة الإنجيل.

إن الإنجيل بحسب يوحنا هو شهادة شاهد العيان منذ الساعة الأولى حتى الساعة الأخيرة، أحد « الثلاثة المقرّبين » بين الصحابة كما نعرفه من الأناجيل المؤتلفة، والذي بقي وحده منهم حيّاً بعد الحرب السبعينية، « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » ، كما يوقّع شهادته بهذه الكناية اللطيفة، والذي كان دائماً إلى جانب يسوع في المواقف الحاسمة، وفي الخلوات الفاصلة، يوحنا بن زبدى الذي فضّله يسوع بمحبته، وفي المحبة سر المعرفة الكبرى والشهادة العظمى.

فكان الإنجيل بحسب يوحنا أفضل شهادة، لأفضل مشاهدة، في ذروة الوحي والتنزيل، دعوةً وكتابةً.

والسنّة المسيحية تشهد الشهادة عينها.

* * *

الجزء الثالث : شهادة السنَّة المسيحية بصحته

أولاً : شهادة الأمة المسيحية بالإجماع والتواتر.

إن إنطاكية والإسكندرية وروما هي المثلث الجغرافي الذي قامت عليه الدعوة المسيحية، منذ عهد الرسولين بطرس وبولس. وفي تلك الأركان الثلاثة، التي تفرّعت عنها جميع الكنائس، يُتلى الإنجيل بحسب يوحنا الرسول، على غرار الأناجيل المؤتلفة، منذ ظهوره، تدعمه شهادة مجلس أساقفة أفسس وكهنتها التي ذيّلوا بها نسخ الإنجيل بحسب يوحنا، التي بعثوها لهم : « فهذا التلميذ - الذي كان يسوع يحبه - (٢١ : ٢٠) هو الشاهد بهذه الأمور، وهو الذي كتبها (أو : استكتبها)؛ ونحن نعلم أن شهادته حق » (يوحنا ٢١ : ٢٤). **فتُلي بالإجماع والتواتر أنه الإنجيل بحسب يوحنا الرسول**، منذ ظهوره في أواخر القرن الأول، إلى اليوم.

وبرهان الكنيسة الرسولية، أو ما بعد الرسولية، في قبول قدسية كتاب هو **رسوليته**. والكتاب - إنجيل أو رسالة - الذي لا تصح رسوليته، لا يُقبل للتلاوة في الصلاة العامة، ولا في مجموعة « العهد الجديد » . لذلك اعتبرت « الإنجيل بحسب بطرس » منحولاً، و « الإنجيل بحسب توما » منحولاً، والإنجيل « بحسب الاثني عشر » منحولاً، وهي تحمل أضخم الأسماء، لأن رسوليتها لم تثبت. فإذا ما قبلت **الكنيسة كلها بالإجماع والتواتر** الإنجيل بحسب يوحنا، واعتمدته مثل الأناجيل الثلاثة المؤتلفة التي دوّنت قبله بربع أو نصف قرن، في تلاوتها الرسمية، فهذا برهان إيمانها المتواتر بالإجماع، والإسناد الصحيح، على رسوليته وصحة نسبته إلى يوحنا الرسول، لا إلى يوحنا آخر.

تلك شهادة الأمة المسيحية منذ نحو ألفي سنة.

ثانياً : الشهادة الأثرية على قِدَمه.

سنة ١٩٣٤ اكتشف عالمان جزئين من مخطوطين للإنجيل بحسب يوحنا، هما Papyrus Bodmer II (= p. 66) ; Papyrus Egerton 2 وقد اتفق العلماء إلى تأريخهما سنة ١١٠م. وإذ قد وُجدا في مصر، فالأثران يشهدان بأن الإنجيل بحسب يوحنا قد شاع في الكنيسة منذ ظهوره، حتى وصل مصر في برهة عشر سنوات.

وقد وصل الإنجيل بحسب يوحنا إلى رومة في البرهة عينها، وشاع استعماله بين الشعب المسيحي. وليس أدل على ذلك من رسوم المشاهد المأخوذ منه على **جدران مغاور القبور** في رومة، والتي اتفق علماء الآثار على تحديد تاريخها في النصف الأول من القرن الثاني. نرى فيها رسوم تكثير الخبز (٦ : ١ - ١٤) وشفاء مقعد بركة بيت حسدا (٥ : ١ - ١٥) وشفاء الأكمه أي الأعمى منذ مولده، وإقامة لعازر من بين الأموات. إن هذا الاستخدام الشعبي للإنجيل بحسب يوحنا يدل على أنه وصل رومة منذ ظهوره.

فهذان النوعان من الآثار يدلاّن على قِدَم الإنجيل بحسب يوحنا، منذ ظهوره.

ثالثاً : شهادة كتّاب القرن الثاني الميلادي العامة.

في النصف الأول من القرن الثاني، يستشهدون بالإنجيل بحسب يوحنا، لكنهم لا يذكرون نسبته إلى يوحنا، لأن التورية البارعة التي وقّع بها فيه، « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » لم تخفَ على أحد.

فأسقف إنطاكية، الشهيد سنة ١٠٧م، **أغناطيوس الإنطاكي** يستخدم تعاليم يوحنا وبعض آيات منه في رسائله.

طعن بعضهم في صحة هذه الشهادة، لأن أغناطيوس في رسالته إلى الأفسسيين يذكر رسولهم بولس، ولا يذكر يوحنا. نقول : إن سكوته عن ذكر يوحنا إذا استُخدم في إنكار دعوته في أفسس، فلا يفيد وجود الإنجيل عينه، وفي استخدام أغناطيوس له. وإقامة يوحنا الرسول في

أفسس ثابتة من وجود قبره فيها حتى الفتح العربي، وقد شهد به مؤرخ الكنيسة أوسابيوس القيصري، في (تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٩ ع ٢).

وسنة ١٣٠ م قام **پاپياس**، أسقف فريجية، في الأناضول، فجمع الأناجيل الأربعة في رواية واحدة. فاستخدم يوحنا كما استخدم المؤتلفة الثلاثة. وهذا دليل اعتراف الكنيسة برسوليته. وإن لم يكن شهادة على نسبته إلى يوحنا الرسول. لكن پاپياس يشهد بنسبته إلى « **يوحنا** » . قيل : إنه يخلط بين يوحنا الرسول ويوحنا « الكاهن » . وهب ذلك صحيحاً، فتظل شهادته ليوحنا الرسول قائمة، لأن يوحنا الكاهن كان تلميذ يوحنا الرسول، ومعلم الأسقف پاپياس. **فالسند** الصحيح قائم من يوحنا الرسول، مدوّن الإنجيل، إلى تلميذه يوحنا الكاهن، إلى تلميذ هذا الأخير، پاپياس. والزمن بين ظهور الإنجيل المدوّن وبين الأسقف العالم قصير، فلا يغلط عالم مسيحي بين رسول وبين تابع له في صحة نسبة الإنجيل.

قيل أيضاً : إن شهادة پاپياس لا تقوم لأنه يشهد بأن يوحنا الرسول قد استُشهد مع أخيه يعقوب. يُزكي هذه الشهادة سجل الشهداء السرياني من عام ٤١١ الذي يقول : « يوحنا ويعقوب، من الرسل، في أورشليم » . فهو يجعل استشهاد يوحنا مع أخيه وفي أورشليم، لا في أفسس. لذلك لا تصح نسبة الإنجيل إلى يوحنا الرسول. نقول قد أخطأ في ذلك، لأن بولس الرسول فاوض « الأعمدة الثلاثة » بطرس ويوحنا، ويعقوب أسقف أورشليم سنة ٤٩ م، وكتب ذلك في رسالته إلى أهل غلاطية (٢ : ٦ - ١٠) سنة ٥٥ - ٥٧ م. مع ذلك شهادته بوجود الإنجيل بحسب يوحنا الذي يستخدمه تظل قائمة.

وهناك كتابان منحولان، « تعليم الرسل » و « أناشيد سليمان[1] » من النصف الأول من القرن الثاني، يقتبسان من الإنجيل بحسب يوحنا تفكيراً وتعبيراً. فهذا دليل على شيوعه بين المؤمنين منذ ظهوره.

---

(١) قابل النشيد ١٠ : ٥ مع يوحنا ١١ : ٥٢؛ النشيد ١٨ : ٦ مع يوحنا ١ : ٥؛ النشيد ٣٠ : ١ - ٢ مع يوحنا ٤ : ١٠؛ ٧ : ٣٨؛ النشيد ٤١ : ١١ - ١٥ مع يوحنا ١ : ١؛ ١ : ٤ - ٥ ثم ٦ : ٣٣ و٣٧.

وفـي سنـة ١٥٠ م رفع الفيلسوف يُستين، مـن نـابلس فـي فلسطين، والمعلم فـي رومـة، دفاعاً إلى قيصر عن المسيحية. وفيه ينقل عن يوحنا قولـه : « إذ لم تولدوا من جديد، لـن تـدخلوا ملكوت السماوات » (٣ : ٣ - ٥ = الدفاع ف ٦١ ع ٤).

رابعاً : شهادة القرن الثاني الخاصة.

هـذه تصـرّح بـأن يوحنـا الرسـول هـو مـدوّن الإنجيـل. وهـذه الشـهادة ترتقـي بالإسـناد الصحيح إلى الرسول نفسه، عن طريقين.

عن طريق الأسقف العلاّمة والمؤرخ الكنسي **إيريناوس،** ابن افسس، وأسـقف ليـون فـي فرنسة. كان في صغره تلميذاً للأسقف بوليكربس، تلميذ يوحنا الرسول مباشرة. فالإسناد بالتواتر قائم. ففي كتابـه « الـرد علـى الهرطقـات » يقول : « ثم إن يوحنـا، تلميذ الرب، الذي اتكأ علـى صدره، أصدر هو أيضاً الإنجيل، مدة إقامته في أفسس » (الرد ك ٣ ف ١ ع ١ كذلك ك ٣ ف ٢ ع ٧ - ٩؛ ف ١٦ ع ٥؛ ف ٢٢ ع ٢؛ ك ٥ ف ١٨ ع ١). وقد نقلها أيضـاً أوسـابيوس فـي « تاريخ الكنيسة ك ٥ ف ٨ ع ٤). وقيمة هذه الشهادة أنها منقولـة عن معلمـه، شـاهد العيـان. فقد كان له صديق اسمه **فلورينوس** كادت الغنوص تغويه، فكتب إليه هذه الرسـالة يـذكّره فيهـا بعهد تلمذتهما على القديس بوليكربوس، أسقف سميرنـه، قرب أفسس، ويذكره بالتعليم الذي سمعاه من الذي أخذ عن يوحنا الرسول. قال :

« تلك الآراء التي أنت تعتنقها ليست من التعليم الصحيح في شـيء. تلك الآراء لا تتفق مـع تعلـيم الكنيسـة، وتُلقـي بمـن يقبلهـا فـي أحضـان الكفـر الشـديد. تلـك الآراء، حتـى الهـراطقـة الخـارجون علـى الكنيسة. لم يجرؤوا علـى الجهر بهـا، تلـك الآراء لـم ينقلهـا الكهنـة الذين سبقونا وقد عاشوا مع الرسل. فقد رأيتك لمّـا كنت صـغيراً فـي آسيا الصـغرى عند بوليكربـوس. كنت تتألق في البلاط الامبراطوري، وكنت تجتهد في توطيد صيتك. لأنـي أذكـر مـا حـدث فـي ذلك الزمان أكثر من الأشياء الحديثة، لأن ذكريات الحداثة تنمو مـع النفس وتتّحد بهـا. فـإني لأتـذكر حتى المكان الذي كان

يجلس فيه السعيد بوليكربس للحديث. وكيف كان يدخل ويخرج ويعيش. وأذكر طلّتهُ التي كان يخاطب الناس بها. وأذكر كيف كان يُخبر عن علاقاته بيوحنا وبالذين شاهدوا الرب. ويذكر الأقوال والأعمال التي سمعها منهم بخصوص الرب ومعجزاته وتعليمه. واذكر كيف أن بوليكربوس بعدما سمع **كل هذا من شهود العيان لسيرة الكلمة**، كان ينقله بحسب **الكتب** (أي الأناجيل). وهذه الأمور، برحمة الله التي حلّت عليّ، قد سمعتها باهتمام، ونقلتها، لا على ورق، بل في قلبي. وظللت بنعمة الله أهذّبها بأمانة. وأقدر أن أشهد أمام الله أن ذلك الكاهن الرسولي السعيد، لو سمع شيئاً من مثل ما تقول، لكان صرخ هلعاً، وأصمّ أُذنيه عن سماعها » (أوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٥ ف ٢٠ ع ٤ - ٧).

هذه شهادة صحيحة المتن، صحيحة الإسناد، لا سبيل إلى نقضها.

لكن قيل في الطعن بها أن إيريناوس في تأييده لرسولية الإنجيل بحسب يوحنا، يستند إلى پاپياس؛ وبحسب المؤرخ العلاّمة أوسابيوس، أن پاپياس خلط بين يوحنا الرسول ويوحنا الكاهن تلميذه! وهو يفضل أن يرى في يوحنا الكاهن كاتب سفر الرؤيا، لكنه ينسب الإنجيل إلى يوحنا الرسول. لكن الطاعنين ينسبون الإنجيل أيضاً إلى يوحنا الكاهن. والشهادة ناطقة، فإيريناوس في نسبته الإنجيل إلى يوحنا الرسول يستند إلى ما سمعه بنفسه، من بوليكربوس تلميذ الرسول الحبيب. فشهادته قائمة؛ وإسنادها يرتقي بالتواتر الصحيح إلى صاحب الإنجيل. وفيها نسمع شهادة الشرق والغرب.

والطريق الثانية هي شهادة أسقف أفسس، **بوليكراتس**، سابع سبعة إخوة كانوا بالتواتر أساقفة أفسس حتى عهد يوحنا الرسول. فما بين ١٩٠ و١٩٥ يكتب رسالة إلى البابا فكتور يدافع فيها عن حق أساقفة آسيا الصغرى في تعييد الفصح في ١٤ نيسان، بأي يوم وقع، استناداً إلى عادة « **أنوار آسيا** » وعلى رأسهم يوحنا الرسول الذي تفخر أفسس بامتلاك قبره، وهو « الذي اتكأ على صدر الرب » (أوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٥ ف ٢٤ ع ٢). فلو كان في شهادة بوليكراتس أسقف أفسس،

وفي استنادها إلى دعوة يوحنا الرسول وإقامته وموته ودفنه في أفسس، شيئاً غير صحيح، لكانت كنيسة روما ذكرته في ردّها عليه.

فبالتواتر والإجماع، وبالإسناد الصحيح المتصل بيوحنا الرسول، تتضافر الشهادات المحلية على صحة نسبة الإنجيل إلى يوحنا الرسول. فلا حاجة إلى ذكر الشهادات من القرن الثالث لأنها إجماعية.

خامساً : شهادة قانون « موراتوري » .

موراتوري علاّمة اكتشفت قانوناً كنسيّاً يشهد بنسبة كل إنجيل إلى كاتبه. وُضع القانون باليونانية في القرن الثاني، وتُرجم إلى اللاتينية في القرن الثالث، وتصدّر كل جزء منها بمطلع كل إنجيل من الأربعة. وسرى بالتواتر والإجماع في كل الكنائس.

يقول القانون : « إن الرسول يوحنا كتب الرؤيا في جزيرة بطمس، وهو في المنفى؛ ثم الإنجيل في آسيا الرومانية » ؛ ويؤكد « بحسب شهادة پاپياس تلميذ الرسول يوحنا، في كتبه الخمسة التفسيرية للأناجيل، أن الإنجيل بحسب يوحنا دعا به الرسول نفسه على حياته، ثم دوّنه بذاته لكنائس آسيا » .

لكن طعن بعضهم في صحة هذه الشهادة المستندة إلى پاپياس؛ فإن أوسابيوس في (تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٩ ع ١ ـ ٦) يقول بأن پاپياس لم يكن تلميذ يوحنا الرسول، بل يوحنا الكاهن معاصره. هذا لا يطعن في صحة الشهادة لأنها متواترة عن پاپياس، تلميذ يوحنا الكاهن الذي هو تلميذ يوحنا الرسول. فصحة الإسناد المتصل قائمة، وصحة الشهادة قائمة.

سادساً : قصة الخلط بين يوحنا الرسول ويوحنا الكاهن.

پاپياس كتب « التفسيرات » سنة ١٢٥ وهو الذي ميّز بين يوحنا الرسول ويوحنا الشيخ (الكاهن)، تلميذ الأول (أوسابيوس تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٩ ع ٤).

وجاء اكلمينضوس الإسكندري فدرس الإنجيل والرؤيا، فوجد بينهما اختلافاً في اللغة والإنشاء، فجزم أنهما ليسا من مؤلف واحد، فنسب

الإنجيل إلى يوحنا الرسول، والرؤيا إلى يوحنا الكاهن (تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٩ ع ٥).

أخيراً جاء الأسقف أوسابيوس، صاحب « تاريخ الكنيسة » وأخذ برأي اكليمنضوس الإسكندري بأن كاتب الرؤيا هو يوحنا الكاهن، لأنه لا يصح نسبة بدعة « ملك الألف سنة » للرسول يوحنا (المصدر نفسه).

وعلماء العصر الحديث أخذوا برأي أوسابيوس. وطبقة المتطرفون منهم على الإنجيل بحسب يوحنا نفسه، بدون حجة.

لكن شهادة اكلمينضوس مشبوهة، لأن اختلاف الأسلوب بين الإنجيل والرؤيا يأتي من اختلاف الكاتب، لا من اختلاف الشاهد. فيوحنا استخدم ثلاثة كتّاب مختلفين للرؤيا ثم للإنجيل ثم للرسالة.

كذلك شهادة أوسابيوس مشبوهة لأن اعتماد أهل بدعة « حكم الألف سنة » للمسيح قبل اليوم الآخر، على نص متشابه في الرؤيا - وهو موضوع جدل إلى اليوم - لا يبرّر نسبته لغير الرسول يوحنا.

فاعتماد ثلاثة كتبة ليوحنا في كتابة كتبه الثلاثة يدفع الشبهة، وتسلم الصحة.

فيوحنا الكاهن كان من جملة « الكهنة » ، « تلاميذ الرب » الذين أخذوا عن يوحنا الرسول. فهو صلة الوصل بين پاپياس ويوحنا الرسول. بذلك تقوم صحة الإسناد المتصل، وصحة شهادة پاپياس المعاصرة ليوحنا الرسول.

سابعاً : بدعة « أهل اللا كلمة » .

نحو سنة ١٥٦ - ١٦٠ ظهرت في آسيا الصغرى على حدود فريجية وميسية **بدعة « مُنْتانوس »** وعرافتيه، الذي ادعى حلول « الفارقليط » عليه ليتنبأ برجعة المسيح القريبة ليوم الدين. وكان هو وأهل بدعته يعتمدون الإنجيل بحسب يوحنا الذي يعد بنزول الفارقليط العتيد، وخصوصاً سفر الرؤيا الذي يصف عودة المسيح ونزول « أورشليم السماوية » للمختارين من أتباعه.

ووصلت البدعة إلى رومة. فهبّ للدفاع عنها الكاهن « كايوس » . فرأى أن أنسب شيء لهدم البدعة إنكار الإنجيل والرؤيا المنسوبين ليوحنا

الرسول. وأيّد ادعاءه بالفوارق القائمة بين الإنجيل بحسب يوحنا والأناجيل المؤتلفة.

فهبّ علماء الكنيسة على البدعة «المنتانية» وعلى بدعة «أهل اللا كلمة» كما أسموهم. وأبادوهما جميعاً بسيف الروح والسنّة المسيحية المتواترة، التي تشهد بصحة الإنجيل وصحة الرؤيا، ونسبتهما إلى يوحنا الرسول.

هكذا تجتمع الدلائل الخارجية والدلائل الذاتية لتشهد بصحة الإنجيل بحسب يوحنا، وقِدمه، ورسوليته، ونسبته إلى حبيب المسيح يوحنا بن زبدى الرسول.

تكفي شهادةً له تلاوة الكنائس كلها منذ ظهوره إلى اليوم باسم يوحنا الرسول. وما قبلت الكنيسة بتلاوة إنجيل للمسيح إلاّ بعد التيقّن من رسوليته، معيار الصحة لديها.

* * *

بحث عاشر

هل الخلاف الظاهر بين يوحنا وبين المؤتلفة شبهة عليه ؟

هذا الاختلاف الظاهر مشهور ومعروف منذ القديم. وقد وصفه الآباء منذ اكليمنضوس الإسكندري بأن يوحنا هو «**الإنجيل الروحي**» بالنسبة إلى المؤتلفة متى ومرقس ولوقا، فإنها «**الإنجيل الجسدي**» . هذا يركز على بشرية يسوع، ويوحنا على إلهية المسيح وبنوته.

تلك الظاهرة حقيقية لكنها ليست مطابقة كل المطابقة للواقع. ففي الإنجيل بحسب يوحنا تبرز بشرية يسوع مثل إلهيته، وهو يركز على الاثنتين جميعاً، ردّاً على تيارين مختلفين. وفي الأناجيل المؤتلفة الثلاثة تظهر إلهية المسيح من خلال بشريته.

لكن فارق الاختلاف في الموضوع وفي الأسلوب يظل قائماً بين يوحنا والمؤتلفة الثلاثة : فهل هو شبهة عليه ؟ يقول بعضهم إنها **شبهة ضخمة**

على صحة الإنجيل بحسب يوحنا؛ لأن شهادة ثلاثة أفضل من شهادة واحد؛ ولأن شهادتهم أقدم بنصف قرن من شهادة يوحنا؛ أو ربع قرن على الأقل.

والواقع أن شهادة يوحنا ثمينة وقيّمة جداً، لأننا لولاها لما فهمنا سيرة المسيح ودعوته حقّ فهمهما. وبدونها يكون علمنا بالسيرة والدعوة بحسب المؤتلفة ناقصاً، فدعوتهم تقتصر على **الإنجيل الجليلي** في مدى سنة واحدة حسب الظواهر.

فجاء يوحنا يسدّ فراغاً هائلاً بتدوين **الإنجيل الأورشليمي** في دعوة أولى نحو سنة في اليهودية، ودعوة ثانية مدة ستة أشهر في اليهودية وخصوصاً في أورشليم نفسها؛ وتكميل الإنجيل الجليلي عند المؤتلفة ببعض أحداث تفسر أول الدعوة، وعقدتها في الوسط بتصاريح يسوع بعد شفاء المخلع عند بركة بيت حسدا (يو ٥)؛ وخاتمتها بخطاب خبز الحياة الذي سبب ردّة بعض التلاميذ أو انتهاء الدعوة العلنية في الجليل.

إن الإنجيل بحسب المؤتلفة **يقتصر على الدعوة في الجليل**، لأسباب فرضها الرسل الصحابة على أنفسهم في **الدعوة المسيحية الأولى**، نراها في « التقيّة » من شر السلطات اليهودية في أورشليم، لئلا ينال الرسل والتلاميذ ما نال معلمهم من الاستشهاد قبل تبليغ الإنجيل إلى العالم، كما أمرهم يسوع قبل صعوده إلى السماء. ولما زالت الأسباب والمخاوف في الحرب السبعينية ـ وقد كُتبت الأناجيل المؤتلفة قبلها، وإن نُشرت وذاعت بعدها ـ عمدت كنيسة الرسل إلى **الدعوة المسيحية الثانية** التي كان محورها يوحنا الرسول ومدرسته في أفسس. فأكمل يوحنا الإنجيل الجليلي بالإنجيل الأورشليمي، في السيرة وفي الدعوة.

من حيث السيرة، أشار يوحنا إلى **أربعة أعياد للفصح** تمّت بينها السيرة والدعوة : **الفصح الأول** (يو ٢ : ١٣) الذي كانت بينه وبين **الفصح الثاني** (يو ٥ : ١) مختلف الدعوة الأولى في اليهودية؛ **والفصح الثالث** (يو ٦ : ٤) الذي لم يصعد إليه يسوع، بل ختم به الدعوة في الجليل التي انتهت بردّة بعض التلاميذ عنه (يو ٦ : ٦٦)؛ ممّا حمل يسوع على تخصيص ستة أشهر لصحابته يتجول معهم إلى أطراف الجليل، حتى أرض المشركين،

شرقاً وغرباً وشمالاً، قبل الانتقال **إلى الدعوة الثانية في اليهودية**، وعلى التخصيص في أورشليم، مدة ستة أشهر، من عيد الخيام (يو ٧ : ٢) الواقع في « عاشوراء » أي العاشر من تشرين الأول، إلى **الفصح الرابع والأخير** الذي استشهد فيه.

ويؤيد واقع الإنجيل بحسب يوحنا ما نقله الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ٢٠١) عن النصارى من بني إسرائيل وأهل البيت : « **إن دعوة عيسى دامت ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام** » .

فليس من شبهة على يوحنا في تاريخ السيرة؛ **إنما هو العمدة** التي يؤيدها المؤتلفة في إشاراتهم.

في الدعوة كان بولس صلة الوصل بين المؤتلفة ويوحنا ـ خصوصاً بدعوته في أفسس مدة ثلاث سنوات، وقد أوجزها فيما بعد في الرسالة الأفسسية ـ كما كان لوقا صلة الوصل بين زملائه المؤتلفة وبين يوحنا **في السيرة.** فقد اتّبع لوقا التخطيط الرسولي بالاقتصار على الدعوة في الجليل؛ لكنه اطلع كمؤرخ ـ مدة توقيف معلمه بولس في قيصرية طوال سنتين ـ على دعوة المسيح في اليهودية، وأراد أن ينقلها، لكن ضمن المخطط المفروض؛ فاعتمد أسلوب صعود المسيح إلى أورشليم للاستشهاد لكي ينقل تلك الدعوة في اليهودية وخصوصاً في غور الأردن. وهو يفصل بمهارة بين أزمنتها بتكرار التنويه بصعود يسوع إلى أورشليم (لوقا ٩ : ٥١؛ ١١ : ٥٣؛ ١٣ : ٢٢؛ ١٧ : ١١) في القسم الوسيط من إنجيله الذي اختص به (لوقا ٩ : ٥١ ـ ١٩ : ٢٧). وتلك الفواصل البيانية **إشارات خفية إلى الأعياد** التي كان يصعد فيها المسيح من الغور إلى أورشليم، كما فصّلها يوحنا.

فمتّى ومرقس يشيران إلى دعوة في اليهودية وفي أورشليم. ولوقا ينفرد عنهما بخرق الصمت المفروض، فينقل الدعوة في الغور واليهودية، دون التعرّض للدعوة في أورشليم، وذلك بأسلوب رحلة المسيح الأخيرة إلى أورشليم، حفاظاً منه على مخطط الدعوة الرسولية الأولى.

فبولس بدعوته في أفسس، كما أوجزها في « الرسالة إلى الأفسسيين » ، ولوقا في القسم الوسيط الذي انفرد به في السيرة والدعوة الثانية في اليهودية

والغور شاهدان وسابقان لتفصيل السرية والدعوة في أورشليم، متى سمحت الظروف السياسية بذلك. وقد سنحت لعد زوال سلطان اليهود في الحرب السبعينية. فبرزت مدرسة يوحنا الرسول في أفسس.

ومن حيث الدعوة، لقد أكمل يوحنا الدعوة في الجليل بالدعوة في أورشليم. وهذا تكميل، لا اختلاف حقيقي. والاختلاف الظاهر في الموضوع والأسلوب يأتي من اختلاف البيئة، ومن اختلاف الشاهد، ومن اختلاف المشهود لهم، ومن التيارات الفكرية المعارضة التي يرد عليها الإنجيل من طرف خفي.

أما **اختلاف البيئة** فظاهر بين الدعوة في الجليل والدعوة في أورشليم. ففي الجليل **بيئة شعبية** خاطبها السيد المسيح بالأمثال والمعجزات. وهذه الدعوة الشعبية بالإنجيل دعا بها بطرس، زعيم الرسل، في رومة؛ ونقلها مرقس « ترجمان بطرس » بالأسلوب الشعبي عينه. ثم جاء المؤرخ الأديب لوقا، وفصّلها بأسلوب تاريخي قصصي من سحر البيان؛ أخيراً أتى متى اليوناني ونظمها بأسلوب كلاّمي، أوجز فيه وأعجز؛ فجمع الدعوة في الجليل بخمسة فصول، ما بين قصة المولد وقصة الاستشهاد، جاعلاً محورها الدعوة إلى « ملكوت السماوات » أي ملكوت الله : شرعة الملكوت (متى ٥ : ١ - ٧ : ٢٨)؛ ورسالة الملكوت (ف ١٠)، وسر الملكوت بالأمثال (ف ١٣)، وأخلاق الملكوت (ف ١٨)، ومصير الملكوت (ف ٢٣ - ٢٥). فكانت جميعاً الإنجيل الجليلي. ويوحنا ينقل الإنجيل الأورشليمي، وهو **دعوة كلامية في بيئة علمية** وفي أروقة هيكلهم عينها، بمناسبة الأعياد اليهودية التي كان يغشاها يسوع ليبلّغ الإنجيل إلى مئات الألوف من الحجاج اليهود الوافدين من الوطن والمهاجر، فيسمع كل بني إسرائيل به. لكن علماء اليهود في الهيكل هم الذين يستقطبون الحوار. فجاء الإنجيل بحسب يوحنا علميّاً كلاميّاً كما تفرضه البيئة العلمية التي يخاطبها.

أمّا **اختلاف شخصية الشاهد** بالإنجيل فظاهر من شخصية ناقله، يوحنا بن زبدى. كان - كما تدل عليه القرائن - ميّالاً إلى الروحانية والصوفية. فهو منذ شبابه يتتلمذ للمعمدان ويأخذ عنه. ثم يتتلمذ للسيد المسيح، فكان الشاهد الأمين منذ الساعة الأولى (يو ١ : ٤٠) حتى الساعة الأخيرة

(يو ١٩ : ٢٦). ونرى أن يسوع قد ميّزه فجعله من ((الثلاثة المقرّبين)) الذين فضّلهم لمشاهدة الأحداث الكبرى كالتجلي فالنزاع في بستان الزيتون. وقد خصّه يسوع بمحبته فعرّف عن نفسه في الإنجيل ((بالتلميذ الذي كان يسوع يحبه)) . فلا شك كان له **خلوات مناجاة** مع يسوع يستفهم فيها عن سرّ أقواله وأعماله وأحواله. فليس بدعاً أن تأتي رواية الإنجيل الأورشليمي على لسانه صوفية وواقعية في آن واحد، على مثال شخصيته الشاهدة.

أما **اختلاف بيئة المشهود لهم** بالإنجيل؛ فنعرفها من المتواتر عن الأقدمين بالإجماع : بعد الحرب السبعينية نقل يوحنا الرسول دعوته إلى آسيا الصغرى، ثم استقرّ في أفسس، ملتقى الحضارة والثقافة ـ ما بين الشرق من حيث تفد الغنوص وما بين الغرب من حيث تفد الحكمة اليونانية. فكانت له فيها تلاميذ ومدرسة دعوة. وهذه المدرسة هي التي أخذت الإنجيل عنه ونشرته (يو ٢١ : ٢٤). وكانت الجيل الثاني للمدرسة التي أسسها بولس الرسول مدة ثلاث سنوات، وأكمل تعلميها تلميذه أبلّس الإسكندري صاحب ((الرسالة إلى العبرانيين)) ثم تلميذه تيموتاوس ((الابن الحبيب)) (١ تيم ١ : ٣). فكانوا يريدون أن يفهموا ((سر الإنجيل)) و ((سر المسيح)) بحسب ثقافتهم الهلنستية والمسيحية، تجاه تحدّي الغنوص لهم. فكانت بيئة علمية، صوفية، من الطراز الأول، تحاور يوحنا في السيرة والدعوة بطريقة علمية، صوفية. وهذا ما نراه في إنجيله. ولا شك أنه تأثر بأسلوب البيئة الأفسسية في عرضه وتدوينه.

أمّا **اختلاف المقصودين بردّ الإنجيل عليهم،** فنعرفهم من الردود الضمنية في الإنجيل عينه. كانت تيارات فكرية أربعة تصطرع في أفسس، وتتحدى المسيحية في كل مكان، في ختام القرن الأول الميلادي. فهناك **اليهودية الهلنستية،** كما نعرفها من فيلون المتكلم ويوسيف المؤرخ، وكأن ذكر ((اليهود)) في الإنجيل يعنيهم. وهناك **دعوة النصارى** من بني إسرائيل الذين بعد الرسل رفضوا أن يروا في المسيح إلهاً، بل أول خلق الله، وخاتمة رسل الله، فكان المسيح عندهم، كما نُقل عنهم ((رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)) ، وهم يفسّرون ((كلمة الله)) بتفسير فيلون أنه ((روح منه)) أي ((الملاك الأول)) ظهر من مريم، أو حلّ على يسوع

في عماد، وفارقه قبل استشهاد ابن مريم. فكانت رسائل بطرس ويهوذا، خصوصاً « الرسالة إلى العبرانيين » ردّاً عليهم، حتى جاء الإنجيل بحسب يوحنا ضربة قاضية « للنصرانية » الإسرائيلية. وهناك **الدعوة المندائية** التي فلسفت دعوة المعمدان، فكان تلاميذه يرون أن يوحنا أستاذ يسوع، هو « النور » عندهم - وبلغتهم الأنباطية « مِنْدا » أي النور - لا يسوع الناصري. وهناك أخيراً الدعوة القمرانية التي تقمصت في « **الأبيونية** » ، بعد خراب قمران في الحرب السبعينية؛ فزادت « النصرانية » الإسرائيلية تهويداً، في فهم الإنجيل بحسب روح التوراة.

فتلك الدعوات الأربع غزتها **الغنوص**، فتبنّتها لمزاحمة المسيحية بها. فتأثر الإنجيل بحسب يوحنا بها، في الردّ عليها بحسب لغتها. جاء ذلك في فاتحة الإنجيل بموجز العبارة، وفي فصوله مفصلاً بالإشارة.

فليس في الدعوة والسيرة من خلاف بين يوحنا والمؤتلفة، إنما هناك تكامل : إن يوحنا أكمل الإنجيل الجليلي، بالإنجيل الأورشليمي.

*

لكن هذا التكميل نجم عنه **خلاف ظاهري** في الموضوع وفي الأسلوب.

أمّا **الاختلاف في الموضوع** فهو ثلاثي.

الخلاف الأول الظاهر هو في موضوع الدعوة. فمحور الدعوة عند المؤتلفة في الإنجيل الجليلي هو ملكوت الله. وهذا التعبير الكتابي يكاد يختفي عند يوحنا في الإنجيل الأورشليمي. لقد استبدل يوحنا التعبير الكتابي، « ملكوت السماوات » ، بتعبير هلنستي يفهمه الجميع ويوضح بالوقت نفسه معنى « ملكوت السماوات » ، هو « الحياة » الذي يرد ستاً وثلاثين مرة في الإنجيل، وثلاث عشرة مرة في الرسالة. لكن هذا التبديل في التعبير اقتضته ظروف الدعوة في أورشليم. إن ملكوت الله صار ملكوت المسيح عند يوحنا بسبب مخاصمة فقهاء أورشليم للمسيح في رسالته وسلطانه. فأظهر لهم يسوع **إن ملكوت الله هو « الحياة » الإلهية** التي نزل بها من السماء إلى المؤمنين به (يو ٣ : ١٦)، وأنه هو سيد الملكوت، « الصراط والحقيقة والحياة » (يو ١٤ : ٦). فالخلاف ظاهري وفي التعبير، لا في الموضوع.

الخلاف الثاني الظاهر هو في مادة الدعوة : ينقل يوحنا من الأعمال والأقوال ما لا ينقله المؤتلفة، وينقلون ما لا ينقل، وإن تلاقوا أحياناً في ما ينقلون. وهذا ليس بخلاف لأن المؤتلفة ينقلون الإنجيل الجليلي، ويوحنا ينقل الإنجيل الأورشليمي. وهو يجمع أحاديث المسيح في خمس خطب، كما جمع متى أحاديثه في الجليل في خمس خطب، تسهيلاً للتركيز؛ وعند يوحنا كانت نابعة من مناسباتها. فهذا أيضاً تكميل، لا اختلاف.

الخلاف الثالث في الموضوع هو تركيز يوحنا على مسيحية يسوع، وخصوصاً على إلهيته، في الأقوال والأعمال. بينما يحوم شيء من السر على ذلك عند المؤتلفة. نقول إن الخلاف قائم ما بين التلميح بالأقوال والأعمال والأحوال عند المؤتلفة، وبين التصريح عند يوحنا. وأسباب الانتقال من التلميح إلى التصريح عديدة :

منها اختلاف بيئة الدعوة : فالبيئة الشعبية في الجليل تفرض الخطاب الذي يشغل بال الشعب، مثل اقتراب ملكوت الله، وبأسلوب شعبي كالأمثال القصصية التي تقرّب المقصود إلى الأفهام، وكالتشابيه والاستعارات المنتزعة من الحياة اليومية والطبيعة المجاورة. وهذا أسلوب الإنجيل في الجليل. أما البيئة الأورشليمية فكانت بيئة علمية، قائمة على الكتاب والحكمة، وعلى شيء من أسلوب الغنوص الذي وفد مع « العلم » الدخيل. وهذه البيئة تفرض الخطاب الذي يتداوله العلماء والفقهاء في أروقة الهيكل، في مثل ادعاء يسوع الناصري أنه المسيح، بل ابن الله؛ وفي الحجة القائمة عليه بحسب مفهومهم، من التوحيد التوراتي، ومن مخالفة شريعة السبت ومن إهماله أحكام « السنّة » . فكان على يسوع أن يحاورهم في هذا الموضوع المفروض، وبأسلوبهم عينه، الاستشهاد بالكتاب والمعجزة. وهذا هو أسلوب الإنجيل في أورشليم. فمن الظلم للإنجيل، ومن الظلم للواقع التاريخي، فرض موضوع الإنجيل في الجليل وأسلوبه، على الإنجيل في أورشليم وأسلوبه، كما يتوهّم بعضهم للطعن بصحة يوحنا، اعتماداً على المؤتلفة. وفاتهم فارق البيئة والموضوع والأسلوب الذي تقتضيه ظروف الواقع والحال.

ومنها تطور الدعوة ما بين الجليل وأورشليم. في السنة الأولى كانت

دعوة المسيح في اليهودية، في ظل المعمدان وعلى طريقته. ولمّا أوقف المعمدان، هاجر يسوع بدعوته إلى الجليل، فكان طوال السنة الثانية يدعو إلى تأسيس ملكوت الله. وهذا برهان بالمداورة على أنه المسيح الموعود. وفي النصف الثاني من السنة الثالثة، من عيد الخيام إلى عيد الفصح، كانت الدعوة الصريحة في أورشليم بمناسبة مواسم الحج. فكان على يسوع أن يكشف للمسؤولين عن حقيقة شخصيته ودعوته. فكانت التصاريح بمسيحيته وإلهيته، ممّا أدّى إلى محاولة أولى لاغتياله، في عيد الخيام (يو ٨ : ٥٩)، وإلى محاولة ثانية في عيد التجديد (يو ١٠ : ٣٩). ولمّا أعطى البرهان القاطع على مسيحيته وإلهيته في معجزة إقامة لعازر من الموت، والتصاريح التي رافقتها، قرّر السنهدريم قتله (يو ١١ : ٥٣). وكان ذلك بحسب التلمود أربعين يوماً قبل استشهاده.

ومنها عرض الإنجيل في بيئة هلنستية بأفسس المشبعة بالتيارات المختلفة التي تحاصر المسيحية الناشئة، والردّ عليها من طرف خفي بإبراز ما في أعمال يسوع وأقواله من شهادات بمسيحيته وإلهيته. وكانت هذه الشهادات في تصاريح يسوع الأخيرة بمناسبة عيد الخيام وعيد التجديد وقيامة لعازر.

لهذه الأسباب وغيرها، ما جاء تلميحاً في المؤتلفة أورد تصريحاً في الإنجيل بحسب يوحنا، وفي دعوة يسوع الأخيرة التي تهيأت فيها الأجواء لمكاشفاته. فليس هناك من اختلاف في موضوع الدعوة، بل تكميل فرضه اختلاف البيئة، وتصرح اقتضته الدعوة الأخيرة، للإدلاء بالقول الفصل.

فالخلاف الحقيقي بين يوحنا والمؤتلفة **إنما هو في الأسلوب**. إن مدرسة يوحنا في أفسس اضطرته إلى تحديد سيرة المسيح في رسالته. فجاءت روايته أكمل وأشمل. فلولا يوحنا ما عرفنا حقيقة سيرة المسيح في رسالته، ولا مواطنها ولا بواطنها ولا أطوارها. فمنه نعرف أنه كان ليسوع دعوتان في أورشليم وغور الأردن، قبل الدعوة في الجليل وبعدها : الأولى تمهيدية على طريقة المعمدان، والثانية ختامية كان لا بد فيها في المكاشفة.

ومدرسة يوحنا في أفسس، بسبب ثقافتها الهلنستية وإيمانها المسيحي الموروث عن بولس وأبلّس وتيموثاوس اضطرته أن يُبرز الأسباب القريبة والبعيدة والقرائن الظاهرة والكامنة في الدعوة وسيرها. فجاء أسلوب يوحنا التاريخي

أدق وأعمق من المؤتلفة. وأظهر ما في أعمال يسوع من رمزية تشهد بصحة دعوته. وهو يركز على الأحداث التي تُبرز الأسباب في السيرة والدعوة، مما فات المؤتلفة في العرض الأول للإنجيل.

بدأ بذكر **دعوة التلاميذ الخمسة الأولين،** لأنه في عرْف الربانيين لا يجوز لرابي أن يعلّم ويختص بمدرسة ما لم يجتمع حوله خمسة مريدين عنه يأخذون. ونعرف منه سرّ إسراعهم في الاستجابة له، من شهادة المعمدان لهم أن يسوع هو المسيح الموعود.

ذكر لوقا أن يسوع افتتح دعوته في الناصرة. لكن لا نعرف سرّ **نجاحها** السريع إلاّ بواسطة يوحنا الذي ذكر معجزة قانا الجليل بمناسبة عرْس شعبي، في ريف شرقي، ينشر الخبر في كل مكان. وكان الفصح الأول مناسبة كبرى لظهور المسيح في عاصمة الدين والدولة، يعمل رمزي « ماسوي » ، هو طرد التجار من الهيكل، والمعجزات التي رافقته وفرضت هيبته على الجميع.

في دعوة المسيح **هجرتان :** الهجرة الأولى من اليهودية إلى الجليل؛ ولا نعرف أسبابها إلاّ من يوحنا : توقيف المعمدان، وتصعيد العداء ليسوع المتضامن مع المعمدان؛ والهجرة الثانية من الجليل إلى الغور وإلى أورشليم، ونعرف من يوحنا أن نكسة الدعوة في الجليل كانت بسبب رفض يسوع أن يعلن نفسه ملكاً بعد معجزة تكثير الخبز لآلاف الناس، وخطابه في خبز الحياة الذي سبّب ردّة كثيرين من تلاميذه عنه. فاقتصر يسوع تعليمه على صحابته مدة ستة أشهر، متنقلاً بهم إلى أطراف الجليل غرباً وشرقاً وشمالاً، مما لا نفهمه من المؤتلفة. وفي الهجرة الثانية من الجليل إلى الغور واليهودية وأورشليم، لولا يوحنا، ما عرفنا الأسباب البعيدة والمتراكمة التي حملت السنهدريم على الافتاء بقتل يسوع، فكان ذلك سبب اختفائه شهراً في قرية أفرائيم، قبل المواجهة الأخيرة والاستشهاد. ولولا يوحنا وذكره لمعجزة إحياء لعازر، ما فهمنا حفاوة الحجاج والشعب بيسوع يوم أحد الشعانين. فهو يعطي الأحداث والأحاديث مداها الواقعي والمعنوي، ويشير إلى ترابطها الظاهر والباطن.

وبما أن يوحنا، بهذا الأسلوب التفصيلي، لا يقدر أن ينقل كل ما قال يسوع وعمل (يو ٢١ : ٢٥)، فقد اكتفى بما قلّ ودلّ : سبع معجزات وسبع خطب (أو مجموعات أحاديث) ـ ما عدا أحاديث الوداع السرية وأحداث الاستشهاد. ويُظهر الترابط الصميمي بين الأعمال والأقوال، بحيث يكشف بعضها بعضاً.

قد ينقل يوحنا أحياناً كلمات يسوع بحرفها لأنها من الكلمات الخالدات التي لم ينطق بمثلها إنسان، مثل قوله : « أنا نور العالم » ! « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » ! « أنا والآب واحد » ! « أنا القيامة والحياة » ! « أنا الصراط والحقيقة والحياة » ! لكنه عادة يوجز خطب يسوع، وبهذا الإيجاز نرى فكرة يسوع، ولغة يوحنا، التي استخدمها كتبته من تلامذته في أفسس. لكن لشدة حرصهم على الأمانة لمعلمهم، فقد حافظوا ـ وهم يكتبون باليونانية، وهم من أربابها ـ على أرامية يوحنا في اليونانية في التفكير والتعبير والنظم. وهذا سبب عدم التفاوت في لغة الرواية وفي لغة يسوع. وهذا كذلك سبب فارق الأسلوب في أقوال المسيح ما بين يوحنا والمؤتلفة.

وبما أن يوحنا **اقتصر على ما قلّ ودلّ** من معجزات يسوع فقد أعطى كل حادثة حقها من التفصيل كشاهد عيان ونجيّ حبيب لمعلمه. وترى أن هذا الأسلوب أيضاً في رواية المعجزات فرضته عليه من جهة سليقته وذاكرته المحبة لمعلمه، ومن جهة أخرى استفسارات تلاميذه في أفسس. ففي رواية المعجزات ما بين يوحنا والمؤتلفة اختلاف في الأسلوب، لا في الموضوع. يذكرون مثله معجزة تكثير الخبز، لكنه ينفرد عنهم بأسلوب التفصيل. هم يذكرون معجزتين في إحياء الموتى في الجليل، ولا يذكر إلاّ معجزة أحياء لعازر في اليهودية؛ لكنه يرويها بالتفصيل مورداً الأسباب والمسبّبات، ممّا يجعل اختلافاً في الأسلوب، لا في الموضوع.

وهكذا فالاختلاف بأسلوب عرض الإنجيل ليس شبهة على صحة الإنجيل بحسب يوحنا، ولا على تاريخيته، لأنه أيضاً اختلاف في الأسلوب، لا في الموضوع.

وهكذا فالدلائل الذاتية تؤكد صحة السنّة الرسولية عن شهود العيان،

التي استجمعها عن الشرق والغرب القديس ايرناوس. فقد نقل عنه أوسابيوس[١] : « وكل الكهنة الذين اتصلوا بيوحنا في آسيا يشهدون أن يوحنا، تلميذ الرب هو صاحب التعليم، فإنه قد عاش في ما بينهم إلى زمن ترجانوس » . ونقل عنه أيضاً[٢] : « إن كنيسة أفسس، التي أسّسها بولس، وأقام فيها يوحنا حتى زمن ترجانوس هي أيضاً شاهد عدل لسُنّة الرسل » .

(١) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٣ ع ٣ = الرد على الهرطقات ك ٢ ف ٢٢ ع ٥.
(٢) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٣ ع ٣ = الرد على الهرطقات ك ٣ ف ٣ ع ٤.

الفصْل الثّاني

تخطيط الإنجيل بحسب يوحنا

هذا التخطيط يثير مسائل ومشاكل عديدة، أولها وحدة الإنجيل ثم المناقلات. فنرى التخطيطات المقترحة. ثم نقدم تخطيطنا.

بحث أول

وحدة الإنجيل بحسب يوحنا

بعضهم، لغاية مشبوهة، لا يرى فيه تخطيطاً منسجماً، بل مجموعات متفرقة. وهذا الرأي ينفي وحدة الإنجيل ووحدة الشاهد ووحدة الكاتب. مع أن وحدته البيانية قائمة على أنواع من التصدير تجعله **وحدة تامة**، في ثلاثة أقسام (أو كُتُب)، مترابطة الأجزاء برباط **التصدير الفني.**

١ ـ التصدير الفني في الإنجيل جملةً

هذا التصدير الفني يلازمه فن التضمين. وهو يربط الإنجيل كله جملةً.

ففي صدره يقول : « فيه كانت الحياة، والحياة للعالمين نور » (١ : ٤)؛ وفي خاتمته الأولى : « لكي تكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه » (٢٠ : ٣١).

كذلك قوله في المطلع : « هو يعمّد في الروح القدس » (١ : ٣٣)؛ وفي المقطع : « خذوا الروح القدس » (٢٠ : ٢٢).

هكذا يفتتح الشهادة للمسيح بقوله: « هو ذا حمل الله » (١ : ٢٩ و٣٦)؛ ويختم « لا يُكسر له عظم » (١٩ : ٣٥). وكلاهما كناية عن الحمل الفصحي، وتورية عن المسيح. المعمدان، الشاهد الأول، يقول : « رأيت وأشهد » (١ : ٣٤)؛ ويوحنا الحبيب، الشاهد الأخير : « عاين وشهد، وشهادته حق » (١٩ : ٣٥). ومعجزة الماء والخمر في أول مشهد معجز في قانا الجليل (٢ : ١ - ١٢) نجد صداها في قوله : « فخرج للوقت دم وماء » (١٩ : ٣٤). وفي المشهدين كانت العذراء حاضرة ناظرة (٢ : ١ = ١٩ : ٢٥).

وهذا **التصدير الشامل** يربط مطلع الإنجيل في أقسامه الرئيسية : « في البدء كان الكلمة » (١ : ١)؛ في الوسط : « وإذ كان يسوع يعلم أن الساعة لينتقل من هذا العالم إلى أبيه قد حانت » (١٣ : ١)؛ في الختام : « وبعد ذلك، إذ رأى يسوع أن كل شيء قد تم ... قال : « لقد تمّ » (١٩ : ٢٨ - ٣٠).

٢ - التصدير الفني في تقسيم الإنجيل

الإنجيل بحسب يوحنا يستفتح كل قسم منه بذكر العيد الذي تتم فيه الدعوة. وهذا التركيز يجمع السيرة والدعوة حول سبعة أعياد :

الفاتحة : نشيد الكلمة المتجسد (١ : ١ - ١٨).

مقدمة : الأسبوع الأول : تقديم الشهود، المعمدان، والرسل (١ : ١٩ - ٢ : ١٢).

١) **الفصح الأول** (٢ : ١٣ - ٤ : ٥٤) : الدعوة الأولى في أورشليم واليهودية.

٢) **الفصح الثاني** (على رأينا) (ف ٥) : يذكر تعقيد الدعوة الجليلية في أورشليم.

٣) **فصح « خبز الحياة »** (ف ٦) : يذكر ختام الدعوة في الجليل.

٤) **عيد الخيام** (٧ : ٢ - ١٠ : ٢١) : بدء الدعوة الثانية في أورشليم واليهودية.

٥) **عيد التجديد** (١٠ : ٢٢ ـ ٤٢) : عقدة الدعوة الثانية في أورشليم واليهودية.

٦) **سبت لعازر** (ف ١١) : ختام الدعوة الثانية في أورشليم واليهودية.

٧) **الفصح الأخير**[١] (١١ : ٥٥ ـ ٢١ : ٢٥) : الاستشهاد والقيامة.

وقد اعتمد كثيرون هذا التخطيط البياني والتاريخي.

٣ ـ التصدير الفني في الأجزاء

أسلوب التصدير الفني يشمل أجزاء الإنجيل كله.

ففي القسم الأول، « كتاب الآيات » ، يميز فصلين بالتصدير : فصل الإيمان (١ : ١٩ ـ ٦ : ٦٩) وفصل الكفر (٧ : ٥ ـ ١٢ : ٣٧).

ويجمع شهادة المعمدان بهذا التصدير: « وهذه هي شهادة يوحنا » (١ : ١٩) ثم « وأنا رأيت وأشهد أن هذا هو المصطفى عند الله » (١ : ٣٤).

ويجمع طاعة الابن لأبيه بهذا التصدير : « الابن لا يقدر أن يعمل نفسه شيئاً، ما لم يرَ الآب يعمله » (٥ : ١٩)؛ ثم « لا أقدر أنا أن أعمل من نفسي شيئاً، بل أقضي بما أسمع » (٥ : ٣٠).

ويجمع قلق الصحابة في عشاء الوداع بقوله : « لا يضطرب قلبكم » (١٤ : ١) وقوله : « فلا يضطربْ قلبكم ولا يقلق » (١٤ : ٢٧).

ويستجمع القسم الأخير، « كتاب الاستشهاد » بهذين التصديرين : ساعة الرجعة إلى الآب (١٣ : ١) مع (٢٠ : ١٧)؛ وساعة « النهاية » بقوله: « أحبهم إلى النهاية » (١٣ : ١) وقوله : « لقد تمّ » أي هذه هي النهاية (١٩ : ٣٠) ولا يردّ التعبير إلاّ في هذين الموضعين.

فتلك الأنواع الثلاثة من التصدير، في الافتتاح والاختتام، بتواترها وشمولها، تجعل الإنجيل بحسب يوحنا **وحدة تامة**، مترابطة في الكتاب كله وفي أقسامه وأجزائه، كجسم واحد. وهذا لا يتأتى إلاّ من وحدة الإنجيل ووحدة الشاهد ووحدة الكاتب.

---

(١) يكرر الإشارة إليه (١١ : ٥٥؛ ١٢ : ١؛ ١٣ : ١؛ ١٩ : ٣١).

وهذا الأسلوب برهان الاقتدار الفني في الإنجيل بحسب يوحنا.

لذلك قام الإجماع على وحدة الإنجيل، بالرغم من نشاز المغرضين.

* * *

بحثٌ ثانٍ

المناقلات المقترحة في الإنجيل

في الإنجيل بحسب يوحنا بعض فصول وبعض آيات يرى بعض العلماء أنها في غير موضعها، فيُجرون فيه بعض المناقلات. لكن ذلك لا يمس صحة الإنجيل، ولا شك في صحتها. ويعرضون مناسبات مواطنها.

أولاً : قصة الآيات المقترح نقلها

١ ـ قصة الآيتين (٣ : ١٤ ـ ١٥).

ارتأى بعضهم نقلهما إلى ما بعد (١٢ : ٣٢). إن المناسبة منطقية. لكن ما يمنع أن يخص يسوع العلاّمة نيقوديم الذي آمن به سراً، يكشف عن مصيره لكي لا يشك، كما كشف عنه للشعب بطريقة غامضة : « انقضوا هذا الهيكل، وأنا أبنيه في ثلاثة أيام ـ أما هو فكان يتكلّم عن هيكل جسده » (٢ : ١٩ و٢١). فالموضوع وارد في كلام يسوع منذ الفصح الأول. ولا داعي للتبديل.

٢ ـ قصة الآية (١٨ : ٢٤)

المؤتلفة لا تذكر مثول يسوع أمام حنّان؛ وبحسب روايتهم قيافا رئيس الأحبار القائم هو الذي استجوب يسوع ليلاً، وفي الصباح اجتمع السنهدريم وحكم على يسوع بالموت لأنه، على رأيهم، كفر.

أمّا يوحنا فقد استدرك عليهم وروى « **أنهم قادوه أولاً إلى حنان** لأنه كان حما قيافا، الذي كان رئيس الكهنة في تلك السنة » (يو ١٨ : ١٣). ثم ينقل دخول بطرس إلى ساحة دار قيافا (١٨١ : ١٥ ـ ١٨) وينقل الاستجواب الذي جرى ليسوع أمام حنّان (١٨ : ١٩ ـ ٢٣). وهنا يضيف **الآية (٢٤) :** « إلا أن حنّان أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة » . وهكذا فلا ينقل يوحنا الاستجواب أمام قيافا، واكتفى بما رواه المؤتلفة.

فارتأى بعض العلماء، وعلى رأسهم العلاّمة لاغرنج، نقل الآية (٢٤) إلى ما بين الآية (١٣) و (١٤). لينسجم يوحنا مع المؤتلفة : فيكون الاستجواب الذي ينقله قد جرى عند قيافا، كما تروي المؤتلفة.

لكن الأصح أن تظل الآية (١٨ : ٢٤) في مكانها : لأن يوحنا أراد تكميل المؤتلفة الذين ذكروا استجواب يسوع عند قيافا، باستجوابه الأول عند حنّان؛ ولم يذكر الاستجواب عند قيافا لأن يوحنا اعتبره كافياً عند المؤتلفة؛ وبالتبديل المقترح يسقط تكميل يوحنا، ويصبح الاستجواب عند حنّان صورةً عن الاستجواب عند قيافا. ولأنه بترك الآية في موضعها ينسجم الإنجيل كله مع قول لوقا : « والتفت الرب ونظر إلى بطرس، فتذكر بطرس كلام الرب ... فمضى إلى الخارج وبكى بمرارة » (٢٢ : ٦١ ـ ٦٢). فصياح الديك ذكّره بنبوة يسوع؛ لكن الذي بعث المرارة في قلبه والبكاء في عينيه إنما هو نظر يسوع له. ولو اقتصر أمر الاستجواب على واحد عند قيافا، لَمَا أمكن يسوع وهو موقوف أمام المحفل أو في سجن الحبر الأعظم أن يرى بطرس. لكن بانتقال يسوع من دار حنّان إلى دار قيافا مرّ ببطرس ونظر إليه بمرارة فأخجله وأبكاه.

٣ ـ قصة الآية (٢١ : ٢٤)

هذه الآية هي : « فهذا التلميذ هو الشاهد بهذه الأمور، وهو الذي كتبها (استكتبها[١]). ونحن نعلم أن شهادته حق » .

---

(١) الحرف اليوناني يحمل المعنيين. وترجمة « استكتبها » تدفع شبهات كثيرة؛ وتشهد أن « الشاهد » بالإنجيل هو يوحنا الرسول، وأن كاتبه هو أحد مدرسته التي تشهد بصحة الإنجيل الذي تسلمته من الرسول يوحنا.

وهي تقطع سياق الكلام بين الآيتين (٢١ : ٢٣ و٢٥). فاقترح العلاّمة الآب لاغرنج نقل الآية (٢٤) إلى ما بعد (٢٥). فتكون هي خاتمة الإنجيل الثانية، ولا تقطع سياق الحديث، ولا يختلف الخطاب بين المفرد (الآية ٢٥) والجمع (الآية ٢٤).

والاقتراح وجيه، لتلك الأسباب، وتكون الآية (٢٤) بمثابة توقيع وتصديق من حفظة الإنجيل، مدرسة يوحنا الرسول.

لكن بقاء الآية (٢٤) في مكانها ـ بالرغم من إقحامها ـ له ما يبرّره : فتكون خاتمة الإنجيل الثانية (٢١ : ٢٥) تكراراً لخاتمة الإنجيل الأولى (٢٠ : ٣٠). وهذا التكرار للتقرير له روعته.

ثانياً : قصة الفصول المقترح نقلها

١ ـ قصة الفصل الخامس : شفاء مقعد بركة بيت حسدا.

في ختام الفصل الرابع، نشهد هجرة يسوع من اليهودية. مروراً بالسامرة (ف ٤) إلى الجليل (٤ : ٤٣) حيث لا شك زار أُمه في الناصرة، وتوجّه إلى كفرناحوم، مروراً بقانا الجليل حيث أجرى شفاء ولد محتضر (٤ : ٤٢ ـ ٥٤). وباشر دعوته في الجليل التي نرى الإشارة إليها في (٧ : ١) : « بعد ذلك كان يسوع يطوف في الجليل؛ ولم يشأ أن يتجول في اليهودية، لأن اليهود كانوا يطلبون قتله » .

لكن فجأة نرى يسوع في أورشليم، في « عيد لليهود » يُجري معجزة شفاء مقعد بيت حسدا، ويحاور اليهود في سلطانه بالعمل في السبت مثل أبيه (ف ٥). فهل يستقيم هذا تاريخيّاً ؟

لقد عرض العلاّمة لاغرنج تقديم الفصل السادس، **فصح « خبز الحياة »** على الفصل الخامس، فتستقيم السيرة بحسب يوحنا : بعد ردة الناس وبعض التلاميذ عن يسوع على أثر تصريحه المكرّر بأنه هو « الخبز الحي النازل من السماء » ، وعلى أن خبز الحياة هو جسده الذي سوف يعطيه طعاماً إلهيّاً لأحبائه، رجع من جديد إلى الدعوة الثانية والأخيرة في أورشليم واليهودية. فتردّد على أورشليم بمناسبة الأعياد الثلاثة : « عيد لليهود »

(٥ : ١) لعله العنصرة، ثم عيد الخيام (٧ : ٢ و١٤)، ثم عيد التجديد (١٠ : ٢٢).

لا يخلو الاقتراح من وجاهة. لكن الأصل تحديد معنى « عيد اليهود » (٥ : ١). نرى أنه متى كان التعبير مطلقاً كما في (٥ : ١) فهو يعني العيد الكبير، عيد الفصح؛ لأن يوحنا عند تخصيصه بغيره يضيف ما يبينه كقوله: « وكان عيد اليهود، عيد الخيام، قد قرب » (٧ : ٢)؛ و « عيد اليهود » عند يوحنا هو الفصح (٦ : ٤).

ولا غرابة أن يقطع يوحنا الدعوة في الجليل (٤ : ٤٣ + ٧ : ١) بذكر حادث جرى في أثنائها في أورشليم (ف ٥)؛ كما يقطع الدعوة في أورشليم واليهودية بزيارة إلى الجليل عابرة (٤ : ٤٣ - ٥٤) أجرى فيها معجزة ثانية في قانا الجليل (٤ : ٤٦ - ٥٤).

فالأصح، على رأينا، ترك الفصل الخامس مكانه، لأنه من **التكميل** الذي أكمل به يوحنا المؤتلفة، بذكر مطلع الدعوة في الجليل، بعد أن هاجر إليه (٤ : ١ - ٣؛ ٤ : ٤٣ - ٥٤)؛ ثم عقدتها (ف ٥) ثم خاتمتها (ف ٦).

فالفصل الخامس، الذي يقطع السيرة والدعوة في الجليل، يذكر العقدة التاريخية التي انطلقت منها المعارضة العنيفة ليسوع في الجليل، يبعث الجواسيس عليه من أورشليم. ولا عبرة إذا لم يذكر المؤتلفة صعود يسوع إلى أورشليم مدة دعوته في الجليل. لكنهم أجمعوا على نقل قول المسيح عن دعواته المتواترة في أورشليم : « يا أورشليم! يا أورشليم! يا قاتلة النبيين، وراجمة المرسلين! كم من مرة أردت أن أجمع بنيك فيك » .

فما بين (٤ : ٤٣) وبين (٧ : ١) لم يزل يسوع يباشر دعوته في الجليل؛ ولم ينتقل بعد إلى الدعوة الثانية والأخيرة في أورشليم واليهودية. فالأصح أن نترك الفصل الخامس في موضعه، لأن يوحنا يروي لنا مطلع الدعوة في الجليل (٤ : ٤٣ - ٥٤) وعقدتها (ف ٥) وختامها (ف ٦) قبل العودة إلى الدعوة ثانية في أورشليم واليهودية.

٢ ـ قصة الفصول (١٥ و١٦ و١٧)

أنهى يسوع أحاديث العشاء السري بقوله : « قوموا ننطلق من ههنا » (١٤ : ٣١) ثم يروي يوحنا : « تكلّم يسوع بهذا، وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان بستان فدخله هو وتلاميذه » (١٨ : ١). فالاتصال منطقي. لكن يوحنا يقطع القولين بالفصول (١٥ و١٦ و١٧). فهل يصح أن يحدّث بها يسوع صحابته **على الطريق** من العلية الصهيونية، إلى بستان الزيتون، وخطابه بعد العشاء وحدة فنية يجمعها التصدير (١٤ : ١) والاختتام (١٤ : ٢٧) في القلق الذي استبدّ بهم، لخروج يهوذا والإنباء بجحود بطرس (١٣ : ٣١ ـ ٣٨) ؟

لا تنطبق أحاديث الفصول (١٥ ـ ١٧) على واقع الحال : فالسكينة التي تملأها تتعارض مع القلق الذي يحاول يسوع أن يبدّده من نفوسهم.

وتصاريح يسوع في تلك الفصول الثلاثة تختلف مع واقع الحال قبل الاستشهاد؛ لكنها تأتلف أسلوباً وموضوعاً مع حال يسوع وحالهم بعد القيامة وقبل الصعود إلى السماء.

فمثل هذه التصاريح لا يُفهم إلاّ بعد القيامة وقبل الصعود :

« أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به : اثبتوا فيّ وأنا فيكم » (١٥ : ٣) وهم ضعفوا وهربوا وتركوا يسوع وحده لمصيره.

« إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي » (١٥ : ٩)؛ بل هربوا!

« قلت لكم كل هذا ليكون فرحي فيكم، ويكون فرحكم كاملاً » (١٥ : ١١) فأي فرح ويسوع سائر إلى النزاع وإلى الاستشهاد ؟

« لئن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم » (١٥ : ٨). لكن بغض العالم ـ ذلك البغض الأكبر في قتله ـ لم يظهر بعد. وبغض العالم لهم لم يظهر بعد.

« ولم أقله لكم منذ البدء **لأني كنت معكم** » (١٦ : ٤) : فمن الجليّ أن يسوع قد دخل عند هذا التصريح في حال المجد بالقيامة.

« أما الآن فإني منطلق إلى الذي أرسلني » (١٦ : ٥). يسوع منطلق إلى الاستشهاد، أم إلى السماء ؟

« وآمنتم أني من الله خرجت » (١٦ : ٢٧). هذا الإيمان قبل الاستشهاد، أم بعد القيامة ؟

« ولكن لتطب نفوسكم : **إني قد غلبت العالم** » (١٦ : ٣٣). هذا كلام يُفهم بعد القيامة.

أخيراً صلاة يسوع (ف ١٧) لا تفهم قبل الآلام والموت، بل بعد القيامة ومجدها، الذي سيتم بمجد الصعود إلى السماء : « أيها الآب مجدني أنت فيك، بالمجد الذي كان لي فيك من قبل كون العالم » (١٧ : ٥).

« وعلموا يقيناً أني منك خرجت » (١٧ : ٨) : هذا لم يعلموه وهم يشاهدونه ينازع. ويُعدم، ويُصلب، ويُدفن؛ بل علموه لمّا قام من الموت وأخذ يظهر لهم حيّاً.

والقول الفصل قوله : « **لست أنا بعد في العالم**، وأما هم فإنهم في العالم، وأنا أعود إليك » (١٧ : ١١). عند هذا التصريح، كان يسوع قد خرج من « هذا العالم » بقيامته؛ لا في أصدق مظاهر بشريته من عذاب وصلب وموت ودفن كما « في العالم » .

وقوله : « كما أرسلتني إلى العالم، **أرسلتهم أنا إلى العالم** » (١٧ : ١٨). هذه الرسالة، رسالة الصحابة إلى العالم، لم تتم إلاّ في ظهور المسيح بعد قيامته، « في الجليل، على الجبل الذي عيّنه يسوع لهم » (متى ٢٨ : ١٦ - ٢٠)، لا قبل استشهاده.

وقوله : « أيها الآب إن الذين أعطيتني أريد أن يكونوا هم أيضاً حيث أكون أنا، لكي يشاهدوا مجدي الذي أعطيتني » (١٧ : ٢٤). هذا قول يقوله يسوع، في صلاته الأخيرة، قبل صعوده إلى السماء، لا قبل ذهابه إلى الموت.

لذلك نرى أن الفصلين (١٥ و١٦) يجمعان الأحاديث المجيدة التي حدث بها يسوع صحابته، بعد قيامته، « وهو يتراءى لهم مدة أربعين يوماً، ويكلمهم عن شؤون ملكوت الله » (الأعمال ١ : ٣)؛ كما نرى

أن الفصل (١٧) هو صلاة يسوع الأخيرة قبل صعوده إلى السماء. **لذلك يجب نقلها إلى آخر الإنجيل**، قبل الآية الختامية (٢١ : ٢٥) لأن الفصل (٢١) هو الظهور الثالث ليسوع بعد القيامة (٢١ : ١٤)؛ وقد أشار إلى الظهور الرابع على الجبل (١٧ : ١٨).

* * *

بحث ثالث

التخطيطات المقترحة

لقد اقترح العلماء سبعة أنواع من التخطيط للإنجيل بحسب يوحنا. وكلها تدل على إعجاز الإنجيل الذي يعجز عن إدراك مداه.

١ ـ التخطيط التاريخي والجغرافي بحسب معطيات الإنجيل.

٢ ـ التخطيط الدرامي الذي تتطور فيه السيرة والدعوة، من عقدة إلى عقدة، حتى النهاية المحتومة.

٣ ـ التخطيط المعنوي والروحي، حيث مجد المسيح يتأرجح ما بين الإيمان والكفر، حتى الكفر الأكبر بقتل المسيح، والإيمان الأعظم بقيامته.

٤ ـ التخطيط الكلامي، حيث يدور الإنجيل حول قيم فريدة، تتردّد في مشاهد السيرة، ومواقف الدعوة.

٥ ـ التخطيط الأسطواني، حيث تدور أجزاء الإنجيل حول أفكار معدودات في كل جزء منه.

٦ ـ التخطيط العددي الذي يرى في العددين المقدسين، سبعة وثلاثة، مجمل الإنجيل وتفصيله.

٧ ـ التخطيط الرمزي الذي يرى في الإنجيل بحسب يوحنا صدى لسفر الهجرة (الخروج) : هذا كان هجرة من العالم الكافر إلى إسرائيل المؤمن!

فجاء الإنجيل هجرة من إسرائيل الكافر إلى العالم المؤمن؛ وصدى لسفر التكوين : فكما كان التكوين كله في سبعة أيام؛ كذلك تجديد الكون بواسطة المسيح يتم في سبعة أسابيع، كما تشير كلمة التوراة : « في البدء برأ الله السماوات والأرض » ، وكلمة الإنجيل : « في البدء كان الكلمة » (١ : ١).

فكل تلك التخطيطات لها جذور في الإنجيل، وتدل في التفكير والتعبير على غناه؛ لكنها قاصرة عن شمول مداه.

* * *

بحث رابع

التخطيط بحسب ظواهر الإنجيل

في الإنجيل بحسب يوحنا **أربع ظواهر** تفرض نوع تخطيطه : الظاهرة التاريخية، والظاهرة البيانية، والظاهرة الرمزية، والظاهرة الموضوعية. وبحسب هذه **الظواهر الأربع** يجدون فيه هذه التخطيطات الأربعة.

أولاً : التخطيط التاريخي

الفاتحة : كلمة الله المتجسد هو يسوع المسيح (١ : ١ ـ ١٨).

فصل أول : رسالة المسيح الأولى في اليهودية، مدة سنة تقريباً.

١ ـ الأسبوع الأول : شهود الدعوة (١ : ١٩ ـ ٢ : ١٢).

٢ ـ الفصح الأول، ودعوة يسوع في أورشليم واليهودية (٢ : ١٣ ـ ٣٦).

٣ ـ على طريق الهجرة إلى الجليل : المخلّص في السامرة (٤ : ١ ـ ٤٢).

فصل ثان : رسالة المسيح في الجليل مدة سنة ونصف. يذكر يوحنا ما فات المؤتلفة منها :

١ ـ مطلع الدعوة في الجليل : حفاوتهم به، ومعجزة قانا الثانية (٤ : ٤٣ ـ ٥٦).
٢ ـ عقدة الرسالة في الجليل : الفصح الثاني في أورشليم (٥ : ١ ـ ٤٧).
٣ ـ ختام الدعوة في الجليل : معجزة الخبز، وخبز الحياة (٦ : ١ ـ ٧ : ١).

فصل ثالث : دعوة المسيح الثانية في أورشليم واليهودية.

١ ـ يسوع في أورشليم، بعيد الخيام (٧ : ٢ ـ ٨ : ٥٩).
٢ ـ نور العالم يشفي الأعمى منذ مولده (٩).
٣ ـ يسوع في عيد التجديد بأورشليم (١٠ : ٢٢ ـ ٣٩).

فصل رابع : رسالة يسوع الأخيرة، خصوصاً في شرق الأردن، مدة أربعة أشهر (١٠ : ٤٠ ـ ١٢ : ٣٥)

١ ـ رسالة يسوع في شرق الأردن (١٠ : ٤٠ ـ ٤٢)

٢ ـ يسوع من جديد في اليهودية : إحياء لعازر، وخلوة يسوع في إفرائيم (١١ : ١ ـ ٥٤).

٣ ـ الأسبوع الأخير من رسالة المسيح (١١ : ٥٥ ـ ١٢ : ٣٦ مع ٤٤ ـ ٥٠).

ختام الرسالة بالدعوة (١٢ : ٣٧ ـ ٤٣).

فصل خامس : العشاء الوداعي (١٣ : ١ ـ ١٧ : ٢٦).

١ ـ يسوع يهيئ التلاميذ بغسل أرجلهم وطرد الخائن (١٣ : ١ ـ ٣٠).
٢ ـ حديث يسوع الوداعي (١٣ : ٣١ ـ ١٤ : ٣١).
٣ ـ على الطريق إلى جتسماني : الكشف عن المصير، ودور الروح القدس (١٥ : ١ ـ ١٦ : ٣٣).

ختام الرسالة بالكشف الخاص لرسله : صلاة المسيح لوحدة المسيحيين (١٧ : ١ ـ ٢٦)

فصل سادس : الاستشهاد للشهادة (١٨ : ١ ـ ١٩ : ٤٢).

توطئة : توقيف يسوع (١٨ : ١ ـ ١١).

١ ـ محاكمة يسوع الدينية (١٨ : ١٢ ـ ٢٧).
٢ ـ محاكمة يسوع المدنية (١٨ : ٢٨ ـ ١٩ : ١٦).
٣ ـ الإعدام والاستشهاد (١٩ : ١٧ ـ ٤٢).

فصل سابع : القيامة المجيدة (٢٠ : ١ ـ ٢١ : ٢٣).

١ ـ التحقيق في القيامة، بالكشف عن القبر الخالي (٢٠ : ١ ـ ١٠).
٢ ـ ظهور يسوع في أورشليم (٢٠ : ١١ ـ ٣١).
٣ ـ ظهور يسوع في الجليل (٢١ : ١ ـ ٤٣).

خاتمة الإنجيل، أو تصديق كتبته (٢١ : ٢٤ ـ ٢٥).

ثانياً : التخطيط الرمزي (حول الأعياد والأعداد).

الفاتحة : كلمة الله هو يسوع المسيح (١ : ١ ـ ١٨).

١ ـ الفصح الأول (١ : ١٩ ـ ٤ : ٥٤).
٢ ـ عيد لليهود (٥ : ١ ـ ٤٧).
٣ ـ الفصح الثاني : الخبز الحي (٦ : ١ ـ ٧ : ١).
٤ ـ عيد الخيام (٧ : ٢ ـ ١٠ : ٢١).
٥ ـ عيد التجديد (١٠ : ٢٢ ـ ١١ : ٥٤).
٦ ـ فصح الصلب (١١ : ٥٥ ـ ١٩ : ٢٢).
٧ ـ الفصح الأزلي بالقيامة (٢٠ : ١ ـ ٢١ : ٢٥).

ثالثاً : التخطيط الموضوعي الصوفي

الفاتحة : يسوع المسيح هو كلمة الله، النور والحقيقة والنعمة والحياة (١ : ١ ـ ١٨).

١ ـ يسوع هو النعمة والحقيقة (١ : ١٩ ـ ٤).

٢ ـ يسوع هو الحياة (٥ ـ ٦).

٣ ـ يسوع هو النور (٧ ـ ١٠).

٤ ـ يسوع هو القيامة والحياة (١١ ـ ٢١).

الخاتمة : مصير كنيسة المسيح الأمينة على النور والحقيقة والنعمة والحياة (٢١).

رابعاً : التخطيط البياني

الفاتحة : يسوع المسيح هو كلمة الله (١ : ١ ـ ١٨) في ثلاثة كتب.

كتاب الآيات (١ : ١٩ ـ ١٢)

فصل أول : الأسبوع الأول : تجديد الخلق والدين، معجزة تحويل الماء إلى خمر (١ : ١٩ ـ ٢ : ١٢)

١ ـ شهادة المعمدان

٢ ـ شهادة الدعوة

٣ ـ شهادة يسوع بالمعجزة

فصل ثانٍ : رسالة المسيح الأولى : ظهور الحقيقة بمعجزتين وخطاب (٢ : ١٣ ـ ٥ : ٤٧)

١ ـ الولادة الجديدة، وشفاء ابن القائد، وفتح باب الإيمان للأمميين. (٢ : ١٣ ـ ٣ : ٣٦).

٢ ـ فتح باب الإيمان للخوارج في السامرة (٤).

٣ ـ فتح باب الإيمان لليهود، بشفاء مقعد أورشليم : سلطان يسوع من سلطان الله (٥).

فصل ثالث : ختام رسالة المسيح في الجليل : يسوع هو الخبز الحي ـ معجزتان وخطاب (٦)

١ ـ معجزة تكثير الخبز رمز لتكثير جسد المسيح (٦ : ١ ـ ١٦),

٢ - معجزة السير على ماء البحيرة رمز إلى تحويل الخمر إلى دمه وتكثيره (٦ : ١٧ - ٢١).

٣ - يسوع هو الخبز الحي النازل من السماء (٦ : ٢٢ - ٧١).

فصل رابع : رسالة المسيح الثانية في أورشليم : يسوع هو نور العالم.

١ - خطب يسوع في عيد الخيام قبل المعجزة : « أنا نور العالم » (٧ : ١ - ٨).

٢ - نور العالم يشفي الأعمى منذ مولده (٩ : ١ - ٤١).

٣ - خطب يسوع بعد المعجزة : باب الخراف؛ والراعي الصالح (١٠ : ١ - ٢١).

فصل خامس : عيد التجديد؛ والرسالة في شرق الأردن (١٠ : ٢٢ - ٤٢).

١ - تصريح يسوع في الهيكل : « أنا والآب واحد » - محاولة رجمه (١٠ : ٢٢ - ٣١).

٢ - استشهاد يسوع بأعماله وبالكتاب - محاولة توقيفه (١٠ : ٣٢ - ٣٩).

٣ - رسالة يسوع في شرق الأردن (١٠ : ٤٠ - ٤٢).

فصل سادس : إحياء لعازر؛ يسوع هو القيامة والحياة

١ - يسوع يصرّح أنه القيامة والحياة، ويحيي لعازر (١١ : ١ - ٤٤).

٢ - مجلس اليهود الأعلى يفتي بقتل يسوع (١١ : ٤٥ - ٥٣).

٣ - خلوة يسوع في أفرائيم (١١ : ٥٤)، المجلس يأمر بالتفتيش عنه (١١ : ٥٤ - ٥٧).

فصل سابع : الأسبوع الأخير، يسوع يحتلّ العاصمة والهيكل (١٢).

١ - مأدبة بيت عنيا الوداعية الرمزية ليسوع بحضور لعازر (١٢ : ١ - ١١).

٢ - يسوع يدخل أورشليم والهيكل دخول الفاتحين (١٢ : ١١ - ١٩).

٣ - يسوع يستقبل باكورة الأمميين - خطابه بالمناسبة (١٢ : ٢٠ - ٥٠).

خاتمة كتاب الآيات : كفر اليهود تتميم النبوءات (١٢ : ٣٧ - ٤٣).

كتاب الأسرار (١٣ ـ ١٧)

فاتحة : يسوع القادر على كل شيء، وقد أتت ساعته، أحبّ خاصته إلى الغاية (١٣ : ١ ـ ٣).

تمهيد : تهيئة التلاميذ للكشف الأخير (١٣ : ٤ ـ ٣٨).

١ ـ بتطهير التلاميذ وتهيئتهم للأسرار (١٣ : ٤ ـ ١٧).
٢ ـ بطرد التلميذ الخائن (١٣ : ١٨ ـ ٣٠).
٣ ـ بإعلان يسوع للرسل أن ساعته دنت، والإنباء بجحود بطرس (١٣ : ٣١ ـ ٣٨).

فصل أول : خطاب يسوع الوداعي (١٤).

فصل ثانٍ : خطاب يسوع الكشفي عن الثالوث وحياة المسيحيين في الثالوث (١٥ ـ ١٦).

فصل ثالث : صلاة المسيح الشهيد قبل الاستشهاد (١٧).

كتاب الاستشهاد (١٨ ـ ٢١)

فاتحة : يسوع يقابل الجند والشرطة، وهو عالم بكل ما سيحدث له (١٨ : ١ ـ ٤).

فصل أول : محاكمة المسيح: التوقيف، المحاكمة الدينية، المحاكمة المدنية (١٨ : ٤ ـ ١٩ : ١٦).

فصل ثانٍ : الإعدام والاستشهاد: صلب المسيح! موت المسيح! دفن المسيح! (١٩ : ١٧ ـ ٤٢).

فصل ثالث : القيامة المجيدة: القبر الخالي، ظهور يسوع في أورشليم، ظهور يسوع في الجليل (٢٠ : ١ ـ ٢١ : ٢٣).

خاتمة الإنجيل الأولى (٢٠ : ٣ ـ ٣١) الثانية (٢١ : ٢٥)؛ تذييل بشهادة كتبة الإنجيل بصحته (٢١ : ٢٤).

* * *

بحث خامس

تحليل الإنجيل بحسب يوحنا

إننا نبني تحليل الإنجيل بحسب يوحنا على تلك **الظواهر الأربع مجتمعة :** التاريخية، والبيانية، والرمزية، والموضوعية، التي تندمج فيها اندماجاً فنيّاً. واندماج تلك المخططات الأربعة، في تفنن بياني، هو دليل **الاقتدار الفني** في الإنجيل، يسمو به إلى الإعجاز في الوحي والتنزيل، وفي البيان والتبيين.

وبما أن التخطيط البياني هو الأظهر فيه، سنبني عليه تحليل الإنجيل، مع دمج المخططات الثلاثة الأخرى فيه.

الفاتحة : نشيد الكلمة (١ : ١ - ١٨)

مطلع : الكلمة الأزلي في ذات الله (١ : ١ - ٢).

١ - الكلمة في الكون (١ : ٣ - ١٠) - ما عدا (٦ - ٨).

٢ - الكلمة في تاريخ البشرية (١ : ١١ - ١٤).

٣ - الكلمة في تاريخ النبوة : المسيح وموسى (ختام ١٤ + ١٦ - ١٧).
المسيح والمعمدان (٦ - ٨ + ١٥).

ختام : يسوع المسيح، ابن الله، كشف وحده الله الآب (١ : ١٨).

القسم الأول : كتاب « الآيات »[(١)] (١ : ١٩ - ١٢ : ٤٣).

الفصل الأول : الأسبوع الأول لظهور المسيح (١ : ١٩ - ٢ : ١١).

اليوم الأول : المعمدان يشهد لوفد السنهدريم أنه ليس المسيح (١ : ١٩ - ٢٨).

---

(١) بيانياً فيه جزءان يظهرهما التصدير : جزء الإيمان (١ : ١٩ - ٦ : ٦٩) وجزء الكفر (٧ : ٥ - ١٢ : ٣٧).

اليوم الثاني : المعمدان يشهد لتلاميذه أن يسوع هو رجل الروح (١ : ٢٩ ـ ٣٤)

اليوم الثالث : المعمدان يشهد لتلاميذه أن يسوع هو حمل الله ، فيتبعه ثلاثة منهم (١ : ٣٥ ـ ٤٢)

اليوم الرابع : يسوع يكشف عن ذاته لتلميذين آخرين، فيتبعانه (١ : ٤٣ ـ ٥٦).

اليومان الخامس والسادس : رحلة إلى الناصرة (لوقا) وقانا الجليل.

اليوم السابع : في قانا الجليل، معجزة تحويل الماء إلى خمر (٢ : ١ ـ ١١).

الفصل الثاني : رسالة المسيح الأولى في أورشليم واليهودية

يستفتحها بتتمة الجولة العامة الاستطلاعية : رسالة عابرة في كفرناحوم (٢ : ١٢) تتم فيها دعوة الرسل النهائية لصحبة يسوع كما ذكرتها المؤتلفة.

أولاً : مطلع الرسالة في أورشليم، بمناسبة الفصح الأول (٢ : ١٣ ـ ٣ : ٢١).

١ ـ فاتحة الدعوة باحتلال الهيكل وطرد تجار الدين (٢ : ١٣ ـ ٢٢).

٢ ـ رسالة المسيح بالمعجزات في أورشليم (٢ : ٢٣ ـ ٢٥).

٣ ـ حديث ليلي مع نيقوديم، علاّمة إسرائيل : الكشف عن سر الروح (٣ : ١ ـ ٢١).

١) يسوع رائد ملكوت الله بالعماد في الماء والروح (٣ : ١ ـ ٨).

٢) يسوع الشاهد بالسماويات والنظام الجديد (٣ : ٩ ـ ١٢).

٣) الكشف عن سرّ المسيح : مصدره ومصيره (٣ : ١٣ ـ ١٥).

تعليق الإنجيلي[١] : تفسير معنى موت المسيح (٣ : ١٦ ـ ٢١).

ثانياً : رسالة المسيح الأولى في اليهودية، على طريقة المعمدان (٣ : ٢٢ ـ ٣٠) مدتها من نيسان إلى الشتاء (٤ : ٣٥).

---

(١) هذا التفسير استطراد موجه إلى علماء مثل نيقوديم.

١ - الرسالة الأولى في اليهودية، على طريقة المعمدان (٣ : ٢٢ - ٢٤).

٢ - شهادة المعمدان الأخيرة قبل توقيفه : لست المسيح، بل مرسل أمامه (٣ : ٢٥ - ٣٠).

تعليق الإنجيلي [١] : مقارنة بين المسيح والمعمدان (٣ : ٣١ - ٣٦).

ثالثاً : على طريق الهجرة إلى الجليل : رسالة أولى في السامرة (٤ : ١ - ٤٢).

المناسبة : يسوع على طريق الهجرة إلى الجليل (٤ : ١ - ٦).

١ - يسوع يكشف للسامرية أنه المسيح الموعود (٤ : ٧ - ٢٦).

٢ - حديث يسوع مع صحابته : حصاد الإيمان قريب (٤ : ٢٧ - ٣٨).

٣ - أهل سيخار يستضيفون يسوع يومين ويشهدون أنه مخلص العالم (٤ : ٣٩ - ٤٢).

الفصل الثالث : رسالة المسيح في الجليل، مدة سنة ونصف.

يوحنا يكمّل المؤتلفة بذكر مطلع هذه الرسالة، وعقدتها، وخاتمتها.

أولاً : مطلع الرسالة : استقبال الجليليين الحافل ليسوع (٤ : ٤٣ - ٤٥).

يسوع على طريقه إلى كفرناحوم يشفي من قانا ابن القائد فيها (٤ : ٤٦ - ٥٤).[٢]

ثانياً : تعقيد الرسالة في الجليل برحلة إلى أورشليم في الفصح الثاني[٣] (ف ٥).

توطئة : مناسبة الحديث المعجز (٥ : ١ - ٤).

١ - الحدث المعجز : شفاء مقعد مزمن عند بركة بيت حسدا (٥ : ٥ - ١٨).

١) المعجزة (٥ : ٥ - ١٠).

---

(١) هذا التفسير استطراد آخر موجه إلى جماعة المعمدان الذين يفضلونه على يسوع المسيح.
(٢) فيهيئ بهذه المعجزة رسالته الناجحة المثيرة في كفرناحوم، وحماية القيادة الرومانية فيها له.
(٣) « عيد اليهود » هنا (٥ : ١) بدون تحديد له هو الفصح : ولا يعقل أن يمضي يسوع سنة في الجليل دون تتميم فريضة الحج إلى بيت الله في أورشليم، كما هو مفروض على كل يهودي.

٢) تفسير اليهود المغرض لها : إنها نقض للسبت (٥ : ١٠ - ١٣).

٣) جواب يسوع الأول : « أبي يعمل على الدوام، وأنا أعمل كذلك » (٥ : ١٤ - ١٨).

٢ - معنى المعجزة : سلطان يسوع من سلطان أبيه (٥ : ١٩ - ٤٧).

١) خطبة أولى[١] : وحدة العمل والإحياء والدينونة بين الآب والابن (٩ : ١٩ - ٣٠).

٢) خطبة ثانية : الآب يشهد للابن بمثل تلك الأعمال المعجزة (٥ : ٣١ - ٣٨).

٣) خطبة ثالثة : الكتاب أيضاً يشهد ليسوع : موسى كتب عني (٥ : ٣٩ - ٤٧).

الفصل الرابع : ختام الرسالة في الجليل، بمناسبة الفصح الثالث

المناسبة : رسالة يسوع شرقيّ البحيرة، قُبيل عيد الفصح (٦ : ١ - ٤).

أولاً : أحداث الرسالة (٦ : ٥ - ١٣).

١ - معجزة تكثير الخبز لآلاف الجياع (٦ : ٥ - ١٣).

٢ - محاولة الشعب تنصيبه ملكاً عليهم (٦ : ١٤ - ١٥).

٣ - على طريق عودتهم إلى كفرناحوم : معجزة السير على الماء (٦ : ١٦ - ٢١).

ثانياً : الخطاب الحاسم في جامع كفرناحوم (٦ : ٢٢ - ٦٥).

مناسبته : رجوع الشعب إليه (٦ : ٢٢ - ٢٥).

١ - حوار يسوع والشعب في الطعام الخالد؛ مقابلتهم بين معجزة الخبز والمنّ معجزة موسى (٦ : ٢٦ - ٣٤)

٢ - خطاب يسوع الأول[٢] في « خبز الحياة » (٦ : ٣٥ - ٤٨).

---

(١) يسوع ألقى ثلاث خطب في الهيكل أثناء الفصح الثاني، يميزها التصدير في كل منها.

(٢) وحدته قائمة على التصدير الصريح (٦ : ٣٥ و٤٨).

٣ ـ خطاب يسوع الثاني : خبز الحياة هو جسد المسيح (٦ : ٤٩ ـ ٥٩).

ثالثاً : عواقب هذا الخطاب الصريح (٦ : ٦٠ ـ ٧ : ١).

١ ـ ارتداد كثيرين من تلاميذه عنه (٦ : ٦٠ ـ ٦٦). هنا ختام فصل الإيمان بردّة بعض تلاميذه.

٢ ـ شهادة بطرس وصمود الرسل (٦ : ٦٧ ـ ٧١).

٣ ـ امتناع يسوع عن الصعود إلى الفصح، وجولاته إلى أطراف الجليل[١] (٧ : ١).

الفصل الخامس : رسالة المسيح الثانية في أورشليم واليهودية

أولاً : في عيد الخيام ـ بدء الصراع الحاسم

توطئة : ١) ذوو يسوع يحرّضونه على كشف نفسه في أورشليم[٢] (٧ : ٢ ـ ٩).

٢) صعود يسوع متخفياً[٣] إلى عيد الخيام، في أوائل تشرين الأول (٧ : ١٠ ـ ١٣).

١ ـ الحوار الأول[٤] : مصدر يسوع إلهي (٧ : ١١ ـ ١٨).

٢ ـ الحوار الثاني : سلطان يسوع على الشريعة والسبت (٧ : ١٩ ـ ٢٤).

٣ ـ الحوار الثالث : يسوع هو رسول الله الآب ومُظهره (٧ : ٢٥ ـ ٣٠) + محاولة أولى لتوقيفه في العيد (٧ : ٣٠).

٤ ـ الحوار الرابع : يسوع يعلن عن قرب مصيره؛ وفد السنهدريم للقبض عليه (٧ : ٣١ ـ ٣٦).

---

(١) في هذه الآية (٧ : ١) أوجز يوحنا المؤتلفة في رحلات يسوع إلى أطراف الجليل.
(٢) ما بين الآية (٧ : ٥) والآية (١٢ : ٣٧) تصدير فصل الكفر : يفتتحه بذكر كفر ذويه به، ويختتمه بذكر كفر قومه به.
(٣) ظاهرة خاصة في هذه الفترة : يسوع يتخفى تارة (٧ : ٤ و١٠؛ ٨ : ٥٩) ويتحدى تارة أخرى (٧ : ٢٦ و٢٨ و٣٧؛ ٨ : ١٢ و١٨ و٢٠).
(٤) فن التصدير واختلاف المواضيع يميز الخطب من بعض.

٥ ـ الحوار الخامس : يسوع هو نبع الماء الحي. محاولة ثانية للقبض عليه. رجوع الشرطة وقد أُسقط في أيديهم. دفاع نيقوديم عنه (٧ : ٣٧ ـ ٨ : ١).

٦ ـ قصة الزانية بالجرم المشهود[١] (٨ : ٢ ـ ١١).

٧ ـ الحوار السادس : يسوع هو نور العالم؛ صحة شهادته لنفسه (٨ : ١٢ ـ ٢٠).

ثانياً : ما بين العيدين

١ ـ الحوار الأول : يسوع ينسب لنفسه اسم الله الأعظم « أنا هو » (٨ : ٢١ ـ ٣٠).

٢ ـ الحوار الثاني : يسوع هو محرّر الإنسان؛ محاولة أولى لرجمه (٨ : ٣١ ـ ٣٧).

٣ ـ الحوار الثالث : أبوهم إبليس[٢] ، لا إبراهيم (٨ : ٣٨ ـ ٤٧).

٤ ـ الحوار الرابع : مَن آمن بيسوع لا يموت (٨ : ٤٨ ـ ٥٥).

٥ ـ الحوار الخامس : « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (٨ : ٥٦ ـ ٥٩).
+ محاولة ثانية لرجم يسوع

٦ ـ معجزة النور : شفاء الأكمه، الأعمى منذ مولده (٩ : ١ ـ ٤١).

مناسبة المعجزة : « ما دمت في العالم فأنا نور العالم » (٩ : ١ ـ ٥).

١) المعجزة : يسوع يشفيه بتفلة منه (٩ : ٦ ـ ٧).

٢) تحقيق الشعب في المعجزة (٩ : ٨ ـ ١٢).

٣) تحقيق الفريسيين الأول مع الأعمى المبصر (٩ : ١٣ ـ ١٧).

٤) التحقيق مع والدَي الأعمى (٩ : ١٨ ـ ٢٣).

٥) التحقيق الثاني مع الأعمى المبصر؛ طرد من الجامع (٩ : ٢٤ ـ ٣٣).

---

(١) هذه القصة مجهولة في المخطوطات قبل القرن الرابع في الغرب، وحتى القرن العاشر في الشرق؛ كما أن الآباء الشرقيين لا يذكرونها.

(٢) هنا يبرز إبليس إلى المسرح، وهو العدو الأول ليسوع، في صراعه مع اليهود.

٦) الأعمى المبصر يتعرّف على يسوع ويعلن إيمانه به (٩ : ٣٤ - ٣٨).

٧) خاتمة المعجزة : رسالة يسوع هي هداية العميان (٩ : ٣٩) مسؤولية الفريسيين، أئمة الشعب، قائمة (٩ : ٤٠ - ٤١).

٧ - الحوار السادس : « أنا باب الخراف » : الآخرون سُراق ولصوص (١٠ : ١ - ١٠).

٨ - الحوار السابع : « أنا الراعي الصالح » الذي يبذل حياته عن الخراف (١٠ : ١١ - ١٨).
+ الشقاق وتضارب الآراء في يسوع (١٠ : ١٩ - ٢١).

ثالثاً : في عيد التجديد

١ - الحوار الأول : « هل أنت المسيح » ؟ - « أنا والآب واحد » (١٠: ٢٢ - ٣٠).

٢ - الحوار الثاني : يسوع هو « ابن الله » (١٠ : ٣١ - ٣٨).
+ محاولة جديدة للقبض على يسوع (١٠ : ٣٩).

الفصل السادس : رسالة يسوع في غور الأردن

١ - موجز الرسالة (١٠ : ٤٠ - ٤٢) - تفصيلها عند لوقا

٢ - معجزة الحياة : قمة « الآيات » إحياء لعازر

١) ظروف الحدث المعجز الشخصية والمكانية والرسولية (١١ : ١ - ١٨).

٢) مريم تستقبل يسوع : وهو يبشرها بقيامة أخيها (١١ : ١٩ - ٢٧).

٣) حضور مرتا والشعب معها (١١ : ٢٨ - ٣٢).

٤) حنان يسوع على صديقه؛ تأثر ببكاء الشعب وبكى (١١ : ٣٣ - ٣٨).

٥) يسوع أمام القبر والموت، معجزتان: إحياء لعازر؛ إخراجه مكفّناً (١١: ٣٩ - ٤٤).

٣ - عواقب المعجزة : افتاء السنهدريم[١] بقتل يسوع[٢] (١١ : ٤٥ - ٥٣). خلوة يسوع في قرية «افرائيم» شهراً (١١ : ٥٤ - ٥٧).

الفصل السابع : صعود يسوع إلى أورشليم للمرة الأخيرة؛ الأسبوع الأخير.
+ أحداث الطريق عند المؤتلفة.

١ - مأدبة تكريمية ليسوع ولعازر في بيت عنيا[٣] (١٢ : ١ - ١١).

٢ - يسوع يدخل أورشليم دخول الفاتحين، في أحد الشعانين (١٢ : ١٢ - ١٩).

٣ - يسوع يستقبل وفداً من الهلّينيين المتقين، رمز الأمميين[٤] (١٢ : ٢٠ - ٣٦).

خاتمة الكتاب الأول : كفر اليهود بيسوع هو تتميم النبوءات (١٢ : ٣٧ - ٤٣).
الكفر بيسوع يجلب الهلاك الأبدي (١٢ : ٤٤ - ٥٠).

* * *

---

(١) الآية (١١ : ٤٧) تشهد بتحالف الأحبار والفريسيين لقتل يسوع.
(٢) حسب التلمود، صدرت الفتوى بقتل يسوع أربعين يوماً قبل تنفيذها.
(٣) بحسب مرقس (١٤ : ٣) ومتى (٢٨ : ٦) جرت المأدبة عند سمعان الأبرص. وربما هما وليمتان، يوم السبت ويوم الأربعاء.
(٤) الآية (١٢ : ٢٣ و٢٧) : لقد حانت ساعة يسوع؛ حتى الآن ما أتت (٢ : ٤؛ ٧ : ٣١؛ ٨ : ٢٠)؛ إنها آتية (٤ : ٢١ و٢٣؛ ٥ : ٢٥). إنها ساعة مجده باستشهاده (١٢ : ٢٣ و٢٨) وساعة دينونة العالم وخلاص الخالصين (١٢ : ٣١ و٤٢).

القسم الثاني : كتاب « الأسرار »

فاتحة : تنوه بجلال الساعة، ساعة العودة إلى الآب، وسلطان يسوع المطلق ومحبة يسوع أخصاءه إلى الغاية (١٣ : ١ - ٣).

فصل أول : العشاء السري (١٣ : ٤ - ٣٨).

١ - يسوع يغسل أرجل تلاميذه[١] (١٣ : ٤ - ١٧).

١) وصف الحدث (١٣ : ١ - ١١).

٢) يسوع أُسوة حسنة لهم في معاملة بعضهم بعضاً[٢] (١٣ : ١٢ - ١٧).

٢ - كشف يهوذا الخائن وطرده (١٣ : ١٨ - ٣٠).

٣ - إعلان يسوع عن فراقه لتلاميذه (١٣ : ٣١ - ٣٥).

فصل ثان : وداع يسوع لتلاميذه **قبل الاستشهاد**[٣] (١٤ : ١ - ٣١).

١ - حديث أول : **لا تقلقوا**، بل آمنوا أني « أنا الصراط والحقيقة والحياة » (١٤: ١ - ١١).

٢ - حديث ثانٍ : المؤمن، بسوآل يسوع، يعمل أعمال يسوع[٤] (١٤ : ١٢ - ١٤).

٣ - حديث ثالث : الوعد الأول بالفارقليط، يقوم مقام يسوع[٥] (١٤ : ١٥ - ١٧).

---

(١) يوحنا وحده يذكر الحادث، تكميلاً للمؤتلفة.
(٢) الآية (١٣ : ١٧) : « طوبى لكم » : لا نجد التعبير إلا مرتين عند يوحنا، هنا وفي (٢٠ : ٢٩) مما يدل على أسلوب في التعبير عند يسوع.
(٣) وحدة الحديث يدل على التصدير الثنائي : القلق والإيمان (١٤ : ١ مع ١٤ : ١ ثم ١٤ : ٢٧ و٢٩).
(٤) يسوع يستخدم فعل « عمل » خمس مرات في (١٤ : ١٠ - ١٤).
(٥) يسوع يكرر فعل « أحب » تسع مرات في (١٤ : ١٥ - ٢٨)؛ الفارقليط يكون « معكم » (١٤ : ١٦) « بينكم » (١٤ : ١٧) « فيكم » (١٤ : ١٧).

٤ - حديث رابع : « لن أدعكم يتامى » ، بل أعود وأظهر ذاتي لمن يحبني (١٤ : ١٨ - ٢١).

٥ - حديث خامس : سكنى الثالوث الأقدس في المؤمن (١٤ : ٢٢ - ٢٤).

٦ - حديث سادس : الفارقليط يعلمكم كل شيء، ويذكّركم بكل كلامي (١٤ : ٢٥).

٧ - حديث سابع : « سلامي آتيكم » **فلا تقلقوا**؛ بل افرحوا لأني ذاهب إلى الآب (١٤ : ٢٦ - ٢٨).

ختام : نبأتكم بهذا لتؤمنوا؛ مصيري ليس نصراً لإبليس، بل طاعة للآب (١٤ : ٣٠ - ٣١).

ملاحظة خطيرة : قوله « لا أطيل معكم الكلام ... قوموا، لننطلق من ههنا (١٤ : ٣٠ - ٣١) فيه إشارتان لنهاية الأحاديث بعد العشاء السري. أما الفصول (١٥ : ١٧) فهي وداع يسوع لتلاميذه **قبل صعوده إلى السماء.** أما الإنجيلي فقد وضعها هنا ليجمع في قسم واحد وَسَطٍ محاوراتِ يسوع لأخصائه، فكان كتاب « الأسرار » .

* * *

القسم الثالث : كتاب الاستشهاد المجيد

فصل أول : توقيف يسوع في البستان، بخيانة تلميذه يهوذا (١٨ : ١ - ١١).

توطئة : يسوع يأتي إلى بستان الزيتون[(١)] (١٨ : ١).

١ - حضور يهوذا مع فرقة من شرطة الهيكل والجند الروماني (١٨ : ٢ - ٣).

٢ - يسوع يواجههم ويسيطر عليهم بقوله : « أنا هو » (١٨ : ٤ - ٩).

٣ - يسوع يمنع مقاومة صحابته، ويستسلم بمشيئته لمصيره (١٨ : ١٠ - ١١).

فصل ثانٍ : محاكمة يسوع **الدينية**، والحكم عليه بالكفر والإعدام (١٨ : ٢٢ - ٢٧).

---

(١) يوحنا لا يروي نزاع يسوع، فقد نقله المؤتلفة؛ إنما يكلمهم برواية سيطرة يسوع على خصومه.

١ - استجواب يسوع أمام حنّان أولاً[١] ؛ إنكار بطرس الأول (١٨ : ١٢ - ٢٣).

٢ - مثول يسوع أمام قيافا[٢] ؛ إنكار بطرس الثاني والثالث (١٨ : ٢٤ - ٢٧).

فصل ثالث : محاكمة يسوع **المدنية**؛ تقتصر على تصديق حكمهم عن إكراه (١٨ : ٢٨ - ١٩ : ١٦).

توطئة : تقديم يسوع بالإجماع للوالي لتصديق الحكم (١٨ : ٢٨ - ٣٢).

١ - التحقيق الأول مع يسوع في **ملكوته.** محاولة أولى لتخليصه[٣] بإطلاق ابن عباس (١٨: ٣٣ - ٤٠).

٢ - محاولة ثانية لتخليصه، بتأديبه بالجلد وإكليل الشوك؛ هكذا يخرج يسوع إليهم للمرة الأولى (١٩ : ١ - ٧).

٣ تحقيق ثانٍ مع يسوع في **إلهيته**؛ محاولة ثالثة لتخليصه (١٩ : ٨ - ١٢) + فشلت محاولات بيلاطس بتهديد اليهود له بوشايته إلى قيصر (١٩ : ١٢). هكذا فضّلوا مُلْك قيصر الوثني عليهم على مُلْك الله ومسيحه.

٤ - محاولة رابعة لتخليصه، بإخراج يسوع للمرة الثانية، وإجْلاسه[٤] على كرسي القضاء وقوله بتهكّم « ها هو ذا ملككم » (١٩ : ١٣ - ١٥).

خاتمة : « عندئذٍ أسلمه ليصلب » (١٩ : ١٦).

---

(١) يوحنا يكمل المؤتلفة بذكر هذا الاستجواب الأولي عند حنان. لطم يسوع تم أمامه، فلا مشاحنة في شريعته.

(٢) يوحنا يشير إليه فقط ولا يفصله، فقد اكتفى بتفصيل المؤتلفة له.

(٣) استجواب يسوع يتم داخل دار الولاية؛ أما جواب الوالي لليهود المقيمين في الخارج فيتم على باب الدار. لذلك نرى بيلاطس يخرج أربع مرات، ويدخل ثلاثاً.

الإنجيل بحسب يوحنا يستخدم تعبير « الملك » ١٦ مرة، منها ١٢مرة في استجوابه (١٨ : ٣٣ - ١٩ : ٢٢)؛ مما يدل أنها محور تحقيق الوالي.

(٤) يترجمون عادة « وجلس » (١٩ : ١٣) أي بيلاطس. والأصح : « وأجلسه » ؛ لأن بيلاطس لم يصدر حكماً على يسوع بل فقط « أسلمه ليصلب » ؛ هكذا يفهم جواب اليهود : « إرفعه! إرفعه! ثم كرروا « اصلبه ».

فصل رابع : استشهاد المسيح صلباً (١٩ : ١٧ - ٤٢).

١ - صلب المسيح[1] (١٩ : ١٧ - ٣٤).
٢ - وصية المسيح بأُمّه[2] وموته على الصليب[3] (١٩ : ٢٥ - ٣٠).
٣ - تنزيل المسيح عن الصليب ودفنه[4] (١٩ : ٣١ - ٤٢).

فصل خامس : قيامة المسيح (٢٠ : ١ - ١٨)

١ - المجدلية بكّرت لتندب يسوع، فوجدت القبر خالياً (٢٠ : ١ - ٢).
٢ - بطرس ويوحنا يتحققان؛ بطرس يعجب، ويوحنا يؤمن[5] (٢٠ : ٣ - ١٠).
٣ - ظهور المسيح أولاً للمجدلية (٢٠ : ١١ - ١٦) وتكليفها برسالة إلى الرسل (٢٠ : ١٧ - ١٨).

فصل سادس : ظهور المسيح للرسل صحابته

أولاً : ظهور المسيح **الأول** يوم القيامة (٢٠ : ١٩ - ٢٥).

١ - ظهور يسوع للرسل، ورؤيتهم يديه وجنبه (٢٠ : ١٩ - ٢٠).
٢ - منحهم السلام والرسالة والروح القدس وسلطان الغفران؛ وكلها ثمار الصلب والقيامة (٢٠ : ٢١ - ٢٣).

---

(١) تمتاز رواية يوحنا بثلاثة مظاهر : يوحنا وحده لا يذكر سمعان القيرواني، بل يؤكد « فخرج وهو حامل صليبه » ؛ وحده لا يلصق صفة مشينة بالمصلوبين معه؛ وحده لا يذكر المسبات ليسوع المصلوب.
(٢) انفرد يوحنا بذكر هذا المشهد، لأنه يعنيه شخصياً؛ وبذكره يكشف أنه هو « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » .
(٣) لا يذكر يوحنا معجزة عند موت المسيح. بل يؤكد أمرين : « لم يكسر له عظم » (خر ١٢ : ٤٦) إشارة إلى أن يسوع هو الحمل الفصحي الحق (المزمور ٣٤ : ٢١)، « بل واحد من الجند طعن جنبه بحربة » تتميماً للنبوة (زكريا ١٢ : ١٠) « فخرج للوقت دم وماء » رمزاً العماد والقربان. ثم يقدم نفسه شاهد العيان.
(٤) ذكر نيقوديم للمرة الثالثة.
(٥) وحده يوحنا آمن بدون رؤية المسيح.

٣ - تبشير توما الغائب برؤية يسوع، وإصراره على الشك حتى البرهان الحسي (٢٠ : ٢٤ - ٢٥).

ثانياً : ظهور المسيح **الثاني**، بحضور توما (٢٠ : ٢٦ - ٢٩).

١ - الظهور الثاني بعد ثمانية أيام (٢٠ : ٢٦).

٢ - تحدّي يسوع لتوما (٢٠ : ٢٧).

٣ - جواب الإيمان : « ربي! وإلهي! » (٢٠ : ٢٨ - ٢٩).

خاتمة الإنجيل الأولى : الإيمان بيسوع أنه المسيح، ابن الله (٢٠ : ٣٠ - ٣١).

ملحق : ظهر المسيح **الثالث** في الجليل : مصير الكنيسة (٢١ : ١ - ٢٣).

١ - الصيد المعجز يُظهر يسوع لتلاميذه (٢١ : ١ - ٨).

٢ - يسوع يهيئ الطعام لتلاميذه، وينصب بطرس وكيلاً على رعيته (٢١ : ٩ - ١٧).

٣ - مصير بطرس ويوحنا (٢١ : ١٨ - ٢٣).

فصل سابع : أحاديث يسوع لأخصائه قبل صعوده إلى السماء (ف ١٥ و١٦).

١ - حديث أول : وحدة يسوع ومحبيه كوحدة الكرمة وأغصانها (١٥ : ١ - ١١).

١) ضرورة الاتحاد بيسوع كاتحاد الغصن بالكرمة (١٥ : ١ - ٤).

٢) من يثبت في يسوع يأتي بثمر؛ ومن لا يثبت يُقطع للنار (١٥ : ٥ - ٨).

٣) المحبة الاتحادية، على مثال محبة الآب والابن، تقوم على حفظ وصاياه (١٥ : ٩ - ١١).

٢ - حديث ثانٍ[١]: وصية يسوع الأخيرة : المحبة الأخوية (١٥ : ١٢ - ١٧).

---

(١) التصدير المتواتر (١٥ : ١٢ و١٤ و١٧) يميز الحديث عن غيره.

١) هذه هي وصيتي : المحبة كما أحببتكم (١٥ : ١٢ - ١٤).

٢) انتقلوا من حال العبيد إلى حال الأصحاب (١٥ : ١٥).

٣) أنا اخترتكم لتأتوا بثمار، بقوة اسم يسوع (١٥ : ١٦).

خاتمة التصدير : هذا ما أوصيكم به : المحبة (١٥ : ١٧).

٣ - حديث ثالث[١] : بغض العالم لتلاميذ المسيح (١٥ : ١٨ - ٢٥).

١) العالم يبغضكم لأنكم لستم من العالم[٢] (١٥ : ١٨ - ١٩).

٢) ليس العبد أفضل من معلمه : كما اضطهدوني سيضطهدونكم (١٥ : ٢٠ - ٢١).

٣) كلمتهم وعملت بينهم أعمالاً لم يعملها آخر، مع ذلك فقد أبغضوني (١٥ : ٢٢ - ٢٤).

خاتمة التصدير : تتميم النبوة « أبغضوني بلا سبب » (١٥ : ٢٥).

٤ - حديث رابع : الفارقليط والشهادة والشدة (١٥ : ٢٦ - ١٦ : ٤).

١) الفارقليط يشهد لي معكم (١٥ : ٢٦ - ٢٧).

٢) تحذيرهم من الشك في الشدة (١٦ : ١ - ٣).

٣) يسوع ينبئهم بذلك ليكونوا على بيّنة من أمرهم، ولم يفعله لأنه كان معهم (١٦ : ٤).

٥ - حديث خامس[٣] **:** تعزيتهم بموعد الفارقليط (١٦ : ٥ - ١٥).

١) من مصلحتكم أن أذهب إلى الآب، ليأتيكم الفارقليط (١٦ : ٥ - ٧).

٢) الفارقليط سيفحم العالم عني وعنكم (١٦ : ٨ - ١٢).

٣) الفارقليط يقودكم إلى الحقيقة كلها (١٦ : ١٣ - ١٥).

---

(١) هذا الحديث المستقل يظهره أيضاً التصدير (١٥ : ١٨ و٢٥).
(٢) في هذا المقطع تصدير في التصدير (١٥ : ١٨ و١٩).
(٣) الأحاديث الثلاثة الآتية تبدأ وتنتهي بتصريح واحد (١٦ : ٥ و١٧ و٢٨).

٦ - **حديث سادس :** تعزيتهم بعودة المسيح إليهم « عما قليل » (١٦ : ١٦).

١) « عما قليل »[(١)] لا ترونني بالحسّ، ثم تروينني بالروح (١٦ : ١٦ - ١٩).

٢) ستبكون من الشدة، ولكن ستفرحون بها، مثل الوالدة (١٦ : ٢٠ - ٢١).

٣) سأراكم من جديد، حينئذٍ لا أحد يسلبكم فرحكم (١٦ : ٢٢).

٧ - **حديث سابع :** تعزيتهم بقبول صلاتهم (١٦ : ٢٣ - ٢٥).

١) مهما سألتم باسمي فالآب يعطيكموه (١٦ : ٢٣ - ٢٤).

٢) كلّمتكم بأمثال، وقد أتت الساعة لأكلّمكم على المكشوف (١٦ : ٢٥ - ٢٧).

٣) الآن[(٢)] أترك العالم وأذهب إلى الآب (١٦ : ٢٨ - ٣٠).

خاتمة الأحاديث قبل الرفع إلى السماء (١٦ : ٣١ - ٣٣).

١) ستتشتتون بعيداً عني، فقد أتت الساعة (١٦ : ٣١ - ٣٢).

٢) أنبأتكم بذلك لكي تظلوا في سلامي (١٦ : ٣٣).

٣) في العالم ستكونون في شدة؛ ولكن ثقوا قد غلبت العالم (١٦ : ٣٣).

خاتمة الإنجيل : صلاة المسيح قبل صعوده إلى السماء (ف ١٧).

١ - صلاته لذاته : أن يمجده الآب الآن، لكي يتمجد الآب نفسه به (١٧ : ١ - ٨).

٢ - صلاته لصحابته : لحفظهم، وفرحهم، وقداستهم (١٧ : ٩ - ١٩).

---

(١) كلمة « عما قليل » ترد سبع مرات في الآيات (١٦ : ١٦ - ١٩) مما يشير إلى اقتراب الفراق.
(٢) يكرر « الآن » أربع مرات (١٦ : ٢٤ و٢٩ و٣٠ و٣١).

٣ ـ صلاته للكنيسة كلها : لأجل وحدتها، وحصولها على مجد الابن، وعلى محبة الآب (١٧ : ٢٠ ـ ٢٥)

تذييل الإنجيل (٢١ : ٢٤ ـ ٢٥)

١) ما ذُكر من أقوال وأعمال يسوع هو مختصر مفيد (٢١ : ٢٥).

٢) التلميذ الذي كان يسوع يحبه هو الشاهد والكاتب (٢١ : ٢٤).

الفصْل الثّالث

شهادة الإنجيل بحسب يوحنا الرسول

تمهيد : ميزات الإنجيل بحسب يوحنا

أولاً : الإنجيل بحسب يوحنا هو شهادة شاهد العيان.

في رسالته الكبرى التي بها قدّم الإنجيل للعالم المسيحي، يستفتح يوحنا بالتركيز على شهادته كشاهد العيان : « ما كان من البدء، ما سمعناه، وما رأيناه بأعيننا، وما تأملناه، وما لمسته أيدينا، في شأن « كلمة الحياة » ـ فإن « الحياة » قد ظهرت، ولقد رأيناها، ونحن نشهد لها، ونبشّركم بهذه « الحياة » الأبدية التي كانت في الآب وظهرت لنا ـ أجل ما **رأيناه وسمعناه،** به نبشّركم أنتم أيضاً لتكون لكم، أنتم أيضاً، شركة معنا، وشركتنا نحن إنما هي مع الآب، ومع يسوع المسيح ابنه، ونكتب إليكم بهذه (الشهادة) ليكون فرحنا كاملاً » (٦ : ١ ـ ٤).

١ ـ ويوحنا في الإنجيل كذلك يركز منذ فاتحته على **صفة شاهد العيان :** « ونحن قد شاهدنا مجده، مجد الآب في ابنه الوحيد، الممتلئ نعمة وحقيقة » (١ : ١٤). وفي المواقف الحاسمة، يعود إلى إبراز شهادته : عند الصليب، شاهد يوحنا « إن واحداً من الجند طعن جنبه (قلبه) بحربة، فخرج للوقت دم وماء » ؛ وهما في نظره رمزي العماد والقربان؛ فشهد: « **والذي شاهد هو الذي يشهد،** وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم » (١٩ : ٣٥). ويختم الإنجيل بهذه الشهادة : « وصنع يسوع أيضاً أشياء أخرى كثيرة، فلو أنها كتبت واحداً فواحداً، لما خلت أن العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة » (٢١ : ٢٧). بذلك يشهد لنفسه (لاحظ التعبير بالمفرد) أنه

في الإنجيل اختار ما قلّ ودلّ، من أعمال يسوع وأقواله؛ كما يشهد أيضاً من طرف خفي للأناجيل المؤتلفة التي سبقته، ونقلت هي أيضاً بعضاً من أعمال يسوع وأقواله. مع ذلك يبقى المجال رحباً، على سعة العالم، لنقل « ما عمل يسوع وعلّم » (٢١ : ٢٥).

وحفظة الإنجيل بحسب يوحنا، نشروه وذيّلوه بشهادتهم على صحة الإنجيل كما نقلوه، وعلى صحة كاتبه، شاهد العيان، « الذي كان يسوع يحبه » : « فهذا التلميذ هو الشاهد بهذه الأمور، وهو الذي استكتبها، ونحن نعلم أن شهادته حق » (٢١ : ٢٤).

٢ ـ واكتفى الإنجيلي **بكناية لطيفة عن نفسه**، عُرِف بها. في الأناجيل المؤتلفة يبرز بين الرسل الصحابة فريق « الثلاثة المقربين » بطرس، وابنـي زبدى يعقوب ويوحنا. وعند كتابة الإنجيل الرابع كان يعقوب وبطرس قد استشهدا منذ زمن بعيد. فلم يبق من « المقربين الثلاثة » سوى يوحنا ابن زبدى. ثم نرى الإنجيلي يوحنا يعرف سرائر المسيح وصحابته. فمن الغريب أن يخيّم صمت الإنجيل على عائلة زبدى. لكن هذا الصمت يفسّره صمت آخر عن هوية الإنجيلي الذي اكتفى للتعريف بنفسه بكنايتين لا تخفيان على أحد : « التلميذ الآخر » الذي كان مع أندراوس أول المدعوين للرسالة (١ : ٣٥ ـ ٥١) والذي أدخل بطرس إلى ساحة قصر رئيس الكهنة (١٨ : ١٥ ـ ١٦)؛ ثم « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » والذي اتكأ على صدر الرب في العشاء السري (١٣ : ٢٣) والذي وحده من بين الصحابة حضر موت المسيح (١٩ : ٢٦) والذي أسرع قبل بطرس وسائر الرسل الصحابة حضر موت المسيح (١٩ : ٢٦) والذي أسرع قبل بطرس وسائر الرسل والتلاميذ لمشاهدة القبر الخالي صباح القيامة (٢٠ : ٢ ـ ١٠).والسنة المسيحية عرفت بالإجماع والتواتر أنه يوحنا بن زبدى، التلميذ الحبيب من الساعة الأولى (١ : ٣٥) حتى الساعة الأخيرة (١٩ : ٢٦). فلمشاهدته قيمة الشهادة الأولى والكبرى التي لا تُرد.

٣ **ـ والصحة** التاريخية عند يوحنا، ليست من قبيل النقل المتواتر « عن الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا خداماً لها » (لوقا ١ : ٢) بل هي شهادة شاهد العيان (١ : ١٤؛ ١٩ : ٣٥؛ ٢١ :

٢٤). والواقع الإنجيلي يؤيد ذلك، فطابع الإنجيل تاريخي بكل تفاصيله : إن الأزمنة والأمكنة، وظروف الأشخاص والأشياء، وصفات الأقوال والأعمال والأحوال عند السيد تحمل كلها طابع الواقعية، مهما سمت، وتنبض بالحياة.

قيل : قد يكون ذلك **من قبيل الانتحال**. بل هو صادق في ادعائه مشاهدة العيان. فهو وحده تجرّأ على تقديم تخطيط لسيرة المسيح غير التخطيط المألوف عند المؤتلفة، مع أنه من وضع الرسل وزعيمهم بطرس. فجاء تكميلاً مقصوداً للمؤتلفة لا تُفهم بدونه، كما هي تكميل له لا يُفهم بدونها. فيوحنا والمؤتلفة يؤلفون السيرة الكاملة والدعوة الكاملة للإنجيل. وهو أكثر تاريخية من المؤتلفة، وأفضل مشاهدة لأحداث السيرة والدعوة. فهو في تفاصيله الواقعية أوغل من مرقس ترجمان بطرس؛ وفي تحرّي ظروف الحدث أشمل من لوقا المؤرخ والأديب؛ وفي نقل تعليم المسيح أبلغ من متى. وما الخلاف في أقوال المسيح بين يوحنا والمؤتلفة إلا خلاف في الأسلوب، ناجم عن اختلاف البيئة في الدعوة، لأن المؤتلفة نقلت دعوة المسيح الشعبية في الجليل، بينما يوحنا ينقل الدعوة العلمية أمام علماء إسرائيل في هيكل أورشليم. فالإنجيل الأورشليمي عند يوحنا، والإنجيل الجليلي عند المؤتلفة، يكمل بعضهما بعضاً، فهما إنجيل المسيح الواحد.

قيل أيضاً : إن **صفة الرمزية** التي تشمل الإنجيل بحسب يوحنا شبهة على صحة تاريخيته. نتعرض كثيراً لهذه الشبهة؛ وما هي إلا شبهة. إن الرمزية التي يضيفها أسلوب الإنجيل بحسب يوحنا على الأشخاص والأشياء والأحداث والأقوال والأعمال والأحوال ما كان لتطعن في تاريخية شهادة وواقعيتها، لأنها رمزية نابعة من صميم الواقع، ولا تحمل سمة الخيال. فإطار السيرة أفضل عند يوحنا منه عند المؤتلفة : فهو وحده ينقل دعوة المسيح الأولى والثانية في أورشليم واليهودية. وكأنه يوجز دعوة المسيح وسيرته في **سبعة أسابيع**، مع تفاصيلها اليومية. إنه يكتفي بما قلّ ودلّ من أحداث السيرة، لكن ظروفها تأتي عنده محدّدة، كاملة، مستوفاة الشروط. لا نعرف سبب هجرة المسيح الأولى من اليهودية إلى الجليل، إلا بيوحنا؛ كما لا نعرف سبب هجرة المسيح الثانية من الجليل إلى اليهودية إلاّ بيوحنا. نقل المؤتلفة خبر

معجزة الخبز ومعجزة السير على ماء البحيرة؛ لكن يوحنا وحده نقل الخطاب في خبز الحياة، بجامع كفرناحوم، الذي كان سبب ردّة الشعب عنه، بعد أن حاولوا أن ينصبوه ملكاً عليهم، وسبب ردة كثيرين من تلاميذه أنفسهم (٦ : ٦٦). وهذا ما لا تذكره المؤتلفة. وعنده نرى تطور الأزمة بين المسيح والسلطات اليهودية، في الأحداث والتصاريح، منذ شفاء مخلّع بيت حسدا، إلى شفاء الأكمه الأعمى منذ مولده، إلى إحياء لعازر الذي حمل السنهدريم على إصدار الفتوى بقتل يسوع. وظروف وتفاصيل أحداث الآلام والإعدام أوفى عند يوحنا منه عند المؤتلفة. فظواهر الواقعية أظهر عنده منهم. فالرمزية عنده لا تنفي الواقعية التاريخية؛ بل تنبع منها، لأن السيد المسيح في أبعاد سيرته ودعوته أبعد من الواقع الملموس. فتاريخية شهادة يوحنا ألصق بالواقع، مع سمو الأحداث وإعجاز التعليم.

قيل كذلك : إن **إعجاز التعليم، وأسلوب الكلام** البياني والرمزي والصوفي عند يوحنا شبهة على صحة خطب يسوع وتصاريحه في الإنجيل بحسب يوحنا. نقول : هذه شبهة عند مَن لا يفرّق بين دعوة الإنجيل الشعبية عند المؤتلفة، ودعوة الإنجيل العلمية عند يوحنا. ففارق البيئة يفرض فارق التعليم وأسلوبه. ثم إن خبرة الحياة تعلمنا أن الإنسان في شيخوخته تزول من ذهنه الأحداث العابرة، ويتعلق وجدانه بالأحداث الغابرة التي اشترك فيها وتركت لها في نفسه آثاراً عميقة وغيّرت مجرى حياته؛ فيعود إليها بالذكرى ويحياها في سرّه كلما خلا إلى نفسه. ويوحنا عاش نحو سبعين سنة تلك الأيام الفريدة التي عاشها مع المعلم المحبوب. وفي صلاته المتواصلة، وعظاته المتواترة يحب أن يكرّر، والشعب المؤمن يحب أن يسمع التفاصيل الحية، من « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » عن الحدث الأعظم الذي غيّر مجرى التاريخ ومجرى حياتهم. ومن كثرة التأمل والترداد تكشّفت له الإشارات والأبعاد التي كانت في أقوال وأعمال وأحوال المعلم المحبوب؛ وتجلت له السيرة والدعوة بكل معانيهما وأبعادهما. فنسمع في الإنجيل بحسب يوحنا صدى السنين الحاكي، للواقع السامي الحي الباقي. وواقع الإنجيل يشهد بما يميزه أيضاً عن المؤتلفة : هم دوّنوا دعوة الرسل الأولى للمسيح، وهو يسجّل شهادته الشخصية. هم كتبوا الإنجيل الجليلي،

في العرْضة الأولى، على أهل الكتاب والأمميين؛ وهو يكتب الإنجيل الأورشليمي في العرْضة الأخيرة على المسيحيين.

٤ - ويوحنا يشير بنفسه إلى دور الروح القدس في الوحي والتنزيل في تدوين شهادته الشخصية. لقد فهم حقيقة الإنجيل وأبعاده بوحي الروح القدس الموعود : « قلتُ لكم هذه الأشياء وأنا مقيم معكم؛ أمّا الفارقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي فهو الذي **يعلّمكم كل شيء**، ويذكركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ٢٥ - ٢٦)؛ « لأنه سيقيم معكم، ويكون فيكم » (١٤ : ١٧)؛ « وهو يشهد لي، وأنتم أيضاً ستشهدون، بما أنكم معي منذ البدء » (١٥ : ٢٦ - ٢٧)؛ « إن عندي أشياء كثيرة أقولها لكم، غير إنكم لا تطيقون حملها الآن. ولكن متى جاء روح الحق **فهو يرشدكم إلى الحقيقة** كلها ... ويخبركم بما يأتي... لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٢ - ١٥). فالرسول يوحنا، حبيب المسيح، ونجيّ الروح، يتذكر بالروح كلام الرب، ويفهمه حقّ فهم بكل أبعاده؛ وقد هداه الروح إلى حقيقة المسيح كلها، فهو يعرضها بشهادته الشخصية المعصومة؛ ويسلّم للبشرية آخر أسرار الوحي والتنزيل : سرّ الله الآب، وسرّ المسيح، وسرّ الروح القدس؛ مع سرّ الحياة الجديدة للإنسان في الله والكلمة والروح.

ثانياً : الإنجيل بحسب يوحنا هو « العَرْضة الأخيرة » للوحي الإنجيلي.

مرّ الإنجيل في عرْضه على الناس **بمرحلتين تاريخيّاً وأسلوبيّاً.**

نعرف من الإنجيل بأحرفه الأربعة أن يسوع دعا بالإنجيل في الجليل وفي أورشليم واليهودية. فما معنى هذه **الظاهرة** أن المؤتلفة تنقل **الإنجيل الجليلي** مع الإشارة إلى دعوة في اليهودية وأورشليم، وأن يوحنا ينقل الإنجيل الأورشليمي، مع الإشارة إلى دعوة في الجليل ؟

١ - **الإنجيل الجليلي** عند المؤتلفة هو **العرْضة الأولى** للإنجيل على أهل الكتاب والأمميين. لكن لماذا اقتصر الرسل الحواريون على الإنجيل الجليلي

أولاً ؟ هكذا قرّروا في خلوتهم الاستعدادية للعنصرة وتنزيل الروح القدس عليهم. وذلك لأسباب عديدة قد نجهلها كلها.

السبب الأول كان لإيلاف السلطات والأحزاب الدينية في أورشليم. فظروف استشهاد المسيح لم تزل ماثلة للعيان، ونقل دعوته في أورشليم استفزاز لهم، فيقضون على الدعوة في مهدها. وهناك بعض الزعماء مثل نيقوديم ويوسف الرامي من شيوخ السنهدريم الذين دافعوا سراً عن المسيح، وهم اليوم يحمون الرسل صحابته، فقد تورّطهم الدعوة بالإنجيل الأورشليمي. فاقتصروا في العرضة الأولى على الإنجيل الجليلي.

السبب الثاني هو طريقة الدعوة الرسولية : ١) إنها **بلاغ** لأهل الكتاب وللأمميين يقتصر على ما قلّ ودلّ. هذا هو إنجيل القيامة الذي نرى ترديد تفصيله في سفر الأعمال، وموجزه عند بولس (١ كو ١٥ : ١ - ١١).

وهذا البلاغ هو لأهل الخارج حتى يهتدوا. ٢) إنها **تعليم ابتدائي** للمهتدين من أهل الكتاب والأمميين بعد عمادهم. وهذا التعليم كان يقوم به « الإنجيليون » بإشراف الرسل، فالإنجيل بحسب المؤتلفة الثلاثة هو تفصيل هذه الدعوة الأولى.

٢ - **الإنجيل الأورشليمي** عند يوحنا هو **العرْضة الأخيرة** للإنجيل على المسيحيين أنفسهم.

نرى في العهد الجديد أن الرسل الصحابة قسموا تعليم الإنجيل إلى درجتين : **التعليم الابتدائي** في المسيحية وأركانها للمبتدئين، وهذا ما نراه في الأناجيل المؤتلفة بحسب بيئات ثلاث تشمل المسكونة؛ **والتعليم التكميلي** للبالغين. هذا ما نراه في الرسالة الكورنثية الأولى (٢ : ١ - ٦) وفي الرسالة العبرية (٢ : ١ - ٤؛ ٥ : ١٢) : « فلندع التعليم الابتدائي في المسيح، ولنرتفع إلى الكامل، من غير عودة إلى ما هو أساسي ... » (٦ : ١ - ٢). فرسائل بولس من هذا التعليم التكميلي للبالغين في المسيحية.

كذلك الإنجيل بحسب يوحنا. وأهدافه في الردّ على الغنوص في أنواعها دليل ذلك. وهو يستمد التعليم الكامل فيه من بيئة الدعوة الأولى به في أورشليم، عاصمة الدين والعلم؛ ومن بيئة الدعوة الثانية للمسيحيين البالغين

الـذين قد تفتنهم دعـوة الغنـوص التـي غزت اليهـودية الهلنسـتية، والمعمـدانية المندائيـة، و « النصرانية » الإسرائيلية.

فكان الإنجيل بحسب يوحنا العرضة الأخيرة للإنجيل علـى المسيحيين البـالغين أنفسـهم؛ وليس بأسلوب شعبي كما في المؤتلفة، بل بأسلوب علمي، كما يليق ببيئة الدعوة به في أورشليم، ثم في العالم الهلنستي الذي سيطرت عليه روح الغنوص.

هذا وجه الخلاف بين يوحنا والمؤتلفة في الموضوع والأسلوب.

ثالثاً : « تهلين » الإنجيل يبلغ ذروته عند يوحنا

لمّـا انتقلـت الـدعوة بالإنجيـل مـن فلسـطين إلـى العـالم الهلنسـتي الرومـاني الـذي ينطـق باليونانية وثقافتها، كان لا بدّ لحملته من « تهلينه » لإيلافه إلى عقليتهم وثقافتهم.

إن الدعوة بالإنجيل عدا عن أهل الكتاب من بنـي إسـرائيل ـ كمـا نـرى مـن أسـفار العهـد الجديد كلهـا ـ قامـت فـي العـالم الهلنسـتي الرومـاني، فإنـه لـم يبلغنـا شـيء عـن الـدعوة الرسـولية بالإنجيل في العوالم الأخرى حيث توزّع الرسل الصحابة.

فكان لا بدّ من نقل الإنجيل من ثقافة إلـى ثقافـة. وهـذا مـا حـدث. وهـذا النقـل إلـى العـالم الهلنستي الثقافة، الروماني السلطان، هو ما نسمّيه « **تهلين** » **الإنجيل.**

فهل في « تهلين » الإنجيل، الذي بلغ ذروته عند يوحنا، من تحريف له ؟

١ ـ هذا « التهلين » في الإنجيل **له سوابقه وضوابطه.**

على أيام المسيح كـان أكثر اليهود منتشرين فـي أقطـار العـالم علـى شـواطئ المتوسّـط. فكان في المدن اليونانية وفي رومة نفسها جاليات يهودية كبيرة؛ كما كان ثلثا سكان الإسكندرية بمصر من اليهود.

وتلك المستوطنات اليهوديـة كانـت تقـوم فـي بيئاتهـا المختلفـة بالـدعوة للتوحيـد الكتـابي، بحسب الثقـافة المحليـة، أي « بتهلين » التوحيد والكتـاب. وأكبـر مظهـر لـذلك هـو الترجمـة « السبعينية » للكتاب؛ خصوصاً تأليف سفر

« الحكمة » باليونانية وفي المهجر، لذلك لم يقبله الربانيون في قانون الكتب المقدسة. وهذا السفر يجعل الشريعة حكمة لأهل العقل اليوناني في سائر الثقافات.

وعلى أيام السيد المسيح نفسه قام مفكر كبير وكاتب عظيم - هو فيلون المتكلّم اليهودي - « بتهلين » الموسوية في مؤلفاته.

فأسلوب « التهلين » قائم يدعو دعاة المسيحية إلى الأسوة الحسنة. فكان ذلك. لكن كما حافظ علماء اليهود على التوحيد والشريعة في « تهلين » الموسوية، فقد حافظ كتبة العهد الجديد على صحة الإنجيل في « تهلين » أسلوبه.

٢ - لقد تمّ هذا « التهلين » على ثلاث مراحل :

في المرحلة الأولى **قام « التهلين » بالترجمة**، في نقل الإنجيل من الآرامية إلى اليونانية، في أحرفه الثلاثة المؤتلفة. بقي التعليم كتابيّاً آراميّاً، لكن **الأسلوب** بدأ يتقرّب من فقه اللغة اليونانية. مثال ذلك كانت دعوة المسيح في الجليل إلى « ملكوت السماوات » - حيث « السماوات » كناية عن الله الذي لقدسيته لا يُلفظ اسمه - فصار التعبير الهلنستي الدارج « ملكوت الله » .

في المرحلة الثانية تمّ **« تهلين » الأسلوب.** فكانت قفزة جبارة قام بها بولس الرسول ومدرسته. ونشعر بتطور « التهلين » عند بولس في المراحل الثلاث من رسالته، في الأقسام الثلاثة من رسائله : الكلامية فالصوفية فالإدارية. وقد بيّنا ذلك في كتابنا « رسائل بولس » .

في المرحلة الثالثة والأخيرة **اكتمل « التهلين » في التعليم نفسه.** على يد يوحنا الرسول ومدرسته الأفسسية. فاتخذ التعبير والتفكير شكلاً هلّنستيّاً، ما كان ليسوع أن يأتي به في بيئته اليهودية الكتابية السامية. من ذلك أن دعوة يسوع إلى « ملكوت السماوات » صارت الدعوة « للحياة » ، « للحياة الأبدية » التي نزل بها من السماء إلى بني الإنسان. لذلك جاء نقل يوحنا لخطب يسوع **بالمعنى لا بالحرف**، إلاّ ما ندر.

وهذا الأسلوب في « تهلين » التعليم هو الفارق الكبير ما بين يوحنا

والمؤتلفة. فاتخذ التعبير والتفكير على لسان يسوع شكلاً هلنستيّاً. ولا ننسَ اختلاف البيئة ما بين الجليل وأورشليم.

لكن « تهلين » الأسلوب، حتى في التعليم، ليس « تهلين » الموضوع في العقيدة والشريعة والصوفية. فالصحة الجوهرية التاريخية قائمة في الإنجيل بحسب يوحنا، كما هي في الإنجيل بحسب المؤتلفة الثلاثة.

نشاهد الحدود القائمة عند يوحنا لذلك « التهلين » أولاً ببقاء **الأسلوب الأرامي** الذي اتبعه يسوع في خلفية الأسلوب اليوناني الظاهر، كما يشهد بذلك جميع العلماء. ثم إن اختلاف الأسلوب ما بين يوحنا والمؤتلفة لا يرجع كله إلى مزيد في « التهلين » عند يوحنا، بل إلى اختلاف بيئة الدعوة - كما قلنا مراراً - ما بين بيئة شعبية في الإنجيل الجليلي عند المؤتلفة، وبيئة علمية عند يوحنا في الإنجيل الأورشليمي. وهذه البيئة العلمية هي التي سهّلت « تهلين » الأسلوب في الإنجيل بحسب يوحنا. فهو هلنستي وأرامي معاً كما يشهد جميع العارفين.

والقول الفصل إن « التهلين » كان في الأسلوب، لا في الموضوع، من عقيدة وشريعة وصوفية. لذلك لم يكن « تهلين » الإنجيل تحريفاً له.

وفي ذلك ميزة للإنجيل في إعجازه. فهو يحتفظ بإعجازه في ترجمته. بينما غيره يذهب إعجازه في ترجمته.

وبما أن الإنجيل بأحرفه الأربعة دوّن في اليونانية، فقد شمل الوحي الإلهي هذا التدوين.

رابعاً : شخصية السيد المسيح ما بين يوحنا والمؤتلفة.

ما بين يوحنا والمؤتلفة تختلف شخصية السيد المسيح **شكلاً، لا موضوعاً**، بسبب فوارق البيئة والأسلوب.

في بيان شخصية السيد المسيح، تسير الأناجيل المؤتلفة من يسوع التاريخ إلى مسيح الإيمان : فأقوال يسوع وأعماله وأحواله تشهد له بأنه « **المسيح ابن الله الحي** » .

أمّا عند يوحنا فالنظر أعمق وأبعد وأشمل، حيث نرى مسيح الإيمان

في يسوع التاريخ من أقواله وأعماله وأحواله. فهو يشفي مقعد بيت حسدا بيت السبت، لأن عمله من عمل الله أبيه؛ وهو يُبرئ الأكمه، الأعمى منذ مولده، لأنه نور العالم؛ وهو يحيي لعازر، بعد أربعة أيام من موته، لأن يسوع هو «القيامة والحياة» ...

يأتي الكشف عن شخصية السيد المسيح، في الأناجيل المؤتلفة، **متطوّراً**، لأنه حديث الوحي إلى الجمهور. بينما يأتي الكشف في الإنجيل بحسب يوحنا **مفاجئاً منذ البدء**، لأنه حديث الوحي إلى علماء بني إسرائيل، أفراد وجماعات؛ وهذا الكشف للجماعات لا يأتي إلاّ في السنة الثالثة من الدعوة الإنجيلية، التي آن الأوان فيها ليسوع أن يكشف أخيراً عن نفسه، للناس ولأخصائه.

فاختلاف ظروف الدعوة وبيئاتها ما بين يوحنا والمؤتلفة يفسّر الخلاف الظاهر شكلاً وأسلوباً - لا واقعاً وموضوعاً - في شخصية السيد المسيح، ما بين مظاهر بشريته ودلائل إلهيته.

فيوحنا يختم الإنجيل بقوله: «وصنع يسوع أمام التلاميذ آيات أخرى كثيرة لم تُدوّن في هذا الكتاب. وإنما دُوّنت هذه لكي تؤمنوا أن يسوع **هو المسيح ابن الله**، ولكي تكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه» (٢٠: ٣٠ - ٣١). فجاءت الخاتمة شهادة للفاتحة بأن يسوع المسيح هو كلمة الله المتجسد، كما سيظهر من الإنجيل كله في السيرة والدعوة.

خامساً: فوارق الدعوة بين يوحنا والمؤتلفة.

محور الدعوة بين يوحنا والمؤتلفة واحد: يسوع هو «المسيح، ابن الله الحي». لكن بسبب اختلاف البيئة في الدعوة، ما بين الإنجيل الجليلي عند المؤتلفة، والإنجيل الأورشليمي عند يوحنا، تظهر **فوارق لفظية وتعليمية** ما بين يوحنا والمؤتلفة.

١ - فالمؤتلفة تستخدم تعابير، في بيئة شعبية، قلّما يستعملها يوحنا في بيئة علمية. ويوحنا من جهة أخرى يستخدم تعابير قلّما يستخدمها المؤتلفة - نرى ذلك مثلاً في تعابير الملكوت والحقيقة والمحبة والنور والحياة.

وفي التعابير المشتركة نرى ثراء يوحنا بالنسبة للمؤتلفة. فاسم « **يسوع** » مثلاً يرد عند متى (١٥٠ مرة) وعند مرقس (٨١) وعند لوقا (٨٩)؛ أما عند يوحنا فيرد (٢٣٧ مرة)، كذلك اسم « **الآب** » يظهر عند متى (٤٥ مرة) وعند مرقس (٤) وعند لوقا (١٦)؛ أما عند يوحنا (١٢٠ مرة).

٢ - وأبرز الفوارق التعليمية هي :

١) محور الدعوة عند المؤتلفة هو « ملكوت الله » أو « ملكوت السماوات » . يرد التعبير عند متى (٥٥ مرة) وعند مرقس (٢٠ مرة) وعند لوقا (٤٦ مرة)؛ أما عند يوحنا فلا يرد التعبير إلاّ مرة واحدة في حوار يسوع ونيقوديم (٣ : ٥)؛ والتعبير المطلق لا يرد إلا خمس مرات.

٢) يتّخذ يسوع في دعوته عَلَماً له لقب « ابن البشر » أو « ابن الإنسان » ، في الإنجيل بأحرفه الأربعة. لكن بينما يقتصر اللقب عند المؤتلفة على مواقف العظمة ومشاهد الألم؛ فهو عند يوحنا مرادف لرسول الله النازل من السماء، والعائد إلى مجده السماوي؛ فهو أقرب إلى مصدره النبوي عند دانيال.

٣) الدعوة لملكوت الله عند المؤتلفة صارت الدعوة « للحياة » في المسيح.

٤) دينونة الله للعالم لا تقتصر على يوم الدين كما عند المؤتلفة، بل هي قائمة منذ اليوم الحاضر حتى اليوم الآخر.

٥) كانت مطالب يسوع تقتصر على « التوبة » : « توبوا وآمنوا بالإنجيل » (مرقس). فصارت الدعوة إلى **وحدة حياة وكيان مع المسيح** عند يوحنا.

٦) كان محبة « البرّ » بالمسيح ميزة تلاميذه بحسب المؤتلفة؛ فصار « **الإيمان** » الفارق الكبير بين المؤمن والكافر.

٧) كانت محبة يسوع شرطاً لأتباعه؛ فصارت « **المحبة** » محور العلاقة بين المؤمن والمسيح، وبين المؤمن والآب السماوي، في المسيح، بالروح القدس.

تلك هي الفوارق التعليمية بين يوحنا والمؤتلفة. لكن يبقى المحور الأساسي واحداً، وهو الإيمان بيسوع أنه ((المسيح ابن الله الحي)) .

سادساً : الإنجيل بحسب يوحنا هو قمة الوحي الإنجيلي.

لم تبلغ مظاهر بشرية يسوع ودلائل إلهيته عند المؤتلفة القمة التي بلغتها في الإنجيل بحسب يوحنا. هذا بإجماع العلماء. وهو الواقع المشهود. تأتي بعض تصاريح عند المؤتلفة تدل على أن يسوع هو أعظم من إنسان، مثل ((رب السبت)) ، وسيد الشريعة : ((سمعتم أنه قيل للأولين ... وأنا أقول لكم)) ، وهو نطق متواتر يدل على معادلة بين الله والمسيح، ومثلها قوله : ((لا أحد يعرف الابن إلاّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن، ومن يريد الابن أن يكشف له)) .

بينما عند يوحنا، بين مظاهر بشرية يسوع المشهودة، تنطلق التصاريح الحاسمة بإلهية يسوع في كل المواقف، وكل المشاهد. فتصل العقيدة والشريعة والصوفية إلى إعجازها في الإنجيل بحسب يوحنا.

سابعاً : في الإنجيل بحسب يوحنا ذروة معرفة ((سر المسيح)) .

إن الأناجيل المؤتلفة ترسم صورة للمسيح ناطقة، لكنها نابعة من أحداث سيرته. فتركيزها يقوم على أحداث هذه السيرة الفريدة بين المرسلين والنبيين أجمعين.

وهذا ما قصده السيد المسيح بدعوته في الجليل.

أما الإنجيل بحسب يوحنا الذي ينقل الدعوة في أورشليم واليهودية، في حوار متصل مع علماء اليهود، فيرتفع إلى أبعاد الدعوة وإلى أعماقها، بالإعلان المتواصل عن ((**سر المسيح**)) أنه الكلمة في ذات الله، فهو ابن الله على الحقيقة، لا على المجاز؛ إنه المسيح، ليس فقط بصفة ابن داود، بل بصفته ((ابن البشر)) النازل من السماء؛ إنه ((حمل الله الحامل خطايا العالمين)) ، فهو الوسيط الأوحد بين الله والناس، وبين الله والكون؛ وبين الخالق والمخلوق؛ بوساطة تسمو إلى قيام **وحدة الوجود** الصحيحة، في المسيح الشخصي والكوني.

ومع ((سر المسيح)) وبه، يكشف الإنجيل بحسب يوحنا ((سر الله)) في ذاته (١ : ١٨). فيختم دعوته بهذا النطق الإلهي : ((**لقد أعلنت اسمك للناس**)) (١٧ : ٣)، والاسم كناية عن الذات.

كما يكشف ((**سر الروح**)) في الكيان الإلهي، ((الروح الذي من الآب ينبثق)) ؛ وفي عمله بالمؤمنين بالمسيح، فهو ((الفارقليط)) ، ((المعين الآخر)) الذي يكمّل دعوة المسيح، ((فيرشدهم إلى الحقيقة كلها)) ، بوحي مباشر في النفوس.

فالإنجيل بحسب يوحنا هو ذروة المعرفة الإنجيلية؛ بدونه تبقى دعوة المسيح ناقصة. فقد أكمل الإنجيل الأورشليمي بحسب يوحنا الإنجيل الجليلي بحسب المؤتلفة.

* * *

بحث أول

ظواهر الإنجيل بحسب يوحنا

إنه أسلوب فريد في العهد الجديد يرقى فيه فن الاقتدار حدّ الإعجاز بدمج الأسلوب الأرامي الأصلي للإنجيل، والأسلوب الهلنستي في نقله إلى اليونانية. وهذه بعض ظواهره الكبرى.

أولاً : الظواهر الكبرى

١ ـ التاريخية والرمزية في الإنجيل بحسب يوحنا

لقد عرضنا للبحث فيهما من حيث صحة الإنجيل. هنا ندرسهما من حيث الأسلوب. فنبع الرمزية من التاريخية هو ظاهرته الكبرى.

رأينا أن التاريخية عنده قائمة على **شهادة شاهد العيان.** ففي نظر الإنجيل

بحسب يوحنا تقوم إلهية السيد المسيح على تاريخية تصاريحه التي تدعمها تاريخية معجزاته، خصوصاً حقيقة قيامته، معجزة المعجزات.

وتأتي تاريخيته **تكميلاً للأناجيل المؤتلفة**. والتكميل الأكبر عنده هو تكميل الإنجيل الجليلي الذي نقله المؤتلفة، بالإنجيل الأورشليمي. والتكميل الآخر للإنجيل الجليلي نفسه : بذكر بدء الدعوة في أورشليم وفي منطقة الناصرة معاً، فآلف بين لوقا وبين مرقس ومتى. ثم يُظهر عقدة الصراع في الجليل بين يسوع والأحزاب اليهودية، بمعجزة شفاء مخلع أورشليم عند بركة بيت حسدا، بجوار الهيكل (ف ٥). ثم يحدّد أزمة الدعوة في الجليل بخطاب يسوع في خبز الحياة الذي أدّى إلى ردّة بعض تلاميذه عنه، مع مشاهدتهم لمعجزة تكثير الخبز ومعجزة السير على مياه البحيرة. وينفرد يوحنا، شاهد العيان، بنقل ذروة الصراع في هيكل أورشليم نفسه، بتصاريح يسوع عن مصدره الإلهي في عيد الخيام (ف ٧ ـ ٨) وإعلان إلهيته صريحاً في عيد التجديد : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)، لكوني قلت : « أنا ابن الله » (١٠ : ٣٦)؛ والبرهنة على أنه « القيامة والحياة » بمعجزة إحياء لعازر، بعد أربعة أيام من موته ودفنه.

فمسيح الإيمان، عند يوحنا، هو يسوع التاريخ عينه.

وما **الرمزية** الظاهرة فيه سوى تبيان لأبعاد تاريخيته.

لا يجهل الإنجيلي معجزات يسوع العديدة (قابل ٢ : ٢٣؛ ٣ : ٢؛ ٤ : ٤٥ و٤؛ ٦ : ٢؛ ٧ : ٣١؛ ١١ : ٤٧؛ ٢٠ : ٣٠؛ ٢١ : ٢٥). إنما يقتصر على **سبع معجزات** منها يعتبرها « **آيات** » تدل على شخصيته ورسالته : فمعجزة الماء المحوّل خمراً تدل على تحوّل العهد القديم إلى الجديد؛ ومعجزة شفاء ابن قائد حامية كفرناحوم، عن بعد، تدل على قدرة الإيمان الذي يجذب معجزة الله؛ ومعجزة شفاء مخلّع بيت حسدا في أورشليم تدل على رسالة الإحياء في المسيح؛ ومعجزة تكثير الخبز رمز لمعجزة القربان؛ ومعجزة سير المسيح على مياه البحيرة رمز لمعجزة انتصار دينه على أمواج الكفر! ومعجزة إحياء لعازر برهان على أنه هو « القيامة والحياة » على عتبة استشهاده. فهذا الأسلوب السباعي في المعجزة والإعجاز فيه البرهان الكامل على أن

قدرة الله في المسيح يتمتع بها كأبيه، بحسب قوله : « أبي يعمل وأنا أيضاً أعمل » (٥ : ١٧).

وأعمال يسوع الأخرى هي رموز لشخصيته ورسالته. فتطهير الهيكل من تجار الدين الذين يدل على تطهير الموسوية بالمسيحية. وفي معجزة شفاء الأعمى بماء بركة « سلوان » (٩ : ٧) أي « **المرسل** » رمز إلى المسيح المرسل لشفاء عمى البشرية. ونطق قيافا في مؤامرتهم لقتل يسوع « فداء عن الأمة » يرى نبوءة لاستشهاد المسيح فداء عن البشرية. وقول الإنجيلي، لما خرج يهوذا لخيانته : « وكان ليل » ، هو رمز إلى الظلام في نفس الخائن؛ وعند موت المسيح يقول : « وكانت تهيئة العيد » ليدلّ على أن المصلوب هو الحمل الفصحي عن العالم كله؛ ولمّا طعن أحد الجند جنب المصلوب، يقول: « فخرج للوقت دم وماء » كناية عن العماد والاستشهاد، وتتميم للنبوءة بالختم الإلهي على ضحية الفداء.

سيرة المسيح نفسها رموز لرسالته : فتجسده هو نزل « النور » إلى العالم؛ وصراعه مع السلطة اليهودية هو صراع النور والظلام؛ واستشهاده هو « دينونة هذا العالم ».

وشخصية المسيح تبدو من **الرموز النبوية** التي تحققت فيه : إنه حمل الله الحامل خطيئة العالم (١ : ٢٩ و٣٦)؛ إنه هيكل الله الجديد (٢ : ٢١) إنه ابن البشر المرفوع « كما رفع موسى الحية في البرية » لشفاء الملسوعين (٣ : ١٤)؛ إنه « العريس » في بعثة الله الكبرى (٣ : ٢٩)؛ إنه « خبز الحياة » لغذاء المؤمنين (٦ : ٣٥ و٤٨)؛ إنه « ينبوع الماء الحي » (٧ : ٣٧)؛ إنه « نور العالمين » (٨ : ١٢)؛ إنه « الباب » ، « باب الخراف » (١٠ : ٧ و٩)؛ إنه « الراعي الصالح » (١٠ : ١١ و١٤)؛ إنه « القيامة والحياة » (١١ : ٢٥)؛ إنه « الصراط والحقيقة والحياة » (١٤ : ٦)؛ إنه « الكرمة الحقة » (١٥ : ١).

فالرمزية في السيرة والدعوة والشخصية تنبع من الواقعية التاريخية؛ فليس فيها من شبهة على الصحة.

٢ - أسلوب يوحنا العام

أسلوبه العام في البيان والتبيين هو أسلوب بني قومه، أهل الكتاب : فالبيان في كلمات يسوع، والتبيين في معجزاته. وفي كليهما يقتصر على ما قلّ ودلّ (٢٠ : ٣٠).

وأسلوبه الخاص في التعبير يتبع **أسلوب التوازي**، بين الإيجاب والسلب طرداً وعكساً، الموروث عن بني قومه. مثال ذلك خطابه في وحدة العمل بين الآب والمسيح الابن : « الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يستطيع من نفسه أن يعمل، إلاّ ما يرى الآب يعمل؛ فما يفعله هو، يفعله الابن كذلك ... فكما أن الآب ينهض الأموات ويُحييهم، كذلك الابن أيضاً يُحيي مَن يشاء. فإن الآب لا يدين أحداً، بل فوّض كل دينونة إلى الابن ... فمن لا يُكرم الابن، لا يُكرم الآب الذي أرسله » (٥ : ١٩ - ٢٩).

لكن في التفكير يتبع **أسلوب التضاد** الموروث عن بيئة التدوين الهلنستية. مثال ذلك خطابه في مصدره الإلهي : « إنكم تبحثون في الكتب، ظناً منكم بأن لكم فيها الحياة الأبدية، وهي التي تشهد لي ... أنا أتيتُ باسم أبي ولا تقبلوني، وإن أتاكم أحد باسم نفسه تقبلونه ... إن كنتم لا تصدّقون ما كتب هو (موسى) فكيف تصدّقون أقوالي ... » (٥ : ٣٩ - ٤٧).

والمثال المتواتر هو تلك « **المقابلات** » الشهيرة في الإنجيل بحسب يوحنا، بين الحقيقة والكذب، بين النور والظلمة، بين الحياة والموت...

وهكذا يضطرد أسلوب التوازي وأسلوب التضادّ في الإنجيل بحسب يوحنا، بالجمع البديع بين الأسلوب الهلنستي والأسلوب الأرامي. وهذا الجمع بين الأسلوبين هو **فنّ الاقتدار**، واطراده هو فن السهل الممتنع في الإعجاز.

وهنا تنجم **الشبهة على صحة الإنجيل :** أيستطيع صحابي أُمّي، مثل يوحنا الرسول، على دمج الأسلوب الأرامي بالهلنستي ؟ أيمكن أن يكون ذلك قد تمّ على يد يسوع نفسه الذي دعا بين بني قومه ؟

إن تدوين الإنجيل باليونانية هو نقل بالمعنى لا بالحرف، إلاّ في بعض التصاريح التي لم ينطق بمثلها إنسان ولا نبي. وهذا النقل العام بالمعنى لا بالحرف هو ما نسميه « **تهلين الإنجيل** » الجامع بين الأسلوب الأرامي والأسلوب الهلنستي.

وهذه الظاهرة المزدوجة في الأسلوب تكشف لنا **لغز صاحب الإنجيل بحسب يوحنا.** في موضوع الإنجيل، إنه بلا ريب يوحنا بن زبدى، أحد المقرّبين الثلاثة بين الصحابة الرسولية، وشاهد العيان منذ الساعة الأولى. لكن في كتابته باليونانية، **كاتب الإنجيل** هو أحد أعلام مدرسة يوحنا الرسول في أفسس، بحسب شهادتهم عينها : « فهذا التلميذ هو الشاهد بهذه الأمور، وهو الذي كتبها (استكتبها) ونحن نعلم أن شهادته حق » (٢١ : ٢٤). والحرف اليوناني يحمل المعنيين : « كتبها » أو « استكتبها » ؛ والأسلوب الهلنستي في الإنجيل يقتضي « استكتبها » . وكاتب يوحنا، أمانةً منه لمعلمه، أبقى على أرامية الأسلوب في التعبير، وهو يدوّن الإنجيل في اليونانية، بأسلوبه الهلنستي. فكان ذلك الجمع البديع بين الأسلوب الأرامي والأسلوب الهلنستي.

تلك الظاهرة المزدوجة في الأسلوب تدل على صاحب الإنجيل وعلى كاتبه؛ وتظهر موطن الخلاف في الأسلوب بين يوحنا والمؤتلفة، حيث بلغ « **تهلين الإنجيل** » في تدوينه ذروته عند يوحنا. لكن واقع الإنجيل، بشهادة ناقليه من مدرسة يوحنا الرسول (٢١ : ٢٤) يدل دلالة لغوية بيانية قاطعة على صحة الإنجيل في « تهلينه » .

٣ - فنّ الحوار في الإنجيل بحسب يوحنا

ظاهرة كبرى في الإنجيل بحسب يوحنا هي **أسلوب الحوار** في التعليم والجدال. وهذا هو الفارق الأكبر في تعليم يسوع ما بين خطبه في الإنجيل بحسب متى، وأحاديثه في الإنجيل بحسب يوحنا. وتلك الظاهرة بادية للعيان. فبينما يأتي تعليم يسوع عند متى في خمس خطب لا يقطع حديث يسوع فيها سؤال ولا جدال؛ نرى تعليم يسوع عند يوحنا قائماً على حوار متواصل ما بين يسوع ونيقوديم، ما بين يسوع والسامرية، ما بين يسوع

وعلماء اليهود في عيد الفصح الثاني (٥ : ١) وعيد الفصح الثالث (ف ٦) وعيد الخيام (ف ٧ - ٨). والحوار يزيد الخطاب حيوية وواقعية.

نعرف أن **واضع أسلوب الحوار في الكلام والبيان** هو أفلاطون لمّا كتب « حوارات » سقراط مع تلاميذه. وهي ليست بصحيحة تاريخيّاً، إنما هو أسلوب ابتدعه أفلاطون لنقل أفكاره على لسان معلمه.

وهذا الأسلوب اتّبعه الإنجيل بحسب يوحنا، تحدّياً للعالم الهلنستي الذي دُوّن فيه. فخطب يسوع فيه كلها أحاديث حوار. لكن الفارق بين الإنجيل وأفلاطون أن الحوار في الإنجيل قائم على أساس تاريخي، ينبع من صميم دعوة السيد المسيح. فهو ليس موضوعاً، بل مجموعاً.

والسؤال البدَهي هنا أيضاً : هل الحوار في الخطاب أسلوب يسوع التاريخي، أم هو أسلوب هلّيني استخدمه كاتب يوحنا لعرض الإنجيل على العالم الهلنستي بأبلغ ما عنده من أسلوب ؟

الجواب الشافي هو فارق البيئة ما بين الإنجيل الجليلي عند متى وسائر المؤتلفة، والإنجيل الأورشليمي عند يوحنا. ففي الإنجيل بحسب متى خطاب يسوع هو تعليم للجمهور يلقيه المعلّم، ولا يقاطعه أحد، فيأتي التعليم فيه **عرْضاً لا حواراً**. أما في الإنجيل بحسب يوحنا فخطاب يسوع هو جدال متواصل مع علماء اليهود، فهو حوار تاريخي. فواقع الدعوة الإنجيلية عند يوحنا شاهد على صحة تاريخية الحوار في الإنجيل بحسب يوحنا. ولا غرْو أن يسمو المعلم الإلهي في حواره مع مريديه ومعارضيه حوار أفلاطون وأستاذه سقراط.

فلا تعارض، ولا شبهة على الصحة، في أسلوب يسوع ما بين متى ويوحنا، لفارق البيئة الشعبية عند متى، والعلمية عند يوحنا؛ وفارق البيئة يقتضي اختلاف الأسلوب في الكلام.

فتخطى الإنجيل بحسب يوحنا، بأسلوب الحوار في الخطاب، أسمى ما في التراث اليوناني، سيد الآداب العالمية.

وهذا من واقع الإعجاز في الإنجيل، والتعليم الحق عند المعلّم الحق هو الحوار بينه وبين مريديه ومعارضيه على السواء. والإنجيل بحسب يوحنا

هو مثال الإعجاز في الحوار، في أعجز فنونه، السهل الممتنع، الذي يفهمه البسطاء ويعجز عنه البلغاء.

٤ - ظاهرة الأسلوب السباعي عند يوحنا

يتبع الإنجيل بحسب يوحنا، في تأليفه، الأسلوب السباعي، وهو كمال العدد المقدّس عند بني إسرائيل. وفي **العدد** « **سبعة** » إشارة إلى الكمال والجمال في السيرة والدعوة.

فتدور السيرة، عند يوحنا، حول **سبعة أعياد :** الفصح الأول (٢ : ١٣)، والفصح الثاني (٥ : ١)، والفصح الثالث (٦ : ٤)، وعيد الخيام (٧ : ٢)، وعيد التدشين (١٠ : ٢٢)، و « السبت العظيم » غداة استشهاد المسيح، وفصح القيامة المجيدة.

ويوجز أعمال المسيح المعجزة في **سبع معجزات،** يجعلها محور السيرة والدعوة : تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (٢ : ١) وشفاء ابن قائد الحامية الرومانية في كفرناحوم (٤ : ٤٣) وشفاء مقعد بيت حسدا في أورشليم (٥ : ١) وتكثير الخبز لآلاف الناس (٦ : ١) والسير على ماء البحيرة (٦ : ١٦) وإبراء الأكمه أي الأعمى منذ مولده (٩ : ١) وقيامة لعازر (٩ : ١)، فتلك المعجزات السبع برهان على بلوغ الإعجاز في السلطان الإلهي. وكلها تهيئة لمعجزة قيامة المسيح، معجزة المعجزات.

هذا هو فن التجميع عند يوحنا.

وتدور السيرة والدعوة، عند يوحنا، على **سبع خطب،** محور **سبعة أحداث،** أو مجموعات من الأحداث؛ كأنما يوجز السيرة والدعوة في **سبعة أسابيع :** حوار يسوع ونيقوديم بمناسبة الفصح الأول (٣ : ١ - ٢١)؛ حوار يسوع والسامرية بمناسبة رحلة يسوع من اليهودية إلى الجليل (٣ : ٢٢ - ٤ : ٥٤)؛ حوار يسوع مع علماء الهيكل، بمناسبة شفاء مقعد بيت حسدا يوم سبت : عمل يسوع من عمل أبيه السماوي الذي لا ينقطع أبداً (ف ٥)؛ حوار يسوع مع علماء كفرناحوم في « خبز الحياة » (ف ٦)؛ حوار يسوع مع علماء أورشليم، في مصدره الإلهي، بمناسبة عيد الخيام (ف ٧ - ٨)؛ حوار يسوع مع « اليهود » بمناسبة شفاء الأكمه

أي الأعمى منذ مولده (ف ٩)؛ حوار يسوع مع أصدقائه، بيت لعازر، بمناسبة إقامته من الموت بعد أربعة أيام (ف ١١).

ففي الإنجيل بحسب يوحنا، الأسلوب السباعي في التأليف متواتر مثل أسلوب الحوار في الكلام.

٥ ـ ظاهرة تتميم العهد القديم في العهد الجديد

إن الإنجيل بحسب يوحنا يرى تتميم العهد القديم في العهد الجديد **بتحقيق رموز سبعة** في السيد المسيح : إنه حمل الله الحامل خطايا العالم (١ : ٢٩)؛ إنه الهيكل الجديد الحي (٢ : ٢١)؛ إن صليبه مرفوع لحياة الناس على مثال حية موسى، ردّاً على حية الموت في عدن (٣ : ١٤)؛ إنه « خبز الحياة » أفضل من المن الموسوي لأنه « الخبز الحي النازل من السماء » (ف ٦ كله)؛ إنه « نور العالمين » أفضل من الشريعة الموسوية (٨ : ١٢)؛ إنه « الراعي الصالح » (١٠ : ١١) أفضل من رعاة إسرائيل؛ إنه « الكرمة الحقة » مع صحابته أفضل من إسرائيل (١٥ : ١). فالوحي كله، وكتاب الله كله يبلغان مداهما في الإنجيل قمة الوحي والتنزيل. هذا هو فن التكميل في السيرة والدعوة.

تلك هي الظواهر الخمس الكبرى التي تميّز الإنجيل بحسب يوحنا، جملةً وتفصيلاً. وهي خمسة فنون من الأدب الرفيع.

ثانياً : الأسلوب الإنشائي عند يوحنا

يمتاز أسلوب يوحنا الإنشائي بأربعة فنون أدبية.

١ ـ يسيطر على الأسلوب الإنشائي عند يوحنا **فنّ التجميع** للسيرة والدعوة في أسابيع مشهودة معهودة. فهناك أسبوع الافتتاح (١ : ١٩ ـ ٢ : ١١) من عماد المسيح إلى معجزته الأولى في قانا الجليل، حيث يتم ظهور المسيح الموعود؛ ثم أسبوع الفصح الأول في أورشليم (٢ : ١٢ ـ ٤ : ٥٤) حيث يفرض يسوع سلطانه على بيت الله، فيتم بذلك إعلان مسيحيته؛ وفيه من طرف خفي تكميل الإنجيل الجليلي بذكر مطلع الدعوة في أورشليم وفي الجليل، مع حديث السامرية بينهما؛ وبذكر عقدة

الخلاف والصراع مع اليهود بسبب شفاء مخلّع بيت حسدا في أورشليم، يوم سبت من الفصح الثاني (٥ : ١ - ٤٧)؛ ثم أسبوع الفصح الثالث، وحديث « خبز الحياة » في ضاحية كفرناحوم وجامعها (٦ : ١ - ٧١)؛ ثم أسبوع عيد الخيام، وتطور الصراع مع السلطات اليهودية في مصدر يسوع الإلهي وتعليمه المنزل (٧ : ١ - ١٠ : ٢١)؛ ثم أسبوع عيد التدشين الذي يعلن فيه بصراحة إلهيته، والذي يكتمل بمعجزة إقامة لعازر (١٠ : ٢٢ - ١١ : ٥٤)؛ ثم أسبوع الاستشهاد الذي ينتهي بصلب المسيح عند « تهيئة » فصحهم (١١ : ٥٥ - ١٩ : ٤٢)؛ أخيراً أسبوع القيامة والظهورات المجيدة (٢٠ : ١ - ٢٩)، فيوجز يوحنا السيرة والدعوة في مواقف مشهودة، ومشاهد معهودة.

٢ - كما يظهر عنده **فن التكميل** في السيرة والدعوة. فهناك **التكميل الأكبر** للإنجيل الجليلي عند المؤتلفة بالإنجيل الأورشليمي. والتكميل الآخر للإنجيل الجليلي نفسه بذكر مطلعه في أورشليم ثم في الجليل، وذكر عقدته في قصة مخلّع بيت حسدا في أورشليم؛ وذكر خاتمته بحديث « خبز الحياة » الذي كان سبب رِدّة بعض تلاميذه عنه (٦ : ٦٦). وفنّ التكميل يفترض عند يوحنا أنه يعرف المؤتلفة ويكتفي بما ذكروه من الإنجيل الجليلي. فامتاز هو بتفصيل الإنجيل الأورشليمي.

٤ - أخيراً يمتاز يوحنا **بفنّ الإثارة في قصصه**، ويتطور حتى الصرعة الأخيرة بالتصريح الضخم الختامي.

هذا هو أسلوبه الإنشائي. نعطي على ذلك مثلين في موقفين مشهودين.

المثل الأول : حديث يسوع في « خبز الحياة » (ف ٦)

يستفتح الإنجيلي بذكر معجزتين : معجزة تكثير « خمسة أرغفة من الشعير » لنحو « خمسة آلاف رجل » - سوى النساء والصبيان، فيرتقي بذلك العدد إلى أربعة أضعاف - ومعجزة سير المسيح على مياه البحيرة (٦ : ١ - ٢١). والمعجزتان رمزان إلى أن الذي يقدر أن يكثر الخبز لإشباع آلاف الناس يقدر أن يكثر جسده لإطعام جميع المسيحيين « الخبز الحي

النازل من السماء » ؛ وإلى أن الذي يقدر أن يمشي على مياه البحيرة، يقدر أيضاً أن يكثّر دمه لإرواء جميع المسيحيين من دمه الإلهي.

ثم يستفتح المسيح حواره مع المعجبين به الذين شاهدوا المعجزتين ومع المعارضين من علماء اليهود الذين فضّلوا معجزة المن لموسى على معجزة يسوع. فقال للأولين هذا التصريح: « الحق الحق أقول لكم: إنكم تطلبوني، لا لأنكم عاينتم الآيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز وشبعتم؛ فاقتنوا لا الطعام الذي يزول بل الطعام الذي يبقى للحياة الأبدية » (٦ : ٢٦ - ٢٧). فقال المعارضون : « أية آية تصنع فنرى ونؤمن بك ؟ ماذا صنعت ؟ آباؤنا أكلوا المنّ في البرية على ما هو مكتوب : « أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا » (سفر الهجرة ١٦ : ٤).

فتحددت المقابلة منذ الفاتحة. فافتتح يسوع ردّه بهذا التصريح الضخم : « الحق الحق أقول لكم : إن موسى لم يعطكم الخبز من السماء، ولكن أبي يعطيكم خبز السماء الحقيقي، لأن خبز الله هو الذي ينزل من السماء ويهب الحياة للعالم » (٦ : ٣٢ - ٣٣).

ويأتي الجواب في جزئين، الأول (٦ : ٣٥ - ٤٧) يسوع هو « خبز الحياة » **بالإيمان** به؛ والثاني (٦ : ٤٨ - ٥٨) يسوع هو « خبز الحياة » **بالقربان**. ويأتي الإيضاح على أسلوبين مختلفين.

في حديث الإيمان - الذي يفتتحه ويختمه بهذا الإعلان « أنا خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨) - يتطور الخطاب في **موجات متعاقبة**، ما بين سؤال وجواب، تتناول كل آية جانباً من التصريح الافتتاحي، حتى يأتي الحديث على كل أبعاده، فيختم كما افتتح : « أنا خبز الحياة » (٦ : ٤٨).

في حديث القربان (٦ : ٤٩ - ٥٨)، يفاضل يسوع بين قربانه وبين المَنّ. بأسلوب آخر، **التوكيد المتواتر**، رداً على اعتراض. يفتتح بهذه المقابلة : « آباؤكم أكلوا المنّ في البرّية وماتوا! هذا هو الخبز الذي نزل من السماء لكي لا يموت كل مَن يأكل منه » (٦ : ٤٩ - ٥٠). ثم في **سبعة تأكيدات** - كمال العدد المقدس - يكشف لهم أن جسده هو « خبز الحياة » :

١ - « أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء، من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.

٢ - « الحق الحق أقول لكم : إن لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في ذواتكم.

٣ - مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، فله الحياة الأبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.

٤ - « فإن جسدي مأكل حقيقي، ودمي مشرب حقيقي.

٥ - « فمن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبُت فيّ وأنا فيه.

٦ - وكما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب؛ فمن يأكلني يحيا هو أيضاً بي.

٧ - « هذا هو الخبز الذي نزل من السماء : ليس هو كالذي أكله الآباء وماتوا! فالذي يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد » .

إنها تأكيدات تستوعب أيضاً أبعاد المعنى وتستوفيها. وتأتي الخاتمة كالفاتحة بالتصريح ذاته (٦ : ٤٩ و٥٠).

وكما استفتح الإنجيلي حديث « خبز الحياة » بذكر معجزتين، يختمه بذكر موقفين لتلاميذه، موقف المشكّكين منهم المستعظمين للأمر (٦ : ٥٩ - ٦٥) وموقف المرتدّين عنه (٦ : ٦٦ - ٧١)؛ وتعليم يسوع لجميعهم.

المثل الثاني : حوار يسوع في مصدره الإلهي

كان ذلك في عيد الخيام (٨ : ٣١ - ٥٨) أكبر الأعياد الشعبية عندهم والذي كان يجمع آلاف المواطنين والمهاجرين.

يستفتح بخطابين صغيرين، يتميّز كل منهما بتصريح أو تصدير، الأول (٧ : ١٦ - ٢٩) يفصل تصريحه : « إن تعليمي ليس مني، بل ممّن أرسلني » (٧ : ١٦)، وتأتي الخاتمة فيه : « أما أنا فأعرفه لأني منه، وهو الذي أرسلني » (٧ : ٢٩). والثاني (٧ : ٣٢ - ٤٤) وهو تصريحه « في اليوم الأخير العظيم من العيد » إنه ينبوع الماء الحي، وتغليقه بمحاولة السلطة الدينية إلقاء القبض عليه؛ فافتتح : « فأنفذ رؤساء الكهنة

والفريسيون شرطاً ليلقوا القبض عليه » (٧ : ٣٢)؛ واختتم : « ولكن لم يقبض عليه أحد » (٧ : ٤٤). فدبّ الخلاف في السنهدريم بسببه (٧ : ٤٠ - ٥٣).

أمّا قصة المرأة الزانية (٨ : ١ - ١١) فهو فصل مقحم على يوحنا من إنجيل آخر.

وخطاب يسوع في عيد الخيام ينقسم إلى **عدة حوارات.**

الحوار الأول (٨ : ١٢ - ٢٠)؛ يسوع هو « نور العالمين » . « نطق يسوع بهذا الكلام بقرب الخزانة، فيما كان يعلّم في الهيكل. ولم يقبض عليه أحد لأن ساعته لم تكن بعدُ قد أتت » (٨ : ٢٠). نلاحظ تفاصيل شاهد العيان، ثم التركيز المتواتر على محاولات القبض عليه الفاشلة.

الحوار الثاني (٨ : ٢١ - ٣٠) : يسوع يعلن أنه « أنا هو » أي « يهوه » ، فيتخذ لنفسه اسم الله الأعظم. « وفيما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون » (٨ : ٣٠).

الحوار الثالث (٨ : ٣١ - ٥٩) يسوع هو « ابن الله » .

يستفتحه يسوع بمخاطبة « الذين آمنوا به » منوّهاً بمواضيع الكلام الذي سوف يفصله : الحقيقة، والحرية، والعبودية، والبنوة الحقة التي هي البنوة الإلهية لا البنوة القومية (٨ : ٣١ - ٣٣).

ثم يعلن موضوع خطابه : « الحق الحق أقول لكم : إن كل مَن يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة؛ والعبد لا يقيم في البيت على الدوام. أما الابن فيقيم فيه على الدوام » (٨ : ٣٤ - ٣٥).

ويفصّله بأنه هو ابن الله، وهم « أبناء إبليس » (٨ : ٣٤ - ٤٧)،

ثم يردّ على اعتراضهم أنهم « أولاد إبراهيم » ؛ ويؤكد لهم : « إنما الذي يمجدني هو أبي الذي تدعونه إلهكم » (٨ : ٥٤). إنْ كانوا هم ذرية إبراهيم، فيسوع هو ابن الله الذي يعبدونه!

ويأتي الختام الصاعق : « الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم

أنا كائن » (٨ : ٥٨). حينئذ انتقلوا من محاولة توقيفه إلى محاولة رجمه؛ « غير أن يسوع توارى وخرج من الهيكل » (٨ : ٥٩).

فالخطاب كله يتطوّر من حوار إلى حوار، في صراع مكشوف يصل إلى محاولات القبض عليه، ثم إلى محاولة رجمه، حتى الإعلان الصاعق الختامي.

في ذينك المثلين نرى أسلوب يوحنا الإنشائي :

١) يستفتح بتصريح استفزازي؛ ثم يأتي الخطاب بتفصيل جميع النقاط التي في التصريح المطلعي.

٢) مع ذلك فيوحنا يؤخر التصريح الضخم المنتظر ليثير رغبة القارئ.

٣) أسلوبه في تطوير الحديث يقوم على سؤال وجواب؛ أو على اعتراض وردّ عليه. وهذا يكسب الخطاب حيوية الحوار المباشر.

٤) ويوحنا يبرع في تأخير الجواب المنتظر، باعتراض موضوع آخر يزيد في حراجة الجدال والصراع.

٥) أو يدخل في الرواية سوء فهم لهم لكلام يسوع، حتى يستزيدوه صراحة على صراحة.

٦) أخيراً يصل يوحنا في قصصه حدّ الإعجاز بتأخير الجواب المنتظر طوال الرواية حتى الخاتمة التي تأتي صاعقة : « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (٨ : ٥٨)؛ « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠).

ثالثاً : فنّ التأليف عند يوحنا.

فيه ظاهرتان : شاملة وخاصة. **الظاهرة الشاملة** في ترتيب الإنجيل، وهي أيضاً أسلوب مضطرد عنده. يأتي أولاً بحادثة خارقة تظهر سلطان يسوع الإلهي؛ ثم بخطاب تفسيري لها يعلن فيه سرّ إلهيته. فيوجز السيرة والدعوة **بسبعة أحداث**، تقيّمها **سبعة أحاديث :**

١) معجزات يسوع في الفصح الأول بأورشليم (٢ : ١٣ - ٢٥) تحمل نيقوديم، علاّمة إسرائيل، على زيارة يسوع ليلاً، فيحاوره في سرّ الروح (٣ : ١ - ٢١).

٢) رحلة يسوع من اليهودية إلى الجليل مناسبة للقاء السامرية والكشف لها على أنه المسيح الموعود؛ ولقومها أنه مخلص العالم.

٣) معجزة شفاء مخلّع بيت حسدا في أورشليم تقتضي خطاب يسوع في الهيكل لتبرئته في الإبراء يوم السبت، لأن عمله من عمل الله الآب (ف ٥).

٤) معجزة تكثير الخبز لآلاف الناس، ومعجزة السير على مياه البحيرة، توطئة لخطاب يسوع في أنه « خبز الحياة » ، « الخبز الحي النازل من السماء » (ف ٦).

٥) إعلان يسوع أنه « نور العالمين » يبرهن عليه بمعجز شفاء الأكمه، أي الأعمى منذ مولده، في أورشليم.

٦) إعلان يسوع أنه « القيامة والحياة » يبرهن عليه بقيامة لعازر من القبر بعد أربعة أيام (١١ كله).

والظاهرة الخاصة عنده في التأليف هي **فنّ التصوير.** وهو أيضاً أسلوب مضطرد عنده. وهذه بعض الشواهد :

فهناك **التصدير في المقاطع :** يفتتح شهادة المعمدان ليسوع بقوله : « وهذه هي شهادة يوحنا » (١ : ١٩)؛ ويختمها بقول يوحنا : « أجل أنا شاهدت وأشهد بأن هذا هو مصطفى الله » (١ : ٣٤). كذلك يفتتح إعلان يسوع طاعته لأبيه السماوي بقوله : « الابن لا يستطيع أن يعمل من نفسه ما لم يرَ الآب يعمل » (٥ : ١٩)؛ ويختم بقوله : « أنا لا أقدر أن أعمل من نفسي شيئاً؛ فأحكم كما أسمع » (٥ : ٣٠). كذلك أيضاً حديث يسوع لصحابته في السلام يستفتحه بقوله : « لا يضطرب قلبكم : فآمنوا بالله، وآمنوا بي أيضاً » (١٤ : ١)؛ ويختمه بقوله : « أترك لكم السلام ... فلا يضطرب قلبكم ولا يقلق » (١٤ : ٢٧).

والتصدير في الأجزاء. مثال ذلك قصة الاستشهاد، فهو يفتتحها بحادثة تكفينه الرمزي (١٢ : ٣ - ٨)، ويختمها بحادثة تكفينه الفعلي (١٩ : ٣٩). ورواية الآلام، فهو يفتتحها بقوله : « إذ كان يسوع يعلم أن الساعة قد حانت لينتقل من هذا العالم إلى أبيه » (١٣ : ١) ويختمها بعد تحقيق

الـرمز بالفعل، بقوله لمريم المجدلية يوم القيامة : « إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، إلى إلهي وإلهكم » (٢٠ : ١٧). ورواية العشاء السري تُستفتح بالتصدير : « هو الذي أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى النهاية » (١٣ : ١)، ويأتي صداها في قوله على الصليب : « لقد انتهى » (١٩ : ٢٠). نشير إلى أن كلمة « نهاية » لا تأتي في الإنجيل كله إلا في هذين الموضعين، فالتصدير مقصود.

والتصدير في الأقسام الكبرى. فهو يستفتح الإنجيل بصفة المسيح : « فيه كانت الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ٤) ويختمه بقوله : « ولكي تكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه » (٢٠ : ٣١). ويستفتح الإنجيل أيضاً بقوله : « هو الذي يعمّد بالروح القدس » (١ : ٣٣)، ويختمه بتحقيق النبوة في قول يسوع لرسله : « خذوا الروح القدس » (٢٠ : ٢٢). يستفتح كذلك الإنجيل بقوله : « هذا هو حمل الله » (١ : ٢٩ و٣٦) ويختمه بتحقيق النبوة على الصليب : « ولا يُكسر له عظم » (١٩ : ٣٦). وشهادة المعمدان : « أنا شاهدت وأشهد » (١ : ٣٤) تجد صداها في شهادة الإنجيلي : « والذي شاهد شهد » (١٩ : ٣٥)، فكلاهما شاهد وشهد. ويستفتح أيضاً الإنجيل بمعجزة تحويل الماء إلى خمر (٢ : ١ - ١١)؛ وعلى الصليب، « أحد الجنود طعن جنبه بحربة فخرج للوقت دم وماء » (١٩ : ٣٤). ويستفتح سيرة المسيح بظهور أُمه إلى جنبه (٢ : ١ - ١١) ويختمها بظهور أُمه إلى جنبه عند الصلب (١٩ : ٢٥). ويبدأ الإنجيل بقوله في الخليقة الأولى : « في البدء ... » (١ : ١) ويختمه بقوله في الخليقة الجديدة مع قيامة المسيح : « في اليوم الأول ... » (٢٠ : ١).

فتلك الأنواع الثلاثة من التصدير تجعل الإنجيل كله **وحدة فنية كاملة**. وهذا مبلغ الإعجاز في البيان والتبيين.

رابعاً : فنّ الرواية عند يوحنا : ملحمة الوجود

يمتاز يوحنا على المؤتلفة بأن **الرواية عنده تتحول إلى « دراما »** . وكل فصل منه هو « دراما » بحد ذاته. فيتطور الإنجيل من « دراما » إلى

« دراما » ، حتى يظهر أنه « الدراما » الأكبر في تاريخ البشرية، فهو **ملحمة الوجود.**

يتطور الصراع بين يسوع والسلطات الإسرائيلية من فصل إلى فصل. ومن حين إلى حين يذكر الإنجيلي **محاولاتهم لاغتيال يسوع.** فمنذ المعجزة الأولى الكبرى في أورشليم تظهر مؤامرتهم لقتله (٥ : ١٦ و١٨). وفي عيد الخيام يكشف لهم يسوع محاولتهم : « ما من أحد منكم يعمل بحسب الشريعة : فلِمَ تطلبون قتلي » ؟ (٧ : ١٩). وعندما أعلن عن مصدره الإلهي « طلَبوا عندئذ أن يقبضوا عليه » ففشلوا (٧ : ٣٠)؛ « فأنفذ الأحبار والفريسيون شرطاً ليُلقوا القبض عليه » (٧ : ٣٢)؛ ولما أعلن « في اليوم الأخير العظيم من العيد » : « إن عطش أحد فليأت إليّ ويشرب ... » « أراد بعضهم أن يمسكوه، ولكن لم يقبض عليه أحد » (٧ : ٤٤). ولمّا أعلن يوم عيد التجديد (تدشين الهيكل) : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠) طفح الكيل، « حينئذٍ تناول اليهود من جديد حجارة ليرجموه » (١٠ : ٣١). فأمعن في التحدي : « أنا ابن الله » (١٠ : ٣٦)، « فطلبوا أيضاً أن يقبضوا عليه، فتخلّص من أيديهم وانطلق إلى عبر الأردن » (١٠ : ٣٩). وبعد معجزة إقامة العازر، « منذ ذلك اليوم وطّنوا النفس على قتله » (١١ : ٥٣). فنرى يسوع في آخر دعوته يتهرّب من بطشهم به : « ثم مضى وتوارى عنهم » (١٢ : ٣٦) حتى تحين ساعته (١٣ : ١). هذا على المسرح البشري.

لكن الصراع الأكبر كان في الغيب. وهذه هي **ملحمة الوجود.** يصير الصراع كونيّاً كما تنبأ يسوع : « الحق الحق أقول لكم : إنكم سترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن البشر » (١ : ٥١). ورسالته هي تنزيل « الروح » الإلهي على المؤمنين به، كما يشرح ذلك لنيقوديم (٣ : ٥). وهو ينطق « بالسماويات » لأنه « لم يصعد أحد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابن البشر الكائن في السماء » (٣ : ١٣). فالمسيح « رب العالمين » يوجد فيها كلها أجمعين. وهو سيد التاريخ، كان « في البدء » (١ : ١)، وفيه كانت الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ٣)؛ ولمّا تمّ ملء الزمان « أرسل الله ابنه إلى العالمين،

لا ليدين العالمين، بل ليخلّص به العالمين » (٣ : ١٧). لذلك يتحدى اليهود في عيد الخيام بإعلانه : « أنا نور العالمين، من تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢). وفي اليوم الآخر، هو ملك يوم الدين : « فكما أن الآب يقيم الموتى ويُحييهم، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء » في الدنيا والآخرة (٥ : ٢١)؛ « فإن الآب لا يدين أحداً، بل فوّض إلى الابن كل دينونة » (٥ : ٢٢)، « وآتاه سلطان يوم الدين لأنه ابن البشر » (٥ : ٢٧). ويظهر رب الكون بمعجزاته، من إبراء الأكمه والأبرص، ومن السير على الماء، ومن إقامة الموتى، مثل لعازر بعد أربعة أيام في الموت والقبر. وقبل استشهاده يعلن أن صراعه الأكبر هو مع إبليس : « الآن دينونة هذا العالم! الآن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً. » (١٢ : ٣١). ويضيف: « وأنا متى رُفعت عن الأرض (إلى السماء) اجتذبتُ إليّ الجميع » (١٢ : ٣٢). فصراع المسيح الأكبر كان مع إبليس على سلطان العالم، وصراعه الأصغر مع زبانية إبليس على الأرض.

فنرى أن سيرة المسيح عند يوحنا هي ملحمة الوجود.

خامساً : فنّ البيان والتبيين، في الأسلوب البياني.

رأينا منه فن التصدير، نرى هنا فنّ « المقابلات » . فالإنجيل كله مقابلة متواترة :

١ - **بين النور والظلام.** فالإنجيل كله وصف لتطور الإيمان عند الناس، وفي مقابله تطور الكفر عند « اليهود » . فمنذ مطلعه يعلن : « هو النور الحقيقي ... أتى إلى بني قومه، وبنو قومه لم يقبلوه؛ أمّا جميع الذين قبلوه فقد آتاهم سلطان أن يصيروا أبناء الله » (١ : ١١ - ١٢). وبعثة المسيح كلها دينونة للعالم : « وعلى هذا تقوم الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم، والناس آثروا الظلام على النور، لأن أعمالهم كانت شرّيرة » (٣ : ١٩). لذلك يعلن لليهود والناس أجمعين : « **أنا نور العالمين :** من تبعني لا يسلك في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢). وفي ختام رسالته يتحداهم بقوله : « إن النور معكم بعدُ إلى حين، فسيروا

ما دام النور معكم، لئلا يغشاكم الظلام، فإنّ مَن يمشي في الظلام لا يدري كيف يتوجّه. فما دام النور معكم فآمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور » (١٢ : ٣٥). ويوجز دعوته بقوله : « لقد جئت إلى العالم، **أنا النور**، لكي لا يمكث في الظلام كل مَن يؤمن بي » (١٢ : ٤٥ ـ ٤٦).

٢ ـ بين الحقيقة والكذب. منذ فاتحة الإنجيل تأتي هذه المقارنة :

« إن الشريعة قد أتت بموسى؛ وأمّا النعمة والحقيقة فقد حصلتا بيسوع المسيح » (١ : ١٧). وحقيقة الوجود كله هي سرّ رب الوجود : « فالله لم يره أحد قطّ، إلاّ الإله، الوليد الوحيد الذي في حضن الآب، وهو الذي أظهره » (١ : ١٨).

ترد كلمة « الحقيقة » عند يوحنا خمساً وعشرين مرة، وصفة « الحق » أربع عشرة مرة، وصفة « الحقيقي » تسع مرات. فالإنجيل كله ينضح « بالحقيقة » المطلقة التي تجلّت في المسيح يسوع وفي إنجيله ـ وسيرد تفصيل ذلك.

ورسالة المسيح صراع مرير بين الحقيقة والباطل، بين الحق والكذب. وقد أوجز يوحنا موقف الناس من حقيقة المسيح : « وأما من يعمل الحقيقة فإنه يُقبل إلى النور، لكي يتبيّن أن أعماله في الله مصنوعة » (٣ : ٢١). فالحقيقة الإنجيلية عقيدة وعمل.

وقسم يسوع المتواتر هو قوله : « **الحقّ الحقّ أقول لكم** » . فهو لا يعرف إلاّ الحق، ولا ينطق إلاّ بالحق والحقيقة.

مع ذلك لا يعتز يسوع بشهادته لنفسه : « لو كنت أشهد لنفسي لما كانت شهادتي حقّة (في نظركم) ... والآب الذي أرسلني هو شهد لي » (٥ : ٣١ ـ ٣٧).

يستفتح الإنجيل بأن الذي يقبل شهادة يسوع « فقد ختم أن الله حق » (٣ : ٣٣). ويختمه بتصريحه لصحابته : « أنا الصراط والحقيقة والحياة » (١٤ : ٦) نلاحظ التعريف والإطلاق في تصريحه. فالله تعالى هو الحقيقة، والسيد المسيح أيضاً هو الحقيقة.

وفي استشهاده، أثناء محاكمته المدنية أمام الوالي الروماني « قال له

بيلاطس : « أنت إذن ملك! أجاب يسوع : أنت قلت. أجل إني ملك : لقد وُلدتُ وجئت إلى العالم لأجل هذا، كي **أشهد للحقيقة**، وكل مَن هو من أهل الحقيقة يسمع ندائي » (١٨ : ٣٧). فيسوع هو ملك الحقيقة الأزلية، والكونية، والبشرية. وأيّد شهادته باستشهاده.

فصراع الحقيقة ضدّ الباطل والكذب قائم طوال الدعوة. ويسوع يرى وراء كفر اليهود به - مع كل آياته - عمل إبليس : « أبوكم إبليس ورغبات أبيكم تبتغون أن تحقّقوا، أنه من البدء قتّال الناس، ولم يثبت على الحقيقة، لأنه لا حقيقة عنده. فإذا ما نطق بالكذب، فإنما يتكلم بما عنده، لأنه كذوب وأبو الكذب » (٨ : ٤٤).

فالصراع بين الحقيقة والكذب واقعي وغيبي معاً. فما أهل الكفر بالمسيح إلاّ زبانية إبليس. وباستشهاد المسيح تنتصر حقيقته : « الآن دينونة هذا العالم، فإن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً. وأنا متى رُفعت عن الأرض (على الصليب، وإلى السماء) اجتذبت إلي الجميع » (١٢ : ٣١ - ٣٢).

٣ - بين الحياة والموت - بالمعنى الحقيقي والمجازي. منذ الفاتحة يعلن : « فيه كانت الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ٤).

فالسيد المسيح فيه « الحياة » على الإطلاق قائمة : « كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك آتى الابن أن يكون له الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦) وبرهان ذلك سلطان الإحياء الإلهي فيه : « فكما أن الآب يقيم الأموات ويُحييهم، كذلك الابن يُحيي مَن يشاء » (٥ : ٢١).

ورسالته هي منح « الحياة » للعالم : « أما أنا فقد أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠).

واستشهاده حياة العالمين : « ينبغي أن يُرفع ابن البشر لكي تكون الحياة الأبدية في كل مَن يؤمن به - فلقد أحب الله العالم حتى أنه بذلك وليده الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٥ - ١٦).

فهو « ماء الحياة » ، « تجري من جوفه أنهار ماء حي» (٧ : ٣٨)؛

وهو « خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨)؛ وهو « القيامة والحياة » (١١ : ٢٥)؛ وهو « الصراط والحقيقة والحياة » (١٤ : ٦).

وشرط الحصول على الحياة الإلهية، منه وبه وفيه، هو الإيمان : « وإنما دُوّنت هذه (الآيات) لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله؛ وتكون لكم إذا آمنتم، الحياة باسمه » (٢٠ : ٣١).

هذا هو فنّ المقابلات في أسلوبه البياني.

سادساً : الأسلوب التاريخي عند يوحنا.

سمّى قديماً اكليمنضوس الإسكندري الأناجيل المؤتلفة « **الإنجيل الجسدي** » لتركيزها على بشرية يسوع؛ والإنجيل بحسب يوحنا « **الإنجيل الروحي** » لتركيزه على إلهية المسيح.

ومع ذلك يركّز بالقدر نفسه على **بشرية المسيح :** فمنذ الفاتحة يعلن : « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (١ : ١٤)، ويركز في تفصيل الإنجيل على **مظاهر بشرية :** يغضب ويجلد تجار الدين في الهيكل (٢ : ١٣ ـ ١٧)؛ « يتعب » من المشي فيستريح عند بئر يعقوب (٤ : ٦)؛ « يحزن » لكفرهم بدعوته (٤ : ٤٨)؛ « يهرب » من حماس الجمهور لئلا ينصّبوه ملكاً عليهم (٦ : ١٥)؛ يدافع عن نفسه ضدّ الافتراء عليه (٥ : ١٨ ـ ٤٨؛ ٧ : ٢٠ ـ ٢٤؛ ٨ : ٤٨ ـ ٥٨؛ ١٠ : ٣٦)؛ يحتاج أن « يتوارى » بعيداً عن الأنظار، في أوقات المؤامرة عليه (٨ : ٥٩؛ ١٢ : ٣٦)؛ كأنه ملاحق حتى الموت (١١ : ٤٥ ـ ٤٧)! يتخذ له أصدقاء (١١ : ٥)؛ وله تلميذ مفضّل عنده، « التلميذ كان يسوع يحبه » (١٣ : ٢٣؛ ١٩: ٢٦؛ ٢١ : ٧ و٢٠)؛ رؤية البؤس والحزن تجعله « يحزن » و « يبكي » عند قبر لعازر (١١ : ٣٥ و٣٨)؛ خيانة أحد صحابته تجعله ينتفض (١٣ : ٢١)؛ دنو « ساعته » يجعله يضطرب ويتوسل (١٢ : ٢٧)؛ لطمة شرطي تجعله يشعر بالإهانة (١٨ : ٢٣)؛ وعلى الصليب يصيح : « أنا عطشان » (١٨ : ٢٨).

وهو يقتصر على ما قلّ ودلّ من معجزات المسيح، فلا ينقل في الإنجيل

الأورشليمي **إلاّ سبع معجزات**؛ لكنه يرويها بأسلوب « السهل الممتنع » الذي يفهمه البسطاء ويعجز عنه البلغاء؛ فتظهر، مع سموها، أكثر واقعية من المؤتلفة.

وفي دعوته يركّز على إلهيته؛ لكنه في الوقت نفسه يعلن **خضوعه لله أبيه** في كل ما يقول ويعمل : إنه « الشاهد » لما رأى وسمع عند الآب (٣ : ١١؛ ١٨ : ٣٧)؛ وهو « لا يعمل إلا ما يرى الآب يعمل » (٤ : ٣٤؛ ٥ : ١٩؛ ١٧ : ٢)، « ما يرضيه » (٨ : ٢٩)؛ إنه « يبذل نفسه » طاعة لأبيه (١٠ : ١٨)؛ لكي يشرب الكأس التي هيأها له أبوه (١٨ : ١١) لكي يعلم العالم أنه ينفّذ أمر أبيه (١٤: ٣٠). يعلن « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠) مع ذلك يصرّح بأن « الآب أعظم مني » (١٤ : ٢٨).

فتصاريحه ترفعه تارة فوق المخلوق، وتارة تعلن بشريته كنبي، **كإنسان يخاطب صحابته** أو أباه، يقول : « الآب يحب الابن، وقد جعل في يده كل شيء » (٣ : ٣٥). يسأل المخلع : « أتريد أن تبرأ » ؟ .. « انهض واحمل سريرك وامشِ » (٥ : ٥ و٧). يعلن لليهود : « أن مَن أرسلني هو معي، ولم يدعني وحدي لأني أفعل دائماً ما يرضيه » (٨ : ٢٩). ويصرّح : «إن أبي يحبني لأني أبذل حياتي، لكي أسترجعها أيضاً ... تلك هي الوصية التي تلقيتها من أبي » (١٠ : ١٧ ـ ١٨)، ويسرّ إلى صحابته : «كما أحبني الآب أنا أيضاً أحببتكم، فاثبتوا في محبتي » (١٥ : ٩). كذلك : « لقد حدثتكم بهذا ليكون لكم فيّ السلام : ففي العالم ستكونون في شدّة » (١٦ : ٣٢). ويسأل بدالة بنوية : «أيها الآب أن الذين أعطيتني أريد أن يكونوا هم أيضاً حيث أكون أنا » (١٧ : ٢٤). ويطلق هذه الشهادة على بساطتها : «أيها الآب العادل : إن العالم لم يعرفك، وأنا قد عرفتك » (١٧ : ٢٥).

والإنجيل بحسب يوحنا هو في **تاريخيته** أقرب إلى الواقع من المؤتلفة أنفسهم. كما أشرنا، فقد أكمل الإنجيل الجليلي بحسب المؤتلفة، بالإنجيل الأورشليمي حيث الصراع الأكبر بين يسوع والسلطة والأحزاب اليهودية؛ وأكمل الإنجيل الجليلي بذكر مطلعه وعقدته وخاتمته.

والإنجيل دعوة فهو **تاريخ وعقيدة**؛ وهذه العقيدة قائمة على الصحة

التاريخية في السيرة والدعوة. ولذلك يحدّد الإنجيلي ظروف الزمان والمكان والأشخاص. فتأتي تصاريح المسيح، مهما سمت، في ظروفها التاريخية.

هذا هو الأسلوب التاريخي الصحيح في الإنجيل بحسب يوحنا.

سابعاً : الأسلوب « اللاهوتي » أو الكلامي.

الإنجيل بحد ذاته دعوة؛ خصوصاً الإنجيل بحسب يوحنا؛ فهو دعوة المسيح الكبرى. فما هو أسلوب الإنجيل بحسب يوحنا اللاهوتي أو الكلامي ؟

قلنا بأن هذا الإنجيل يركّز على الناحيتين العظيمتين من شخصية السيد المسيح : **على إلهيته وعلى بشريته معاً.** فمن اكتفى بناحية منهما شوّه شخصية السيد المسيح، وحرّف الإنجيل.

وهذا الإنجيل **سيرة ودعوة :** فمن اقتصر على ناحية منهما حرّف الإنجيل، فالدعوة تنبع من السيرة، والسيرة لا تُفهم إلاّ بالدعوة.

وهذا الإنجيل أيضاً **تقوم دعوته على الواقع التاريخيّ.** فمن اكتفى بالدعوة شوّه الإنجيل؛ ومن اقتصر على الواقع الإنجيلي شوّه الإنجيل أيضاً. **فالرمزية الظاهرة** في واقعه التاريخي تنبع منه، ولا تشوّه صحته.

تلك الظواهر الثلاث في أسلوبه اللاهوتي أو الكلامي تجعل الإنجيل بحسب يوحنا **تاريخ دعوة،** أو **دعوةً تاريخية.** هذا ما كشف عنه الإنجيل نفسه في خاتمته : « وصنع يسوع أمام التلاميذ آيات أخرى كثيرة، لم تدوّن في هذا الكتاب؛ وإنما دُوّنت هذه لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، **ابن الله؛** وتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه » (٢٠ : ٣٠). فغاية الإنجيل بيان أن **يسوع « هو المسيح، ابن الله » .**

هذا هو مبدأ أسلوبه اللاهوتي أو الكلامي. كيف يفصّل ذلك ؟

يركّز على الإنجيل الأورشليمي لأنه **دعوة لاهوتية** بين علماء اليهود وفي أروقة الهيكل نفسه. وليس **دعوة شعبية** كما عند المؤتلفة في الإنجيل الجليلي. فاختلاف البيئة يقتضي الخلاف الظاهر بين يوحنا والمؤتلفة في الأسلوب اللاهوتي أو الكلامي.

١ - يعتمد يوحنا في دعوته اللاهوتية على **تصاريح المسيح** عن نفسه. ففي خطبه السبع، أو حواراته السبعة، يسرق الكلام حتى تأتي كلمة المسيح مسك الختام، تصريحاً ضخماً كاشفاً.

ففي حواره مع نيقوديم، علاّمة إسرائيل، أن العهد الجديد هو عهد « الروح » الذي يعطيه للمؤمنين به بالعماد « بالماء والروح » الذي هو ولادة جديدة، بقدرة « الروح » إلى البنوة الإلهية.

وفي حواره مع السامرية يسوق الرواية حتى الكشف عن نفسه لها ولقومها : المسيح الموعود، « أنا هو، أنا المتكلّم معك » (٤ : ٢٦).

وفي حواره مع « اليهود » ، بعد شفاء مخلّع بيت حسدا في أورشليم، يوم سبت - إذ طمس اليهود المعجزة وتمسكوا بظاهر السبت - أجابهم : « إن أبي على الدوام يعمل، وأنا أيضاً أعمل. فازداد اليهود طلباً لقتله، ليس فقط لأنه استباح السبت، بل أيضاً **لأنه كان يدعو الله أباه، مساوياً نفسه بالله** » (٥ : ١٨). ووحدة العمل تدل على وحدة الذات. لذلك قال لهم : « لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب : فمن لا يُكرم الابن، لا يكرم الآب الذي أرسله » (٥ : ٢٣).

ويلي حوار مع علماء اليهود على **صحة شهادة يسوع لنفسه**. إنه لا يعتز بشهادته لنفسه (٥ : ٢١)؛ إنما يعتزّ بشهادة « الآب » له، بالمعجزات التي تشهد له (٥ : ٣٦). مع ذلك يذكّرهم بشهادة المعمدان له، ذاك « السراج الموقد المنير (الذي) راقكم أن تبتهجوا بنوره وقتاً يسيراً » . وبما أنهم أهل الكتاب، ويأتمون بموسى، تحداهم : « لو كنتم تصدّقون موسى، لصدقتموني أنا أيضاً، لأنه قد كتب عني، ولكن إن كنتم لا تصدّقون ما كتب هو، فكيف تصدقون أقوالي » (٥ : ٤٦ - ٤٧). فيسوع يشهد بأن « **النبي** » **الموعود** « **مثل موسى** » **هو نفسه**.

وبعد معجزة تكثير الخبز لآلاف الناس ومحاولتهم تمليك يسوع عليهم، ردّ علماء اليهود بأن معجزة المن لموسى أكبر منها. فأجاب يسوع أن « خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨) ليس المنّ الذي أكله الآباء وماتوا، وليس المنّ خبزاً نازلاً من السماء؛ إنما « هذا هو الخبز الذي نزل من

السماء لكي لا يموت كل مَن يأكل منه. **أنا الخبز الحي** الذي نزل من السماء، مَن يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي سأُعطيه أنا هو **جسدي** لأجل حياة العالم » (٥ : ٤٩ - ٥١).

وفي عيد الخيام، والهيكل مضاء يتلألأ بالمشاعل، صاح يسوع في الهيكل : « **أنا نور العالمين :** مَن تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢). فقام جدل معهم على صحة شهادته لنفسه. فخاطبهم بلغة كتابهم : « لقد كُتب في شريعتكم أن شهادة اثنين قائمة؛ فأنا أشهد لنفسي، وأبي الذي أرسلني يشهد لي. فقالوا له : أين أبوك ؟ قال يسوع : إنكم لا تعرفوني، لا أنا، ولا أبي. لو كنتم تعرفوني لعرفتم أبي أيضاً » (٨ : ١٧ - ١٩). فالشهادة شهادتان : يسوع هو ابن الله، وهو « نور العالمين » .

وتطور الصراع معهم إلى **اتخاذ يسوع اسم الله الأعظم لنفسه : « يهوه » أي « أنا هو »** . قال : « لقد قلت لكم : إنكم تموتون في خطاياكم! أجل إن تؤمنوا أني « أنا هو » تموتون في خطاياكم » (٨ : ٢٤)؛ وأكد لهم : « إذا ما رفعتم ابن البشر، فعندئذٍ تعرفون أني « أنا هو » (٨ : ٢٨)؛ فباستشهاد الذي تعقبه القيامة المجيدة سيعرفون أنه « يهوه: أنا هو ».

ودار الحوار في بنوّتهم لإبراهيم. فقالوا له : « أوَ تكون أعظم من إبراهيم أبينا، الذي مات، والأنبياء أيضاً قد ماتوا: فمَن تجعل نفسك ؟ » (٨ : ٥٣). فوطأ للجواب بقوله: « إبراهيم أبوكم قد ابتهج في رؤيا يومي، فرأى وفرح » . (٨ : ٥٦). ولمّا استغربوا قوله صرّح لهم : « **قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن** » (٨ : ٥٨) فأعلن أزليته، وبها إلهيته.

وفي عيد التجديد « تحلّق اليهود حوله وقالوا له : حتّامَ تريب أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح فقله لنا جهراً - أجابهم يسوع : لقد قلته لكم، ولا تصدّقون. والأعمال التي اعملها باسم أبي هي تشهد لي » (١٠ : ٢٤ - ٢٥). لكن المسيح المشهود أعظم من المسيح الموعود. وتدرّج إلى هذا التصريح الضخم : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)، وحدة وجود، ووحدة كيان إلهي، ووحدة عمل. « حينئذٍ تناول اليهود من جديد حجارة

لكي يرجموه » (١٠ : ٣١). ومحاولة الرجم دليل التكفير؛ فهذه المحاولات المتكرّرة برهان صحة تصاريح المسيح في إلهيته.

٢ - **والإنجيل يعتمد أيضاً معجزات المسيح برهاناً على صحة أقواله.** فكل هذه التصاريح عن إلهيته يؤيدها بالمعجزات، فهي أيضاً من قبيل **تأكيد القول بالفعل.**

ويسوع نفسه يستشهد « بأعماله » برهاناً على صحة أقواله. وهو في ذلك يستجيب إلى منطق القوم : « أولا تؤمنون ما لم تعاينوا المعجزات والآيات » ! (٤ : ٤٨). **فالمعجزة دليل النبوة الأوحد.**

فبعد حديثه مع السامرية، وانبائها بكل سرائرها، ثم إقامته عند بني قومها يومين، « كانوا يقولون للمرأة : لسنا بعد من أجل كلامك (شهادتك) نؤمن! فلقد سمعناه نحن، وتأكّد لنا **أنه حقّاً مخلّص للعالم** » (٤ : ٤٢).

وبعد معجزة شفاء مخلّع بيت حسدا، في أورشليم، قال لهم : « إن الأعمال التي آتاني الآب أن أتمّها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي بأن الآب قد أرسلني » (٥ : ٣٦). **فهو الرسول الإلهي الحق.**

وبعد معجزة تكثير الخبز لآلاف الناس، « أخذوا يقولون : هذا الرجل **هو في الحقيقة النبي** الآتي إلى العالم » (٦ : ١٤) أي النبي الموعود، الذي وعد به موسى.

يصرّح في عيد الخيام : « **أنا نور العالمين** » (٨ : ١٢)، « أنا هو » (٨ : ٢٤ و٢٨) أي « يهوده » عينه. ويؤيد ذلك بمعجزة شفاء الأكمه أي الأعمى منذ مولده، التي تقطع عليهم كل شكوكهم.

يموت صديقه لعازر، ويشبع موتاً مدة أربعة أيام في القبر، فتستدعيه أختا لعازر. يحضر ويعزّي مريم بقوله لها : « سيقوم أخوك » . فتظن أنه يقصد القيامة في اليوم الآخر. فأعلن لها وللجمهور الذي معها : « **أنا القيامة والحياة،** مَن آمن بي وإن مات فسيحيا » ، ثم يقيم لعازر بندائه من الموت. فيظهر للجماهير المحتشدة أنه سيد الحياة والموت، أنه حقّاً « القيامة والحياة » ، وهي صفات إلهية.

وهو على الدوام يتحداهم بهذه المعجزات الإلهية : « إن كنت لا أعمل أعمال أبي فلا تصدّقوني؛ ولكن إن كنت أعملها، ولا تريدون أن تصدّقوني، **فصدّقوا هذه الأعمال**، لكي تعلموا وتشهدوا **أن الآب فيّ، وأني أنا في الآب** » (١٠ : ٣٨). إنها وحدة الكيان الإلهي؛ لا الحضور الصوفي فقط، لقوله : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠).

في عيد التجديد، وفي الهيكل نفسه، أعلن لهم جهراً أنه المسيح، واستشهد بمعجزاته التي تؤيده : « والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي » (١٠ : ٢٥).

٣ - **يسوع يطالب سامعيه دائماً بتصديق أقواله**، ويستشهد على صحتها « بأعماله » - فالتصاريح والمعجزات الإلهية وحدة في الشهادة.

يتحداهم في كفرهم به، بكفرهم بموسى : « لو كنتم تصدقون موسى لصدّقتموني أنا أيضاً، **لأنه كتب عني**، ولكن إن كنتم لا تصدقون ما كتب هو، فكيف تصدّقون أقوالي » (٥ : ٤٦ - ٤٧). إنه الكفر الأعمى تجاه النور.

ولمّا تحدّوه ليعلن جهراً أنه المسيح، في عيد التجديد، وفي الهيكل نفسه، « أجابهم يسوع : لقد قلته لكم ولا تصدّقون، والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي » (١٠ : ٢٥).

ولمّا صرّح، بالمناسبة نفسها « أنا والآب واحد » ، « حينئذٍ تناول اليهود من جديد حجارة لكي يرجموه. فأجابهم يسوع : لقد أريتُكم أعمالاً حسنة كثيرة، من عند الآب، فلأيّ عمل منها ترجموني ؟ » (١٠ : ٣٠ - ٣١)، فاعترف اليهود بصحتها (١٠ : ٣٣).

وبما أن المسيح المشهود أعظم من المسيح الموعود، إذ يصرّح بأنه « ابن الله » على الحقيقة - لا على المجاز - فهو يقوم معجزاته على أنها شهادة الله الآب لابنه الوحيد. هذا ما أوجزه لصحابته في ختام دعوته : « لو لم أعمل بينهم **أعمالاً لم يعملها آخر**، لَما كان عليهم خطيئة. أمّا الآن وقد رأوا فقد أبغضوني أنا وأبي (أي كفروا بنا). وذلك لتتم الكلمة المكتوبة في شريعتهم : إنهم أبغضوني (أي كفروا بي) بلا سبب (١٥ : ٢٥)

٤ ـ **شهادة يسوع، ليست نبوءة، بل كشف إلهي مباشر.** وهذا الموقف الفريد في النبيين والمرسلين أوجزه يوحنا في فاتحته : « الله لم يره أحد قط! الإله الابن، الوليد الوحيد، الكائن في حضن الآب، هو أظهره » (١ : ١٨) فالوحي الإنجيلي **شخص منزل،** لا كتاب منزل فقط.

يعلن لنيقوديم : « الحق الحق أقول لك : إننا ننطق بما نعلم، **ونشهد بما شاهدنا ...** فإنه لم يصعد أحد إلى السماء، إلاّ الذي نزل من السماء، ابن البشر الكائن في السماء » (٣ : ١١ و١٣). فشهادة يسوع هي شهادة شاهد العيان في السماء وعلى الأرض معاً، إنها كشف الحجاب. ولا يصح ذلك بشيء ولا لرسول على الإطلاق.

معجزات المسيح عينها هي أعمال إلهية مشاهَدة مشهودة : « إن الآب يحب الابن **ويريه جميع ما يفعل،** وسيريه أعمالاً أعظم من هذه، فتأخذكم الدهشة » (٥ : ٢٠). فالمسيح رأى وجه الآب وسمع صوته، وأمّا جميع المخلوقين، وأنتم « لم تسمعوا صوته، ولا رأيتم وجهه » (٥ : ٣٧).

ويطلب الإيمان بشهادته : فإنه « ما من أحد رأى الآب، إلاّ الذي هو من لدن الآب، **فهو الذي قد رأى الآب،** الحق الحق أقول لكم : إن مَن يؤمن له الحياة الأبدية » (٦ : ٤٦ ـ ٤٧).

وإذ شك « كثيرون من تلاميذه » في إعلانه المتواتر « أنا الخبز الحي النازل من السماء » (٦ كله)، « قال لهم : أذلك يشكّككم ؟ وإذا رأيتم ابن البشر يصعد **إلى حيث كان أولاً** (٦ : ٦٢).

وفي جدالهم، في عيد الخيام، ردّوا شهادته لنفسه، « أجاب يسوع : لئن كنت أنا أُمجد نفسي، فمجدي ليس بشيء، إنما الذي يمجدني **هو أبي، الذي أنتم تدعونه إلهكم.** وأنتم لا تعرفونه (معرفة مشاهدة) أما أنا فأعرفه. وإن قلت إني لا أعرفه كنت كاذباً مثلكم. لكني أعرفه وأحفظ كلامه » (٨ : ٥٤ ـ ٥٥). إنها معرفة المشاهدة والعيان؛ وشهادة الحق واليقين.

ومعرفة المسيح الابن لله أبيه **معرفة ذاتية متعادلة :** « كما أن الآب

يعرفني وأنا أعرف الآب » (١٠ : ١٥)، « لكي تعلموا وتشهدوا أن الآب فيّ وأنا في الآب » (١٠ : ٣٨).

وشخص السيد المسيح نفسه هو مظهر حسّي لله نفسه : « فصاح يسوع وقال : مَن آمن بي، آمن لا بي فقط، بل بالذي أرسلني؛ **ومَن رآني** فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٤ - ٤٥). وما أعلنه للجماهير أعلنه لخاصته وصحابته : « قال له فيلبس : يا رب، أرنا الآب وحسبنا. قال له يسوع : يا فيلبس أنا معكم كل هذا الزمان ولا تعرفني : **مَن رآني فقد رأى الآب.** فكيف تقول أنت : أرنا الآب! أفلا تؤمن أني أنا في الآب، والآب فيّ ... صدّقوني أني أنا في الآب، والآب فيّ، وإلاّ فصدقوا من أجل الأعمال » (١٤ : ٨ - ١١).

هذا هو الأسلوب اللاهوتي أو الكلامي عند يوحنا. إنه أسلوب الشهادة للمشاهدة العيان.

* * *

بحث ثانٍ

أهداف الإنجيل بحسب يوحنا

الإنجيل بحسب يوحنا عرض لسيرة المسيح ودعوته؛ وهو ردّ في عرْضه.

فأهدافه ثلاثة : **تعليم وتاريخ ودفاع.**

جاءت كلها بأسلوب **التكميل** للأناجيل المؤتلفة.

أولاً : أهداف الإنجيل

١ - إنه تعليم المسيح الأكمل

فهو يعرض **سرّ المسيح**، في سيرته ودعوته، كما شهدها شاهد العيان منذ البداية حتى النهاية، وفي ذلك ميزته على الأناجيل المؤتلفة.

وقد شعر الأقدمون بهذه الميزة فوصفوه ((**بالإنجيل الروحي**)) الذي يفصّل سرّ المسيح من سيرته، في أقواله وأعماله وأحواله؛ تجاه ((**الإنجيل الجسدي**)) في المؤتلفة التي تقتصر على الدعوة الشعبية في الجليل.

فأكملها بنقل الإنجيل الأورشليمي، ونقل فاتحة الإنجيل الجليلي وعقدته وخاتمته. لذلك فهو يسكت عمَّا نقلوه وافياً، ويفصّل ما أهملوه ـ لأسباب قد نجهلها ـ في السيرة والدعوة.

هذا ما نفصّله في أبحاثنا التالية.

٢ ـ إنه تاريخ سيرة المسيح الأوفى

تعليم المسيح يقوم على تاريخ السيرة والدعوة.

وهذا التاريخ يعطينا الخطوط الكبرى للسيرة والدعوة، وهي التي لا تفصّل منها الأناجيل المؤتلفة سوى العهد الوسيط، الدعوة في الجليل.

فنقل يوحنا **الدعوة الأولى** في أورشليم واليهودية؛ ثم بعد الدعوة في الجليل، **الدعوة الثانية** الكبرى في أورشليم واليهودية. وذلك ما نسميه : ((**الإنجيل الأورشليمي**)) .

فهو يمتاز بنقل ((الإنجيل الأورشليمي)) الذي سكتت عنه المؤتلفة، بموجب التخطيط الذي فرضه بطرس والصحابة على أنفسهم في مطلع دعوتهم (أع ١ : ٢١ ـ ٢٢)، تحاشياً للصدام المبكر مع السلطات اليهودية.

ففي ((**الإنجيل الجليلي**)) بحسب المؤتلفة **العرْضة الأولى** للإنجيل للدعوة والهداية. وفي ((**الإنجيل الأورشليمي**)) بحسب يوحنا **العرْضة الثانية** للإنجيل، وذلك للمسيحيين أنفسهم، قبل غيرهم.

فكان تاريخ سيرة المسيح ودعوته الأوفى.

٣ ـ إنه الدفاع عن المسيحية

غاية يوحنا من تاريخ السيرة الأوفى ومن تعليم المسيح الأكمل كانت **الدفاع عن المسيحية الناشئة**، تجاه التيارات المعارضة لها في ختام القرن الأول.

كانت المسيحية **واقعة بين نارين :** اليهودية العالمية والوثنية الحاكمة في الدولة الرومانية، هذا هو الخصم الأكبر.

أمّا الخطر الأكبر فكان في **الغنوص** التي تستهوي العقول والقلوب ببريقها.

وأداة الحرب ضد المسيحية كانت - إلى جانب الدولة الوثنية - **الحكمة اليونانية** المسيطرة على الرأي العام العالمي، والتي تستغلّها اليهودية في كلامها، والغنوص في صوفيتها.

وإلى جانب ذلك حركتان قريبتان من الدعوة المسيحية، وتعارضانها : حركة المعمدانية « **المندائية** » المنبثقة من دعوة يوحنا المعمدان الذي اعتبره جماعته « مِنْدا » أي « النور » في لغة الأنباط؛ وحركة **النصارى** من بني إسرائيل الذين لم يفهموا الإنجيل إلاّ على ضوء التوراة، فكان السيد المسيح عندهم موسى الجديد، و « ابن الله » على المجاز، لا على الحقيقة.

فعلى تلك **التيارات الخمسة** المعارضة للمسيحية يردّ الإنجيل بحسب يوحنا، يعرض سر المسيح في سيرته ودعوته.

١) الردّ على اليهودية

كانت الأناجيل المؤتلفة تميّز الأحزاب اليهودية الدينية، بين أخصام يسوع. لكن يوحنا، على ضوء موقف اليهود من المسيحية في مجمع جَمْنية الذي طرد النصارى من بني إسرائيل من مجامعهم، يجعل « اليهود » جملة خصماً للمسيح. فهو يردّد، « قال له اليهود » .

وردّ الإنجيل عليهم بأن يسوع هو المسيح الموعود، وأن **المسيح المشهود أعظم من المسيح الموعود.** فمنذ الفاتحة يعلن موقفهم الإجماعي : « أتى إلى بني قومه، وبنو قومه لم يقبلوه » (١ : ١١). ومنذ الفاتحة يعلن أيضاً **فضل الإنجيل على التوراة :** « إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧).

ويبرهن الإنجيل على **مسيحية يسوع** من شهادة المعمدان لوفد السنهدرين : إنه ليس المسيح، ولا النبي؛ إنما النبي الأعظم، السيد المسيح، يأتي بعده، وهو الآن بين ظهرانيهم، والمعمدان نفسه لا يستحق أن يحل سير

حذائه (١ : ١٩ - ٢٨). ثم من إيمان علماء اليهود الصادقين مثل نيقوديم (٣ : ١ - ١٥)؛ ومن إيمان السامريين الخوارج الذين أعلنوا بعد زيارته لهم أنه « مخلص العالم » (٤ : ٤٢)؛ ومن إيمان المتقين من الأمميين، كوفد الهلينيين (١٢ : ٢٠ - ٣٢)؛ ومن استشهاده بكتبهم المقدسة التي تشهد له : فيسوع هو أعظم من موسى سيد الشريعة، ومن إبراهيم نفسه سيد النبوّة (٥ : ٣٩ - ٤٠).

ويأتي التصريح الضخم **بإلهيته** أولاً في عيد الخيام : « الحق الحق أقول لكم : **قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن** » ! « **فأخذوا حجارة ليرجموه**، غير أن يسوع توارى وخرج من الهيكل » (٨ : ٥٨ - ٥٩). فقد فهموا أنه يعلن إلهيته؛ بإعلان أزليته. ثم في عيد التجديد يأتي التصريح بإلهيته أوجز وأعجز : « **أنا والآب واحد** » (١٠ : ٣٠)؛ « حينئذٍ تناول اليهود من جديد حجارة لكي يرجموه » (١٠ : ٣١). فقد فهموا أنه يصرّح بإلهيته بمعادلته لله الآب. فجادلهم من الكتاب بإلهيته، وأنه « ابن الله » (١٠ : ٣٦)؛ وبيّن لهم كيفيتها : « **إن الآب فيّ، وأنا في الآب** » (١٠ : ٣٨) بوجود كياني، حياتي، ذاتي. « فطلبوا أيضاً أن يقبضوا عليه، فتخلّص من أيديهم، وانطلق أيضاً إلى عبر الأردن » (١٠ : ٣٩).

ويسوع يعلن لهم مراراً أن شهادة الآب له **بالأعمال المعجزة** التي يعملها لتأييد دعوته، والكشف عن شخصيته، أعظم من شهادة الكتاب نفسه : « إن الأعمال التي أولاني الآب أن أعملها، هذه الأعمال عينها التي أنا أعملها، هي تشهد لي بأن الآب قد أرسلني (٥ : ٣٦)؛ « إن كنت لا أعمل أعمال أبي، ولا تريدون أن تصدّقوني، فصدّقوا هذه الأعمال، لكي تعلموا وتشهدوا أن الآب في، وأنا في الآب » (١٠ : ٣٨).

وأفضل من هذه المعجزات شهادة الآب نفسه بالصوت الحي في عماده، وفي تجلّيه : « والآب الذي أرسلني هو نفسه شهد لي! لكنكم لم تسمعوا صوته، ولا رأيتم صورته » (٥ : ٣٧).

أخيراً تصاريح يسوع المتواترة في **مصدره الإلهي** كلها تعلن أنه المسيح، ابن الله. يمتاز بينها إعلانه المتواتر : « **أنا هو** » الذي يتخذ فيه اسم الله نفسه، « يهوه » عندهم.

فالرد على اليهودية متواتر مفحم، في كشف متصاعد محكم.

لكن في كفر اليهود به جملةً سرّ تنبأ عنه الكتاب : «ولم يكن في وسعهم أن يؤمنوا، لأن أشعيا قال : «أعمى عيونهم، وقسّى قلوبهم، لئلا يبصروا بعيونهم، ولا يفهموا بقلوبهم، فيرجعوا إليّ فأشفيهم » ... ومع هذا فإن كثيرين، حتى من الأعيان، قد آمنوا به، لكنهم لم يجاهروا بذلك، بسبب الفريسيين، خشية قطعهم من الجماعة : فإنهم آثروا مجد الناس على مجد الله » (١٢ : ٣٧ - ٤٣).

٢) الردّ على « المندائية » ، جماعة يوحنا المعمدان

جماعة يوحنا المعمدان الذين فضلوا إتباعه على إتباع يسوع المسيح كما أشار عليهم هو نفسه، قد اتخذوا في أواخر القرن الأول اسم « المندائيين » أو « المِنْدائية » ؛ وبقي منهم بقية إلى اليوم على شط العرب في العراق يُعرفون باسم « **الصابئة** »(١) .

ففي عرْفهم « مِنْدا » هو « النور » الإلهي الذي حلّ في المعمدان على قول زعيمهم كَيرَنْثس الذي كان يدعو في أفسس على أيام يوحنا الرسول.

لذلك يستفتح الإنجيل بشهادة تلميذ المعمدان الذي تبع يسوع :

« كان مرسل من الله اسمه يوحنا   جاء للشهادة، ليشهد للنور
حتى يؤمن الجميع على يده   فلم يكن هو النور، بل ليشهد للنور »
(١ : ٦ - ٨).

كما ينقل شهادة المعمدان نفسها لوفد السنهدرين : إن المسيح « هو الآتي بعدي! وأنا لست مستحقاً أن أحلّ سير حذائه » (١ : ٢٧). وشهادته للجماهير ولتلاميذه : « ويوحنا يشهد له ويهتف، قال : هذا هو الذي قلت عنه : إن الذي يأتي بعدي **هو أفضل مني، لأنه القديم من قبلي** » (١ : ١٥).

---

(١) وهم « الصابئة » الذين يذكرهم القرآن في عداد الموحدين.

والمعمدان يُظهر فضل المسيح عليه بأنه **رجل الروح الأعظم**؛ وهذه هي علامة الله له: « إن الذي ترى الروح ينزل عليه هو الذي يعمّد بالروح القدس، فذلك ما قد شاهدت، وأشهد أنه هو ابن الله » (١ : ٣٣ - ٣٤). فرسالة يسوع المسيح أفضل من رسالة يوحنا المعمدان: هو يعمّد بالماء، ويسوع المسيح يعمّد بالروح القدس؛ والمعمدان نفسه هو الذي وجّه تلاميذه إلى يسوع المسيح، وكان يوحنا الرسول منهم (١ : ٣٥ - ٥١).

ولمّا قام جدال بين الأتباع على أفضلية عماد المعمدان أو عماد يسوع المسيح، احتكم تلاميذ المعمدان إلى معلمهم، فشهد لهم الشهادة الأخيرة : « أنتم أنفسكم تشهدون لي بأني قلت: أنا لست المسيح، إنما أنا مرسل أمامه » ! وما أنا سوى صديق للمسيح، العريس الإلهي، يفرح بعرس دعوته؛ « ذلك هو فرحي، وقد تمّ! فله ينبغي أن ينمو، ولي أن أنقص » (٣ : ٢٢ - ٣٠). هذا هو مثال الوداعة العظيم.

ويوحنا الرسول يفاضل بين المسيح وبين المعمدان بقوله : إن المعمدان بشر من الأرض، فهو أرضي، وكلامه أرضي؛ أما المسيح فهو من العلاء، ويشهد بما شاهد في السماء. لذلك فهو ينطق بكلام الله المطلق، لأنه يحمل ملء الروح الإلهي، ولم يُعْطَ الروح بتقتير مثل المعمدان وسائر الأنبياء (٣ : ٣١ - ٣٦).

فالنور، « مِنْدا » الحقيقي، ليس يوحنا المعمدان، بل يسوع المسيح. تلك هي شهادة يوحنا الرسول للمعمدانيين « المندائيين » ؛ وردّه عليهم من تصاريح معلمهم نفسه، كما نقلها عنه تلميذه وتلميذ المسيح معاً. ويقول بمرارة : « إنه يشهد بما شاهد وسمع، لكن شهادته لا يقبلها أحد! ومَن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق » (٣ : ٣٢ - ٣٣).

ومن بعد ينقل تصريح المسيح : « **أنا نور العالمين** » (٨ : ١٢). ويختم الدعوة بالشهادة عينها : « **أنا النور**، قد جئت إلى العالم لكي لا يمكث في الظلام كلّ مَن يؤمن بي » (١٢ : ٤٥). ويتحداهم بقوله : « ما دام النور معكم، فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور » (١٢ : ٣٦).

فالنور المطلق، « مِنْدا » هو يسوع المسيح، لا يوحنا المعمدان.

هذا هو ردّ الإنجيل على « المندائية » بلغتهم عينها.

٣) الرد على النصارى من بني إسرائيل

كان هذا الرد الهمّ الأكبر عند الصحابة وأتباعهم؛ وهو يملأ « العهد الجديد » . فقد رأينا في **رسائل بولس** صراع « المسيحية » مع « النصرانية » لتحريرها من اليهودية، ومن سيطرة العقلية التوراتية عليها.

وقد رأينا في **الرسائل الأخرى** تحوّل النصارى من بني إسرائيل إلى « الشيعة » ، بالنسبة للمسيحية « السُنّة » ، خارجين على الإيمان الحق بالمسيح، « ابن الله » ، بسبب سيطرة العقلية التوراتية عليهم.

ففي رسالة يعقوب، زعيم أهل البيت، يظهر التشيّع للتوراة وأهل البيت صريحاً، في وجوب التقيد بالشريعة والإنجيل معاً.

وفي رسالة يهوذا، أخي يعقوب، يصير ذلك التشيّع نفاقاً في المسيحية.

وفي رسالة بطرس الثانية إلى « النصارى » من بني إسرائيل في مهاجرهم، أمسى النفاق في المسيحية ردّة عن الصراط المستقيم، صراط الحق : « إنهم بنو اللعنة! لقد تركوا الصراط المستقيم! ... فقد كان خيراً لهم أن لا يعرفوا صراط البِرّ، من أن يرتدّوا عنه بعدما عرفوه » (٢ : ١٥ و٢٠).

وفي الرسالة إلى « العبرانيين » أي النصارى من بني إسرائيل المستوطنين بفلسطين، نرى أن الردّة « النصرانية » عن المسيحية الحقة بدأت تعم جميع النصارى من بني إسرائيل (٣ : ١٢؛ ١٠ : ٢٦ - ٢٧) : « لأنّا إن كفرنا، بعدما نلنا معرفة الحق، فهناك ما ينتظرنا من هول الدينونة، وغضب نار تلتهم المرتدّين! ... فكم ترون يستوجب عقاباً أشد **مَن يدوس ابن الله**، ويحتقر دم العهد الذي تقدّس به » (١٠ : ٢٦ - ٣٠). وفي ذلك إشارة صريحة إلى كفر النصارى من بني إسرائيل بالمسيح أنه « ابن الله » ، وإلى سوء فهمهم لمعنى صلب المسيح الذي أورثوه لغيرهم.

وفي رسالة يوحنا الحبيب أمسى النصارى من بني إسرائيل « **خوارج** » على المسيحية الحقة : « لقد خرجوا منا! بيد أنهم لم يكونوا منا! لأنهم لو كانوا منا لاستقاموا معنا » (٢ : ١٨ - ١٩). إنهم « خوارج » لأنهم

لا يؤمنون أن المسيح هو « ابن الله أتى بالجسد » (٤ : ١ - ٣)؛ ولا يؤمنون أن يسوع « أتى بالماء والدم، لا بالماء فقط (العماد)، بل بالماء والدم (الصليب والقربان). فلئن كنّا نقبل شهادة الناس (موسى والأنبياء)، فشهادة الله أعظم. وهذه هي شهادة الله التي شهد بها لابنه : **فمن يؤمن بابن الله،** فله هذه الشهادة في نفسه » (٥ : ٥ - ١٠).

والإنجيل بحسب يوحنا **ردٌّ عليهم قبل غيرهم :** فتصاريح المسيح المتواترة **في أُلوهيته،** وفي مصدره الإلهي، وفي الإقامة المتبادلة في الآب والابن، وفي إعلانه المتواتر عن نفسه « **أنا هو** » أي « يهوه » نفسه، كلها شهادة لهم قبل غيرهم، كما يصرح في الخاتمة : « وإنما دُونت هذه (الآيات) لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله » (٢٠ : ٣١).

٤) الردّ على أهل « الغنوص »

كانت « الغنوص » أي « العلم » السرّي شائعة في الهلنستية وفي اليهودية وفي « النصرانية » الإسرائيلية، كما عند أهل قمران. وكانت كلها تقاوم المسيحية باسم « غنوصها » ؛ وتدّعي أن في « غنوصها » النور والحياة، الحقيقة والقيامة. فهي « **العلم** » المنقذ من الضلال، والقائد إلى « النور » الأسمى.

فيكشف الإنجيل سر « الآب » في الله ؛ وسر « الكلمة » ؛ وسر « الروح » . ففيه « الغنوص » الحقيقية.

ويرينا الإنجيل أن المسيح، ابن الله، و « كلمته » ألقاها إلى مريم هو « النور » الحقيقي، والحقيقة الذاتية المنزلة، والحياة الإلهية الآتية إلينا.

وتصاريح المسيح لا يمكن أن تصدر عن مخلوق؛ فمن يتجاسر، وهو في كامل عقله وإيمانه، أن يعلن :

« أنا نور العالمين : فمن تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢).

« أنا القيامة والحياة » (١١ : ٢٥).

« وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠).

« أنا الصراط والحقيقة والحياة : لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (١٤ : ٦).

فكل ما تدّعيه « الغنوص » على أشكالها إنما هو في المسيحية، وقد تجسد في شخص المسيح نفسه.

والإنجيل بحسب يوحنا هو كله أيضاً ردّ على « الغنوص » . وفي هذا الرد الجميل، بصريح الإنجيل، تبرز الدعوة السامية، الإلهية، التي تروق العالم الهلنستي والروماني والسوري، وتنقله جميعاً من سراب « الغنوص » إلى حقيقة المسيحية، التي فيها وحدها تحقيق آماله وأحلامه، بالبلوغ إلى النور والحقيقة، إلى النعمة والحياة، إلى الخلاص والقيامة. فهي « الغنوص » الحقة، والسيد المسيح هو الذي تنتظره أحلام البشرية جمعاء.

٥) الردّ على الحكمة اليونانية والكلام اليهودي

تواتر فيهما تعبير ضخم تائه ينتظر مصيره : « **الكلمة** » ، « **لوغس** » أي النطق الروحي العقلي الذاتي. فهذا التعبير العظيم الذي يمثل ذروة تفكيرهم وكلامهم للاتصال بالله، اقتبسه الإنجيل بحسب يوحنا في فاتحته، ليجعله مفتاح الإنجيل كله، ويصف به سر المسيح، فأوجز وأعجز :

« في البدء كان الكلمة — والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة — فهو منذ البدء في الله

كل شيء به كُوّن — وبدونه لا شيء ممّا كُوّن
فيه كانت الحياة — والحياة نور العالمين ...

والكلمة صار بشراً وسكن بيننا — ونحن قد شاهدنا مجده
مجد الآب في ابنه، الوليد الوحيد، — ملء النعمة والحقيقة ...

فالله لم يره أحد قط — الإله الابن، الوليد الوحيد
الذي في حضن الآب — هو نفسه قد أظهره »

فالسيد المسيح هو نفسه « الكلمة » التي بها يتغنون. فليس مخلوقاً قبل الخلق، كما يظنون. إنما هو من ذات الله، في ذات الله.

وهو وحده بتجسّده قد أظهر الله نفسه (١ : ١٨) فكان بذاته مظهر الله. لذلك فهو « ملء النعمة والحقيقة » التي ينشدها أهل الكتاب والأمميون. وهو « سكينة » الله بين البشر، لا تابوت العهد عند اليهود، ولا هياكلهم عند الأمميين : « والكلمة صار بشراً وسكن بيننا » لكي نرى نور الله على وجه يسوع المسيح.

فالإنجيل بحسب يوحنا هو الرد الجميل، بصريح الإنجيل، على تلك التيارات المعارضة كلها، في عرض لسيرة المسيح وسره، من أقواله وأعماله وأحواله، يكفي منها ما قلّ ودلّ على أنه وحده « الكلمة » (١ : ١)، « المسيح ابن الله » (٢٠ : ٣١). فالحياة الحقة هي في الإيمان به. والغنوص الصحيحة، « العلم » الحق، هو في المسيحية.

ثانياً : أسلوب التكميل في الإنجيل

هذا هدف بارز فيه من الإشارات العابرة، ومن الموافقات بينه وبين الأناجيل المؤتلفة، ومن المفارقات التي انفرد بها.

١ - الإشارات العابرة الدالة على التكميل

الإشارة الكبرى هي اكتفاؤه بما دوّنوه وافياً. فقد دوّنوا « **الإنجيل الجليلي** » فأكمله « **بالإنجيل الأورشليمي** » ؛ وأكمل « الإنجيل الجليلي » بذكر **مطلعه** بالدعوة في منطقة النصارة (عرس قانا)، وبذكر **عقدته** (مخلّع أورشليم)، وبذكر **خاتمته** في « خبز الحياة » ورِدة كثيرين من تلاميذه بسببه.

والإشارة العابرة نراها في قوله مثلاً : « ألم أكن أنا اخترتكم أنتم الاثني عشر » (٦ : ٧١). مع أنه لم يذكر اصطفاء الصحابة الاثني عشر الذي فصله المؤتلفة. وفي قوله : « لأنه لم يكن يوحنا قد أُلقي بعد في السجن » (٣ : ٢٤)؛ والأناجيل المؤتلفة تبدأ الدعوة من بعد سجن المعمدان. فيقول متى: « ولما سمع أن يوحنا قد أُوقف انصرف من اليهودية إلى الجليل » . ويقول مرقس : « وبعدما أُسلم يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل » .

ويقول لوقا : « أضـاف (هيرودس) إلى جميع الشرور التي فعلها أنه حبس يوحنا في السجن » .

كذلك بعد معجزة تكثير الخبز لآلاف النـاس، أشـار متـى (١٤ : ٢٢) ومـرقس (٦ : ٤٥) أن يسوع اضطر تلاميذه أن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع. ولا نفهم سبب ذلك، حتى أوضحه يوحنا بقوله : « وإذ علم يسوع أنهم مزمعون أن يـأتوا ويختطفوه ليقيموه ملكاً، ذهب إلى الجبل وحده » .

وفي قصة المرأة التـي دهنت قدمَي يسوع بالطيب ومسحتهما بشعر رأسـها، فـي بيت عنيا، يذكر متى (٢٦ : ٦) ومرقس (١٤ : ٣) أنّ « امرأة » فعلت ذلك، بينما يوضـح يوحنـا أنها كانت « مريم » أخت لعـازر (١٢ : ٣)؛ ويؤكد أنهـا « دهنت قدميـه بالطيب » ، مـن دون ذكر الرأس، لأنها كانت عادة مألوفة.

٢ - الموافقات بين يوحنا والمؤتلفة

هذه الموافقات تدل على معرفة يوحنا بالأناجيل المؤتلفة كما نقل أوسـابيوس القيصـري عن أسلافه : « إن الأناجيل الثلاثـة المذكورة، إذ وصلت إلـى أيدي الجميـع، **وإلـى يديـه أيضـاً،** يقولون : بأنه قبّلها وشهد بصحتها » . فلم يخـرج يوحنـا عن التـراث الإنجيلـي المنقول بـالتواتر والإجماع.

١) الموافقات الخاصة

فهو يشـير (يو ٢ : ١٨) كمـا يشـير المؤتلفـة إلـى طلـب اليهـود منـه آيـة يدل بهـا علـى صحة رسالته (متى ١٢ : ٣٥ و٤٨؛ ١٦ : ١ - ٤؛ مرقس ٨ : ١١ - ١٣؛ لوقا ١١ : ١٦ و٢٩ - ٣٢).

وإلى اتهامهم المسيح بأن فيه شيطاناً (يوحنا ٨ : ٤٨ - ٥٢؛ ١٠ : ١٩ - ٢١؛ قابل متى ٩ : ٣٤؛ ١٢ : ٢٤؛ مرقس ٣ : ٢٢؛ لوقا ١١ : ١٥).

وإلى اتهامهم بأنه ينقض السبت (يوحنا ٧ : ٢٢؛ قابل متى ١٢ : ١٢؛ مرقس ٢ : ٢٣؛ لوقا ٦ : ١).

كذلك قول يسوع عند يوحنا (٢ : ١٩) : « انقضوا هذا الهيكل، وأنا في ثلاثة أيام أُقيمه » ، له مرادفه عند متى (٢٦ : ٦١) وعند مرقس (١٤ : ٥٨؛ ١٥ : ٢٩).

وقد اكتفى يوحنا بما ذكره المؤتلفة عن العشاء السرّي. لكنه أكملهم بذكر خطاب يسوع في « خبز الحياة » (٦ : ٤٨ - ٥٩).

وقد أغفل ذكر عظة المسيح على الجبل لأن متى ولوقا قد وفّياها حقّها؛ لكن أكملهم بذكر حديث يسوع بعد العشاء السري (ف ١٤) وقبل ارتفاعه إلى السماء (ف ١٥ - ١٧).

شروط التلمذة ليسوع يذكرها يوحنا كما تذكرها المؤتلفة. قابل بين يوحنا ١٢ : ٢٥ وبين متى ٦ : ١؛ ٢٥ : ٢٦؛ ومرقس ٨ : ٣٥ - ٣٦؛ ولوقا ٩ : ٢٤ - ٢٥. كذلك قابل بين يوحنا ١٣ : ١٣ - ١٤ وبين متى ١٠ : ٢٤؛ ولوقا ٦ : ٤٠؛ وقابل أيضاً بين يوحنا ١٣ : ١٦؛ ١٥ : ٢٠؛ وبين متى ١٠ : ٢٤؛ وقابل أخيراً بين يوحنا ١٣ : ٢٠؛ ومتى ١٠ : ٤٠؛ ولوقا ١٠ : ١٦.

تعليم يسوع بالأمثال هو ميزة الأناجيل المؤتلفة لأنها تنقل دعوة المسيح الشعبية في الجليل؛ بينما يوحنا ينقل دعوة المسيح العلمية في أورشليم. لكن أسلوب الأمثال وارد أيضاً عند يوحنا، كما أفرد بعض العلماء كتاباً بذلك. منها مثل الراعي الصالح (١٠ : ١ - ١٦)؛ الكرمة والأغصان (١٥ : ١ - ٨).

وقد أغفل يوحنا ذكر مولد السيد المسيح من العذراء مريم، لأنه اكتفى بما نقله متى ولوقا. مع ذلك يصرّح مراراً بأنه « نزل من السماء » ، خصوصاً في خطاب « خبز الحياة » . وينقل استغرابهم : « أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي نعرف أباه وأُمه، فكيف يقول : إني نزلت من السماء » (٦ : ٤٢).

ولم ينقل يوحنا خبر عماد المسيح على يد يوحنا المعمدان، لأنه اكتفى بما قاله المؤتلفة. وأكملهم بنقل شهادة المعمدان في عماد يسوع (١ : ٣٢ - ٣٤).

كذلك لم ينقل حادثة التجلّي، مع أن فيها ذروة كشف المسيح لصحابته

عن سر ذاته؛ لأنه اكتفى بما نقله المؤتلفة؛ وأوجز شهادته للحادث الجلل بقوله : ((ونحن شاهدنا مجده، مجد الآب في ابنه الوليد الوحيد، ملء النعمة والحقيقة)) (١ : ١٤).

وقد تصل الموافقات إلى الألفاظ عينها، كقوله : ((طيب ناردين خالص غالي الثمن)) (يوحنا ١٢ : ٣ = مرقس ١٤ : ٣). كذلك الموافقة بين يوحنا (١٢ : ٧) ومرقس (١٤ : ٦٨)؛ وبين يوحنا (١٢ : ٨) ومرقس (١٤ : ٨)؛ والموافقة بين يوحنا (١٣ : ٣٨) وبين لوقا (٢٢ : ٣٤)؛ كذلك يوحنا (١٩ : ٤١) ولوقا (٢٣ : ٥٣).

٢) الموافقات العامة في الأحداث

- الموافقة بين يوحنا (٢٠ : ١١ - ١٨) ومرقس (١٦ : ٩ - ١١) في ظهور المسيح للمجدلية بعد قيامته.

- الموافقة **بين يوحنا وبين متى ومرقس** معاً في الأحداث التالية :

انفراد يسوع على الجبل للصلاة (يوحنا ٦ : ١٥ = متى ١٤ : ٢٣؛ مرقس ٦ : ٤٦).

معجزة تكثير الخبز لآلاف الناس (يوحنا ٦ : ١٦ - ٢١ = متى ١٤ : ٣٢ - ٣٨؛ مرقس ٧ : ١ - ١٦).

الكلام في تقاليد اليهود (يوحنا ٦ : ٢٢ - ٧١ قابل متى ١٥ : ١ - ١٤ ومرقس ٧ : ١ - ١٦).

وليمة مرتا ومريم ليسوع في بيت عنيا، ودهن قدميه بالطيب (يوحنا ١٢ : ٣ قابل متى ٢٦ : ٦ ومرقس ١٤ : ٣).

المحاكمة المدنية لدى بيلاطس (يوحنا ١٩ : ٢ - ١١ قابل متى ٢٧ : ٢٧ - ٣٠ ومرقس ١٥ : ١٦ - ١٩).

- الموافقة **بين يوحنا وبين المؤتلفة الثلاثة** في أحد عشر حادثاً :

إطعام خمسة آلاف، سوى النساء والصبيان، من خمسة أرغفة وسمكتين (يوحنا ٦ : ١ - ١١ قابل متى ١٤ : ١٣ - ٢٢ ومرقس ٦ : ٣٢ - ٤٥ ولوقا ٩ : ١٠ - ١٧).

دخول يسوع إلى أورشليم على جحش (يوحنا ١٢ : ١٢ ـ ١٩ قابل متى ٢١ : ١ ـ ١١ ومرقس ١١ : ١ ـ ١٠ ولوقا ١٩ : ٢٩ ـ ٤٤).

رسم سرّ القربان في العلية الصهيونية (يوحنا ١٣ : ١ ـ ٣٠ قابل متى ٢٦ : ١٧ ـ ٣٠ ومرقس ١٤ : ١٢ ـ ٢٦ ولوقا ٢٢ : ٧ ـ ٣٠).

نزاع يسوع في بستان الزيتون **وصلاته** (يوحنا ١٨ : ١ قابل متى ٢٦ : ٣٦ ومرقس ١٤ : ٣٢ ـ ٣٤ ولوقا ٢٢ : ٣٩).

خيانة يهوذا في القبض على يسوع في بستان الزيتون (يوحنا ١٨ : ١ ـ ١١ قابل متى ٢٦ : ٤٦ ـ ٥٦ ومرقس ١٤ : ٢٤ ـ ٥٢ ولوقا ٢٢ : ٤٧ ـ ٥٣).

محاكمة المسيح الدينية في منزل قيافا (يوحنا ١٨ : ٢٤ قابل متى ٢٦ : ٥٧ ـ ٦٦ ومرقس ١٤ : ٥٣ ـ ٦٤ ولوقا ٢٢ : ٥٤). لكن يوحنا انفرد بذكر استجواب يسوع من قبل لدى حنان (١٨ : ١٢ ـ ٢٣).

محاكمة يسوع المدنية لدى الوالي الروماني (يوحنا ١٨ : ٢٨ ـ ٣٨ قابل متى ٢٧ : ١ ـ ١٤ ومرقس ١٥ : ١ ـ ٥ ولوقا ٢٣ : ١ ـ ٥).

الحكم المدني على يسوع في « ليثرتس » (يوحنا ١٩ : ١ قابل متى ٢٧ : ١٥ ـ ١٦ ومرقس ١٥ : ٦ ـ ١٥ ولوقا ٢٣ : ١٢ ـ ٢٥).

لقاء بنات أورشلم الباكيات على درب الصليب (يوحنا ١٩ : ١٧ قابل متى ٢٧ : ٣٣ ومرقس ١٥ : ٢٢ ولوقا ٢٣ : ٣٨).

صلب يسوع على جبل الجلجلة والهزء به (يوحنا ١٩ : ١٨ ـ ٣٠ قابل متى ٢٧ : ٣١ ـ ٥٦ ومرقس ١٥ : ٢٣ ـ ٤١ ولوقا ٢٣ : ٣٣ ـ ٤٩).

دفن يسوع في قبر جديد بجوار جبل الجلجلة (يوحنا ١٩ : ٣٨ ـ ٤٧ قابل متى ٢٧ : ٥٧ ـ ٦١ ومرقس ١٥ : ٤٢ ـ ٤٧ ولوقا ٢٣ : ٥٠ ـ ٥٦).

٣ ـ المفارقات التي انفرد بها يوحنا

المفارقة الكبرى أنه نقل « **الإنجيل الأورشليمي** » الذي سكت عنه المؤتلفة، ما عدا لوقا الذي ذكر بعضه في القسم الوسيط من إنجيله.

أما **المفارقات الخاصة** فأربع وعشرون :

شهادة المعمدان للمسيح (١ : ٢٨ ـ ٣٤).

معجزة قانا الجليل (٢ : ١ - ١١).

إقامة أولى عابرة في كفرناحوم (٢ : ١٢).

الحج إلى الفصح الأول في أورشليم (٢ : ١٣).

الحوار مع نيقوديم (٣ : ١ - ٢١).

رسالة العماد على طريقة المعمدان (٣ : ٢٢).

الحديث مع السامرية (٣ : ٥ - ٢٦).

استقبال أهل كفرناحوم للمسيح (٤ : ٤٥).

شفاء ابن قائد حامية كفرناحوم من قانا الجليل (٤ : ٤٦).

الحج في الفصح الثاني إلى أورشليم، وشفاء مقعد فيها (٥ : ١ - ٩).

الدعوة في عيد الخيام، ومحاولة القبض عليه (٧ : ١ - ٥٣).

قضاء ليلة في جبل الزيتون (٨ : ٢ - ١١).

الدعوة في عيد التجديد، ومحاولة ثانية للقبض عليه (١٠ : ٢٢ - ٣٩).

الدعوة الناجحة في غور الأردن (١٠ : ٤٠ - ٤٢).

معجزة إحياء لعازر في بيت عنيا (١١ : ٣٨ - ٤٤).

استجواب المسيح الأول عند حنان (١٨ : ١٢ - ٢٣).

استجواب المسيح في بلاط الوالي (١٩ : ٤ - ٨).

نداء بيلاطس في دار الولاية : « أأصلب ملككم » (١٩ : ١٢ - ١٦).

ظهور المسيح الأول لصحابته في غياب توما (٢٠ : ١٩ - ٢٥).

ظهور المسيح الثاني لصحابته بحضور توما (٢٠ : ٢٦ - ٢٩).

ظهور المسيح الثالث لبعض صحابته عند بحيرة طبريا (٢١ : ١ - ١٤).

٤ - تحديد يوم الصلب

يصرّح يوحنا : « وإذ كان **يوم التهيئة**، فلئلا تبقى الأجساد على الصليب في السبت، لأن ذلك السبت كان يوماً عظيماً **...** » (١٩ : ٣١) **لاجتماع السبت والفصح معاً**. فصلب المسيح تمّ يوم الجمعة؛ وبعد الصلب كان أكل « الفصح » ، ليلة السبت على حسابنا، وفي أول يوم السبت

على حسابهم، لأن اليوم يبدأ عندهم بعد الغروب. فأكمل يوحنا ما كان غامضاً عند المؤتلفة.

وعليه فقد قدّم السيد المسيح العشاء الفصحي يوماً عن ميعاده.

لكن يظهر من المؤتلفة أن المسيح **أكل الفصح في ميعاده** (متى ٢٦ : ١٧؛ مرقس ١٤ : ١٢؛ لوقا ٢٢ : ١). فهل من اختلاف بينهم وبين يوحنا ؟

كلاّ ليس من خلاف **لأن القرائن** تدل على أنه أكل الفصح قبل ميعاده بيوم واحد :

١) على العشاء السري قال يسوع ليهوذا : « ما أنت فاعله، فافعله سريعاً » فظن بعض الصحابة أن يسوع قال له : « اشترِ ما نحن بحاجة إليه للعيد » (يوحنا ١٣ : ٢٨ - ٢٩) وعليه فإن العيد لم يدخل بعد.

٢) ان رؤساء الكهنة، لما قدّموا يسوع إلى بيلاطس، « لم يدخلوا إلى دار الولاية لئلا يتنجسوا فيمتنعوا عن الفصح » (يوحنا ١٨ : ٢٨). وعليه فإن العيد لم يدخل بعد.

٣) أما قول لوقا : « **وحلّ يوم الفطير** (المسمى الفصح ٢٢ : ١) حيث كان ينبغي أن يُذبح الفصح لنأكله » (٢٢ : ٧) فمعناه « اقترب » لأن الاستعداد لم يعني أنه لم يحل بعد.

٤) أما قول متى : « **وفي اليوم الأول من الفطير**، دنا التلاميذ إلى يسوع وقالوا له : أين تريد أن نعدّ لك، فتأكل الفصح » (٢٦ : ١٧)، فلفظ « أول » يعني « قبل » في اصطلاح الإنجيل، كما يظهر من قول يوحنا المعمدان : « الذي يأتي بعدي **هو أول**، لأنه كان قبلي » (١ : ٣٠). والاستعداد للفصح يعني أنه لم يحل بعد.

٥) كذلك الأمر في قول مرقس : « **وفي اليوم الأول من الفطير**، الذي فيه يُذبح الفصح ... » (١٤ : ١٢).

لكن لأقوال المؤتلفة تفسير آخر سيرد بعد قليل.

٦) أحد الصحابة يحمل سيفاً يضرب به عبد رئيس الكهنة (متى ٢٦ : ٥؛ مرقس ١٤ : ٤٧؛ لوقا ٢٢ : ٥٠). ولا يحل في العيد حمل السلاح، فالعيد لم يحل بعد.

٧) يوسف الرامي استوهب الوالي جسد يسوع المصلوب؛ « فاشترى كفناً وأنزله ولفّه في الكفن » (مرقس ١٥ : ٤٦). فول كان يوم الفطير لمَا حلّ له الشراء.

٨) اتفق المؤتلفة الثلاثة على أن اليهود صادروا سمعان القيرواني، وهو راجع من الحقل، ليحمل صليب المسيح (متى ٢٧ : ٣٢؛ مرقس ١٥ : ٢١؛ لوقا ٢٣ : ٢٦). فلو حلّ يوم الفطير، لَمَا صح له أن يعمل في الحقل.

٩) اتفق المؤتلفة الثلاثة على أن يسوع أكل في العشاء السري « خبزاً » . وتعبير « أرْتُسْ » اليوناني يعني « **خبزاً مختمراً** » ، وهو لا يحل يوم « الفطير » .

مع ذلك **فظاهر تعبير المؤتلفة الثلاثة :** « في اليوم الأول من الفطير » يعني أن « يوم الفطير » قد حلّ. **وفي هذا خلاف ظاهر مع يوحنا.**

إن عيد الفصح عند اليهود يقع في ١٤ نيسان عبري؛ فأكل الفصح يتم مساء ١٣ نيسان عبري على حسابنا، الذي هو بدء ١٤ نيسان عبري على حسابهم. لكن الخلاف بين أهل الجليل وأهل اليهودية يقع في **رؤية هلال العيد.** فأهل الجليل قد يرونه قبل أهل أورشليم. وعلى هذا يحل « يوم الفطير » عندهم يوماً قبل أهل أورشليم. فيكون يسوع قد أكل الفصح « يوم الفطير » بحسب رؤية الهلال عند أهل الجليل، وصحابته منهم.

بناء عليه، فالمؤتلفة أخذت بحسب رأي أهل الجليل؛ ويوحنا فضّل رأي أهل أورشليم، ليقول بأن صلب المسيح قد تمّ عندما كان أهل أورشليم يذبحون الحمل الفصحي.

فيسوع قدّم يوماً أكل الفصح، بحسب رواية يوحنا؛ ولم يقدمه بحسب رواية المؤتلفة. وليس في ذلك من خلاف، لاختلافهم في رؤية هلال العيد.

وعليه فيكون يوحنا قد أكمل المؤتلفة بتحديد يوم الفصح، وتحديد يوم صلب المسيح.

فهدف يوحنا هو **تكميل المؤتلفة**، مع **أهدافه الأخرى** من دفاع وتاريخ وتعليم.

* * *

بحث ثالث

الإنجيل بحسب يوحنا هو تكميل الوحي الإنجيلي كله

بالنسبة لما سبقه من تدوين الوحي الإنجيلي، كان الإنجيل بحسب يوحنا **خاتمته وتكميله**. فما هي صلاته بما سبقه ؟

ظاهرتان تميزان تلك الصلات : **اعتماد ما سبقه وتكميله**. بذلك تظهر رغبة يوحنا **بالحفاظ على التراث الإنجيلي الكامل**. فصلاته بالدعوة الرسولية الشفوية، وبالأناجيل المؤتلفة، وببولس الرسول، وبالرسالة العبرية، كلها ظاهرة، ويظهر عليها ميزة التكميل.

أولاً : صلة يوحنا بالدعوة الرسولية الشفوية

دعوة الرسل الصحابة بالإنجيل كانت أولاً شفوية، على مثال السيد المسيح. ومع الإيمان المنتشر بالدعوة ظهرت الحاجة إلى التدوين.

فالإنجيل الشفوي ظل أساس الإنجيل المدوّن. ويوحنا الرسول لم يشذّ عن القاعدة. فهو أيضاً ينتسب إلى الإنجيل الشفوي، خصوصاً وهو شاهد العيان للدعوة منذ مطلعها (١ : ٣٥ - ٤٠). لذلك فهو ينقل أركان الدعوة الرسولية الشفوية :

١ - تعيين يسوع بأنه المسيح الموعود بحلول الروح القدس عليه، بحسب شهادة المعمدان التي يعتز تلميذ المعمدان فالمسيح بنقلها (١ : ٣١ - ٣٤).

٢ - ظهور « مجد » المسيح الإلهي بأقواله وأعماله وأحواله (١ : ٣٥ - ١٢ : ٥٠).

٣ - قصة الاستشهاد والصلب والقيامة (١٣ : ١ - ٢٠ : ٢٠).

٤ - رسالة الصحابة بمنحهم الروح القدس، وسلطان الغفران (٢٠ : ٢١ - ٢٩).

وميزة يوحنا في ذلك أنه لا ينقل عن غيره، بل يقدم شهادته، شهادة شاهد العيان، « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » (١٣ : ٢٣؛ ١٨ : ١٥؛ ١٩ : ٢٦ و٣٥)؛ الذي وحده من الصحابة حضر المأساة من أولها إلى آخرها، فاستحق أن يتسلّم من المصلوب أُمه وذيعة، وأن يعاين القبر الفارغ صبيحة القيامة (٢٠ : ٢)، وأن يشهد قيامة المسيح وظهوره (٢١ : ٧ و٢٠ - ٢٤).

ففيه أكثر من غيره تتم **شروط الشهادة الرسولية**، كما حدّدها الرسل الصحابة قبل انطلاقهم إلى الدعوة (أع ١ : ٨).

ميزة أخرى في أسلوب شهادته. لقد تتلمذ للمعمدان، قبل السيد المسيح؛ فعاش بجوار قمران، وأثّر أسلوب تعبيرهم وتفكيرهم فيه. ومن مخطوطات قمران التي اكتُشفت حديثاً يظهر أن مسحة من أسلوب « الغنوص » في نشأتها قد غلبت على الجماعة؛ فتميّزوا بها عن أسلوب الربّانيين اليهود. وتظهر رواسب أسلوب الربّانيين، وأسلوب القمرانيين، على أسلوب شهادة يوحنا لرسالة المسيح ودعوته. فهذه شهادة البيئة لصحته.

ثانياً : صلة يوحنا بالأناجيل المؤتلفة.

لقد رأينا ذلك مراراً. ولا بأس بالتركيز تكراراً.

جميع العلماء يقرّون بالإجماع باستقلال يوحنا عن المؤتلفة. فهل كان يجهلهم، أو لا يعبأ بهم ؟ قيل ذلك ظلماً وعدواناً. والواقع أنه يعرف المؤتلفة، وجاء الإنجيل بحسب شهادته **تكميلاً لهم.**

فأكمل الإنجيل الجليلي بحسب المؤتلفة، بالإنجيل الأورشليمي. وأكمل الإنجيل الجليلي نفسه **بذكر مطلعه**، بدء الدعوة في منطقة الناصرة ثم في أورشليم بمناسبة الفصح الأول من الدعوة؛ **وذكر عقدته**، برواية حادثة المخلع في بيت حسدا بأورشليم، وتطور الصراع بين يسوع والسلطة

والفريسيين الذين تبعوه من أورشليم لمراقبته ومكافحته في دعوته. لذلك نصرّ على إبقاء الفصل الخامس في مكانه من الإنجيل، بخلاف غيرنا. أخيراً **بذكر خاتمته** في خطاب « خبز الحياة » الذي سبّب ردّة « كثيرين من تلاميذه » عنه (٦ : ٦٦).

وتظهر صلة لوقا بمدرسة يوحنا أكثر من زميليه. فكانت من لوقا أول محاولة لذكر بعض الإنجيل الأورشليمي مع الإنجيل الجليلي، بمناسبة رحلة يسوع الأخيرة من الجليل، إلى الغور فإلى المدينة المقدسة؛ نجد ذلك في القسم الوسيط من الإنجيل بحسب لوقا.

في الأناجيل المؤتلفة كانت دعوة المسيح إلى **ملكوت الله** أو « ملكوت السماوات » بحسب تعبير متى المأخوذ عن بيئته. فصار محور الدعوة عند يوحنا إلى « **الحياة** » - وكلاهما بمعنى واحد. لكن تعبير « الحياة » يُلائم « تهلين » الإنجيل أكثر. وليست القضية قضية أسلوب فقط، إنما هي صورة لواقع الدعوة الإنجيلية، من شعبية في الجليل تسحرهم تعابير « الملكوت » وعلمية في أورشليم تخلبهم تعابير « الحياة » . فالدعوة واحدة بتعابير مختلفة، بسبب اختلاف البيئة الذي يقتضي اختلاف الأسلوب.

المؤتلفة دوّنوا رسالة المسيح؛ ويوحنّا حلّق إلى مصدرها، بعثته بالتجسّد؛ وإلى ختامها، حضوره الحي في جماعته. فيوحنا نقل دعوة المؤتلفة إلى أعماقها وإلى أبعادها.

ثالثاً : صلة يوحنا ببولس

بولس ويوحنا هما « المتكلمان » في الإنجيل، لتفصيل الدعوة. أما بولس فيفصّلها بالكلام (علم اللاهوت) بأسلوب « الرابي » القديم، وأسلوب الحكمة اليونانية حيث تقوم دعوته. وأما يوحنا فيفصّلها بشهادة شاهد العيان للإنجيل الأورشليمي خاصة. اختلاف في الأسلوب، واتفاق في الموضوع.

وفي الموضوع عينه اختلاف في التعبير، واتفاق في التفكير. تقوم دعوة بولس في رسائله الكبرى إلى « **البِرّ** » في المسيح، لا في الشريعة الموسوية. وتقوم دعوة الإنجيل بحسب يوحنا إلى « **الحياة** » في المسيح،

بالمسيح، للمسيح، وذلك لمجد الله الآب. فدعوة بولس إلى « البِرّ » بالمسيح، هي دعوة الإنجيل بحسب يوحنا إلى « الحياة » بالمسيح. اختلاف الأسلوب في التعبير، لا يمنع وحدة الموضوع في التعليم والتفكير.

ولولا دعوة بولس في أفسس واليونان، لَمَا تهيأت وفُهمت دعوة يوحنا في أفسس وآسيا واليونان. فالدعوتان متكاملتان لتفصيل الإنجيل بالكلام أم بالشهادة.

رابعاً : صلة يوحنا بالرسالة العبرية.

سواء كانت الرسالة إلى العبرانيين من بولس نفسه، أم بالحري من تلميذ له يملك تفكيره ويضيف إليه من عنده ؟ فإننا نجد صلة بين الإنجيل بحسب يوحنا، وبين الرسالة العبرية، في الهدف وفي الموضوع.

في الهدف، تقصد الرسالة العبرية تجاه الخطر اليهودي على « **العبرانيين** » أي النصارى من بني إسرائيل، إلى الارتقاء بهم من « التعليم الابتدائي » في « أركان الدين » (٦ : ١٢) إلى التعليم العالي في كهنوت المسيح وذبيحته على الصليب « فالمسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد » ، تكميل الكتاب والنبوة، وقمة الوحي والتنزيل. كان **كلام الله** كتاباً منزلاً، فصار شخصاً منزلاً، اسمه « **كلمة الله** » الذي اختصر فيه الله تعالى كل وحي وتنزيل. بهذا التطور أبلغ يوحنا تعليم الرسالة العبرية إلى أقصى مداه.

وفي الموضوع، ما تعلمه الرسالة في كهنوت المسيح وذبيحته، نراه شهادة حية قائمة في الإنجيل بحسب يوحنا. فصورة المسيح، الحبر الأعظم، كما كان يمثله يوحنا نفسه، بادية في الإنجيل، خصوصاً في أحاديث المسيح السرية مع تلاميذه، وفي صلاة المسيح « الكهنوتية » (ف ١٧). إن الله الآب « قدّسه وأرسله » (١٠ : ٣٦)؛ وهو « يقدس نفسه » لأجلهم (١٧ : ١٩)؛ لذلك يطلب إلى أبيه : « قدّسهم في الحق، إن كلمتك هي الحق » (١٧ : ١٧). وهذا « التقديس » هو ذبيحة الاستشهاد على الصليب، كأنما على مذبح كوني، منصوب على الدوام بين السماء والأرض.

فالإنجيل بحسب يوحنا متصل في أعماقه بالوحي الإنجيلي الذي سبقه. وجاء هو بأبعاده قمة الوحي الإنجيلي كله.

وسيأتي التفصيل في بحث لاحق.

* * *

بحث رابع

الإنجيل هو تتميم الكتاب

قيمة الكتاب القدسي ظاهرة في الإنجيل. ويسوع يعلنها في كل مناسبة : « لا يمكن أن ينقض الكتاب » (١٠ : ٣٥).

ففي الكتب القدسية حياة أبدية، إذا ما تُليت حقّ تلاوتها، أي كشاهد إلهي للمسيح : « إنكم تبحثون في الكتب، على أساس أن فيها لكم الحياة الأبدية؛ **وهي التي تشهد لي** » (٥ : ٣٩).

سيد الشريعة هو موسى، ويسوع المسيح ينتسب إلى شهادته : « لا تظنوا أني أنا مَن يحجّكم أمام الله. فإن لكم مَن يحجّكم، موسى الذي فيه رجاؤكم. لو كنتم تصدّقون موسى، لصدقتموني أنا أيضاً، **لأنه قد كتب عني** » (٥ : ٤٥ ـ ٤٦). فالسيد المسيح **هو سر الكتاب القدسي** وغايته، لا يُفهم بدونه.

إن الإنجيل هو تتميم الكتاب في أعياده، وفي وعوده ورموزه، وفي نبؤاته كلها. وقد أوجزنا ذلك في أسلوب الإنجيل السباعي.

أولاً : الإنجيل هو تتميم الكتاب في أعياده

من ميزات الإنجيل بحسب يوحنا أنه يركّز رسالة المسيح ودعوته على محور الأعياد اليهودية، للشهادة بأنها تتم بالإنجيل وتكمل.

فهو يجمع السيرة والدعوة ضمن **أربعة أعياد الفصح :** الفصح الأول كان مناسبة الدعوة الأولى في أورشليم واليهودية (١ : ١٩ - ٤ : ٥٤)؛ والفصح الثاني كان عقدة الدعوة في الجليل (ف ٥)؛ والفصح الثالث، فصح « خبز الحياة » ، كان ختام الدعوة في الجليل، بسبب ردّة « كثيرين » من تلاميذه عنه (٦ : ١ - ٧١)؛ والفصح الرابع والأخير كان فصح الاستشهاد والقيامة.

وينفرد الإنجيل بحسب يوحنا بذكر **دعوة يسوع الثانية** في أورشليم واليهودية، ما بين عيد الخيام (٧ : ٢ - ١٠ : ٢١) وبين عيد التجديد (١٠ : ٢٢ - ١١ : ٥٤).

فالإنجيل هو تتميم الكتاب في أعياده.

ثانياً : الإنجيل هو تتميم الكتاب في وعوده ورموزه.

ميزة الإنجيل بحسب يوحنا أنه يُدرج في سيرة المسيح ودعوته تتميم رموز العهد القديم فيه. فيظهر في ذلك أن يسوع هو المسيح الموعود، وأن الإنجيل تتميم الكتاب. وقد اختار **سبعة رموز** دليل الكمال في ذلك.

١) « هذا حمل الله الذي يحمل خطايا العالم » (١ : ٢٩).

إن تعبير « حمل الله » رمز جامع لمعاني عديدة. والمعنى البارز فيها هو الضحية عن خطايا العالم. فالمسيح هو البديل عن حملان العهد القديم في القرابين. به تصل لغة الضحية والقربان إلى غايتها. وهذا التبديل يجعل ضحية المسيح أسمى من ضحايا العالمين من حيوانات الأرض.

ترد الكلمة على لسان المعمدان، فهي **نبوءة ماثلة** تفسّر رسالة المسيح بكل أبعادها.

٢) « انقضوا هذا الهيكل، وأنا أُقيمه في ثلاثة أيام » (٢ : ١٩).

« أما هو فكان يتكلّم على هيكل جسده » (٢ : ٢٢). كل نبوءة يلفها الغموض حتى تتحقق. من ذلك هذه الكلمة للسيد المسيح التي استغلوها في محاكمته.

للتعبير معنيان : الأول استعارة تجعل **جسد المسيح هيكل الله الحي** لقد استبدل الله جميع هياكل الأرض بجسد المسيح ليسكن فيه، فليس من بعد هيكل أورشليم موضع « شخينة يهوه » ، « مسكن الله » ، بل جسد المسيح. والمعنى الثاني أن جسد المسيح، هيكل الرب الحق، « سينقضه » اليهود، لكنه سيقوم هيكلاً حيّاً إلى الأبد.

فكما استبدل يسوع بذاته ضحايا العهد القديم، استبدل بذاته هيكل الله القديم بهيكل جسده الحي الدائم.

٣) « وكما رفع موسى الحيّة في البريّة، كذلك ينبغي أن يُرفع ابن البشر، لكي تكون الحياة الأبدية لكل من يؤمن به » (٣ : ١٥).

كانت الحية في عدن رمز الهلاك، فجاءت في تيه بني إسرائيل رمز خلاص من أوبئة الصحراء. وتمت الاستعارة الرمزية **في صليب المسيح.** فصلب المسيح، الذي ظنوه عاراً قتالاً ليسوع، أصبح مصدر خلاص من جميع الشرور والآثام.

فكما كان النظر إلى حية موسى يشفي من كل خطر، كذلك النظر إلى حية الصليب يشفي من كل إثم. فرمز الهلاك أصبح رمز الخلاص في صليب المسيح.

٤) « أنا خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا » (٦ : ٤٨ - ٤٩)

بعد معجزة تكثير الخبز لآلاف الناس، « أدرك يسوع أنهم عازمون أن يأتوا ويختطفوه، ليقيموه ملكاً، ففرّ وحده إلى الجبل » (٦ : ١٥) أي عزموا على إعلانه المسيح الملك القومي. وما كانت هذه رسالة المسيح الحقيقية.

ولكي يخفّف الزعماء وقع المعجزة في وجدان الشعب، قارنوا بين معجزة الخبز ليسوع، ومعجزة المن لموسى. فكان محور ردّ يسوع عليهم : « آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا! أنا هو الخبز الذي نزل من السماء لكي لا يموت كل من يأكل منه » (٦ : ٤٩). فالإعجاز في المعجزة ليس في حجمها، بل في مفعولها. لذلك يكرر يسوع: « أنا خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨)، « أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء، من يأكل

من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ›› (٦ : ٥١). ثم صرّح : ‹‹ والخبز الذي سأعطيه أنا هو جسدي لأجل حياة العالم ›› (٦ : ٥١)، فالقربان المسيحي هو المنّ الجديد الخالد.

٥) ‹‹ أنا نـور العالمين، من تبعني فلا يمشي في الظلام، بل يكون له نـور الحياة ›› (٨ : ١٢) قابل (٩ : ٥؛ ١٢ : ٤٦).

جاء هذا التصريح بمناسبة إنارة الهيكل بالمصابيح لجماهير الحجّاج. فليس نـور هيكلهم نور العالم، بل يسوع نفسه هو نور العالم.

لكن أبعاد هذا التصريح أعمق. فالنور في العهد القديم كناية عن الوحي، والكتاب، والتوراة : فكلام الله نور؛ وشريعته نور (مز ١١٩ : ١٠٥؛ مز ٤ : ٧؛ أمثال ٦ : ٢٣؛ أشعيا ٢ : ٢ ـ ٥). والمسيح الموعود هو نور الله العتيد (أشعيا ٤٢ : ٦؛ ٤٩ : ٦؛ ٥١ : ٤) هو نور الخلاص (أشعيا ٩ : ١).

فبذلك التصريح يعلن يسوع أنه نور الله الموعود.

وهو نور الله أفضل من الوحي القديم، هو نور الله الحق، لا شريعة موسى. كتاب بني إسرائيل فيه قبس من نور الله؛ أما يسوع فهو نور الله الحق للعالمين : ‹‹ النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان ›› (١ : ٩). ‹‹ وعلى هذا تقوم الدينونة أن نور العالم قد جاء إلى العالم، والناس آثروا الظلمة على النور، لأن أعمالهم كانت شرّيرة ›› (٣ : ١٩).

لذلك ختم يسوع دعوته العامة بقوله : ‹‹ فما دام النور معكم، فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور ›› (١٢ : ٣٦).

‹‹ أنا نور العالم ›› : كلمة لا يمكن أن ينطق بها مخلوق عاقل. وتصريح يسوع بها هو تصريح بإلهيته، وبحقيقة رسالته : ‹‹ لقد أتيت إلى العالم أنا النور، لكي لا يمكث في الظلام كل مَن يؤمن بي ›› (١٢ : ٤٦).

٦) ‹‹ أنا الكرمة الحقة، وأبي الكرّام ... أنا الكرمة وأنتم الأغصان : مَن يثبت فيّ وأنا فيه فهو الذي يأتي بثمر كثير ›› (١٥ : ١ و٥).

في العهد القديم استعار الله ‹‹ الكرمة ›› كناية عن شعبه. وأشعيا (٥)

وحزقيال (١٥) وأرميا (٢ : ٢١) وهوشع (٦ : ٤) يفضلون الاستعارة، وعناية الله بكرمة شعبه.

وفي تصريحه بأنه « **الكرمة الحقة** » يعلن يسوع تتميم النبوة الرمزية فيه. كان إسرائيل كرمة الله، لكنه لم يكن « الكرمة الحقة » ، بل الرمزية. إن « كرمة الله الحقة » هو المسيح والمسيحيون : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان » فالمسيحية هي كرمة الله، شعب الله الحق.

٧) « أنا الراعي الصالح » (١٠ : ١١ و١٤).

هذا الإعلان تجسيد لحقيقة الله، « راعي إسرائيل » . فيسوع ينسب لذاته دور الله. وهذا الإعلان تحدٍ لرعاة إسرائيل الذين أضلّوه، كما قال النبي. ويسوع يعطي ميزتين للراعي الصالح فيه : « الراعي الصالح يبذل حياته عن الخراف (١٠ : ١١)؛ « أنا الراعي الصالح أعرف خرافي وهي تعرفني، كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب » (١٠ : ١٤).

بتلك الرموز أظهر يسوع أنه المسيح الموعود، وأن الكتاب يتم في الإنجيل.

ثالثاً : الإنجيل تتميم الكتاب في نبوءاته.

برهان من براهين يسوع على صحة مسيحيته هو تنفيذه لنبوآت الكتاب، والاستدلال بها على صحة دعوته. وبرهان الكتاب أكبر برهان في بيئة الرسالة عند بني إسرائيل.

فينتسب إلى شهادة الكتب المقدسة **جملةً :** « إنكم تبحثون الكتب على اعتبار أن لكم فيها الحياة الأبدية، وهي التي تشهد لي » (٥ : ٣٩).

وينتسب إليها **تفصيلاً :**

فموسى سيّد الشريعة، والنبي الأعظم عندهم، « موسى الذي فيه رجاؤكم ... **قد كتب عني** » (٥ : ٤٥ - ٤٦). إن « النبي مثلي » الذي وعد به موسى هو يسوع نفسه. فيسوع هو موسى الجديد، خاتمة النبوة والشريعة والكتاب.

ومن قبله إبراهيم، جدّ النبوة والأنبياء، « إبراهيم أبوكم قد ابتهج

لمرأى يومي، فرأى وفرح ›› (٨ : ٥٦). وإذ استنكروا عليه أن يكون رأى إبراهيم، فصعقهم بهذا التصريح : ‹‹ قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن ›› (٨ : ٥٨). فالنبوة والكتاب، منذ اصطفاء إبراهيم، موجهان إلى يسوع المسيح.

ومن بعده أشعيا، سيد النبوة، لمّا رأى مجد رب الصبئوت رأى مجد يسوع نفسه، وتنبّأ عن أحداث حياته، وعن كفر اليهود به: ‹‹ تكلّم أشعيا هكذا، لأنه شاهد مجده وحدّث عنه ›› (١٢ : ٤١). وفي تطبيق الإنجيلي مجد الله على يسوع شهادة بإلهيته وأزليته.

ومنذ البدء تسير رسالة المسيح على هدى الشريعة والنبوة، لكنها تتخطاها بالتحقيق. فمنذ البدء شعر التلاميذ أن يسوع هو المسيح الموعود. فيلبّس، أحد الخمسة الأوائل من التلاميذ، يصادف رفيقه نثنائيل ويقول له : ‹‹ إن الذي كتب عنه موسى في الشريعة، والأنبياء أيضاً، قد وجدناه، إنه يسوع، ابن يوسف، من الناصرة ›› (١ : ٤٥)، يسميه ‹‹ ابن يوسيف ›› لأنه لم يكشف بعد سر مولد المسيح من أُمّ بتول.

بعد معجزة تكثير الخبز وإشباع آلاف الناس، ‹‹ لمّا عاين الناس الآية التي صنعها يسوع أخذوا يقولون : هذا الرجل هو في الحقيقة النبي الآتي إلى العالم ›› (٦ : ١٤) الذي ذكره موسى (التثنية ١٨ : ١٥) وملاخيا (٣ : ١؛ ٤ : ٥ - ٦) أي المسيح الموعود.

ففي زمن الدعوة الإنجيلية كان اليهود ينتظرون ظهور النبي الأعظم الذي وعد به موسى، في ختام سلسلة أنبياء بني إسرائيل. وكانوا يميزون بينه وبين المسيح الموعود، كما سأل وفد السنهدرين يوحنا المعمدان : ‹‹ فشهد وما أنكر، وشهد : إني لست المسيح. فسألوه : إذن ماذا ؟ أئيليا أنت ؟ فقال : لست إياه - النبي أنت ؟ أجاب : كلاّ ›› (١ : ٢١).

لكن لمّا خطب يسوع ‹‹ في اليوم الأخير العظيم من العيد - عيد الخيام ... إذ سمع بعض الجمع كلامه قالوا : **لا جرم إن هذا هو النبي!** وقال آخرون : بل هو المسيح ›› (٧ : ٤٧ و٤٠ - ٤٣). فالجماهير تعترف بأن يسوع هو النبي الموعود والمسيح الموعود. ويسوع يقبل اللقبين، لكنه

لا يطلقهما على ذاته بسبب رواسبهما القومية، ولأنه أعظم من النبي الأعظم والمسيح الأعظم الموعودين. واقع الحال سيظهر أن يسوع يجمع في شخصيته النبي الأعظم على الإطلاق والمسيح الأعظم على الإطلاق.

فالإنجيل تتميم الكتاب جملةً وتفصيلاً في نبؤاته.

رابعاً : الإنجيل تتميم الكتاب في تعاليمه

مبدأ الإنجيل في مطلع دعوته كان : « لا تظنوا أني أتيت لأنسخ الشريعة والنبيّين! إني ما أتيت لأنسخ، بل لأتمّم » (متى ٥ : ١٧). فكان الإنجيل تتميم الكتاب في تعاليمه.

١ ـ يسوع هو المسيح الموعود

شرع موسى : « الله إلهك يُقيم لك نبيّاً من وسطك، من أخوتك، مثلي، له تسمعون ... أجل أُقيم لهم نبيّاً من وسط أخوتهم مثلك » (تث ١٨ ـ ١٥ ـ ١٨).

ويسوع يشهد لليهود : « لا تظنوا أني أنا مَن يحجّكم لدى الآب. إن لكم من يحجّكم، موسى الذي فيه رجاؤكم. فلو كنتم تصدّقون موسى، لصدّقتموني أنا أيضاً، **لأنه قد كتب عني** » (٥ : ٤٥ ـ ٤٦).

٢ ـ المعمدان هو إيليا الموعود

قال النبي ملاخيا : « ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب » (ملاخيا ٤ : ٥).

لكن المعمدان لم يعرف نفسه في شخص إيليا : « فسألوه إذن ماذا ؟ أئيليا أنت ؟ قال : لست إياه » (١ : ٢١).

ويسوع هو الذي كشف أن يوحنا هو تحقيق لرمز إيليا.

٣ ـ المعمدان هو « صوت » أشعيا

تنبّأ أشعيا : « صوت صارخ في البرّية : أعدّوا طريق الله » (٣٠ : ٣).

والمعمدان عرف نفسه في هذا الصوت النبوي : « فقال : أنا صوت صارخ في البريّة: مهّدوا طريق الله، كما قال أشعيا النبي » (١ : ٢٣).

٤ ـ المسيح هو الحكمة الأزلية الذاتية

في أسفار الحكمة يظهر المسيح الموعود بصفة الحكمة الأزلية الذاتية المنزلة (قابل مثلاً سفر الأمثال ٨ : ٢٢ ـ ٣٠)؛ كما أوجزها ملاخيا النبي : « ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل » (٥ : ٢).

فاستعار الإنجيل للتعبير عنها لفظ « الكلمة » :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة فهو منذ البدء في الله » .

٥ ـ المسيح هو « سكينة » الله بين البشر

تنبّأ زكريا : « يا ابنة صهيون ترنّمي واهزجي، فإني هئنذا آتي وأسكن في وسطك، يقول الله » (٤ : ٥).

والإنجيل منذ فاتحته يقول : « والكلمة صار بشراً وسكن فيما بيننا » (١ : ١٤).

٦ ـ المسيح هو تحقيق الحلْم النبوي

أوجزه سفر الأمثال بقوله : « مَن صعد إلى السماء ونزل » (٣٠ : ٤).

فصرّح يسوع مراراً : « أنا الخبز الحي النازل من السماء » (ف ٦). وأعلن لنيقوديم، علامة إسرائيل : « ولم يصعد أحد إلى السماء، إلاّ الذي نزل من السماء ابن البشر الكائن في السماء » (٣ : ١٣).

٧ ـ المسيح هو صخرة الماء الحي

معجزة موسى الكبرى هي المن. سنراها. والثانية التي تشبهها هي الماء الحي الذي فجّره من صخرة.

ويسوع يقول للسامرية : « لو كنتِ تعرفين عطاء الله، ومَن الذي قال لك (أعطيني لأشرب) لكنتِ أنتِ تسألينه، فيعطيكِ ماء الحياة » (٤ : ١٠).

٨ - المسيح هو « خبز الحياة »

معجزة موسى الكبرى هي المن : « فقال الله لموسى : ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء، فيذهب الشعب ويلتقط حاجته يوماً فيوماً » (خر ١٦ : ٤) وبعد معجزة المسيح، تكثير الخبز لآلاف الناس، تحدى اليهود يسوع بقولهم : « آباؤنا أكلوا المن في البرّية، كما هو مكتوب : أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا » (٦ : ٣١).

فأجاب يسوع مرتين : « أنا خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨)؛ وست مرات : « أنا الخبز الحي النازل من السماء » (ف ٦).

٩ - المسيح هو تحقيق الرمز الموسوي

جاء في سفر الأعداد : « وصنع موسى حية من نحاس، ونصبها راية. فكان كل إنسان تلدغه حية، ينظر إلى حية النحاس فيحيا » (٢١ : ٩).

وصرّح يسوع لنيقوديم : « وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن البشر، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٤ - ١٥).

١٠ - تحقيق انتظار « ماسيا »

كان شائعاً بين اليهود. فسأل وفد السنهدرين المعمدان: « أأنت ماسيا أم ننتظر آخر » ؟ « فشهد، وما أنكر، وشهد : إني لست المسيح » (١ : ٢٠).

وكان شائعاً بين السامريين : « قالت له المرأة السامرية : أنا أعرف أن ماسيّا - وهو الذي يدعى المسيح - يأتي : فمتى أتى يبشرنا بكل شيء » .

« قال لها يسوع : أنا هو، أنا المتكلّم معك » (٤ : ٢٥ - ٢٦).

١١ - تحقيق انتظار « النبي » الموعود

منذ نبوءة موسى : « أُقيم لهم نبيّاً مثلك، من وسط أخوتهم » (تث ١٨ : ١٨) والشعب ينتظر تحقيق النبوة.

وبعد معجزة تكثير الخبز، التي شابهت معجزة المن، لمّا عاين الناس

الآية التي عملها يسوع، قالوا : في الحقيقة هذا هو النبي الآتي إلى العالم » (٦ : ١٤).

١٢ ـ العداء بين الإسرائيليين والسامريين

منذ تبادل سكان السامرة، بجلاء بابل، قام عداء بين الإسرائيليين والسامريين الدخلاء الخوارج (سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٤).

وهذا العداء يتردّد صداه في حديث يسوع مع السامرية : « فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب مني أن تشرب، وأنت يهودي، وأنا امرأة سامرية ؟! وكان اليهود لا يخالطون السامريين » (٤ : ٩).

١٣ ـ الخلاف على مكان العبادة

وكان الخلاف على مكان العبادة قد استحكم بين اليهود والسامريين : هل هو جبل أورشليم، أم على جبل السامرة.

فأثارت السامرية هذا الخلاف : « آباؤنا عبدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون : إن المكان الذي تجب فيه العبادة هو في أورشليم » .

« فقال لها يسوع : أيتها المرأة صدقيني : إن الساعة آتية، فيها تعبدون الآب، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم » (٤ : ٢٠ ـ ٢١).

١٤ ـ التوبة الصادقة تقتضي عدم الرجوع إلى الخطيئة

موضوع مكرّر في الكتاب. منه قول عزيز : « أفنعود ونتعدّى وصاياك » (عزرا ٩ : ١٤).

وبعد شفاء مخلع أورشليم، وإفشاء الأمر لليهود، « وجده يسوع في الهيكل فقال له : ها إنك قد عوفيت، فلا تخطأ من بعد لئلا يصيبك أعظم » (٥ : ١٤).

١٥ ـ قيامة الحياة وقيامة الدينونة

جاء في نبوءة دانيال : « وجماعة الراقدين تحت ثرى الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية؛ وهؤلاء إلى الهلاك الأبدي لعارهم » (١٢ : ٢).

وأعلن يسوع : « فلا تتعجبوا من هذا، فإن الساعة آتية، حين يسمع جميع مَن في القبور صوت ابن الله، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (٥ : ٢٨ - ٢٩).

١٦ - الانجذاب إلى الرب يسوع

في نشيد الأناشيد وردت الاستعارة : « اجتذبني وراءك فأجري على خطاك » (١ : ٤).

وقال يسوع : « ما من أحد يقدر أن يُقبل إليّ، ما لم يجتذبه الآب الذي أرسلني » (٦ : ٤٤).

١٧ - التلمذة الموعودة

« وبنوك كلهم يكونون تلاميذ الله » (أشعيا ٥٤ : ١٣؛ قابل أرميا ٣١ : ٣٤).

وفي حوار يسوع مع اليهود في « خبز الحياة » يقول : « لقد كتب في النبيّين : « ويكونوا جميعاً متتلمذين لله : فكل من سمع من الآب وقبل تعليمه يأتي إليّ » (٦ : ٤٥).

١٨ - يطالبون الله ولا يجدونه

تنبّأ هوشع : « بغنمهم وبقرهم يذهبون، ووجه الله يطلبون » (٥ : ٦). وتحدّى يسوع اليهود : « وستطلبوني ولا تجدوني » (٧ : ٣٤).

١٩ - دعوة الأمميين الموعودة

هذه النبوءة تتكرر عند أشعيا النبي، منها قوله : « في ذلك اليوم يكون أن السيّد يمدّ يده ثانية ليقتني بقية شعبه ... ويرفع للأمميين راية » (١١ : ١١ - ١٢).

ولما أشار يسوع لرجوعه إلى الله، « قال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مزمع أن ينطلق، حتى لا نجده ؟ ألعلّه ينطلق إلى أهل الشتات من الهلّينيين، ويعلّم الهلينيين ؟ » (٧ : ٣٥).

٢٠ - الحكمة تطلق الدعوة

جاء في سفر الأمثـال: « الحكمة تنادي في الخـارج ... وفي المدينة تطلق كلامهـا » (١ : ٢٠).

وفي هيكل أورشليم، « وفي اليوم الآخـر العظيم من العيد، وقف يسوع وصـاح؛ قال ... » (٧ : ٣٧).

٢١ - المسيح يروي العطاش

تنبّأ أشعيا : « أيها العطاش هلمّوا جميعاً إلى المياه » (٥٥ : ١).

وحقق المسيح النبوة : إن عطش أحد فلْيأتِ إليّ! ولْيشربْ مَن آمن بي » (٧ : ٣٧).

٢٢ - تنزيل الروح القدس

تنبّأ أشعيا : « فإني على العطشان أسكب ماء، وعلى اليابسة أنهاراً! اسكب روحي على نسلك، وبركتي على ذرّيتك » (٤٤ : ٣).

وحقق يسوع : « فكما قال الكتاب : ستجري من باطنه أنهار ماء حي - وإنما قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (٧ : ٣٨).

٢٣ - مولد المسيح في بيت لحم

تنبّأ يوئيل : « وأنتِ يا بيت لحم أفرثة، أنتِ صغيرة بين الألوف من يهوذا؛ فمنك يخرج لي الذي له السلطان على إسرائيل » (٧ : ٤٢).

وكان اليهود في أورشليم يجهلون مولد المسيح في بيت لحم، فتساءلوا عن مصدره : « ألم يقل الكتاب : إنه من نسل داود، ومن بيت لحم، بلدة داود، يأتي المسيح » (٧ : ٤٢).

٢٤ - قتل الزناة

جاء في سفر اللاويين : « وإذا زنى رجل مع امرأة قريبة، فإنه يُقتل الزاني والزانية » (٢٠ : ١٠).

واستفتوا يسوع في أمر زانية بالجرم المشهود، « وقالوا : يا معلم ان هذه المرأة أُخذت في زنى. وفي الشريعة أوصى موسى أن تُرجم مثل هذه، فماذا تقول أنت » ؟ (٨ : ٤ - ٥).

٢٥ - تحقيق استعارة الراعي الصالح

أوجزها أشعيا : « كراع يرعى قطيعه : بذراعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها، ويقود المرضعات » (٤٠ : ١١).

وفصّلها أرميا : « لأنه هكذا قال الإله السيد : ها أنا ذا أسأل عن غنمي وأفتقدها كما يفتقد الراعي قطيعه ... أنا أرعى غنمي، وأنا أقودها إلى الحظيرة، يقول الإله السيد » (٣٤ : ١١ - ١٥).

وحقق يسوع الاستعارة فقال : « أنا الراعي الصالح. الراعي الصالح يبذل حياته عن الخراف ... أنا الراعي الصالح، أعرف خرافي، وهي تعرفني » (١٠ : ١١ و١٤).

٢٦ - دخول المسيح إلى أورشليم كملك إسرائيل

تنبّأ الزبور : « هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، فلْنفرح ونتهلّل به! آه يا الله خلّص! آه يا الله أنقِذ! مبارك الآتي باسم الله » (مز ١١٨ : ٢٤ - ٢٦).

وحقق المسيح : « أخذوا سعف النخل وخرجوا للقائه، وهم يصرخون، قالوا : هوشعنا! مبارك الآتي باسم الرب، ملك إسرائيل » (١٢ : ١٣ - ١٤)

ثم تنبّأ زكريا : « يا ابنة صهيون ابتهجي! يا ابنة أورشليم اهتفي! هوذا ملكك يأتي إليك! إنه عادل وظافر، وديع راكب على حمار، وعلى جحش ابن أتان » (٩ : ٩).

وحقق يسوع : « وإن يسوع وجد جحشاً، فركبه على ما هو مكتوب : يا ابنة صهيون لا تخافي! ها ان ملككِ يأتي إليك راكباً على جحش ابن أتان » (١٢ : ١٥).

٢٧ ـ ملكوت المسيح الأبدي

تنبأت الشريعة : « كرسيك مثل القمر يكون، وإلى الدهر يدوم » (٢ صموئيل ٧ : ١٦). وتنبأ دانيال : « كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحاب السماء مثل ابن البشر أتى وتقدم إلى القديم ... سلطانه سلطان أبدي لا يزول، وملكوته لا يدول » (دانيال ٧ : ١٣ ـ ١٤).

ولما كنى يسوع عن صلبه برفعه، « أجابه الجمع : لقد علمنا من الشريعة أن المسيح يدوم إلى الأبد. فكيف تقول أنت : ينبغي أن يُرفع ابن البشر ؟ مَن هو ابن البشر هذا ؟ » (١٢ : ١٣).

٢٨ ـ كفر اليهود بالمسيح

تنبّأ أشعيا : « يا الله مَن آمن بما سمع منا ؟ ولم أُعلنت ذراع الرب » (٥٣ : ١). وتحقق في الإنجيل : « ومع أنه صنع أمامهم آيات كثيرة لم يؤمنوا به، ليتم القول الذي نطق به أشعيا النبي ... » (١٢ : ٣٧ ـ ٣٨).

وتنبّأ أشعيا : « غلّظْ قلب هذا الشعب، وثقّل أُذنيه، واطمس على عينيه، لئلا يُبصر بعينيه، ويسمع بأُذنيه ويفهم بقلبه، ويرجع فيُشفى » (٦ : ٩ ـ ١٠). وتحقق في الإنجيل: « ولم يكن في وسعهم أن يؤمنوا لأن أشعيا قال أيضاً ... (١٢ : ٣٩ ـ ٤٠).

٢٩ ـ صلب المسيح الحمل الفصحي

جاء في الشريعة: « ولا يكسر له عظم » (الخروج ١٢ : ٤٩). وتنبّأ زخريا: « سينظرون إلى الذي طعنوه » (١٢ : ١٠).

وتحقق في الإنجيل : « ولقد جرى ذلك ليتم الكتاب : إنه لا يُكسر له عظم » . وكتاب آخر : « سينظرون إلى الذي طعنوه » (١٩ : ٣٦ ـ ٣٧).

٣٠ ـ لا ينقل الإنجيل كل ما عمل يسوع وعلم

قال عاموس النبي : « لا تقدر الأرض أن تطيق كل أقواله » (٧ : ١٠).

وتحقق في الإنجيل : « وأشياء أُخَر كثيرة صنعها يسوع، فلو أنها كُتبت واحدة فواحدة، لَمَا خلت أن العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة » (٢١ : ٢٥).

فبهذه الاستشهادات والتطبيقات يتضح أن الإنجيل أيضاً هو تتميم الكتاب في تعاليمه.

فالإنجيل هو تتميم الكتاب في أعياده، وفي وعوده، وفي نبؤآته، وفي تعاليمه.

* * *

بحث خامس

إنجيل الكشف عن سر الله والإنسان والكون

في الكتاب وغيره كان إلهام الله للإنسان وحياً وتنزيلاً. فصار في المسيح يسوع كشفاً عن **سر الله** والإنسان والكون، بالكشف عن **سر المسيح**، صلة الوصل الكيانية والكونية بين الله والإنسان والكون.

وفي اصطلاح يوحنا، أن الكشف الرئائي هو « **ظهور** » : « إن الله لم يره أحد قط، إلاّ الإله، الوليد الوحيد، أنه في حضن الآب، وهو نفسه قد أظهره » (١ : ١٨)، به لم يبق الوحي والتنزيل كتاباً منزلاً، بل صار **شخصاً منزلاً.**

١ - إنجيل الكشف عن سر الله

فالسيد المسيح قد « أظهر » بشخصه سرّ الله (١ : ١٨). ويوحنا الشاهد الأمين يعلن : « ونحن قد شاهدنا مجده (أي إلهيته)، مجد الآب في وليده الوحيد، الممتلئ نعمة وحقيقة » (١ : ١٦)، فإلهية الله الآب ظهرت على « وليده الوحيد » ، وبرهان ذلك أنه « ملء النعمة والحقيقة » .

يقول لنيقوديم، علاّمة إسرائيل : « الحق الحق أقول لك إننا ننطق بما نعلم، **ونشهد بما شاهدنا** » (٣ : ١١). يقسم يسوع بقسم خاص به أنه يشهد بما شاهد في الله، لأنه وحده قد رأى الله (١ : ١٨). فالوحي المسيحي كشف **عن مشاهدة العيان.** وفي هذا إعجازه على كل وحي وتنزيل.

ويختم تصاريحه للجماهير : « من رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥). وذلك ناجم عن التصريح الضخم الذي أعلنه في عيد التجديد، في وسط الهيكل على مشهد من الجماهير : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠).

وفي مطلع صلاته الأخيرة يقول : « أيها الآب ... لقد **أعلنت اسمك** للناس الذين أعطيتهم لي من العالم » (١٧ : ٦)، وفي اصطلاح الكتاب والإنجيل الاسم كناية عن الذات. فالمسيح قد كشف لنا عن ذات الله : إنه « الآب » في ذاته، وأب لنا ببعثته المسيح ابنه الوحيد، لإشراكنا ببنوته.

٢ - إنجيل الكشف عن سر الإنسان

الإنسان بالفطرة عبدٌ لله. وكل وحي وتنزيل يترك الإنسان على فطرته. وحده السيد نقل الإنسان من حالة عبد إلى حالة ابن لله، بإشراكه في بنوته.

منذ الفاتحة يعلن عن سر الإنسان الجديد : « أما الذين قبلوه فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله ... إذ هم من الله ولدوا » بالنعمة والحقيقة (١ : ١٢). بهذه الولادة من الله يصير المسيحيون أبناء الله.

ويسوع يفسّر لنيقوديم أن هذه الولادة الإلهية تتم بالعماد المسيحي « بالماء والروح. فالمولود من الجسد إنما هو جسد، والمولود من الروح إنما هو روح » (٣ : ٥ - ٦) وما ماء العماد سوى واسطة لعمل الروح القدس، فتصير الولادة الروحية حسية.

ويتم تأليه الإنسان الجديد بالقربان المسيحي الذي فيه يأكل جسد المسيح ويشرب دمه، فيمتد تجسّد المسيح إلى المسيحي، فيصير معه كياناً واحداً وحياة واحدة : « الحق الحق أقول لكم : إن لم تأكلوا جسد ابن البشر، وتشربوا دمه، فلا حياة لكم في ذواتكم .. فمن يأكل جسدي ويشرب

دمي فله الحياة .. لأن من يأكل جسدي ويشرب دمي **يثبت فيّ وأنا فيه**. وكما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب، فالذي يأكلني يحيا هو أيضاً بي » (٦ : ٥٣ - ٥٧). فحياة الله تنزل إلى الإنسان الجديد بالمسيح، فهو صلة وحدة الحياة بين الله والإنسان.

وبطريقة أخرى، كما أن الروح القدس هو الصلة الكيانية بين الآب والابن، فهو أيضاً الصلة الكيانية بين الله والإنسان الجديد : « وأنا أسأل الآب فيعطيكم فارقليط آخر يقيم معكم إلى الأبد ... **يقيم معكم ويكون فيكم** » (١٤ : ١٦ - ١٧). فروح الله المقيم في الإنسان الجديد هو الذي يؤلّهه، بإشراكه في بنوة المسيح وإلهيته.

٣ - إنجيل الكشف عن سر الملكوت

منذ الفاتحة يعلن عن سر المسيح في الكون، وسر الكون في المسيح :

« به كلّ شيء كُوّن   وبدونه لا شيء مما كُوّن
فيه كانت الحياة   والحياة نور العالمين »
(١ : ٣ - ٤).

لقد كان المسيح، من حيث هو كلمة الله، في الكون قبل نزوله إلى الأرض، وإن لم يدركه الكون :

« كان آتياً إلى الكون   وقد كان في الكون
والكون به كُوّن   والكون لم يدركه » (١ : ١٠)

والكشف الإنجيلي هو **كشف كوني** : « إذا قلت لكم الأرضيات ولا تصدّقون، فكيف إن قلت لكم السماويات تصدّقون » (٣ : ١٢)، والمسيح نفسه **شخص كوني** : « فإنه لم يصعد أحد إلى السماء إلاّ الذي نزل في السماء، ابن البشر الكائن في السماء » (٣ : ١٣) فهو كائن في السماء وعلى الأرض في آن واحد؛ وهو كائن في الماضي والحاضر والمستقبل.

وعمله **عمل كوني** : « فما يفعله الآب الابن كذلك لأن الآب يحب الابن، ويريه جميع ما يفعله » (٥ : ٢٠). وسلطانه **سلطان كوني**،

« فكما أن الآب ينهض الأموات ويحييهم، كذلك الابن أيضاً يحيي مَن يشاء » (٥ : ٢١). والسلطان الأكبر هو **سلطان يوم الدين :** « لأن الآب لا يدين أحداً، بل فوّض إلى الابن كل دينونة » (٥ : ٢٢) لأن الآب أتى الابن السلطان على كل بشر (١٧ : ٢).

وهذا كله لأن مجد الابن من مجد الآب ذاته : ... فالآن أيها الآب مجدني أنت فيك، بالمجد الذي كان لي فيك من قبل كون الكون » (١٧ : ٥).

فالإنجيل كشف عن سر الكون في سر المسيح.

٤ - إنجيل الكشف عن سرّ المسيح

يكشف الإنجيل عن سر الكون وسر الإنسان وسر الله، بالكشف عن سر المسيح.

فالمسيح في حدّ ذاته هو كلمة الله النطقية الذاتية؛ هذا ما تعلنه الآية الأولى من الإنجيل، في رباعية معجزة :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة فهو منذ البدء في الله »

والمسيح هو ابن البشر الكائن في السماء وعلى الأرض في آن واحد : « فإنه لم يصعد أحد إلى السماء، إلاّ الذي نزل من السماء، ابن البشر الكائن في السماء » (٣ : ١٣).

وفعله من فعل الله الآب عينه : « الحق الحق أقول لكم : إن الابن لا يستطيع أن يفعل من نفسه شيئاً إلاّ ما يرى الآب يفعله : فما يفعله هو يفعله الابن كذلك » (٥ : ١٩).

وحدة في العمل تنبثق عن وحدة في الذات. هذا هو التصريح الضخم في عيد التجديد، في هيكل أورشليم : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠).

لذلك فهو **مَظْهر الله الآب على الأرض:** « مَن رآني فقد رأى (الآب) الذي أرسلني » (١٢ : ٤٤). يعلن ذلك للجمهور، كما يعلنه في الخلوة لأخصائه : « يا فيلبس، أنا معكم كل هذا الزمان ولا تعرفني :

مَن رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت : أرنا الآب ؟ ألا تؤمن أني أنا في الآب، وأن الآب فيّ » (١٤ : ٩ - ١٠).

فالله عينه هو الذي يعمل في المسيح : « إن الأقوال التي أنطق بها، لا أنطق بها من نفسي، بل الآب المقيم فيّ هو يعمل أعماله » (١٤ : ١٠). لذلك فالمسيح هو « النعمة والحقيقة » ، « نور العالمين » ، « القيامة والحياة » ، « الصراط والحقيقة والحياة » . هذا موجز، وسيأتي التفصيل لسر المسيح.

فالمسيح، بكشفه عن ذاته يكشف عن سر الإنسان والكون والله.

* * *

بحث سادس

إنجيل التجسد الإلهي

الإنجيل بحسب المؤتلفة هو **إنجيل الفداء**. وميزة الإنجيل بحسب يوحنا عليها أنه **إنجيل التجسد** وإنجيل الفداء جميعاً.

سنرى إنجيل الفداء في « إنجيل الخلاص » .

نرى الآن أن يوحنا يمتاز بأنه إنجيل التجسد الإلهي.

هذا ما يعلن عنه منذ فاتحته : « والكلمة صار بشراً وسكن بيننا » أي بين ظهرانينا (١ : ١٤). وما الإنجيل كله سوى تفصيل لهذه الآية.

ويوجز ذلك كله بهذين اللقبين : فالسيد المسيح هو « ابن الله » و « ابن البشر » في آن واحد. ويمتاز بالتركيز على بشرية المسيح وعلى إلهيته معاً. فلا يكتفي مثل المؤتلفة بإظهار إلهيته من خلال بشريته؛ إنما هو يفصّل الاثنين معاً في مظاهر بشريته، وفي دلائل إلهيته.

١ - دليل التجسد الإلهي هو بعثة « من لدن الآب »

يسوع الناصري (١ : ٤٥؛ ٤ : ٩؛ ٦ : ٤٢؛ ٧ : ٤١؛ ٧ : ٥٢؛ ١٩ : ١٩) هو **رسول الآب :** « فإن الذي أرسله الله ينطق بكلام الله » (٣ : ٣٤)؛ « ما دام النهار ينبغي أن أعمل أعمال مَن أرسلني » (٩ : ٤).

لكنه **الرسول الابن :** « ابن الله الآتي إلى العالم » (١١ : ٢٧؛ ٩ : ٣٩؛ ١٢ : ٤٦؛ ١٦ : ٢٨؛ ١٨ : ٣٧).

الرسول الابن **ببعثة خاصة :** « الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم » (١٠ : ٣٦)؛ فالآب معه على الدوام : « إن الذي أرسلني هو معي؛ ولم يدعني وحدي، فأفعل على الدوام رضاه » (٨ : ٢٩). وكل أعماله وأقواله وأحواله تشهد بأنه « المسيح، ابن الله » (٢٠ : ٢١).

إنه مرسل « من العلاء » (٣ : ٣١)، « من قِبَل الله » (٦ : ٤٦)، « من عنده » (٧ : ٢٩)؛ « من الآب خرج » (٨ : ٤٢؛ ١٦ : ٢٨؛ ١٧ : ٨)، « نزل من السماء » (٣ : ١٣؛ ٦ : ٣٨ و٤٢)، فهو « ليس من هذا العالم » (٨ : ٢٣؛ ١٧ : ١٤؛ ١٨ : ٣٦).

٢ - دليل التجسد الإلهي أيضاً شهادته بمشاهدة الله الآب

يعلن : « ما من أحد رأى الآب إلاّ الذي هو من لدن الآب، فهو الذي رأى الآب، (٦ : ٤٦). فكلامه ليس من الأرض (٣ : ٣١) بل، يشهد بما شاهد في الآب » (٨ : ٣٨). ينطق « بالسماوات » المشهودة (٣ : ١٢؛ ٣ : ٣١ - ٣٣). يعلّم « ما تعلمه من الآب » (٨ : ٣٨). فتعليم « من الله » (٧ : ١٥ - ١٧) وهو « يقول أقوال الله » (٣ : ٣٤؛ ١٢ : ٤٩). فهو « من فوق » ، « وليس من هذا العالم » (٨ : ٢٣؛ ١٧ : ١٤؛ ١٨ : ٣٦).

٣ - دليل التجسد الإلهي أيضاً أن « أعماله » هي « أعمال الله »

أعماله هي « أعمال الذي أرسلني » (٩ : ٤)، فهو « لا يعمل شيئاً من نفسه ما لم يرَ الآب عامله » (٨ : ٢٨). فهو يعمل « باسم الآب »

(١٠ : ٢٥)؛ بقدرته (١٠ : ٣٢)، في وحدة عمل معه (٥ : ١٧؛ ٥ : ١٩ - ٣٠)؛ « فالآب المقيم فيّ هو يعمل أعماله » (١٤ : ١٠). فأعمال يسوع هي « أعمال الله نفسه » (١٠ : ٣٧). فهي مجد الآب ومجد يسوع معاً (٥ : ٢٢؛ ١١ : ٤).

وبما أن رسالة المسيح كلها هي « عمل الله » فهي سماوية، والعالم يجهل مصدرها (٢ : ٩)، يجهل فاعلها الحقيقي (٥ : ١٢ - ١٨؛ ٩ : ١١ - ٣٣؛ ١٢ : ٢٧؛ ١٥ : ٢٤)، ويجهل معناها (٦ : ١٦). أمّا الذي يعقلها فيشهد أنها مجد « الوليد الوحيد » (١ : ١٤؛ ٢ : ١١؛ ٥ : ٢٣؛ ١١ : ٤).

٤ - برهان التجسد الإلهي أن المسيح الابن هو مَظْهر الله الآب

يعلن للجماهير، في عيد التجديد وفي الهيكل نفسه : « مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٤). وفي خلوة العشاء الأخير مع صحابته، « قال له فيلبس : يا رب أرنا الآب وحسبنا. قال له يسوع : يا فيلبس أنا معكم كل هذا الزمان ولا تعرفني. **مَن رآني فقد رأى الآب ...** » (١٤ : ٨ - ٩).

وحدة المظهر قائمة على **وحدة الكيان :** « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠) فحاول اليهود من جديد رجمه، ظناً منهم أنه كفر. فسألهم « لأي عمل ترجموني ؟ أجابه اليهود : لسنا لعمل صالح نرجمك، بل لأجل الكفر، فإنك تجعل نفسك إلهاً وأنت إنسان » (١٠ : ٣١ - ٣٣).

٥ - برهان التجسد الإلهي أنه صدر من الآب ويعود إلى الآب :

« إذ كان يسوع يعلم أن الساعة قد حانت لينتقل من هذا العالم إلى أبيه » ... (١٣ : ١)؛ فقد أعلن لصحابته حينئذٍ : « لو كنتم تحبّوني لكنتم تفرحون بأني ذاهب إلى الآب » (١٤ : ٢٨).

وفي حديثه الأخير معهم يقول لهم : « لقد آمنتم أني صدرتُ من الآب، وأتيت إلى العالم. والآن أترك العالم وأرجع إلى الآب » (١٦ : ٢٨).

وفي صلاته الأخيرة قبل الاستشهاد يقول : « أيها الآب، الآن مجدني أنت فيك، بالمجد الذي كان لي فيك من قبل كون العالمين » (١٧ : ٥).

٦ - برهان التجسد الإلهي هو أيضاً إعلانه عن أزليته

في عيد الخيام يعلن للجماهير في الهيكل : « إبراهيم أبوكم قد ابتهج في رؤيا يومي، فرأى وفرح. فقال له اليهود : ليس لك بعد خمسون سنة، وقد رأيت إبراهيم! فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم، **قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن** » (٨ : ٥٦ - ٥٨). فحاولوا رجمه، ظنّاً منهم أنه كفر.

وفي عيد التجديد يعود إلى الإعلان عينه؛ فأعماله تشهد له أنه ابن الله : « إن كنت لا أعمل أعمال أبي فلا تصدّقوني، ولكن إن كنت أعملها ولا تريدون أن تصدّقوني، فصدّقوا هذه الأعمال، لكي تعلموا وتشهدوا **أنّ الآب فيّ، وأني أنا في الآب** » (١٠ : ٣٧ - ٣٨).

٧ - برهان التجسد الإلهي هو إعلانه المتواتر أنه قائم في ذات الله.

لا بأس من تكرار التصاريح : « فصدّقوا هذه الأعمال، لكي تعلموا وتشهدوا أن الآب فيّ، وأني أنا في الآب » (١٠ : ٣٨)، يعلن ذلك للجماهير، كما يعلنه لصحابته، بتصاريح متلاحقة : « يا فيلبس، أنا معكم كل هذا الزمان ولا تعرفني! **مَن رآني فقد رأى الآب!** أفلا تؤمن أني أنا في الآب، وأن الآب فيّ » (١٤ : ٩ - ١٠). وبرهان ذلك : « **الآب المقيم فيّ** هو يعمل أعماله » ؛ لذلك « صدّقوني أني أنا في الآب، وأن الآب فيّ؛ وإلاّ فصدّقوا من أجل الأعمال » (١٤ : ١١). هذا ما يصرّح به إلى أبيه في صلاته الأخيرة : « أيها الآب إنك أنت فيّ وأنا فيك » (١٧ : ٢١).

فالإنجيل بحسب يوحنا هو إنجيل التجسد الإلهي.

* * *

بحث سابع

إنجيل « مجد » المسيح

« **مجد** » **الله**، في الكتاب، كناية عن إلهيته. وانتقل التعبير عينه إلى الإنجيل: « **مجد** » **المسيح** يعني إلهيته.

فمنذ الفاتحة يعلن بصراحة أن مجد الكلمة المتجسّد هو مجد الله الآب عينه : « ونحن شاهدنا مجده، مجد الآب في وليده الوحيد » (١ : ١٤).

١ - « مجد » المسيح في سيرته ورسالته وشخصيته

أنباء الأنبياء عنه تعلن « مجده » ، كما حدث لأشعيا الذي في رؤية مجد الله كان يرى مجد المسيح : « تكلّم أشعيا هكذا لأنه شاهد مجده وأخبر عنه » (١٢ : ٤١).

أقواله هي أقوال الله المقيم فيه : « الأقوال التي أنطق بها، لا أنطق بها من نفسي، بل الآب المقيم فيّ هو يعمل أعماله » (١٤ : ١٠).

معجزاته هي « آيات » مجده. فمنذ المعجزة الأولى، تحويل الماء إلى خمر، في عرس قانا الجليل، يقول الإنجيل : « تلك أولى معجزات يسوع، صنعها في قانا الجليل، **وأظهر مجده**، فآمن به تلاميذه » (٣ : ١١).

أعماله كلها تُظهر مجد الله فيه. هذا ما يعلنه لأخت لعازر قبل إحيائه : « قال لها يسوع : أما قلت لك إنك إن آمنتِ ترين مجد الله » (١١ : ٤٠).

وكل ذلك نابع من **وحدة الكيان مع الله الآب**. ففي عيد التجديد، « تحلّق اليهود حوله وقالوا له : حتى مَ تريب أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح فقلْه لنا جهراً! أجابهم يسوع : لقد قلته لكم ... » وأعمالي تشهد لي. لكنه هو أعظم من المسيح الموعود: « **أنا والآب واحد** » (١٠ : ٢٢ - ٣٠).

٢ - « مجد » المسيح في استشهاده

السيد المسيح يرى في استشهاده قمة مجده، لأن الصليب سُلَّمه إلى السماء. بين الجماهير المتحلّقة حوله يصلّي : « أيها الآب مجّد اسمك. فجاء صوت من السماء : قد مجّدته، وسأُمجّده أيضاً » (١٢ : ٢٨).

وقبل الدخول في آلام استشهاده، يصلّي أيضاً بين صحابته : « أيها الآب، لقد أتت الساعة، فمجّدْ ابنك لكي يمجّدك ابنك ... أيها الآب، الآن مجّدني أنت فيك، بالمجد الذي كان لي فيك من قبل كون العالمين » (١٧ : ١ - ٥).

فكان استشهاده سبيلاً إلى مجد القيامة، ومجد الرفع حيّاً إلى مجد الله الآب ذاته. كما كان سبيلاً إلى مجده في العالمين : « وأنا متى رُفعت عن الأرض، اجتذبت إليّ الجميع » (١٢ : ٣٢)؛ وسبيلاً إلى مجده عند صالبيه أنفسهم : « سينظرون إلى الذي طعنوه » (١٩ : ٣٧).

إن استشهاد المسيح **تمجيد لاسم الله** أي لذاته : « أيها الآب مجّد اسمك! فجاء صوت من السماء : لقد مجّدته، وسأُمجّده أيضاً » (١٢ : ٢٨).

كما كان استشهاده إعلاناً لمجده، بالكشف عن ذاته السامية التي هي ذات (يهوه = أنا هو) : « لقد قلت لكم : إنكم تموتون في خطاياكم؛ أجل، إن لم تؤمنوا أني « أنا هو » تموتون في خطاياكم ... وقال لهم أيضاً : إذا ما رفعتم ابن البشر فعندئذٍ تعرفون أني « أنا هو » (٨ : ٢٤ و٢٨). فمجد المسيح أنه « ابن البشر » النازل من السماء، و « أنا هو » أي الله.

هذا ما أنبأ به يسوع « في اليوم الأخير العظيم من العيد » ، عيد الخيام : « مَن عطش فلْيأتِ إليّ! ولْيشربْ مَن آمن بي! فقد قال الكتاب : « من باطنه ستجري أنهار ماء حيّ! - قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه. فإنه لم يكن الروح قد نزل بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد » (٧ : ٣٧ - ٣٩).

وهذا « الماء الحي » الموعود صدر من قلب يسوع المطعون بحربة على الصليب : « وإن واحداً من الجند فتح جنبه بحربة، فخرج للوقت **دم**

وماء. وإن الذي شاهد هو الذي يشهد، وشهادته حق؛ وهو يعلم أنه يقول الحق لكي تؤمنوا أنتم » (١٩ : ٣٤ - ٣٥).

ففي استشهاد المسيح « مجده » ، كما في قيامته.

٣ - « مجد » المسيح في قيامته

صوت الله الآب يُنادي من السماء قبل الاستشهاد بمجد القيامة : « قد مجّدته وسأُمجده أيضاً » (١٢ : ٢٨).

ويسوع نفسه يصلّي قبل الاستشهاد، ويطلب من أبيه مجده الذاتي السرمدي : « أيها الآب، أنت الآن مجدني فيك، بالمجد الذي كان لي فيك قبل كون العالمين » (١٧ : ٥).

ومجد القيامة سيكون برهان رسالته وشخصيته، وسبب إيمان العالمين به : « وأنا متى رُفعت من الأرض اجتذبت إليّ الجميع » (١٢ : ٣٢).

فيسوع في دعوته كلها كان يطلب مجد أبيه، لذلك فهو الصدْق عينه : « إن مَن يتكلم من عند نفسه يطلب مجد نفسه؛ وأما مَن يطلب مجد الذي أرسله، فهو صادق، ولا مَيْن فيه » (٧ : ١٨).

لذلك فالله نفسه هو الذي يمجّد يسوع في دعوته كلها، لأنه هو لا يطلب إلاّ مجد أبيه : « أنا لا أطلب مجدي. فإنه يوجد مَن يطلبه؛ ومن يحكم في الأمر » (٨ : ٥٠).

ففي دعوته وقيامته، يسوع يمجّد أباه السماوي، وهو يمجّد ابنه المتجسد : « لإن كنت أنا أُمجّد نفسي، فمجدي ليس بشيء (في نظركم). إنما الذي يمجدني هو أبي الذي تدعونه أنتم إلهكم » (٨ : ٥٤).

٤ - « مجد » المسيح في كنيسته

« مجد » المسيح أنه أعلن « **اسم** » الله الأعظم للناس، أي أنه « **الآب** » في ذاته: « لقد أعلنتُ اسمك للناس، للذين أعطيتهم لي من العالم » (١٧ : ٦).

بهذا الكشف الرباني تمجّد المسيح نفسه في تلاميذه : « فكل ما لي هو لك، وما لك هو لي، وأنا قد تمجّدت فيهم » (١٧ : ١٠).

فدم المسيح هو بذار المسيحيين : « الحق الحق أقول لكم : إن حبة الحنطة التي تقع في الأرض، إنْ لم تمت، فإنها تبقى وحيدة؛ وأما إن ماتت، فإنها تأتي بثمر كثير » (١٢ : ٢٤).

وأعمال المسيحيين الصالحة هي من زرع المسيح نفسه : « بهذا يتمجّد أبي، وتكونون تلاميذي، إذا أتيتم بثمر كثير » (١٥ : ٨). وشرط ذلك ثباتهم في المسيح، على وحدة تامة، كوحدة الكرمة وأغصانها : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان، مَن يثبت فيّ وأنا فيه، فهو الذي يأتي بثمر كثير، فإنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً » (١٥ : ٥).

والمسيح سيعمل في المسيحيين بفعل الروح القدس الفارقليط فيهم : « وأما الفارقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو الذي **يعلّمكم كل شيء**، ويذكّركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ٢٦)؛ « لأنه يقيم معكم، ويكون فيكم » (١٤ : ١٧)؛ « فإن روح الحق يرشدكم إلى الحقيقة كلها ... إنه سيمجّدني لأنه سيأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٣ ـ ١٤).

فالإنجيل بحسب يوحنا هو إنجيل « مجد » المسيح.

* * *

بحث ثامن

شهادة يوحنا في مقابلة الوحي الإنجيلي

الإنجيل بحسب يوحنا هو إعلان سرّ رسالة المسيح وسرّ شخصيته، كما يتضح ذلك من خاتمته الأولى، « وإنما كتبت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم ـ إذا آمنتم ـ الحياة باسمه » أي في شخصه

(٢٠ : ٣١). وفي هذه الشهادة هو **متضامن ومستقل معاً** في مقابلة شهادات الوحي الإنجيلي الأخرى.

هذا البحث يرينا جذور شهادة يوحنا في الوحي الإنجيلي الذي سبقه، وهو برهان على **صحته وعلى إعجازه.**

أولاً : إنه مثل متى، إنجيل مسيحية يسوع

مسيحية يسوع أنه ملك إسرائيل ومخلص العالم الموعود.

يستهلّ يوحنا الإنجيلي - بعد فاتحته - بشهادة المعمدان ليسوع، لأنها شهادة مَن « لم يقم في مواليد النساء أعظم منه » (متى ١١ : ١١)، ولأنها ردّ مفحم على اليهود الكافرين به، وعلى المندائيين، تلاميذ المعمدان الذين أصرّوا على اعتبار المعمدان « منْدا » أي النور النازل من السماء.

وتضمين الشهادة في الفاتحة يدل على استعمال أمر « المعمدانيين » ، فيقول :

« كان رجل مرسل من الله   اسمه يوحنا، جاء للشهادة
حتى يشهد للنور   كي يؤمن الجميع على يده

لم يكن هو النور   بل جاء ليشهد للنور
أما النور الحقيقي   فهو الذي ينير كلّ إنسان ...

ويوحنا شهد له وهتف   قال : هذا هو الذي قلت عنه
إن الذي يأتي بعدي أفضل مني   لأنه القديم من قبلي »
(١ : ٦ - ٨ + ١٥)

ثم ينقل شهادة المعمدان لوفد السنهدرين، المجلس اليهودي الأعلى، الذي جاء يستطلع أخباره. فشهد لهم : إنه ليس المسيح ولا إيليا ولا النبي الموعود؛ المسيح هو الذي يأتي بعده، ويوحنا ليس أهلاً أن يحل له سير حذائه (١ : ١٩ - ٢٨).

وتوكيداً على هذه الشهادة الرسمية، فإن يوحنا يوجّه تلاميذه إلى يسوع : « وفي الغد رأى يوحنا يسوع مقبلاً إليه، فقال : **هذا هو حمل الله** الحامل

خطايا العالم » (١ : ٢٩). فهو مَن يعرف سرّ المسيح، ويعرف سرّ رسالته، ويشهد أن يسوع هو « رجل الروح » بحسب وعد الأنبياء. فقد أوحى الله إلى يوحنا المعمدان : « إن الذي ترى الروح ينزل ويستقرّ عليه هو الذي يعمّد بالروح القدس ... وأنا رأيت الروح نازلاً من السماء بهيئة حمامة، وقد استقرّ عليه. فذلك ما شاهدت، وأنا أشهد أنه ابن الله » (١ : ٢٩ - ٣٤).

وفي الغد، كرّر المعمدان شهادته أمام اثنين من تلاميذه، أندراوس ويوحنا الرسول كاتب الإنجيل، مشيراً إلى اتّباعه : « وفي الغد كان يوحنا هناك أيضاً واثنين من تلاميذه، فشخص ببصره إلى يسوع عابراً، وقال : « هذا هو حمل الله » . فسمع التلميذان كلامه فتبعا يسوع ... وكان أندراوس، أخو سمعان بطرس، واحداً من الاثنين اللذين سمعا من يوحنا وتبعا يسوع » (١ : ٣٥ - ٤١).

سمع أندراوس ثم رأى بعينه وذهب فأخبر أخاه سمعان : « فقال له : لقد وجدنا مشْيَحَه - أي المسيح » ! إنها نشوة اللقاء! (١ : ٤٠ - ٤٢).

ويصادف يسوع فيلبس فيدعوه فيتبعه. ثم يصادف فيلبوس رفيقه نثنائيل فيقول له أيضاً بنشوة الظفر : « إن الذي كتب عنه موسى في التوراة، والأنبياء أيضاً، قد وجدناه : إنه يسوع، ابن يوسف، من الناصرة » ! (١ : ٤٣ - ٤٥).

ونثنائيل - واسمه الآخر باليونانية : برتلماوس - يُصرع أمام روح النبوة المتجلّي في يسوع، فيعترف أنه « ملك إسرائيل » أي المسيح الموعود (١ : ٤٩).

ويختلي نيقوديم، علاّمة إسرائيل، بيسوع ليلاً ويشهد ممّا سمع ورأى من أعمال يسوع وأقواله في عيد الفصح، أنه « المعلم رسول الله، إذ ما من أحد يقدر أن يصنع الآيات التي أنت تصنعها، ما لم يكن الله معه » (٣ : ١ - ٣). فكشف له يسوع عن شخصيته ورسالته، كما سنرى.

ويتجول يسوع ما بين الأردن والجليل واليهودية وأورشليم والسامرة مظهراً بأعماله المعجزة، وأقواله السماوية أنه المسيح الموعود، حتى أقبل إلى السامرة.

فالتقى بسامرية عند البئر وكشف لها أنه « المسيح الذي ينتظره بنو قومها (٤ : ٢٦) فآمنت وصارت له رسولاً لدى بني قومها. فاستضافهم يسوع يومين، فشاهدوا وشهدوا « أنه حقاً مخلص العالم » (٤ : ٢٤).

وتمضي الدعوة في الجليل سنة تأكد فيها للرسل أن يسوع هو المسيح! وظهر للشعب جليّاً أنه المسيح ملك إسرائيل الموعود، فهبّ الشعب، بعد سماعه ثلاثة أيام متوالية، وختامها بمعجزة تكثير الخبزات الخمس لإطعام خمسة آلاف من الرجال سوى النساء والصبيان، « إلى تنصيبه ملكاً عليهم » ! (٦ : ١٥).

وفي رسالة يسوع الثانية في أورشليم واليهودية يعرف الشعب مثل أحبارهم وعلمائهم دعوة يسوع أنه المسيح، فيتساءلون هل هو المسيح حقاً ؟ (٧ : ٢٦). فإنهم يعرفون شروط ظهوره : لا يُعرف من أين هو (٧ : ٢٧)؛ لا يأتي من الجليل (٧ : ٤١) لكن من بيت لحم، ومن نسل داود (٧ : ٤٢) وأنه يدوم إلى الأبد (١٢ : ٣٤) ويصنع المعجزات العظام (٧ : ٣١). والشعب على استعداد لإعلان إيمانه بمسيحية يسوع، لكن الرؤساء والزعماء عارضوهم (١١ : ٤٨).

وهؤلاء الرؤساء والزعماء يتألبون أخيراً حول يسوع في عيد التجديد، ويسألونه : حتى مَ تريب أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح فقله لنا جهراً! (١٠ : ٢٤). ويسوع يعلن لهم أن المسيح المشهود أعظم من المسيح الموعود، لأنه ابن الله، هو والآب واحد (١٠ : ٢٥ - ٣٠).

ويأتي إحياء لعازر من الموت تصديقاً لقوله : « أنا القيامة والحياة » (١١ : ٢٦) فيجنّ جنون الشعب، ويتخطى أمر المجلس اليهودي الأعلى بقتل المسيح، فيستقبله استقبال الفاتحين! والشعب كله، المجتمع من أطراف فلسطين والعالم لعيد الفصح، يهتف : « هوشعنا! مبارك الآتي باسم الرب، ملك إسرائيل » أي المسيح الملك بلغتهم (١٢ : ١٣).

ولكن المؤامرة تتغلّب على الشعب فيُوقف يسوع! ويحكم عليه السنهدرين مجلس اليهود الأعلى بالإعدام؛ ويقوده إلى الوالي الروماني للأمر بالتنفيذ، بحجة ادعائه أنه ملك اليهود. فاستجوبه بيلاطس : « هل أنت

ملك اليهود ›› ؟ (١٨ : ٣٣). وخشية الوشاية به إلى قيصر، بأنه لم يعدم مَن يدّعي أنه ‹‹ ملك إسرائيل ›› بوجود قيصر، حكم عليه بالإعدام صلباً، علّق صك الإعدام على رأس الصليب : ‹‹ يسوع الناصري، ملك اليهود ›› أي المسيح (١٩ : ١٩).

لكن المسيح قام بسلطانه الذاتي من الصلب والموت والقبر، وأظهر أنه المسيح، وأكثر من مسيح؛ لأن المسيح المشهود أفضل من المسيح الموعود : فهو عند يوحنا كما عند متى: ‹‹ المسيح ابن الله الحي ›› (متى ١٦ : ١٨).

ثانياً : إنه، مثل لوقا، إنجيل ‹‹ إنسانية ›› يسوع

أجمع يوحنا مثل المؤتلفة على أن يسوع كان يكني عن شخصيته باللقب النبوي: ‹‹ ابن البشر ›› . وبهذه الكنية دلّ يسوع على سرّ شخصيته المزدوجة : إنه ابن البشر النازل من السماء، كما رآه دانيال.

وبشرية يسوع تظهر في سلوكه وأعماله وأقواله، كما تظهر إلهيته في تصاريحه ومعجزاته التي تؤيدها.

وهذه البشرية لها صفتان : صفة الطبيعة البشرية، وصفة الإنسانية.

فيسوع بشر بكل ما يظهر منه. إنه يثور ويغار غيرة على بيت الرب : ‹‹ فاصطنع سوطاً من حبال ›› وطرد من الهيكل تجار الدين (٢ : ١٥). ويسير على قدميه في شوارع فلسطين حتى يصل ‹‹ إلى بئر يعقوب، وكان قد تعب من المسير، فجلس على البئر ›› ، يطلب من سامرية : ‹‹ أعطني لأشرب ›› ! ورجع الرسل حاملين طعاماً من البلدة فألحّوا عليه قائلين: ‹‹ رابّي كُلْ ›› ! (٤ : ٦ و٧ و٣١).

وفي قصة لعازر يشارك الشعب حزنه : ‹‹ فلما رآها تبكي، واليهود الذين جاؤوا معها يبكون، ارتعش في روحه واضطرب ›› ! (١١ : ٣٣). ولمّا وقف على قبر لعازر ‹‹ بكى يسوع ›› (١١ : ٣٥). ولما سمع الناس يقولون : ‹‹ ألم يكن في وسع الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت! ارتعش أيضاً يسوع في نفسه ›› ! (١١ : ٣٨). وفي مأدبة وداعية في بيت عنيا سمح لأخت لعازر أن تدهن قدميه بالطيب وتمسحهما بشعر رأسها (١٢ : ٣).

شعر بمؤامرات اليهود لقتله، فرفض أولاً أن يصعد إلى الفصح الثاني : ((وكان يسوع يطوف في الجليل، ولم يشأ أن يجول في اليهودية، لأن اليهود كانوا يطلبون قتله)) (٧ : ١). وفي عيد الخيام، بعد ستة أشهر، ((صعد يسوع إلى الهيكل، لا في الجهر، بل في السر)) (٧ : ١٠). وهناك، في الهيكل، صرّح أنه ((نور العالم)) وأنه ((قبل أن يكون إبراهيم أنا كائنٌ! - فأخذ اليهود حجارة ليرجموه ؟ غير أن يسوع توارى، وخرج من الهيكل)) ! (٨ : ٥٨ - ٥٩). وبعد ثلاثة أشهر، في عيد التجديد، صرّح : ((أنا والآب واحد)) : ((فطلبوا أيضاً أن يقبضوا عليه، فتخلص من أيديهم، وانطلق إلى عبر الأردن)) (١٠ : ٣٩ - ٤٠). وبعد معجزة إحياء لعازر قرّر مجلس اليهود قتل المسيح، ((فأمسك يسوع عن التجول بين اليهود علانية، بل انطلق إلى بقعة قريبة في القفر، إلى مدينة اسمها أفرائيم، وأقام هناك مع تلاميذه)) (١١ : ٥٤).

ويشعر برعشة البشرية تجاه فكرة الموت، ما بني حفاوة الناس به في أحد الشعانين : ((الآن نفسي قد اضطربت! ماذا أقول ؟ يا أبتاه نجني من هذه الساعة! ... لكن لأجل هذه الساعة قد جئت!)) (١٢ : ٢٧). وعندما يكشف، في حرارة العشاء السري عن الخائن الذي سيسلمه، يستسلم هو إلى القلق : ((قال يسوع هذا، واضطرب في روحه، وقال مصارحاً : الحق الحق أقول لكم : إن واحداً منكم سيسلمني)) ! إنه ينتفض لجرم الخيانة، كما يضطرب لفكرة الموت (١٣ : ٢١).

وتلك البشرية **إنسانية رحيمة** تأسو لآلام البشرية : يقبل رجاء أُمه ويصنع معجزة تحويل الماء خمراً في قانا ليكتمل فرح أهل العرس. ويستجيب لنداء الإيمان : ((قال له الضابط الملكي : انزل قبل أن يموت ولدي! فقال له يسوع : اذهب فإن ابنك حي! فآمن الرجل بما قال له يسوع ومضى (٤ : ٤٩ - ٥٠). ويأتي بركة الغنم في أورشليم : ((وكان هناك رجل سقيم منذ ثمان وثلاثين سنة. فلما رآه مضجعاً، قال له : أتُريد أن تبرأ ؟)) ثم يشفيه بكلمة! (٥ : ٥ - ٩). ويتبعه الشعب إلى البرية ويستمع إليه مدة ثلاثة أيام، حتى نفد الطعام وجاع الناس كلهم، فكافأ إيمانهم بمعجزة تكثير الخبز والسمك لإطعامهم! (٦ : ٥ - ١٥).

وفي عيد الخيام، بأورشليم، « فيما هو مجتاز رأى رجلاً أعمى منذ مولده ... فتفل في الأرض وصنع من تفلته طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى؛ وقال له : امضِ واغتسل في بركة سلوام » فمضى واغتسل وأبصر (٩ : ١ - ٦). وكل حنان الصداقة والمودّة يتجلى في إحياء لعازر (١١).

ويسوع الذي يصرّح أنه « ابن الله » ، أنه « هو والآب واحد » ، نراه **يتّضع باحترام بنوي في حضرة أبيه السماوي.** فهو يصرّح : « إن الآب أعظم مني » (١٤ : ٢٨)، لذلك يخضع للموت موت الصليب « لكي يعرف العالم أني أحب الآب، وأني أعمل بما أوصاني الآب » (١٤ : ٣١). وهو يعمل بوصايا أبيه لكي يثبت في محبته (١٥ : ١٠)، ولا يقول إلاّ ما أوصاه الآب أن يقول (١٢ : ٤٩ - ٥٠)؛ وطعامه أن يعمل مشيئته (٤ : ٣٤) ويفعل دائماً ما يرضيه (٨ : ٢٩) « لأني أعرفه وأحفظ كلامه » (٨ : ٥٥). وفي ختام رسالته، يشهد في صلاته : « إني قد مجدتك على الأرض، وأتممت العمل الذي أعطيتني لأعمله » (١٧ : ٤). وهو يصلّي لله، لكن صلاة الابن لأبيه، في كل سموها (١١ : ٤١؛ ١٢ : ٢٧؛ ١٧ : ١).

لكن يسوع البشر كسائر البشر، والإنسان الكامل أكثر من البشر، يكني عن ذاته باللقب النبوي : **« ابن البشر » ، ليدل على بشريته وإلهيته معاً بهذا الاسم.** فهو يتخذه في نبوات ثلاث عن قتله (٣ : ١٤؛ ٨ : ٢٨؛ ١٢ : ٣٤). ولكنه ابن البشر الذي رآه دانيال نازلاً من السماء : « فإنه لم يصعد أحد إلى السماء إلاّ ابن البشر الكائن في السماء » (٣ : ١٣). فبصفته « ابن البشر » هو كائن في آن واحد على الأرض وفي السماء! وتلاميذه « سيرون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن البشر » ؛ (١ : ٥١). وست مرات، في خطاب واحد، يؤكد « أنا الخبز الحي النازل من السماء » ! (٦)؛ « وإذ علم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون من قوله، قال لهم : أذاك يشكّككم ؟ وإذا رأيتم ابن البشر يصعد إلى حيث كان أولاً ؟! » (٦ : ٦٢). لذلك فهو يرى في ذل ابن البشر مجده : « الآن حانت الساعة التي يمجّد فيها ابن البشر » (١٢ : ٢٣). ولمّا بدأ الاستشهاد بذهاب يهوذا لخيانته، قال : « الآن

تمجّد ابن البشر، وتمجّد الله فيه »! (١٣ : ٣١). فهو ابن البشر الذي يسجد له الأعمى بعد شفائه (٩ : ٣٥ و٣٩). وهو ابن البشر الذي فيه مجد قيامته رأى توما، الرجل الذي لا يؤمن ما لم يرَ بعينه، جنبه المطعون بالحربة، ويديه المثقوبتين بالمسامير، فهتف : « ربي! وإلهي »! (٢٠ : ٢٨).

ففي هذا اللقب النبوي، « ابن البشر » جعل يوحنا مثل المؤتلفة سرّ المسيح في بشريته وفي إلهيته.

ثالثاً : إنه، مثل مرقس، إنجيل بنوة يسوع الإلهية

مرقس يعلن عن هدفه منذ الآية الأولى : « إنجيل يسوع المسيح ابن الله » (١ : ١)، إنه يكتب للعالم الإغريقي الروماني الذي لا تهمه مسيحية يسوع، بل عقليته تتّجه إلى الربوبية والألوهية؛ وهذا ما يهدف إليه مرقس، كما يظهر أيضاً من خاتمة الإنجيل : « ومن بعد ما كلّمهم الرب يسوع، ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله » (مر ١٦ : ١٩).

ويوحنا يعلن عن هدفه المماثل في فاتحته : إن يسوع المسيح هو كلمة الله المتجسد (١ : ١ - ١٨)، وفي خاتمته : « إنما كتبت تلك الأعمال لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله » (٢٠ : ٣١) فالمسيح المشهود أسمى من المسيح الموعود لأنه ظهر « ابن الله ».

لكن مرقس يبيّن ذلك **بأسلوب شعبي**، من خلال أعمال المسيح المعجزة : معجزاته التي لم يعمل مثلها نبي ولا رسول، ولم يستجمعها بشر، تدلّ على أصله الإلهي : إنه ابن الله. بينما يوحنا، في نظرته الشاملة، يظهر ذلك بأسلوب **تاريخي كلامي صوفي**، ينفذ إلى أعماق سرّ شخصيته : إنه ابن الله ككلمته الذاتية؛ كما تدل عليه أحواله وأعماله وأقواله.

إن يوحنا مثل المؤتلفة يرى « ابن الله » في الاسم النبوي العجيب الذي كنى به يسوع عن نفسه : « ابن البشر » ، وفسّره للسنهدرين في محاكمته: « ابن البشر الآتي على سحاب السماء » - وفي لغة الكتاب، سحاب السماء استعارة للحضرة الإلهية - فابن البشر هو في سرّه ابن الله. لكن يوحنا يركّز شهادته على مصدر ابن البشر الإلهي.

يؤكّد ذلك مثل المؤتلفة بقوله الغريب « أتيتُ » أو « خرجتُ » (مرقس ١ : ٢٤ و٣٨؛ ١٠ : ٤٥؛ متى ٩ : ١٣؛ ٢٠ : ٢٨؛ لوقا ٩ : ٥٦؛ ١٩ : ١٠)، لكن بصراحة أكبر : « من الله خرجت، من عند الآب نزلت » (يوحنا ٣ : ٢ و٢١؛ ٥ : ٤٣؛ ٧ : ٢٨؛ ٨ : ٤٢؛ ٩ : ٣٩؛ ١٠ : ١٠؛ ١٢ : ٤٧)؛ ويمتاز بالكشف أن ذاك المجيء أو الخروج من الله هو « نزول من السماء » (يوحنا ٣ : ١٣؛ ٦ : ٣٣ و٣٨ و٤١ و٤٢ و٥٠ و٥١ و٥٨) : « آمنتم أني من الله خرجت! أجل لقد خرجتُ من الآب، وأتيتُ إلى العالم؛ والآن أترك العالم، وأرجع إلى الآب » (١٦ : ٢٧ و٢٨ و٣٠). « فإنه لم يصعد أحد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابن البشر الكائن في السماء » (٣ : ١٣).

ويؤكد ذلك مثل المؤتلفة باسمه : « ابن الله » : فابن البشر هو ابن الله. وبينما في المؤتلفة قد يتردد المرء أحياناً في تعبير « ابن الله » هل هو محمول على المجاز أم على الحقيقة والواقع؛ ففي يوحنا لا مجال للشك : إن يسوع هو ابن الله على سبيل الحقيقة والتنزيه.

أوحى يسوع بذلك شيئاً فشيئاً، لأن الإعلان المفاجئ في بيئة التوحيد التوراتي استفزاز قد يُحمل على التجديف. وما محاولات رجم المسيح (٨ : ٥٩؛ ١٠ : ٣١) إلاّ من هذا القبيل. ولا تُفهم صراحة تصاريح المسيح عند يوحنا، إلاّ أنها تكملة للتلاميح في المؤتلفة التي يفترضها.

والتصاريح الأولى عند يوحنا، في رسالة المسيح الأولى في اليهودية، قبل توقيف المعمدان حيث تبدأ السيرة في المؤتلفة، إنما هي من قبيل الدعوة السرية في نطاق المريدين. فالمعمدان بعد رؤياه في العماد روح الله نازلاً على المسيح يقول : « هذا ما شاهدت، وأشهد أن هذا هو ابن الله » (١ : ٣٤). ونثنائيل، تلميذ المعمدان الذي سمعه معلمه، ويصعق لروح النبوة الخارق في يسوع يهتف : « رابي، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل » أي المسيح (١ : ٤٩).

وعند يوحنا يأخذ اسم « ابن الله » كلّ حقيقته، حتى في تسميته الله : « أبي » . وقد لاحظ اليهود ذلك بعد برهة وجيزة : فبعد شفاء مقعد أورشليم، « ازداد اليهود طلباً لقتله، ليس فقط لأنه ينقض السبت، بل أيضاً **لأنه**

كـان يسـاوي نفسـه بـالله، إذ يـدعو الله أبـاه » (٥ : ١٨). ويقـول لهـم مـرة أخـرى : « إنكـم لا تعرفوني أنا، ولا أبي : فإنكم لو كنتم تعرفوني لعرفتم أبي أيضاً » (٨ : ١٩).

ويسوع يتخذ عند يوحنـا اسم « ابن الله » صراحة، في أعمـال لا تنسب إلاّ إلى الله: « إن السـاعة آتية لا ريب فيها، حيث يسمع الأموات صوت ابن الله، ومتى سمعوا يحيون » (٥ : ٢٥).

وفي عيد الخيام، في هيكل أورشليم، على مسمع من الأحبار والعلماء ووفود الشعب من الوطن والمهاجر يعلن : « الحق الحق أقول لكم، إن حفظ أحد كلامـي، فلن يرى الموت أبداً! فقال له اليهود : الآن تأكدنا أن بك شيطاناً : لقد مـات إبراهيم، والأنبيـاء أيضـاً قد مـاتوا، وأنت تقول : إن حفظ أحد كلامي فلن يذوق الموت أبداً! فمن تجعل نفسك ؟! أجاب يسـوع : لـئن كنت أنا أُمجّد نفسي، فمجدي ليس بشيء، إنما الذي يمجّدني هو أبي الذي أنتم تدعونه إلهكم » ! (٨ : ٥١ ـ ٥٥). وهذا التصريح صار مثار جدله المتواصل معهم. وتوكيداً له، يعلن لهم في الحال : « الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » ! (٨ : ٥٨).

ويدعو صراحة إلى الإيمان به أنه ابن الله : « أنا الذي قدّسـه الآب، وأرسله إلـى العـالم، تقولون لي : أنت تجدّف! لأني قلت : أنا ابن الله » (١٠ : ٣٦). ويفسر لهم هذه البنـوة بمعناهـا التنزيهي الأسمى الذي لا ريب فيـه : « إن كنت لا أعمل أعمـال أبـي، فلا تصدقوني، ولكن إن كنت أعملها، ولا تريدون أن تصدقوني، فصدّقوا هذه الأعمـال، لكي تعلموا وتعترفوا أن الآب فيّ، وأني أنـا فـي الآب » (١٠ : ٣٨). ويطلب إلـى الأعمـى الذي شفاه أن يؤمن بـه ابـن الله، باسم ابن البشر : « وسمع يسوع أنهم طردوه (من الجماعة)، فلقيه وقال له : أتؤمن بابن البشر ؟ فأجاب ذاك وقال : ومَن هو، يا سيدي، حتى أؤمن به ؟ قال لـه يسوع : إنك تـراه! وهـو الـذي يكلمك! فقال : « أنـا أؤمن، يـا رب! وسـجد لـه » (٩ : ٣٥ ـ ٣٧). وقبل إحيـاء لعـازر يحمـل يسوع مريم أخت لعـازر علـى الإيمـان بإلهيتـه : « أنـا القيامـة والحيـاة : مَـن آمن بـي وإن مـات فسيحيا ...

أتؤمنين بهذا ؟ قالت : نعم يا سيدي أنا مؤمنة أنك أنت المسيح، ابن الله، الآتي إلى العالم » (١١ : ٢٥ - ٢٧).

وقد حكم اليهود على المسيح بالإعدام لأنه بالدعوة له أنه ابن الله، قد كفر في نظرهم، لا بسبب ادعائه أنه المسيح، فقد ادعى ذلك كثيرون قبله وبعده، ولم يكفّروهم. ولمّا حاول بيلاطس أن ينقذه لتفاهة أسبابهم كشفوا عن حقيقة موقفهم : « أجاب اليهود : إن لنا شريعة، وبحسب شريعتنا أنه يستوجب الموت، لأنه جعل نفسه ابن الله » ! (١٩ : ٧).

ويمتاز يوحنا عن سابقيه في تسميته « ابن الله الوحيد » ، « الابن الوحيد » (١ : ١٤؛ ٢ : ١٦ الخ).

رابعاً : إنه، مثل دعوة الرسل وبولس، إنجيل ربوبية يسوع

لقد أوجز الرسل دعوتهم منذ الساعة الأولى بهذا البلاغ : « فليعلم إذن جميع بني إسرائيل: أن الله قد جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، ربّاً ومسيحاً » (أع ٤ : ٣٣)، « الرئيس المخلص » (أع ٥ : ٣١) « رب العالمين ... وملك يوم الدين » (١٠ : ٣٦ و٤٢).

وبولس يستفتح رسائله كلها « باسم الله الآب، والرب يسوع » . ويرى بولس سرّ ربوبية المسيح في كونه « ابن الله الذاتي » (رو ٨ : ٣)، « ابن الله بالذات » (٨ : ٣٢) « ابن محبته » (كول ١ : ١٣). ويرى « سر المسيح » في كونه « وهو في حالة الله تنازل وأخذ حالة العبد ... لذلك أنعم الله عليه بالاسم الأعظم، لكي تجثو كل ركبة ممّا في السماوات وعلى الأرض، وتحت الأرض، ويشهد كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب في مجد الله الآب » (فيل ٢ : ٦ - ١١). فليس اسم « الرب » في مصادر الوحي الإنجيلي، لقباً مجازياً، لكنه يحمل معنى إلهيّاً. وبولس يعرف أن هناك « أرباباً كثيرين، وآلهة كثيرين، إنه « الرب » في نظره واحد وهو يسوع المسيح؛ لذلك يستعمله على الإطلاق « الرب » (١ كو ٨ : ٥؛ ١ تيم ٦ : ١٦).

ويوحنا يستعمل أيضاً اللقب على إطلاقه، كما انتهى المؤمنون بالمسيح إلى استعماله على حياته : « ومريم هذه هي التي دهنت الرب بالطيب ... فأرسلت الأختان إلى يسوع تقولان : « يا رب إن الذي تحبه مريض » (١١ : ٢ - ٣). لكنه عند يوحنا يأخذ اللقب كل معناه الإلهي في ختام الإنجيل، فيصرّح توما المشكك : « ربي! وإلهي! » (٢٠ : ٢٨). وهكذا أخذ الرسل يسمون يسوع بعد القيامة! وفي معجزة الصيد الخارق الرمزي عرفه يوحنا وقال لبطرس : « هو الرب » (٢١ : ١٧).

لكن يوحنا يفضل استعمال اسم « الابن » مطلقاً، على اسم « الرب » .

خامساً : إنه، مثل أبولّس في الرسالة العبرية، إنجيل « الابن » على الإطلاق

اجتمعت أنوار المسيحية في آسيا الرومانية، بولس وأبولّس ويوحنا؛ وأخذوا تحت سطوة الوحي يبحثون في « سرّ المسيح » ، فرأوا أن سرّ المسيح في كونه « ابن الله » بالذات : « فهذا السرّ لم يعلن لبني البشر في الأجيال السالفة، كما أعلنه الآن الروح لرسله القديسين وأنبيائه » (أفس ٣ : ٣ - ٥).

وحاول بولس أولاً الكشف عن سرّ هذه البنوة، فعبّر عنها أولاً بالاستعارة « إنه صورة الله غير المنظور » (كول ١ : ١٥ قابل، كو ٣ : ١٨؛ رو ٨ : ٢٩)؛ ثم بالتحديد الكلامي : « في المسيح يحل جسديّاً ملء اللاهوت كله » (كول ٢ : ٩) - « هذا ما أعلنه لنا الله بروحه » (١ كو ٢ : ١٠).

لكن أبولّس أول من استعمل تعبير « الابن » على الإطلاق، استناداً إلى صيغة العماد التي علمها المسيح قبل ارتفاعه إلى السماء : « عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (خاتمة متى). ففي الرسالة العبرية يسميه « الابن » على الإطلاق : « كلمنا في هذه الأيام، وهي الأخيرة، بالابن » (١ : ٢). ويصفه بما وُصفت به « حكمة الله » الأزلية : « فهو ضياء مجده، وصورة جوهره » (١ : ٣). إنه « الابن » حتى في صلبه : « ومع كونه الابن تعلم ممّا تألم أن يكون طائعاً » (٥ : ٧).

وكل هذه المصادر من متى إلى بولس إلى أبولّس تبلورت عند يوحنا. فهو يسمّي يسوع « الابن » على الإطلاق، كما يسمي الله « الآب » على الإطلاق.

لم يحمل اليهود تسمية يسوع نفسه « ابن الله » ، والله « أباه » على معناهما الحقيقي إلاّ في عيد اليهود، بعد معجزة مقعد أورشليم، في خطابه في وحدة السلطان ووحدة العمل بين « الآب والابن » (٥ : ١٩ ـ ٣٠) : في هذه المقابلة « الآب والابن » على الإطلاق رأوا ادعاءه الألوهية. فبدأوا تكفيره وملاحقته ومحاولات رجمه وقتله أو توقيفه، حتى الإعدام والاستشهاد.

مرة أخرى، في عيد الخيام، يقابل بين معرفته بالله الآب، كمعرفة الآب به : « كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب » (١٠ : ١٥).

وبعد إعلان وحدة العمل، ووحدة المعرفة، ووحدة السلطان، يأتي التصريح الضخم، الذي استحق التكفير والرجم، في عيد التجديد : « **أنا والآب واحد** » (١٠ : ٣٠) بإعلان وحدة الكيان والذات : « إن الآب فيّ، وأنا في الآب » (١٠ : ٣٩).

لذلك « مشيئة أبي أن تكون الحياة الأبدية لكل من يرى الابن ويؤمن به » (٦ : ٤٠). فالإيمان بالله الآب والمسيح الابن هو واحد : في ختام دعوته « صاح يسوع، قال : مَن آمن بي، آمن لا بي فقط، بل بالذي أرسلني » (١٢ : ٤٤).

إن المسيح الابن **هو صورة** الله الآب. أعلن للجماهير في ختام دعوته : « فمن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥). كما أعلن لصحابته في حديث الوداع : « **فمَن رآني فقد رأى الآب** » (١٤ : ٩).

*

والقول الفصل أن يوحنا لم ينفرد **بإنجيل** « **الابن** » **.** إنه تعليم الأناجيل المؤتلفة أيضاً.

فعند متى يسوع يشهد بوحدة المعرفة المتبادلة بين « الآب والابن » (١١ : ٢٧). إنه هو وحده « الابن » على الإطلاق بينما سائر الأنبياء والرسل هم « عبيد » لله (٢١ : ٣٨). إنه هو « الابن » في ذات الله الآب، وإن تجاهل ساعة الدينونة التي « لا يعلمها أحد، ولا ملائكة السماوات، **ولا الابن**، إلاّ الآب وحده » (٢٤ : ٣٦). هذا من قبيل

تجاهل العارف حتى لا يسأله أحد، وتبقى القضية محجوبة في غيب الله عن المخلوقين.

وعند مرقس تأتي فاتحته : « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله، (١ : ١) مثل خاتمة يوحنا : « وإنما دُونت هذه (الآيات) لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله » (٢٠ : ٣١).

فشهادة الإنجيل بأحرفه الأربعة، منذ أول آية فيها (مرقس ١ : ١) إلى آخر آية فيها (يوحنا ٢٠ : ٣١) **هي واحدة، وبالحرف الواحد :** إن يسوع الناصري هو « المسيح، ابن الله » .

إنما الخلاف هو في الأسلوب : فما جاء تلميحاً عند المؤتلفة، قد ورد تصريحاً عند يوحنا. وإذا جاز لأحد الشك في تاريخية يوحنا تجاه المؤتلفة، نقول له في أضعف الإيمان إن يوحنا نقل التلميح إلى التصريح، والإشارة إلى العبارة. وهذا تفسير لا تحريف.

والخلاف في الأسلوب إنما هو ناجم **عن الاختلاف في بيئة** الدعوة، ما بين شعبية في الجليل كما عند المؤتلفة، وعلمية في أورشليم كما في الإنجيل بحسب يوحنا.

هذا هو سبب التطور الملحوظ ما بين يوحنا وبين المؤتلفة. فالاختلاف هو في الأسلوب، لا في الموضوع؛ وفي البيئة لا في العقيدة.

فشخصية السيد المسيح **تظل في جوهرها واحدة** في الإنجيل بأحرفه الأربعة، منذ أول آية فيها (مرقس ١ : ١) إلى آخر آية فيها (يوحنا ٢٠ : ٣١)، **وبالحرف الواحد.**

لكن يوحنا جعل من **إنجيل** « **الابن** » شهادته أكثر من أسفار العهد الجديد كلها.

فتلك الأبحاث السبعة كانت تمهيدية.

* * *

بحث تاسع

سر الله - في الإنجيل بحسب يوحنا

الإنجيل بحسب يوحنا، ورسالته الأولى الكبرى، التي نقدر أن نعتبرها مقدّمة وتقديماً للإنجيل، حيث يوجز فيها تعليم الإنجيل، هما **الطور الأخير من الوحي الإنجيلي.** ويوحنا يشعر بذلك وهو يكتبهما، بفعل الروح القدس الفارقليط : « وأما الفارقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، **فهو الذي يعلّمكم كل شيء**، ويذكّركم بكل ما قلت لكم » (١٤ : ٢٦)، « ومتى جاء روح الحق نفسه، **فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها** » (١٦ : ١٣). يشعر يوحنا أنه يدوّن، بروح الله، حقيقة المسيح والإنجيل كاملة.

وميزة شهادة يوحنا الرسول أن الإنجيل **سرّ وحي**، كما هو **سرّ خلاص.** فغايته الأولى هي الكشف عن سرّ الله، بالكشف عن سرّ المسيح، والكشف عن سرّ الروح الفارقليط.

أولاً : تعريف الله في صفاته

يكشف أمين الوحي الإنجيلي عن سر الله في ذاته **بثلاثة تعريفات :**

« الله روح » (يو ٤ : ٢٤).

« الله نور » (١ يو ١ : ٥).

« الله محبة » (١ يو ٤ : ٨).

تلك الصفات الثلاث هي قمة الوحي الإنجيلي. وهي صفات **ذاتية وفعلية**، لأن فعل الله من ذاته؛ وهي كيانية، تكوينية تكشف سر الله في ذاته.

١ - « الله روح »

هذا هو الله تعالى في ذاته : إنه « الروح » المطلق.

بهذا التعريف يسمو الخالق على المخلوق الغارق في المادة والزمان والمكان « الله روح » فهو يسمو على كل تصوّر وتصوير.

« الله روح » : فالله موصوف بصفة **التجريد** عن المخلوق، وبصفة **التنزيه** عن كل ما يمتّ إلى المخلوق بصلة.

بهذا التحديد يتحدّى الإنجيل آلهة الوثنية كلها، الغارقة في الحسّ والمادة.

وتعريف الله تعالى بأنه « **الروح** » **المطلق** يستدعي تعبيرين كتابيّين آخرين: إنه « **الله الحي** » في مقابلة الآلهة الوثنية الغارقة في المادة والشهوة، ولا حياة « الروح » فيها؛ وأشعيا في رؤياه يسمع الملائكة ينشدون : « **قدوس! قدوس! قدوس!** الله الصمد » (ف ٦). والقداسة الإلهية، في لغة الكتاب، هي التجريد والتنزيه عن المخلوق. وبالتكرار الثلاثي لصفة « القدوس » يصف النبي التنزيه المطلق. وهذا ما قصده يوحنا، على لسان يسوع، في تعريفه: « الله روح ».

لذلك فدين الله الحق هو دين الروح : « الله روح، وعلى عابديه أن يعبدوه بالروح والحقيقة » (يو ٤ : ٢٤). فالعبادة بحسب « الروح » هي العبادة بحسب « الحقيقة » . وهي تقتضي التجريد والتنزيه « عن الجسد وعن أعماله المائتة » (عبر ٦ : ١) لتعمل وتُثمر « ثمر الروح » (غلا ٥ : ٢٢) « الذي يحيي » (يو ٦ : ٦٣). وعبادة « الله الروح » ، « بحسب الروح والحقيقة » لا تصحّ إلاّ بولادة روحية من « الله الروح » ، « لأن المولود من الجسد جسد، والمولود من الروح روح » . فالمسيحية هي ديانة « الروح » بكل معانيها، لأنها قائمة على عقيدة « الله روح » في كامل التجريد والتنزيه، وإن سمح تجسّد « كلمة الله » بالتمثيل والتشبيه.

٢ - « الله نور »

« الله نور » في ذاته، وليس فقط « نور السماوات والأرض » .

هذا هو الإنجيل المنزل، « البشرى التي سمعناها منه، ونبشركم بها : الله نور، ولا ظلام فيه » (١ يو ١ : ٥).

« الله نور » في ذاته، « وهو في النور » (١ يو ١ : ٧). فالله تعالى هو **النور المطلق**.

بهذا التصريح الثنائي يسمو الإنجيل في التوحيد، وفي الكشف عن الله كل علم وكل حكمة وكل سرّ مستور.

ويقضي على كلّ عبادة فلكية غاص فيها الناس، كما يقضي على الغنوص المنتشرة في زمن التدوين، والتي تقسم الوجود إلى إله الخير وإله الشر، وتقسم الكون إلى عالم النور وعالم الظلام.

بهذا التعليم أيضاً يسمو الإنجيل على التوراة والنبيّين، في التنزيه عن التشبيه.

فلا يطلب الناس النور في أيّ دين، المسيحية هي ديانة النور : « أنا نور الكون » (يو ٨ : ١٢؛ ٩ : ٥؛ ١٢ : ٤٦).

فالمسيح « نور » يقود إلى الله، « النور » المطلق. لذلك يضيف : « مَن تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون فيه نور الحياة » (يو ٨ : ١٢).

وفي تعليم يوحنا، تعبير « النور » متلازم مع تعابير « الحياة » و « الحقيقة » و « المحبة » . وكلها من صفات الله ومسيحه، يحيا فيها من يحيا في الله والمسيح، بروحه القدوس.

٣ - « الله محبة »

شرعة المحبة في الأناجيل المؤتلفة هي شريعة المسيح. وعند بولس « إله المحبة والسلام » هو إله الإنجيل (٢ كو ١٣ : ١١).

وعنده أيضاً رعاية الله لنا هي **رعاية المحبة** في المسيح، فهو يرى في بعثة المسيح البرهان الأعظم على محبة الله لنا، خصوصاً في الفداء بالصليب (رو ٥ : ٨؛ ٨ : ٣٢ - ٣٩؛ غلا ٢ : ٢٠؛ ٢ كو ٥ : ١٤ - ١٥).

كذلك عند بولس، المسيحية هي **حياة المحبة**، كما في النشيدين العظيمين للمحبة المسيحية (رو : ف ٨ و١٣). وتصل حياة المحبة حدّ الاتصال والوصال بالله، بالشركة مع ابن الله (١ كو ١ : ٩)، والشركة في الروح القدس (٢ كو ١٣ : ١٣). وهذه الشركة في الروح القدس هي ذروة النعمة والمحبة : « نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله الآب، والشركة في الروح القدس معكم » .

فسُكنى الروح القدس في المسيحيين، برهانُ محبة الآب ونعمة المسيح، هي التي تجعلهم حقيقة أبناء الله، وأعضاء المسيح، وهياكل الروح القدس، ممّا يسمح لهم أن ينادوا الله نفسه « أبّا » أي « أبتا » ، وبالعامية « بابا » كما كان يناديه المسيح ابن الله ويناجيه (غلا ٤ : ٦ ـ ٧؛ رو ٨ : ١٤ ـ ١٦).

عند بولس، كما عند يوحنا، فالمحبة هي مصدر أعمال الله كلها، كما يجب أن تكون مصدر أعمال الإنسان كلها.

لكنه كان مقدّراً للرسول الذي اتكأ على صدر المسيح في العشاء السري أن يرتفع من علاقة الخالق والمخلوق، إلى **سر الله في ذاته** فيرى ويكشف لنا « **أن الله محبة** » (١ يو ٤ : ٨) في ذاته، قبل عمله في خلقه.

فالحب هو سرّ الله في ذاته، وسرّه في عمله، وسرّه في خلقه.

رأى بولس برهان ذلك في سرّ الصليب. ويوحنا يراه كذلك في سرّ الصليب (١ يو ٤ : ١٠) ويراه أيضاً في سرّ التجسد (١ يو ٤ : ٩) وفي سرّ القربان (يو ١٣ : ١). لذلك يقول الرسول الحبيب : « مَن لا يُحب لا يعرف الله، **لأن الله محبة** » (١ يو ٤ : ٨).

فإن الإنجيل هو الحب بالذات، ودينه هو دين المحبة، في عقيدته وشريعته وصوفيته. بهذه المحبة التي يسكبها الله في نفس المؤمن، بروحه القدوس، يمكن الاتصال بالله نفسه، والوصال فيه : « **الله محبة**، فمن يقيم في المحبة يُقيم في الله والله فيه (١ يو ٤ : ١٦)؛ « ونعرف أنه يقيم فينا بالروح الذي آتانا » (١ يو ٣ : ٢٤)؛ « بهذا نعرف أنّا مقيمون فيه، وهو فينا، بأنه آتانا من روحه » (١ يو ٤ : ١٣).

فالله محبة. والمسيح محبة. والمسيحية محبة. وهذا الوحي ميزة الدين المسيحي على الأديان قاطبة.

فصفات الله الذاتية، التي انفرد الإنجيل بالكشف عنها، إن الله هو « **الروح والنور والمحبة** » في ذاته، وفي خلقه. يشهد بذلك نزول المسيح كلمة الله، وتنزيل الروح القدس الفارقليط. وتلك الصفات الثلاث مجتمعة هي دليل السمو والكمون في سر الله؛ فهي دليل أيضاً على التجريد والتنزيه من جهة، وعلى القرب منا والودّ من جهة أخرى.

ثانياً : تعريف الله في ذاته

تلك الصفات الإلهية، في الإنجيل بحسب يوحنا، تكشف لنا أيضاً عن سرّ الله في ذاته. « الروح والنور والمحبة » تكشف لنا في الله **سرّ تثليثه في توحيده.** فهي ليست فقط صفات ذاتية، بل إنما هي صفات كيانية، تكوينية، **قائمة بذاتها في الكيان الإلهي**، لا هي عين الذات، ولا هي غيرها.

منذ أول الوحي، لأول بشر، نزل قوله تعالى : « وخلق الله الإنسان على صورته، كمثاله » . وبالإنجيل ندرك أبعاد هذا الوحي الأولي. فالإنسان على صورة الله في نطقه أي القوة العاقلة فيه؛ وهو على مثال الله في محبته، أي القوة المريدة فيه. فالإنسان ذات ونطق ومحبة، على صورة الله كمثاله. لكن الأصل الإلهي لهذه الصورة المخلوقة هو فوق المخلوق وفوق الإدراك، « يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار » ، إذ « ليس كمثله شيء » .

فالنطق الإلهي في الذات الإلهية لا حدّ له، إنه **ذات في الذات**؛ والحب الإلهي هو أيضاً **ذات في الذات.** هذا ما كشفه لنا بهذه التعابير الثلاثة : « الروح والنور والمحبة » : صفات كيانية ثلاث **شاملة** كما يدركها العقل؛ وصفات ذاتية أقنومية ثلاث **خاصة** كما نزلت في الإنجيل.

١ ـ تعبير « الله الروح » كناية عن الله الآب

تعبير « الله روح » يمثل الذات الإلهية في مطلق التجريد والتنزيه. و « الروح » ، الذات الإلهية، هو أيضاً « النور » و « المحبة » ، في صلات ذاتية، كيانية، لا هما عين الذات، ولا هما غيرها. وبما أن « الروح »، الذات الإلهية، هو مصدر « النور » و « المحبة » فالإنجيل يسميه « الآب » .

٢ ـ « الله نور » كناية عن الله الابن، نطق الله الذاتي

تعبير « الله نور » يصف الكيان الإلهي في ذاته: فهو « النور ». كما هو « الروح » . لكن صفة « النور » في « الروح » الإلهي، صلة ذاتية، كيانية، قائمة في ذاتها، لا هي عين « الروح » ولا هي غيرها.

والسيد المسيح يصف صلته بالله الآب أنه « ابن الله » بتعبير شعبي، وأنه « كلمة الله » أي نطقه الذاتي، بتعبير كلامي. ونطق الله في ذات الله هو « النور » الذاتي فيه تعالى. فهو « نور من نور » ، في « النور » الإلهي. إنه « النور » الناطق في ذات الله. فالله « النور » على التخصيص هو الله الابن.

هكذا عرّف بنفسه في الإنجيل. يقول : « أنا النور، أتيت إلى العالم، حتى مَن آمن بي لا يسير في الظلام » (يو ١٢ : ٤٦). ثم يقول : « ما دمت في الكون فأنا نور الكون » (يو ٩ : ٥)، « مَن تبعني لا يسير في الظلام، بل في نور الحياة » (يو ٨ : ١٢). فالسيد المسيح يتخذ صفة الله عينها على التخصيص به. وشمولها وكمالها فيه دليل سموها فيه : إنه « النور » الإلهي، « نور الحياة » ، « النور الذي ينير كل إنسان » (يو ١ : ٤ - ٩)؛ لأنه هو النور في ذاته، ولا ظلام فيه على الإطلاق » (١ يو ١ : ٥)؛ فهو « ضياء مجده، وختم جوهره » (عبر ١ : ٣). بهذه الصلة الذاتية هو « النور » ، نور « الروح » الإلهي، الآب. لذلك يقول : « مَن رآني فقد رأى الآب ... ألا تؤمن أني في الآب، والآب فيّ ... صدّقوا قولي : إني أنا في الآب، وإن الآب فيّ » (يو ٤ : ٩ - ١١). لكن هذه الثنائية الذاتية بين « الروح » و « النور » ، بين الآب والابن، لا تنفي الوحدة الكيانية : « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠).

هذا التعبير عن « الابن » بأنه « **النور** » فيه شيء من اقتباس شرقي إيراني. والتعبير عن « الابن » بأنه « **الكلمة** » أي النطق الذاتي فيه شيء من اقتباس غربي يوناني. بهذين التعبيرين، كناية عن ابن الله، قرّب الإنجيل نفسه من العقلية الشرقية ومن العقلية الغربية جميعاً. وهما أفضل تفسير لمعنى « ابن الله » في لغة الإنجيل؛ وهما أفضل تعبير عن ثنائية « الروح » و « النور » أو « الكلمة » أي الآب والابن، في التوحيد الإلهي المطلق، للجوهر الفرد الأسمى.

٣ - « الله محبة » كناية عن الله الروح القدس، حب الله الذاتي

تعبير « الله محبة » يصف كذلك الذات الإلهية في كيانها. فالكيان

الإلهي هو « الحب » المطلق، كما هو « النور » المطلق، و « الروح » المطلق.

لكن صفة « المحبة » هي أيضاً صلة ذاتية، كيانية، قائمة بذاتها في كيان الله، لا هي عين الذات ولا هي غيرها.

وهذه « المحبة » الكيانية الإلهية هي صلة ذاتية قائمة بين ذاتين، الآب « الروح » ، والابن « النور » أو « الكلمة » . فسماها الإنجيل « الروح القدس » ، وصفة « القدس » - في لغة الكتاب والإنجيل - كناية عن التجريد والتنزيه عن الروح المخلوق؛ فهو الروح القدس الخالق. إنه « المحبة » الذاتية، الكيانية، التي توحّد بين الآب « الروح » وبين الابن « النور » أو « الكلمة » . فالروح والنور والمحبة صلات ذاتية كيانية قائمة في الكيان الإلهي : إنه تثليث ذاتي في التوحيد المطلق.

هكذا في الإنسان المخلوق « على صورة الله كمثاله » ؛ نجد القوة الناطقة فيه، والقوة المحبة المريدة فيه - ولا ثالثة لهما - أي نجد « صورة الله » في ذاته : « الروح » و« النور » و « المحبة » أي الآب والابن والروح القدس.

في الإنسان المخلوق، الروح والنور والمحبة, صفات قائمة في غيرها، أي في ذات الإنسان. بينما هي في الله صفات قائمة بذاتها، في الجوهر الإلهي الفرد، لا هي عين الذات، ولا هي غيرها. وهذا هو **سرّ الله** الذي كشفه لنا الإنجيل، **التثليث في التوحيد.**

فليست المسألة عددية؛ إنما هي صفات ذاتية كيانية. فالله تعالى هو « الروح » و« النور » و « المحبة » أي الآب والابن والروح القدس.

هذا هو سرّ الله في الإنجيل بحسب يوحنا.

* * *

بحث عاشر

ميزة يوحنا بأَنه إنجيل إلهية يسوع المسيح

أسلوب الأناجيل المؤتلفة كان إبراز إلهية يسوع المسيح من خلال بشريته. فجاء الإنجيل بحسب يوحنا تفصيلاً لبشرية المسيح وإلهيته على سواء. لكنّه دوّن الإنجيل الأورشليمي على التخصيص، حيث تتواتر بين العلماء تصاريح يسوع في إلهيته، «لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله» (٢٠ : ٣١).

وهذه البنوة ليست مجازية كبنوة سائر أولياء الله؛ إنما هي بنوة حقيقية تشهد بإلهيته. فالإنجيل بحسب يوحنا هو خصوصاً **إنجيل إلهية يسوع المسيح**. وهذه ميزته على أسفار الوحي الإنجيلي كلها.

إن إلهية يسوع المسيح تظهر : من مصدره الإلهي؛ ومن وحدة الصفات بين المسيح الابن والله الآب؛ ومن وحدة الكيان والذات؛ ومن وحدة السلطان على تنزيل روح الله.

أولاً : مصدر يسوع هو الله نفسه

يؤكد يسوع أن مصدره هو الله الآب ذاته، لا مصدر رسالته فقط، بل مصدر ذاته كذلك.

يسوع يؤكد **خمسين مرة**، في الإنجيل بحسب يوحنا، إن الله قد أرسله، وهو نازل إلى الأرض من عند الله، ومن ذات الله.

فهو **الرسول الأعظم** الذي به ختم الله النبوة والكتاب، كما قال صاحب الرسالة العبرية: «إن الله، بعد إذ كلّم الآباء، قديماً بالأنبياء، مراراً عدة وبأساليب شتّى؛ كلمنا نحن، في هذه الأيام الأخيرة، بالابن ...» (١ : ١ - ٣). ويوحنا يشترك في التأكيد عينه مع الأناجيل المؤتلفة (متى ١٠ : ٤؛ ١٥ : ٢٤؛ ٢١ : ٣٧؛ مرقس ٣ : ٣٧؛ لوقا ٤ : ١٨ و٤٣؛ ٩ : ٤٨ ...).

لكن يسوع يعلن أن **مصدره ذاته هو الله الآب نفسه :**

١ - بالتورية في أسمائه

التورية الكبرى هو اسمه الذي يلقب به ذاته : « **ابن البشر** » . وهذا اللقب المتواتر مأخوذ عن دانيال النبي الذي رأى « شبه ابن البشر آتياً على سحاب السماء » من عند الله. فحقّق النبوءة الكبرى في لقبه. وكان إشارة لطيفة منه إلى مصدره الإلهي.

التورية الكبرى الأخرى هي تسمية الله تعالى « **أباه** » على التخصيص؛ فهو « ابن الله » على الحقيقة، لا على المجاز. فمنذ الفصح الأول بأورشليم يصيح في الهيكل : « لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة » (٢ : ١٦)، وطرد تجار الدين من الهيكل. ولما فهم اليهود ما يعني من تسمية الله « أباه » ، « ازدادوا طلباً لقتله، ليس فقط لأنه كان ينقض السبت، بل أيضاً لأنه كان يدعو الله « أباه » مساوياً نفسه بالله » (٥ : ١٨). ويؤكد لهم أنهم فهموه حقاً: « إنما يمجدني **هو أبي الذي تدعونه أنتم إلهكم** » (٨ : ٥٤).

٢ - بتصاريحه أنه « نزل من السماء »

يعلن بتواتر أنه « نزل من السماء » ، ولم يُرسل من الأرض كسائر الأنبياء والمرسلين. فالإنجيل بحسب يوحنا يقول مثل المؤتلفة: « من الله خرجت »، « من الله أتيت »، لا على سبيل الرسالة فقط، بل على حقيقة الصدور (مرقس ١ : ٢٤ و٣٨؛ ١٠ : ٤٥؛ متى ٩ : ١٣؛ ٢٠ : ٢٨؛ لوقا ٩ : ٥٦؛ ١٩ : ١٠).

لكن تصاريح المسيح، عند يوحنا، أصرح وأكثر لأنها كانت محور جداله مع علماء اليهود في مصدره. بعد معجزة المخلع في بيت حسدا بأورشليم يقول : « أنا أتيت باسم أبي ولا تقبلوني ... ولا تبتغون المجد الذي من عند الأحد » (٥ : ٤٣ - ٤٤).

وفي عيد الخيام كان حواره كله مع اليهود عن مصدره الإلهي. ففي حوار أول، « صاح يسوع وهو يعلّم في الهيكل، قال : أجل أنتم

تعرفوني، وتعلمون من أين أنا! مع أني لم آتِ من قبل نفسي، والذي أرسلني حق. وأنتم لا تعرفونه، أمّا أنا فأعرفه **لأني من لدنه**، وهو الذي أرسلني - فحاولوا عندئذ أن يقبضوا عليه » (٧ : ٢٧ - ٣٠). وفي حوار ثانٍ يعلن : « لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني، **لأني من الله خرجت وأتيت.** وأنا لم آتِ من نفسي، بلْ هو الذي أرسلني » (٨ : ٤٢ - ٤٣).

وبعد معجزة الأكمه أي الأعمى منذ مولده يصرّح: « لقد أتيت إلى هذا العالم للدينونة: لكي يُبصر الذين لا يبصرون، ويعمى الذين يبصرون » (٩ : ٣٩) كناية عن الأميين وعن اليهود. ثم يعلن : « أما أنا فقد أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). هكذا « إني لم آتِ لأدين العالم، بل لأخلص العالم » (١٢ : ٤٧).

ويركّز يوحنا على القول مراراً **بأن يسوع نزل من السماء.** يعلن ذلك للخاصة مثل نيقوديم: « إنه لم يصعد أحد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابن البشر القائم في السماء » (٣ : ١٢ - ١٣). ويعلنه للجماهير، فيردّد في جامع كفرناحوم سبع مرات : « أنا الخبز الحي النازل من السماء » (٦ : ٣٣ و٣٨ و٤١ و٤٢ و٥٠ و٥١ و٥٨).

ولا شكّ أنه بتلك التصاريح يعلن عن مصدره الإلهي، وقد فهموه كذلك، لأنه بعد كل محاورة كانوا يحاولون رجمه، ظناً منهم أنه كفر (٧ : ٣٠؛ ٨ : ٥٩؛ ١٠ : ٣١).

٣ - بتصاريحه إنه يرجع إلى الله « أبيه » في السماء

يعلن للخاصة مثل نيقوديم : « إنه لم يصعد أحد إلى السماء، إلاّ الذي نزل من السماء، ابن البشر القائم في السماء » (٣ : ١٣).

وبعد خطابه في « خبز الحياة » ، « إذ علم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون من هذا القبيل، قال لهم : أذاك يشكّككم ؟ فكيف لو رأيتم ابن البشر يصعد إلى حيث كان أولاً » (٦ : ٦٢).

وفي عيد الخيام يعلن للجماهير المحتشدة للعيد : « أنا معكم زماناً يسيراً، ثم ارجع إلى الذي أرسلني » (٧ : ١٦).

وفي أحد الشعانين، بعد دخول العاصمة والهيكل دخول الفاتحين، طلب وفد من الهلنيين المتقين مقابلته، فقال لهم « ... مَن شاء أن يخدمني فليتبعني، وحيث أكون أنا، فهناك يكون خادمي » (١٢ : ٢٤ - ٣٣).

وفي العشاء السري، بعد طرد الخائن يقول لصحابته : « الآن تمجّد ابن البشر، وتمجّد الله فيه. إن كان الله قد تمجّد فيه، فالله أيضاً **يمجّده في ذاته**، وسيمجده عن قريب » (١٢ : ٣١).

فمن نزل من ذات الله، ويصعد إلى ذات الله، فهو من ذات الله.

٤ - بتأكيده أنه شاهدَ الله مشاهدة العيان

ليس في طاقة المخلوق أن يرى ذات الخالق، لأنه الغيب المحجوب عن المخلوق. واحد أحد وحده رأى الخالق في ذاته : « إن الله لم يره أحد قط، إلاّ الوليد الوحيد الذي في حضن الآب، وهو الذي أخبر عنه » (١ : ١٨). هذه ميزة السيد المسيح على المرسلين والمخلوقين أجمعين: « لم يرَ أحد الآب إلاّ الذي هو من لدن الآب، **فهو قد رأى الآب** » (٦ : ٤٦).

لذلك كان وحي الأنبياء تنزيلاً، ووحي السيد المسيح كشفاً عن المشاهدة العيان. هذا ما يعلنه منذ البدء لنيقوديم، علاّمة إسرائيل : « الحق الحق أقول لك : إننا ننطق بما نعرف، **ونشهد بما شاهدنا** » (٣ : ٢١).

ويوحنا يقابل بين الكشف الإنجيلي والوحي النبوي : « إن الذي أتى من العلاء هو أعلى من الجميع؛ والذي من الأرض هو أرضي، وكلامه أرضي أيضاً. إن الذي يأتي من السماء هو أسمى من الجميع، **ويشهد بما شاهد وسمع** » (٣ : ٣١ - ٣٣).

وفي عيد الخيام، يعلن للجماهير المحتشدة : « وأنا إنما أتكلّم بما **شاهدت عند أبي** » (٨ : ٣٨).

فميزة المسيح الشخصية أنه شاهد الله عينه مشاهدة العيان. وهذا من براهين إلهيته.

ثانياً : السيد المسيح ينسب لذاته صفات إلهية

الصفات في كل كائن برهان الذات.

والسيد المسيح ينسب لنفسه صفات إلهية، هي براهين ذاته.

١ - المسيح الابن يعلن أنه « القديم » مثل الله الآب

يقول ذلك للأفراد مثل نيقوديم : « إنه لم يصعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، ابن البشر **الكائن في السماء** » (٣ : ١٣). ومَن يكون في السماء وعلى الأرض في آن واحد إلاّ الله ؟

ويعلنه للجماهير أيضاً كما فعل في عيد الخيام : « الحق الحق أقول لكم **قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن** » (٨ : ٥٨). ومن هو « **الكائن** » قبل إبراهيم - وما بين المسيح وإبراهيم نحو ألفي سنة - إلاّ الله ؟

يمتاز الخالق عن المخلوق بأنه « الكائن » على الدوام، « القديم » من قبل الكون؛ والمخلوق محدث، مهما تقادم عهده. والسيد المسيح يعلن لصحابته أمام الجماهير : « لو رأيتم ابن البشر يصعد إلى حيث كان أولاً » (٦ : ٦٢).

فالسيد المسيح هو الأزلي، السرمدي، الأبدي مثل الله، كما يصلّي : « فالآن، أيها الآب، مجّدني أنت فيك، بالمجد الذي كان لي فيك، من قبل كون العالمين » (١٧ : ٥)، « لأنك أحببتني قبل إنشاء العالمين » (١٧ : ٢٤). فالمسيح الابن هو « القديم » مثل الله الآب.

بذلك لا نقول **بقديمين**، فالسيد المسيح يعلن : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)، واحد في الجوهر والكيان الإلهي.

٢ - المسيح الابن يعلن أنه « القدير » مثل الله الآب

يصرّح الإنجيل : « إن الآب يحب الابن، وقد جعل في يده كل شيء (٣ : ٣٥) أي السلطان على الخلق.

ميزة الخالق على المخلوق بأن المخلوق مهما سما محدود؛ والخالق هو

القادر على كل شيء. والمسيح الابن يعلن مساواته لله الآب في القدرة والسلطان : « **ما يفعله الآب، يفعله الابن كذلك** » (٥ : ١٩).

فمجده في ذلك هو مجد الله الآب عينه : « يا أبتِ، لقد أتت الساعة، فمجّدْ ابنك لكي يمجّدك ابنك؛ ولكي يعطي - **وقد قلّدته السلطان على كل بشر** - الحياة الأبدية لجميع الذين أعطيتهم له » (١٧ : ١ - ٢). سلطان إلهي في الدنيا، وسلطان إلهي في الخلود.

ومن مظاهر القدرة العلية والسلطان الإلهي، أعمال المسيح المعجزة، التي يشارك فيها الله الآب بالخلق والاحياء : « فكما أن الآب يقيم الأموات ويحييهم، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء » (٥ :٢١).

ومعجزاته الإلهية لم يعملها آخر : « لو لم أعمل بينهم أعمالاً لم يعملها آخر، لما كان عليهم خطيئة » (١٥ : ٢٤) لكفرهم به وبها.

صفة الله التي تفرّد بها جلاله هي أنه « **ملك يوم الدين** » . والمسيح الابن يعلن: « إن الآب لا يدين أحداً، بل فوّض إلى الابن كل دينونة ... فلا تدهشوا من هذا : إن الساعة آتية لا ريب فيها، حين يسمع جميع مَن في القبور صوته، فيخرجون منها : فالذين عملوا الصالحات يقومون للحياة، والذين عملوا السيئات يقومون للدينونة » (٥ : ٢٢ و٢٨). فالسيد المسيح هو « ملك يوم الدين » : « فقد آتاه (الآب) سلطان يوم الدين، لأنه ابن البشر » (٥ : ٢٧).

٣ - المسيح الابن يعلن أنه « العليم » مثل الله الآب

فالمعرفة بينهما متبادلة، متساوية، في ذاتهما : « كما أن الآب يعرفني، فأنا أعرف الآب » (١٠ : ١٥).

ومعرفة المسيح الابن من معرفة الله الآب، تحدّوه في الهيكل بأورشليم : « مَن تجعل نفسك ؟ أجاب يسوع : لئن كنت أنا أُمجّد نفسي فمجدي ليس بشيء، إنما الذي يمجّدني هو **أبي الذي تدعونه أنتم إلهكم**. وأنتم لا تعرفونه. أما أنا فأعرفه، وإن قلت إني لا أعرفه كنت كاذباً مثلكم؛ لكني أعرفه واحفظ كلامه » (٨ : ٥٣ - ٥٥).

معرفة المسيح الابن صورة لمعرفة الله الآب، **فالإكرام الواجب لهما واحد :** « إن الآب يحب الابن، **ويريه جميع ما يفعل**، لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. ومَن لا يكرم الابن، لا يكرم الآب الذي أرسله » (٥ : ٢٠ و٢٣).

فالمسيح الابن هو « العليم » مثل الله الآب، بعلم الله نفسه الذي « يريه جميع ما يفعل » .

٤ ـ المسيح الابن يتمتع « بمجد » الله الآب نفسه

في لغة الكتاب والإنجيل، تعبير « المجد » كناية عن الذات.

في أحد الشعانين، طلب وفد من الهلّينيين المتّقين أن يروا يسوع. فردّ يسوع المجد الله الآب : « أيها الآب مجّد اسمك. فجاء صوت من السماء : قد مجّدته، وسأمجّده » (١٢ : ٢٨). فتمجيد السيد المسيح هو تمجيد « اسم » الله عينه.

بعد خروج الخائن من العشاء السري الأخير، أعلن يسوع، إيذاناً ببدء استشهاده ومجده: « الآن تمجّد ابن البشر، وتمجّد الله فيه. إن كان الله قد تمجّد فيه، فالله أيضاً **يمجّده في ذاته**، وسيمجّده عن قريب » (١٣ : ٣١ ـ ٣٢). إنه تمجيد ومجد في « ذات » الله. ومَن يشترك في « مجد » الله ذاته، يكون من « ذات » الله.

فمجد واحد أزلي لله الآب والمسيح الابن : « فالآن، أيها الآب، مجّدني أنت فيك، **بالمجد الذي كان لي فيك** من قبل كون العالمين » (١٧ : ٥).

فمجد المسيح الابن هو مجد الله الآب عينه، من قبل الخلق والتكوين؛ وهو « مجد » في « ذات » الله. فالسيد المسيح يتمتع « بمجد » الله الآب نفسه.

٥ ـ المسيح الابن، في رسالته، يتمتع بميزات إلهية

يعلن عنها بتصاريح أكبر من المخلوق. في عيد الخيام يعلن للجماهير في الهيكل: « **أنا نور العالمين**، من تبعني لا يمشي في الظلام، بل

يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢؛ قابل ٩ : ٥؛ ١٢ : ٣٥). ويبرهن على ذلك بمعجزة إبراء الأكمه، الأعمى منذ مولده.

وبمناسبة الحج إلى الفصح، يصرّح للجمهور الذي أتى للتعزية بلعازر : « **أنا القيامة والحياة**، مَن آمن بي، وإن مات فسيحيا » (١١ : ٢٥). ويبرهن على ذلك بإحياء لعازر، بعد أربعة أيام من موته ودفنه (ف ١١).

في العشاء الأخير، يصرّح لصحابته: « **أنا الصراط والحقيقة والحياة** » (١٤ : ٦). ويبرهن على ذلك باستشهاده وقيامته.

يسوع يصرّح دائماً أنه « **النور الحقيقي** الذي ينير كل إنسان » (١ : ٩)؛ « فيه الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ٤). ويعلن للجماهير : « ما دام النور معكم، فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور » (١٢ : ٣٥ - ٣٦ و٤٦).

كما يشهد **بأنه هو** « **الحياة** » (١١ : ٢٥). والإيمان به سبيل إلى هذه الحياة (٥ : ٢٩ قابل ٣ : ١٥؛ ٤ : ٣٦؛ ٥ : ٣٩ و٤٠؛ ٦ : ٢٧ و٤٠؛ ١٠ : ٢٨؛ ١٢ : ٢٥). وهذه الحياة تصل إلى الناس بالإيمان بيسوع (٥ : ٢٤). إنها هدف رسالته الإلهية : « وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). جسده نفسه مأكولاً هو مصدر حياة أبدية (٦ : ٣٣ و٤٧ و٥٤ و٦٣ و٦٨)، حياة إلهية تبدأ على الأرض وتدوم في السماء (٥ : ٢٨ - ٣٠؛ ٦ : ٣٩ - ٤٠ و٤٤ و٥٤).

إنه الحياة والخلود، ويعطي الحياة والخلود : «أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء : **إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد**. والخبز الذي سأعطيه أنا هو **جسدي** لحياة العالم ... فليس هو كالذي أكله الآباء (المنّ) وماتوا! فالذي يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد » (٦ : ٥١ - ٥٨). فإذا كان « جسده » مصدر حياة أبدية، فهو نفسه رب الحياة الأبدية.

فقائل مثل هذه الأقوال، إنما هو الكفر بالذات، أو الحق بالذات! كفّره اليهود، لعمى قلوبهم، وقتلوه؛ لكنه رضي بالاستشهاد للشهادة، وأيّد الله شهادته بالقيامة والرفع إلى السماء : فهو الحق بالذات.

فالسيد المسيح ينسب لذاته صفات إلهية، ويؤيدها بمعجزاته. فما بين المسيح الابن والله الآب وحدة في الصفات، تقوم على وحدة في الذات.

ثالثاً : ما بين المسيح الابن والله الآب وحدة في الذات

الذات هنا كناية عن الطبيعة الإلهية. ووحدة الذات تظهر في وحدة العمل، ووحدة الحياة، ووحدة الكيان الإلهي، في وحدة مطلقة.

١ ـ ما بين المسيح الابن والله الآب وحدة في العمل

مبدأ فلسفي مقرّر، أن العمل يصدر من طبيعة عامله : فالعمل مظهر الذات. بعد شفاء مخلّع أورشليم، ينصبّ حوار يسوع على وحدة العمل بين المسيح والله الآب.

يعلن وحدة العمل بقوله : « إن أبي بلا انقطاع يعمل، وأنا كذلك أعمل. فازدادوا طلباً لقتله » (٥ : ١٧ ـ ١٨). وهذه الوحدة في العمل قائمة على المشاهدة العيان : « الحق الحق أقول لكم : إن الابن لا ينفرد في العمل وحده، **بل يعمل ما يرى الآب يعمل :** فما يفعله هو، يفعله الابن كذلك » (٥ : ١٩).

ومن وحدة العمل **وحدة الأحياء :** فكما أن الآب يقيم الأموات ويحييهم، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء » (٥ : ٢١). وحدة إحياء في الدنيا، ووحدة الإحياء في يوم الدين: « الحق الحق أقول لكم : إن الساعة آتية لا ريب فيها، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، وحين يسمعون يحيون » (٥ : ٢٥).

ومن وحدة العمل، **وحدة السلطان** في يوم الدين. فالله هو « ملك يوم الدين » ؛ والمسيح الابن كذلك هو ملك يوم الدين : « إن الآب لا يدين أحداً، بل فوّض كل دينونة إلى الابن ... وآتاه سلطان يوم الدين لأنه ابن البشر » (٥ : ٢٢).

فوحدة العمل والسلطان الإلهي برهان وحدة الذات.

٢ ـ ما بين المسيح الابن والله الآب وحدة في الحياة

يعلن بإيجاز معجز : « كما أن الآب لـه الحياة في ذاتـه، كذلك آتى الابن أن تكون لـه الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦). فحياة المسيح الابن هي حياة الله الآب عينها.

وحياة الأكوان مستمدة من حياة « الكائن » بذاته. وعند خلق الأكوان، « فيه كانت الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ٤).

وحياة الله الآب والمسيح الابن مصدر إحياء في اليوم الحاضر : « فكما أن الآب يقيم الأموات ويحييهم، كذلك الابن يحيي مَن يشاء » (٥ : ٢١). ومصدر إحياء في اليوم الآخر : « الحق الحق أقول لكم : إن الساعة آتية لا ريب فيها، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، وحين يسمعون يحيون » (٥ : ٢٥).

وحياة الله في المسيح الابن تمتد إلى بشريته؛ فيصير « جسده » مصدر حياة أبدية: « كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب، فمن يأكلني يحيا أيضاً بي ... مَن يأكل جسدي ويشرب دمي له الحياة الأبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير » (٦ : ٥٤ و٥٧).

٣ ـ ما بين المسيح الابن والله الآب وحدة في الوجود الإلهي

يختم السيد المسيح تصاريحه لعلماء اليهود عن ذاته، بإعلانه لهم، في هيكل أورشليم، وفي عيد التجديد : « **أنا والآب واحد** » (١٠ : ٣٠).

وفسّر لهم وحدة الذات ووحدة الوجود بين المسيح الابن والله الآب بقوله : « لكي تعلموا وتشهدوا **أن الآب فيّ، وأنا في الآب** » (١٠ : ٣٨). وفهموا أنه يعادل بين إلهيته وإلهية الله الآب، ويوحّد بينهما، « فطلبوا أن يقبضوا عليه. فتخلّص من أيديهم وانطلق إلى عبر الأردن » (١٠ : ٣٨ ـ ٣٩). لقد كفروه وحاولوا رجمه مرتين (١٠ : ٣١ و٣٩). وهذا التكفير وتلك المحاولة هما البرهان القاطع على صحة صدور التصريح عن السيد المسيح.

وما قاله للجماهير علناً، أسرّه إلى صحابته في الخلوة : « يا فيلبس ...

أفلا تؤمن **أني أنا في الآب، وأن الآب فيّ ؟ ...** صدقوني **أني أنا في الآب، وأن الآب فيّ**. وإلاّ فصدّقوا عن أجل أعمالي » (١٤ : ١٠ - ١١). معجزاته تشهد بصدقه.

هذه حقيقته، وهذا سرّ ذاته. فهو في صلاته يخاطب الله : « أيها الآب، أنت فيّ، وأنا فيك » (١٧ : ٢١).

فما بين المسيح الابن والله الآب وحدة في الوجود الإلهي والكيان المطلق الأزلي، أي في الذات الإلهية عينها.

٤ - ما بين المسيح الابن والله الآب وحدة في الذات الإلهية

وحدة العمل، ووحدة الحياة، ووحدة الكيان الإلهي، كلها تعابير عن وحدة الطبيعة الإلهية، وحدة الذات، بين المسيح الابن والله الآب.

وهو يؤكد مباشرة وحدة الذات بينه وبين الله الآب بمثل قوله: « كل ما للآب فهو لي » (١٦ : ١٥).

ويصلّي معلناً وحدة الذات مع أبيه، وهو يصلّي إليه : « أيها الآب القدوس ... كل ما لي فهو لك، وكل ما لك فهو لي » (١٧ : ١٠).

ويقولها علناً في هيكل أورشليم للشعب كله، ولأحباره وعلمائه : « **مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني** » (١٢ : ٤٥). هذا أوضح تعبير عن وحدة الذات بين الله الآب والمسيح الابن.

رابعاً : المسيح الابن هو المظهر الإنساني والكوني لله الآب

من وحدة الذات، والكيان الإلهي، والحياة، والعمل، تأتي النتيجة الحاسمة أن المسيح الابن هو المظهر الإنساني والكوني لله الآب، في شخصه، وفي عمله، وفي شهادته؛ ففيه تتم وحدة الوجود.

١ - المسيح الابن هو مظهر الله الآب في شخصه

يقولها للشعب وزعمائه وأحباره في هيكل أورشليم، وفي آخر رسالته : « فصاح يسوع، قال : مَن آمن بي، آمن لا بي فقط، بل بالذي أرسلني. **ومن رآني فقد رأى الذي أرسلني** » (١٢ : ٤٤ - ٤٥).

ويردّدها لصحابته في الخلوة، في عشاء الوداع : « قال له فيلبس : يا رب، أرنا الآب وحسبنا! قال له يسوع : يا فيلبس أنا معكم كل هذا الزمان ولا تعرفني! **من رآني فقد رأى الآب.** فكيف تقول أنت : أرنا الآب! أفلا تؤمن **أني أنا في الآب، وأن الآب فيّ** » (١٤ : ٨ - ١٠).

فالمسيح الابن يُظهر الله الآب في شخصه.

٢ - المسيح الابن هو مظهر الله الآب بعمله

في عيد الخيام يعلن لليهود : « أنا لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني. مكتوب في شريعتكم : إن شهادة اثنين قائمة. فأنا أشهد لنفسي. وأبي الذي أرسلني يشهد لي. فقالوا له: أين أبوك ؟ قال يسوع : إنكم لا تعرفوني أنا، ولا أبي. لو كنتم تعرفوني لعرفتم أبي أيضاً » (٨ : ١٦ - ١٩).

وفي العشاء الأخير يعلن لصحابته : « الأقوال التي أُكلمكم بها، لا أتكلم بها من نفسي، **بل الآب المقيم فيّ** هو يعمل أعماله » (١٤ : ١٠).

لذلك فالمسيح الابن هو مظهر الله الآب بعمله.

٣ - المسيح الابن هو مظهر الله الآب بشهادته

إن المسيح الابن هو **المشاهد** وحده لله الآب، **والشاهد** العياني وحده لله الآب. قالها في الخلوة للمريدين : « الحق الحق أقول لك، إننا ننطق بما نعرف، **ونشهد بما شاهدنا** » (٣ : ١٣).

وقالها علناً في هيكل أورشليم للشعب وأحباره وعلمائه : « فصاح يسوع وقال : ... مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني. أنا النور، قد جئت إلى العالم لكي لا يمكث في الظلام كل مَن يؤمن بي ... إني لا أتكلم من نفسي، بل الآب الذي أرسلني هو حدّد لي ما أقول وما أُبشّر به. واعلم أن وصيته حياة أبدية : فما أقوله، إنما أقول بحسب وصية أبي » (١٢ : ٤٤ - ٥٠).

لذلك صرّح يوحنا في فاتحة الإنجيل : « إن الله لم يره أحد قط، إلاّ الإله، الوليد الوحيد الذي في حضن الآب، وهو الذي أخبر » (١ : ١٨).

فالمسيح الابن هو مظهر الله الآب بشهادته.

٤ - ففي المسيح الابن تتم وحدة الوجود الحقّة

إن السيد المسيح هو « ابن الله » و « ابن البشر » فهو **صلة الوصل الذاتية والكونية** بين الله والإنسان، بين الخالق والمخلوق.

كشف ذلك في خطاب « خبز الحياة » بجامع كفرناحوم : « مَن يأكل جسدي ويشرب دمي **يثبت فيّ وأنا فيه**. فكما أن الآب الذي أرسلني **هو الحي**، وأنا أحيا بالآب، فالذي يأكلني يحيا هو أيضاً بي » (٦ : ٥٦ - ٥٧). فارتد عنه « كثيرون » من تلاميذه لهذا التصريح الذي يفوق الخبرة البشرية.

لكن السيد المسيح لم يتراجع عنه. بل في العشاء الأخير جدّد الكشف عينه لصحابته : « لن أدعكم يتامى، إني أرجع إليكم. بعد قليل لا يراني العالم البتة، وأما أنتم فترونني **لأني أنا الحي**، وأنتم ستحيون في ذلك اليوم ستعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيّ وأنا فيكم » (١٤ : ١٨ - ٢٠) هذه هي وحدة الوجود في المسيح.

وهذه الوحدة هي صلاة المسيح الأخيرة لأبيه، قبل استشهاده : « أيها الآب القدوس، أحفظ باسمك الذين أعطيتهم لي، ليكونوا واحداً كما نحن واحد ... لكي يكونوا بأجمعهم واحداً: أيها الآب، كما أنك أنت فيّ، وأنا فيهم، فليكونوا هم أيضاً فينا ... لقد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني (البنوة الإلهية) لكي يكونوا واحداً كما نحن واحد : أنا فيهم، وأنت فيّ، فيكلموا في الوحدة » (١٧ : ١١ و٢١ - ٢٣). صورة أخرى لوحدة الوجود في المسيح.

فالسيد المسيح هو **الصلة الذاتية والكونية والحياتية** بين الخالق والمخلوق. فهو محور وحدة الوجود، في كامل التجريد والتنزيه.

في بحث لاحق نرى أن السيد المسيح ينسب لنفسه اسم الله الأعظم وذاته : « أنا هو » أي « يهوه » .

فالمسيح الابن هو المظهر الإنساني والكوني لله الآب.

خامساً : المسيح الابن يتمتع بسلطان الله الآب في تنزيل الروح القدس

لا يعطي الله إلاّ الله ذاته. وروح الله من ذات الله، فلا يعطيه إلاّ الله نفسه. والمسيح الابن يشهد بأن له سلطان الله الآب في تنزيل الروح القدس.

في الكتاب، تنزيل الروح الإلهي في «الأيام الأخيرة» دليل على العهد المسيحي الموعود (أشعيا ٣٢ : ١٥؛ حزقيال ٣٦ : ٢٦؛ يوئيل ٣ : ١ ـ ٢). لكن تنزيل «الروح» ميزة الله تعالى وحده في الكتاب.

والمسيح الموعود هو **رجل «الروح»** الأول (أشعيا ١١ : ١ ـ ٢؛ ٤٢ : ١ ـ ٤). والسيد المسيح نفسه يستشهد بهذه النبوة، وبهذه الميزة الخاصة به (متى ١٢ : ١٨). يقول : « روح الله عليّ، فقد مسحني وأرسلني ... » (لوقا ٤ : ٨).

في المؤتلفة، يسوع يعد تلاميذه بعون الروح في الشدة والاضطهاد (متى ١٠ : ٢٠؛ مرقس ١٣ : ١١). لكن لوقا يقترب من يوحنا فيجعل بين المسيح والروح صلة خاصة (لو ٤: ١٨؛ ١٠ : ٢١)؛ ويجعل المسيح مع الله مصدر تنزيل الروح القدس (٢٤ : ٤٩).

أما يوحنا فيجعل من **تنزيل «الروح» ميزة المسيح.** فهو يشهد : «إن الذي أرسله الله ينطق بكلام الله، ولا يعطي الروح بتقتير»[(١)] (٣ : ٣٤).

وفي الحديث مع السامرية، يقابل يسوع بين ماء البئر و « الماء الحي » الذي يعطيه : « ومن يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا له، فلن يعطش أبداً، فإن الماء الذي أُعطيه له يكون فيه نبعاً ينبع حياة أبدية » (٤ : ٤ و١٤).

« وفي اليوم الأخير العظيم من العيد (عيد الخيام) وقف يسوع وصاح. قال : مَن عطش فليأتِ إليّ! وليشربْ مَن آمن بي. فكما قال الكتاب: من باطنه ستجري أنهار ماء حي » (٨ : ٣٧ ـ ٣٨). ويضيف الإنجيلي : « قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون مزمعين أن يأخذوه » (٧ : ٣٩).

وجاء الكشف الأخير في الوداع الأخير. في حديثه لصحابته يكشف

---

(١) هذه هي الترجمة الصحيحة بحسب العلامة لاغرنج. أما غيره فيترجمون : « ينطق بكلام الله ، والله لا يعطيه الروح بمقدار » .

لهم أنه يرسل لهم « **الفارقليط، معيناً آخر** » ، وذلك خمس مرات (١٤ : ١٦ - ١٧؛ ١٤ : ٢٦ - ٢٧؛ ١٦ : ٨ - ١١؛ ٨ : ١٣ - ١٥). فالروح الإلهي المُنزل على الرسل الصحابة، يأخذ بذلك اسماً جديداً : « الفارقليط » أي المعين (١٤ : ١٦)؛ يرسلها الآب باسم يسوع (١٤ : ١٦؛ ١٥ : ٢٦)، « لأنه من الآب ينبثق » (١٥ : ٢٦). ويسوع أيضاً يرسله من « عند الآب » (١٥ : ٢٦؛ ٢٦ : ٧).

فالروح القدس، « **الفارقليط** » ، ذات إلهية، من ذات الله، في ذات الله. ويسوع يشترك في السلطان الإلهي، مع الله الآب، في تنزيل الروح الفارقليط. فهو « روح الآب » و « روح يسوع » معاً. وتنزيل « الروح » ميزة إلهية فوق طاقة المخلوق. فهي تدل على إلهية المسيح الابن، مثل صفات « القدير » ، « القديم » ، « الأزلي » التي ينسبها السيد المسيح لنفسه. فالمسيح الروح يعطي « الروح » ، مثل الله الروح. وهذا أيضاً برهان إلهيته.

وهكذا، فتلك الظواهر والدلائل والبراهين الخمسة، من أقوال يسوع وأعماله وأحواله، في الإنجيل بحسب يوحنا، **برهان قاطع**، سواء كانت منفردة، وخصوصاً مجتمعة، لإلهية يسوع المسيح. فهو بحق « ابن الله » بما يفوق المخلوق، في مطلق التجريد والتنزيه.

وهي أيضاً تصديق للأناجيل المؤتلفة، وتفصيل لتعليمها أن يسوع هو « سيد » الشريعة، و « ملك يوم الدين » .

وهي كذلك تصديق لتفصيل بولس للمسيحية في « سر المسيح » .

وذلك بشهادة شاهد العيان، « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » ، والذي اتكأ على صدره في عشاء الوداع ينهل منه المحبة والمعرفة.

سادساً : هل من شبهات، في تصاريح المسيح، على إلهيته ؟

هناك ثلاثة مصادر لتلك الشبهات، مَن يعزلها عن جملة تصاريح المسيح في إلهيته، يقع فيها.

المصدر الأول هو إعلان يسوع عن بشريته، مثل إعلانه عن إلهيته.

فمن يقتصر على إعلان بشريته يقرّر بأن يسوع مجرد بشر. كذلك وجد من اقتصر على إعلان إلهيته، فنزع عنه بشريته. والواقع الإنجيلي يشهد بإعلان بشريته، كما يشهد بإعلان إلهيته. وهذا هو «سر المسيح» .

المصدر الثاني هو إعلان يسوع انتسابه لله الآب. فهو يقول مثلاً : «إن الابن لا يستطيع أن يعمل، ما لم يرَ الآب يعمل» (٥ : ١٩)؛ «كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك آتى الابن أن تكون له الحياة في ذاته» (٥ : ٢٦)؛ «**إن الآب هو أعظم مني**» (١٤: ٢٨).

لكن هذا الانتساب هو **انتساب البنوة إلى الأبوة.** فالإنجيل يستعمل تعابير «الآب» و «الابن» على الإطلاق. فليس في انتساب البنوة إلى الأبوة من شبهة على الذات. فالآب هو مصدر الابن، لكنه المصدر الذاتي الكياني الوجودي، **حيث الأبوة والبنوة في الله** كالذات ونطقها الذاتي في وحدة الذات والكيان والوجود، فوق الحدوث والزمان، في وحدة وجودية كيانية ذاتية أزلية.

وصلة البنوة من الأبوة، **في طبيعة الله الواحدة**، برهان على صحة تلك التصاريح عن إلهيته، وصحة معناها؛ لا شبهة على إلهية «الابن» ، «الكلمة» ، النطق الذاتي في ذات الله.

وصلة البنوة في المسيح الابن لا تمنع كامل الألوهية فيه فهو يعلن : «كل ما للآب فهو لي» (١٦ : ١٥). كما يشهد في صلاته عينها : «كل ما لي فهو لك، وكل ما لك فهو لي» (١٧ : ١١).

فالبنوة الذاتية الحقة في المسيح الابن دليل فيه على المصدرية الذاتية الإلهية السرمدية فوق الزمان والمكان، وفوق الحدوث والمخلوق.

المصدر الثالث هو صلاة المسيح الابن إلى الله الآب. وفي الواقع نرى المسيح الابن «يصلّي» لله الآب (ف ١٧) - والصلاة تكون من الأدنى إلى الأعلى. من جهة أخرى نرى أن بولس لا يرفع صلاة إلى المسيح مباشرة، بل يرفع صلاته إلى الله الآب، باسم «الرب يسوع» .

ليس في ذلك من شبهة. ففي الإنجيل بحسب يوحنا، نرى السيد المسيح يطلب من تلاميذه أن يصلّوا إلى الله الآب باسمه، كما يطلب إليهم أن

يصلّوا إليه كما للآب. يقول : « مهما سألتم باسمي فأنا أفعله، لكي يتمجد الآب في الابن. **وإذا سألتموني شيئاً**، باسمي، فأنا أفعله » (١٤ : ١٣ - ١٤). ويقول : « الحق الحق أقول لكم : إن جميع ما تطلبونه إلى الآب يعطيكموه باسمي. **حتى الآن لم تطلبوا باسمي شيئاً :** اطلبوا فتنالوا، لكي يكون فرحكم كاملاً » (١٦ : ٢٣ - ٢٤).

فالسيد المسيح، في الإنجيل بحسب يوحنا، يشرع الصلاة إليه مثل الصلاة لله أبيه. وهذا برهان إيمانه بإلهيته.

فليس في تلك المصادر الثلاثة من شبهات على إلهية السيد المسيح. ومهما خُيّل من شبهة فيها فإنها تسقط تجاه تصاريح المسيح القاطعة بإلهيته.

* * *

بحث عاشر

إنه فصل الخطاب في الوحي الإنجيلي كله

إن الإنجيل بحسب يوحنا هو **الكشف الأسمى** (لا الوحي أو التنزيل)، لسر « الآب » وسر « الكلمة » وسر « الروح » ، **في سر « الله » .**

وبما أن الإنجيل **كشف** فهو يسمو على كل وحي وتنزيل.

والإنجيل بحسب يوحنا هو **عرْضة ثانية** لسيرة المسيح ودعوته، تمت بكشف من « الروح القدس الفارقليط » لأبعاد أقوال المسيح وأعماله وأحواله. وهذا ما يميّزها عن **العرْضة الأولى** في الأناجيل المؤتلفة، متى ومرقس ولوقا.

والإنجيل بحسب يوحنا يركّز على **دور « الروح القدس الفارقليط »** في تدوينه: « فهو الذي يعلمكم كل شيء - ويذكركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ٢٦)، وهو الذي « يرشدكم إلى الحقيقة كلها » (١٦ : ١٣).

لذلك فهو **فصل الخطاب** في الوحي الإنجيلي كله.

١ ـ سر الله « الآب »

نحاول **الكشف عن سر الله « الآب » ، بالكشف عن سر « الابن » .**

كانت الدعوة المسيحية في الأناجيل المؤتلفة أن يسوع هو « الرب يسوع » ، « المسيح الرب » . وبلغت الذروة في شهادة بطرس، باسم الصحابة كلهم: « أنت المسيح ابن الله الحي » . وقد أكّدها يسوع بشهادته الشخصية في محاكمته الدينية أمام السنهدرين، المجلس اليهودي الأعلى : إنه « **ابن المبارك** » ، « **ابن البشر** الجالس عن يمين القدرة، والآتي على سحاب السماء » كما رآه دانيال (مرقس ١٤ : ٦٢).

وقد وارى يسوع عن حقيقة شخصيته **باسم « ابن البشر »** الذي هو « ابن مريم » و « ابن الله » **معاً** ـ وهو أبلغ من اسم « المسيح » ، « ابن داود » . لأن « ابن البشر » **بحسب الاستعارتين، « يجلس عن يمين القدرة ـ و « القدرة » من أسماء الله الحسنى في الكتاب؛ « ويأتي على سحاب السماء » وهي صفة لتجليات الله في خلقه، خصوصاً في الوحي والتنزيل.**

وقد حاول بولس، في تعابير متنوعة، الكشف عن حقيقة بنوة المسيح الابن من الله الآب : فهو « ابن الله بالذات » (رو ٨ : ٣ و٣١)، « القائم في حال الله وحال العبد » **معاً (فيل ٢ : ٦ ـ ٨)؛ « صورة الله غير المنظور » (كول ١ : ١٥)، « فيه يحل جسديّاً ملء اللاهوت كله » (كول ٢ : ٩).** ففتح الطريق ليوحنا.

وكانت **العرْضة الأخيرة** عند يوحنا : إن السيد المسيح ليس فقط « الرب يسوع » أو « المسيح الرب » ، أو « ابن الله » ؛ إنما هو **« الابن » على الإطلاق،** كما يردّد في الإنجيل كله. يظهر ذلك من لغة بولس : « النعمة والرحمة والسلام من الله الآب والمسيح يسوع ربنا » (٢ تيم ١ ـ ٢). ومن لغة يوحنا : « **الآب يحب الابن،** وقد جعل في يده كل شيء » (٣ : ٣٥).

فالله هو « **الآب** » على الإطلاق.

والمسيح هو « الابن » على الإطلاق.

وفي هذا الإطلاق المساواة التامة، والوحدة المطلقة: « **أنا والآب واحد** » (١٠ : ٣١).

٢ - سر المسيح « الابن »

في الإنجيل بحسب يوحنا كله يظهر يسوع المسيح أنه « **الابن** » **على الإطلاق**، في وحدة الكيان، وفي وحدة الذات، وفي وحدة العمل، وفي وحدة السلطان، مع الله « الآب » .

لكن ما سرّ هذه البنوة في الذات الإلهية؟ ما الذي يرفعها على كل تشبيه مع المخلوق؟ ما معناها في عقيدة التوحيد، في كامل التنزيه والتجريد ؟

نرى الجواب في **فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا**، التي هي مفتاحه كله.

يستفتحها بتعبير « **الكلمة** » (١ : ١)، ويختتمها بتعبير « **الوليد الوحيد** » (١ : ١٨).

لقد ورث يوحنا عن الكتاب أن السيد المسيح هو « **ابن البشر** » كما هو « **حكمة الله** » . وقد ورث عن الدعوة الإنجيلية أن يسوع المسيح هو « **ابن الله** » كما أوجز الإنجيل في خاتمته: « وإنما كتبت هذه (الآيات) لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله » (٢٠ : ٣١).

وبالتأمل والكشف الرباني نحو سبعين سنة، قاده « روح الحق إلى الحقيقة كلها » (١٦ : ١٣)، فجمع بين الوحي الكتابي، « **حكمة الله** » ؛ والوحي الإنجيلي، « **ابن الله** » ؛ بهذين التعبيرين الفريدين « كلمة الله » و « الوليد الوحيد » للكشف عن حقيقة « **ابن الله** » الذي هو أيضاً « **ابن البشر** » .

فالمسيح « ابن البشر » هو « ابن الله » بصفة كونه « الوليد الوحيد في حضن الآب » (١ : ١٨) لأنه « كلمة الله » الأزلي الذاتي، الذي « صار بشراً وسكن فيما بيننا » (١ : ١ و١٤).

١) المسيح هو « كلمة » الله

استفتح الإنجيل بهذه الرباعية :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة فهو منذ البدء في الله »

تعبير « **الكلمة** » لا يؤدّي معنى التعبير اليوناني « **لوغس** » كاملاً. فلفظ « لوغس » كما قلنا سابقاً هو **النطق الذاتي**، في ذات الله الناطقة. يصدر نطق الله الذاتي عن ذات الله الناطقة صدور ابن عن أبيه في عالم المخلوق. لذلك يحق أن يسمي الإنجيل ذات الله الناطقة « الآب » ، والنطق الذاتي فيه « الابن » .

قيل الكثير عن **مصدر تعبير « الكلمة »** ، « لوغس » .

لقد ورد في الفلسفة اليونانية. وأخذته **الغنوص** وأشاعته في البيئات الدينية كلها، حتى في الكلام التوحيدي اليهودي عند فيلون.

فاستخدم يوحنا التعبير **استخدام مطلقاً**، مجرّداً عن كل معانيه الفلسفية والغنوصية والكلامية اليهودية - وفي هذا إعجازه المطلق؛ ورفعه على ضوء الإنجيل الأورشليمي خصوصاً، وعلى ضوء الكتاب كما فهمه بروح الله، في « **حكمة الله** » الأزلية، وفي « **كلام الله** » الخلاّق. ومن « كلام الله » الخلاّق، على ضوء « حكمة الله » الأزلية، تبلورت فكرة « **كلمة الله** » **الذاتي** في ذات الله.

فمصدر عقيدة الإنجيل في « كلمة الله » هو أيضاً تطور لتعبير الأناجيل المؤتلفة وأعمال الرسل وبولس في التعبير عن **المسيحية أنها « الكلمة »** : « على حسب ما سلمه إلينا الذين كانوا منذ البدء **شهود عيان للكلمة** ثم صاروا خداماً لها » (لوقا ١ : ٢). فمن « **كلمة المسيح** » إلى « **المسيح الكلمة** » تبلورت عقيدة « **كلمة الله** » **الذاتي.**

فعلى ضوء الكتاب والإنجيل، استخدم يوحنا **تعبير « الكلمة »** الهليني الذي كان شائعاً في مدرسته بأفسس، لتفسير **بنوة** المسيح الروحية في الله الذي « هو روح » (٤ : ١٤). **فالمسيح « ابن الله » هو نطقه الذاتي**، بولادة روحية، عقلية، نطقية، في ذات الله، فوق الحس والمخلوق، في كامل التنزيه والتجريد، في التوحيد.

و « كلمة الله » الذاتي هو الذي تأنّس في يسوع المسيح : « **والكلمة صار بشراً، وسكن في ما بيننا** » (١ : ١٤). وبرهان أُلوهيته وبنوته حتى في بشريته أننا « قد شاهدنا مجده، مجد الآب في ابنه الوليد الوحيد،

ملء النعمة والحقيقة » (١ : ١٤). **فمجد الله الآب ظهر على يسوع المسيح** فكان حقيقة « ابنه الوليد الوحيد » ، وكان حقيقة « ملء النعمة والحقيقة » .

فتفسير المسيح « **ابن الله** » بتعبير « **كلمة الله** » الذاتي برفع البنوة في الله، والأبوة في الله، بالتجريد الكامل، والتنزيه المطلق، عن المخلوق، إلى سمو الخالق على كل تشبيه، و « الله ليس كمثله شيء » .

٢) المسيح الابن هو « الوليد الوحيد »

تستخدم الفاتحة هذه الصفة مرتين (١ : ١٤ و١٨) لتصف بنوة « الكلمة » في ذات الله : إنه « الوليد الوحيد » الذي في تجسده ظهر عليه « مجد الآب لابنه » (١ : ١٤)؛ والذي هو « **الوليد الوحيد الذي في حضن الآب** » (١ : ١٨).

وتعبير « الوليد الوحيد » يوضح أن بنوة « الكلمة » من ذات الله، ليست بنوة معنوية أو مجازية، بل **بنوة حقيقية تقوم على ولادة حقيقية**، لكنها **روحية، عقلية، نطقية، ذاتية**، ترفعها فوق ما يمت إلى المخلوق بصورة أو تشبيه.

فالتعبيران « كلمة الله » و « الوليد الوحيد » يكمل بعضهما بعضاً لوصف سر المسيح، « الابن » في سر الله، « الآب » .

٣) أدوار « الكلمة » في الخلق والوحي الإنجيلي

ثم تصف الفاتحة أدوار « كلمة الله » ، « الوليد الوحيد » في الخلق والوحي.

فالمسيح « الكلمة » قبل تجسده له ثلاثة أدوار :

التكوين : « به كل شيء كُوّن، وبدونه لم يكن شيء مما كُوّنَ » (١ : ٣)

والاحياء : « فيه كان الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ٤)

والتنوير : « والنور يُضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه » (١ : ٥)

والمسيح الكلمة في تجسده له الأدوار الثلاثة عينها.

التكوين بولادة جديدة في الله: « أما الذين قبلوه، فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله ... لأنهم قد وُلدوا من الله » (١ : ١١ و١٣).

والإحياء إنه في ذاته « ملء النعمة والحقيقة » (١ : ١٤)؛ ولذلك به « بيسوع المسيح أتت النعمة والحقيقة » (١ : ١٧) كما سيقول : « أنا القيامة والحياة » (١١ : ٢٥).

والتنوير بالكشف الرباني : « الله لم يره أحد قط؛ الإله، الوليد الوحيد الذي في حضن الآب، هو أظهره » بذاته وبكلامه (١ : ١٨).

فالإنجيل هو الكشف الأخير والأسمى **لسر الله.**

والمسيح الابن هو ذاته الكشف الذاتي لذات الله، كما سيقول : « مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥)، « مَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٩).

٤) هدف تأنس « الكلمة »

« إن الله لم يره أحد قط » (١ : ١٨). لذلك كل وحي وتنزيل - بواسطة مخلوق - يقصّر عن كشف « سر الله » ، ذاك « الغيب » المحجوب عن المخلوق.

لا يقدر أن يكشف « غيب الله » إلاّ « الوليد الوحيد الذي في حضن الآب » (١ : ١٨). وهذا هو هدف تأنس « الكلمة » الأول.

والهدف الثاني هو تطوير الدين من علاقة عبد بربه، إلى علاقة ابن بأبيه السماوي، وذلك يرفع المخلوق البشري إلى بنوّة الله على مثال بنوة المسيح، **بالتبني** لا المجازي بل الحقيقي : « أما الذين قبلوه فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله.

وهذا « السلطان » آتاناه « الكلمة » المتجسد، بالتجسّد والفداء :

ففي « التجسّد » ينزل الخالق إلى المخلوق.

وفي « الفداء » يرتفع المخلوق إلى الخالق.

وفي القربان المسيحي يلتقي الخالق والمخلوق في وحدة الوجود.

٣ - سر « الروح »

الكشف الأخير في الإنجيل كان الكشف عن حقيقة « الروح » .

تمّ ذلك في أحاديث الوداع قبل الاستشهاد (ف ١٤) وبعد القيامة وقبل الرفع إلى السماء (ف ١٥ - ١٦) - كما فصلناها سابقاً.

ففي ذاته هو «**الروح القدس**» على الإطلاق، أسمى من كل روح مخلوق. وهو أيضاً، بتعبير آخر، «**روح القدس**» أي الله الآب (١٤ : ٢٦)؛ كما هو «**روح الحق**» (١٤ : ١٧؛ ١٥ : ٢٩؛ ١٦ : ١٣)، و «الحق» هو المسيح الابن (١٤ : ٦). وهذه الإضافة الثنائية الذاتية دليل مصدره : فكما أنه «**من الآب ينبثق**» (١٥ : ٢٦)، فهو أيضاً من الابن ينبثق، كما يدل عليه عمل المسيح الرمزي يوم القيامة: «نفخ فيهم، وقال لهم : خذوا الروح القدس» (٢٠ : ٢٢). ففي تلكما الصفة والإضافة الكشف عن حقيقة «الروح» وعن مصدره الذاتي.

وفي بعثته، لتحقيق بعثة السيد المسيح، هو «**فارقليط آخر**» يقوم مقام المسيح، مع صحابته وكنيسته «على الدوام وإلى الأبد» (١٤ : ١٦).

وقد رأينا تفصيل بعثة «الروح القدس الفارقليط» كما حدّدها يسوع في الوعد الكريم به :

- «يقيم معكم ويكون فيكم» (١٤ : ١٧).
- «يعلمكم كل شيء، ويذكركم بجميع ما قلت لكم» (١٤ : ٢٥)
- «فهو يشهد لي، وأنتم أيضاً تشهدون» (١٥ : ٢٦ - ٢٧)
- «يرشدكم إلى الحقيقة كلها» (١٦ : ١٣)
- «يفحم العالم بشأن الخطيئة والبر والدينونة» (١٦ : ٩)

هذا هو سر «الروح» في ذاته وفي بعثته.

وفصل الخطاب في الإنجيل بحسب يوحنا أنه كشف لنا

سر «الآب»

وسر «الكلمة»

وسر «الروح»

في «غيب الله» المحجوب عن الخلْق والنبوة.

وبذلك كشف لنا **سر حياة الحي القيوم** في ذاته الصمدانية.

وفي ذلك **إعجازه المطلق** على كل نبوة ووحي وتنزيل.

تلك هي صوفية المسيحية، في الإنجيل بحسب يوحنا.

* * *

بحث حادي عشر

رسالة المسيح في الإنجيل بحسب يوحنا

في الإنجيل بحسب يوحنا، تقوم رسالة المسيح على الكشف عن سر الله، بالكشف عن سر المسيح. فهو تكميل للأناجيل المؤتلفة، كما هو تكميل « لإنجيل » بولس أي دعوته.

هذه هي شهادة يوحنا في الوحي الإنجيلي : إنه إنجيل الظهور الإلهي في المسيح؛ وإنجيل محبة الله في المسيح؛ وإنجيل الحياة الإلهية في المسيح.

أولاً : شهادة يوحنا في الوحي الإنجيلي

إنها شهادة شاهد العيان منذ اللحظة الأولى. لذلك جاءت تكميلاً للأناجيل المؤتلفة، وتكميلاً لبولس نفسه.

١ - إنها تكميل للأناجيل المؤتلفة

فليس من خلاف، في الموضوع، بين يوحنا والمؤتلفة، في سيرة المسيح ورسالته؛ إنما هناك تكميل.

فعن سابق تخطيط رسولي، في العَرْضة الأولى للإنجيل، اقتصر المؤتلفة على **الإنجيل الجليلي :** « وبعدما أُلقي يوحنا (المعمدان) في السجن، أتى يسوع إلى الجليل يدعو بإنجيل الله » (مرقس ١ : ١٤). بينما يوحنا يركّز على **الإنجيل الأورشليمي.**

فيفصّل **دعوة المسيح الأولى** في أورشليم واليهودية، مدة السنة الأولى تقريباً : « قدم يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، وأقام هناك معهم وكان يعمّد ... وكان الناس يأتون ويعتمدون، لأن يوحنا لم يكن بعد قد أُلقي في السجن » (٣ : ٢٢ - ٢٤).

وفي رسالة المسيح في الجليل يكتفي يوحنا بما دوّنه قبله المؤتلفة، مرقس، ومتى، ولوقا. لكنه يكملهم بذكر **مطلع الرسالة** في الجليل إلى منطقة الناصرة، في رحلتين ومعجزتين في قانا الجليل؛ ثم بذكر **عقدتها** في رحلة يسوع من الجليل إلى أورشليم في « عيد اليهود » (٥ : ١)؛ أخيراً يذكر **خاتمتها** بنقل خطاب يسوع في « خبز الحياة » بجامع كفرناحوم؛ وهو الذي سبّب ردّة « كثيرين » من تلاميذه هناك عنه.

أخيراً يستفيض بنقل **رسالة المسيح الثانية** في أورشليم واليهودية، التي سكت عنها المؤتلفة في العَرْضة الأولى، بسبب المحاذير المرتقبة، في المخطط الرسولي الأول. فكان الإنجيل بحسب يوحنا **العرضة الثانية** لإنجيل المسيح الكامل.

قامت رسالة السيد المسيح في الجليل **بتأسيس ملكوت الله**، حتى شهادة بطرس، بوحي من الله، إن يسوع هو « المسيح ابن الله الحي » (متى ١٦ : ١٦). فجاءت رسالة المسيح الثانية في أورشليم واليهودية تتمة الرسالة في الجليل؛ بالكشف لعلماء اليهود وأحبارهم عن شخصية « المسيح ابن الله الحي » ، مؤسس ملكوت الله.

فهذا التحول من الدعوة لتأسيس ملكوت الله، إلى الدعوة لمؤسّس هذا الملكوت، بيان أنه « المسيح ابن الله الحي » ، ليس **تعارضاً بل تكميلاً**، إذ لولاه ما فهمنا مأساة تكفير اليهود للمسيح وصلبه؛ وما فهمنا أن ملكوت الله هو ملكوت المسيح عينه، الذي فيه يعطينا الله ذاته.

فليس بين يوحنا والمؤتلفة من تعارض بل تتميم وتكميل.

٢ - وشهادة يوحنا تكميل لدعوة بولس نفسها

فليس من خلاف أيضاً بين يوحنا وبولس؛ بل تكميل أيضاً، بشهادة شاهد العيان لإنجيل المسيح.

في نشأة المسيحية من صلب اليهودية؛ ثم في تحرير المسيحية من اليهودية كما تزعّمها بولس؛ كان الصراع الأكبر التاريخي والعقدي، في صلب المسيح : مسيح يموت مصلوباً، ميتة العبيد، ليس بالمسيح الموعود، ملك إسرائيل وسلطان العالم. لذلك استمات الأحبار والعلماء لحمل الوالي الروماني على صلب يسوع، **ظناً منهم أن صلبه تكذيب له.**

نرى ذلك في الحوار الأخير مع اليهود. قال يسوع : « وأنا متى ارتفعت عن الأرض (بالصلب) اجتذبت إليّ الجميع! ... فأجابه الجمع : لقد علمنا من الشريعة أن **المسيح يدوم إلى الأبد،** فكيف تقول أنت: ينبغي أن يُرفع ابن البشر ؟ فمن هو هذا ابن البشر ؟ » (يو ١٢ : ٣٢ - ٣٤).

لذلك اقتصرت دعوة بولس على فلسفة الصليب والقيامة. بينما نعلم من (أعمال الرسل) أن الدعوة الرسولية الشفوية - التي انبثقت عنها الأناجيل المؤتلفة - كانت تذكر سيرة المسيح ودعوته، مع أصولها في العهد القديم، وأبعادها في الكلام الرسولي : فالخلاص الموعود إنما تمّ باستشهاد المسيح وقيامته.

فجاء يوحنا يدوّن للمسيحيين سيرة المسيح ودعوته، فأخذهما من بدايتهما حتى نهايتهما. فركّز « سر المسيح » في سيرته ودعوته على سر التجسد وسر الفداء معاً، وكشف أعماقهما في السيرة والدعوة؛ ولم يهمل الإشارة المركّزة على استشهاد المسيح شهادة لسيرته ودعوته؛ فسمى آخرة المسيح « **ساعته** » . فكان التجسد والسيرة والدعوة تتّجه كلها إلى هذه الساعة : « لأجل هذه الساعة قد أتيت » (١٢ : ٢٧). فكان الإنجيل بحسب يوحنا تكميلاً أيضاً « لإنجيل » بولس في صلب المسيح وقيامته. فالخلاص الموعود يتم بتجسيد كلمة الله ثم بالسيرة والدعوة، فالاستشهاد والقيامة.

فالإنجيل بحسب يوحنا تتميم للرسالة والدعوة في الأناجيل المؤتلفة، وفي « إنجيل » بولس. وما كان سوى يوحنا، شاهد العيان الممتاز، ليجرأ على هذا التتميم والتكميل، في « سر المسيح » ، لا على نور القيامة فحسب، كما فعل سابقوه، بل على نور حياة المسيح في المسيحيين بعد رفعه، « بإرشاد الروح القدس إلى الحقيقة كلها » (يو ١٦ : ١٣).

فكان الإنجيل بحسب يوحنا إنجيل الظهور الإلهي في المسيح.

ثانياً : « يوحنا » هو إنجيل الظهور الإلهي في المسيح

إن الله الآب أرسل « ابنه » ، يسوع المسيح، متجسّداً من بتول - فكان « ابن الله » و « ابن البشر » ؛ ابن داود وربّه أيضاً - ليكشف للناس **سر « الآب »** ويعطيهم « الروح » الإلهي، لكي يحيوا لله الآب، في المسيح الابن، بروحهما القدوس.

فكان الظهور الإلهي في المسيح، قمّة ظهورات الله لخلقه.

هذا ما يوجزه الإنجيل بحسب يوحنا منذ فاتحته، إن يسوع المسيح هو « كلمة الله » الكائن « منذ البدء » في « حضن الآب » ، والذي تأنس و « صار بشراً » ، **« فأظهر » الله** (١ : ١٨) الذي لا يراه، ولا يمكن أن يراه أحد، في شخصه الكريم، « فشاهدنا مجد الله في وليده الوحيد » ؛ ونلنا فيه « النور والحياة » ، « النعمة والحقيقة » ، البنوة الإلهية، « فالذين قبلوه آتاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله » ، بولادة روحية، إلهية، لا بشرية. وكلمة الله المتجسد، المتأنس، « سكن فيما بيننا » **فكان مَظْهَرَ الله للناس؛** فوق كل ما عرفه تاريخ النبوة والكتاب.

والإنجيل كله تفصيل لهذه الفاتحة.

١ - ففي الحديث الليلي، مع نيقوديم علاّمة إسرائيل (٣ : ١ - ١٦)، والذي به يفتتح الإنجيل كشوفات المسيح لسر رسالته، يظهر يسوع أنه **الرائد لملكوت الله،** يُدخل إليه بولادة جديدة، روحية، سماوية، إلهية، « من فوق » ، قوامها الرمزي والفعلي « **الماء والروح** » - أي العماد المسيحي - الذي به « يصير المولود من الروح روحاً » (٣ : ٦) أي من عالم الله.

فالسيد المسيح هو **القائد** لعالم « الروح » ، لأنه هو **المشاهد له والشاهد :** « إننا ننطق بما نعلم، ونشهد بما شاهدنا » (٣ : ١١)؛ وهو **الكاشف « للسماويّات »** بذاته، قبل كلامه : « فإنه لم يصعد أحد إلى السماء، إلاّ الذي نزل من السماء، ابن البشر، الكائن في السماء » (٣ : ١٣).

فهو مُظهر الله، ومَظهر الله.

٢ - ومع بنت الشعب، السامرية، يوجز لها يسوع تعليمه لعلاّمة إسرائيل، بهذه الكلمة: إنه هو الذي يعطي « **ماء الحياة** » ، لعبادة الله الحي في نظام جديد « **بالروح والحق** » - و « الحق » كناية عن المسيح الابن، و « الروح » على الإطلاق هو اسم الروح القدس. « فبالروح والحق » نتّصل بالله الآب، ويظهر لنا الله نفسه في المسيح، « أنا هو » أي يهوه (٤ : ٢٦).

٣ - وفي « عيد اليهود » (٥ : ١)، في هيكل أورشليم، يكشف يسوع لأحبار إسرائيل وعلمائه، أنه هو **مَظْهر الآب بعمله**. فعمله من عمل الله الآب : « أبي على الدوام يعمل وأنا كذلك أعمل » - « فازداد اليهود طلباً لقتله، ليس فقط لأنه استباح السبت، بل أيضاً لأنه كان يدعو الله « أباه » ، مساوياً نفسه بالله » (٥ : ١٧ - ١٨). فما بين المسيح الابن والله الآب **وحدة عمل** : « إن الابن لا يستطيع من نفسه أن يعمل شيئاً، إلاّ ما يرى الآب يعمله: فما يفعله هو يفعله الابن كذلك؛ لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما يفعل (٥ : ١٩ - ٢٠).

وهو كذلك **مَظْهر الآب بسلطانه. سلطان الإحياء** الذي يختص الله به : « فكما أن الآب يقيم الأموات ويحييهم، كذلك الابن أيضاً يُحيي مَن يشاء » (٥ : ٢١). وسلطان الدينونة، « لأن الآب لا يدين أحداً بل فوّض كل دينونة إلى الابن » (٥ : ٢٢)؛ فهو **ملك يوم الدين** حيث يتجلّى الله الآب فيه كاملاً : « الحق الحق أقول لكم : إن الساعة آتية لا ريب فيها، حين يسمع فيها الأموات صوت ابن الله، فيسمعون ويحيون » (٥ : ٢٥).

ومن كان مظهر الآب بسلطانه وعمله، **فهو مَظهره بذاته :** « فكما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك آتى الابن أن تكون له الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦).

لذلك وجب الإكرام عينه لله الآب، وللمسيح الابن : « لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب؛ فمن لا يُكرم الابن لا يُكرم الآب الذي أرسله » (٥ : ٢٣). وهذا دليل على أن السيد المسيح هو **مُظهر الآب، ومَظهر الله.**

٤ - وما يقوله للعلماء بلغة العلم، يقوله للشعب باستعارة شعبية في جامع كفرناحوم: « أنا الخبز الحي النازل من السماء » ؛ ويكرّرها سبع مرات لترسخ في عقل الشعب وقلبه ووجدانه. والسيد المسيح، « الخبز الحي النازل من السماء » يعطي « الحياة للعالمين » ، فمن يتناوله « يحيا إلى الأبد » ، بحياة الله الآب، في المسيح الابن : « كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي وأنا أحيا بالآب، فمن يأكلني يحيا هو أيضاً بي » (٦ : ٥٧). فناقل حياة الله للمؤمنين الذين يتناولونه، هو مَظهر الله في ذاته وفي فعله.

٥ - وكانت التصاريح الكبرى للأحبار والعلماء والجماهير، في عيد الخيام، من السنة الثالثة. كانوا يتهامسون ويتساءلون في « سرّ » يسوع. فصرّح لهم : « أنتم من أسفل، **وأنا من فوق؛** أنتم من هذا العالم، **وأنا لست من هذا العالم** » (٨ : ٢٣). « فقالوا له : ومَن أنت ؟ » . فأجابهم مرتين : « **أنا هو** » (٨ : ٢٤ و٢٨) أي « يهوه » ، اسم الله تعالى نفسه في الكتاب. وكشف عن حقيقة هذا الاسم الكريم بهذا التصريح : « الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (٨ : ٥٨). فالكائن الأزلي « أنا هو » يظهر في يسوع المسيح، فهو مُظهر الله، ومَظهر الله. وكانت معجزة الأكمه، الأعمى منذ مولده، شهادة الله على صحة تصاريح يسوع.

٦ - بعد أن استدرجهم إلى هذه الحقيقة، في عيد التجديد، بعد ثلاثة أشهر، « تألبوا حوله وقالوا له : حتى مَ تريب أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح، فقلْه لنا جهراً » (١٠ : ٢٤). لكنه قد أعلنه لهم بأقواله وأعماله. والمسيح المشهود أسمى من المسيح الموعود، فأعلن لهم : « **أنا والآب واحد** » (٢٠ : ٣٠). فكان التصريح في نظرهم كفراً، « فتناول اليهود من جديد حجارة لكي يرجموه » (١٠ : ٣١). ومحاولة رجمه في العيدين، في فترة ثلاثة أشهر، برهان على حقيقة تصريحه : « أنا والآب واحد » . وهذا النطق الكريم أكبر برهان على أن المسيح الابن هو مُظهر الله الآب، ومَظهر الله الآب.

٧ - أخيراً بمناسبة الفصح، حيث يجتمع أكثر اليهود من الوطن والمهاجر

في أورشليم، للعيد الكبير، دخل يسوع العاصمة والهيكل دخول الفاتحين، في أحد الشعانين، وصرّح للجميع : « إن النور معكم زماناً يسيراً، فما دام النور معكم، فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور ... **مَن رآني فقد رأى (الآب) الذي أرسلني** » (١٢ : ٣٥ - ٣٦ و٤٥).

وما قاله علناً، ردّده في الخلوة لصحابته : « **مَن رآني فقد رأى الآب** » (١٤ : ٩). وسر ذلك « **أني أنا في الآب، والآب فيّ** » (١٤ : ١٠ و١١).

فهذا التصريح الثنائي ختم الشهادة على أن المسيح الابن هو مُظهر الله الآب، ومَظهر الله الآب. لقد ظهر الله في المسيح.

وهذا الظهور الإلهي في المسيح هو **ختام وختم ظهور الله.**

إنه أسمى من ظهور الله في يوم الخليقة (١ : ١).

وأسمى من ظهور الله لأوليائه : إبراهيم (٨ : ٥٦) ويعقوب (١ : ٥١) وموسى (١ : ١٧) والأنبياء (٥ : ٢٧؛ ١٢ : ٤١؛ ١٩ : ٣٧).

إنه حضور الله بذاته في شخص السيد المسيح « ابن الله » .

فالإنجيل بحسب يوحنا هو إنجيل الظهور الإلهي في السيد المسيح.

ثالثاً : « يوحنا » هو إنجيل محبة الله في المسيح

نوجز هنا ما سوف نفصّله في بحث لاحق.

يُلخّص الإنجيلي بعثة المسيح بقوله : « لقد أحب الله العالم، حتى إنه بذل وليده الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. فإن الله لم يرسل ابنه إلى العالم، ليدين العالم، بل ليخلّص به العالم » (٣ : ١٦ - ١٧). فبعثة المسيح مصدرها في الله محبته للعالم، وهدفها خلاص العالم. فرسالة المسيح من ألفها إلى يائها، من مصدرها إلى غايتها، رسالة محبة الله في المسيح.

وسيرة المسيح كلها شهادة محبة متواصلة لله أبيه ولأخيه الإنسان فالمحبة طعامه: « إنما طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني، وأُتمّمَ عمله » (٤ : ٣٤)؛ « لأني نزلت من السماء، لا لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني » (٦ : ٣٨).

ودعوة المسيح كلها شهادة محبة، فما سمعه منذ الأزل في أبيه، ينادي به على الأرض : « إن الذي أرسلني حق، وما سمعته منه، به أتكلّم في العالم » (٨ : ٣٦)؛ « وقد كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله » (٨ : ٤٠).

واستشهاد المسيح هو قمة المحبة لله أبيه، ولأخيه الإنسان. هذا ما يعلنه بنفسه قبل استشهاده : « ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه عن أحبائه » (١٥ : ١٣). واستشهاده كان غاية المحبة : « هو الذي أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى الغاية » (١٣ : ١).

فالإنجيل بحسب يوحنا هو إنجيل المحبة، كما سنرى.

رابعاً : « يوحنا » هو إنجيل حياة الله لنا في المسيح

غاية رسالة المسيح هي تنزيل حياة الله، في المسيح، للمؤمنين.

نقدر أن نوجز المسيحية كلها بهذه التعابير الثلاثة :

- بسرّ التجسد ينزل الخالق إلى المخلوق.
- وبسرّ الفداء على الصليب يرتفع المخلوق إلى الخالق.
- وبسرّ القربان يتّحد الخالق والمخلوق في المسيح.

إن السيد المسيح يعلن بصراحة عن هدف رسالته : « وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). وهذا ما لا يقوى عليه نبي أو رسول أو أي مخلوق.

أجل إن السيد المسيح أتى بعقيدة جديدة، وشريعة جديدة، وصوفية جديدة، في التوحيد الكتابي المُنزل. لكن تلكم العقيدة والشريعة والصوفية غايتها جميعاً إشراك الإنسان - بدون شرك - **بحياة الله في المسيح.**

وبما أن حياة الله لا يمكن لنبي أو رسول أو ملاك أو مخلوق أن يُنزلها لنا، تنازل الابن، كلمة الله في ذاته، ونزل إلينا، فتأنّس، « وصار الكلمة بشراً وسكن فيما بيننا » (١ : ١٤)، لكي تكون لنا به وفيه « الحياة » ، « الحياة الأبدية » ، حياة الله نفسه : « إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧)؛ « والذين قبلوه آتاهم السلطان ليصيروا

أبناء الله ›› (١ : ١١) بولادة روحية إلهية لا تمتّ إلى الشرك بصلة. فهذه البنوة الإلهية هي حياة الله في ‹‹ أبناء الله ›› .

وهذا الاشتراك بحياة الله في المسيح يتم على **ثلاث مراحل** بثلاثة أعمال إلهية تفوق طاقة المخلوق : بسرّ التجسّد، وسرّ الفداء، وسرّ القربان المسيحي.

١ - حياة الله تأتينا بسر التجسد

إن الإنجيل كله إعلان لظهور الله في المسيح الابن، كلمة الله المتجسّد. لا يرد اسم ‹‹ **الكلمة** ›› إلاّ في الفاتحة. وفي الإنجيل يذكر اسم ‹‹ **الابن** ›› على الإطلاق تمييزاً له من سائر ‹‹ أبناء الله ›› على المجاز.

والتعبير ‹‹ **كلمة الله** ›› أجمل تفسير لتعبير ‹‹ **ابن الله** ›› ، فهو يرفع هذه البنوة من عالم المخلوق وتصوراته، إلى عالم الله وحقيقته. فالسيد المسيح، من حيث هو ‹‹ الابن ›› ، هو ‹‹ **لوغس** ›› بالحرف اليوناني، أي نطق الله الذاتي. فيتسلسل ‹‹ الابن ›› من ‹‹ الآب ›› ، في الجوهر الإلهي الفرد، **تسلسلاً نطقيّاً**، كتسلسل الابن عن أبيه في عالم المخلوق. إن ‹‹ ابن الله ›› هو نطقه الذاتي، يصدر من ذاته، في ذاته، لذاته.

‹‹ والكلمة صار بشراً وسكن فيما بيننا ›› (١ : ١٤)، فصار له اسمين يُظهران سرّه: ‹‹ **ابن الله ›› و ‹‹ ابن البشر ›› .**

وتجسّد، أو تأنّس ‹‹ الابن ›› ، ‹‹ كلمة الله ›› ، له **ثلاث ظواهر :**

١) بالنسبة لله الآب، **إنه بعثة**، أو سفارة، أو رسالة. ولا ينفك يسوع يردّد أن ‹‹ الآب أرسلني ›› نحو **أربعين مرة** (قابل ٣ : ١٧؛ ١٠ : ٣٦؛ ١٧ : ١٨). فطعام يسوع ‹‹ أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمّم عمله ›› (٤ : ٣٤). وهو لهذا قد أتى؛ ‹‹ إني قد نزلتُ من السماء، لا لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني ›› (٦ : ٣٨). فالوحي المسيحي هو تنزيل الله مباشرة في المسيح : ‹‹ الذي أرسلني حق، وما سمعته منه، به أتكلّم في العالم ›› (٨ : ٢٦). وأعمال المسيح المعجزة هي أعمال الله عينها :

‹‹ فما دام النهار ينبغي أن **نعمل** أعمال مَن أرسلني ›› (٩ : ٤).

وتمتاز رسالة المسيح عن جميع الرسالات القائمة والممكنة، أنها **رسالة التجسّد الإلهي**، في وحدة وجود، ووحدة كيان، ووحدة حياة بين الله الآب والابن المتجسد. فالإيمان بالمسيح الابن هو الإيمان بالله الآب نفسه (٤ : ٢٣؛ ١٢ : ٤٤؛ ١٤ : ٢٤؛ ١٥ : ٢١ - ٢٤).

وما استشهاد المسيح سوى تتميم لرسالته. إنه « **ساعته** » التي نزل لأجلها (٢ : ٤؛ ٢ : ١١ - ١٢؛ ٧ : ٦؛ ٨ : ٣٠؛ ١٢ : ٢٣ و٢٧؛ ١٣ : ١؛ ١٧ : ١). وما استشهاد المسيح سوى السبيل المحتوم لرجوع « الابن » إلى « الآب » (٧ : ٣٣؛ ١٦ : ٥؛ ١٧ : ١١).

لذلك فهو يطلب الإيمان، المؤيد بالمعجزة، بهذه الرسالة الثنائية، رسالة التجسد، ورسالة الفداء (١١ : ٤٢؛ ١٧ : ٨ و٢١ و٢٢ و٢٥).

وهذا الإيمان المطلوب هو « بالابن » ، رسول الله، و « بالآب » الذي أرسله على سواء (٥ : ٢٤؛ ٦ : ٢٩؛ ١٧ : ٣). فالله الواحد الأحد في جوهره وكيانه (التثنية ٦ : ٤) قد اعتلن وظهر لنا في « الابن » المتأنس (١٧ : ٣). فرسالته هي قمة الرسالات الإلهية، الرسالة الفريدة بين الرسالات، لأنها رسالة التجسد ورسالة الفداء.

٢) بالنسبة « للابن » المتجسد، فرسالته هي **نزول الله إلى البشر في شخصه**، والسكنى فيما بينهم (٣ : ١٣). وهذا التصريح « لم يصعد أحد إلى السماء، إلاّ الذي نزل من السماء، **ابن البشر الكائن في السماء** » (٣ : ١٣) يدل على أن النزول من السماء إلى الأرض ليس انتقالاً مكانيّاً، بل عمل القدرة الإلهية الكائنة في كل مكان. هذا ما تعلنه الفاتحة : « إن الله لم يره أحد قط، إلاّ الوليد الوحيد الذي في حضن الآب، وهو الذي أظهره » (١ : ١٨) فالتجسد في حضن مريم، لا يمنع إقامة « الوليد الوحيد في حضن الآب » ؛ والإقامة بين البشر، لا تمنع الإقامة في السماء، عند الواسع القدير. هذا ما تعبّر عنه أيضاً الاستعارة المكررة سبع مرات : « **أنا الخبز الحي النازل من السماء** » (ف ٦).

٣) بالنسبة للبشر، فرسالة المسيح بالتأنّس أو التجسّد هي **ظهور** « **مجد الآب في ابنه، الوليد الوحيد** » (١ : ١٤). وبمعجزاته « أظهر مجده،

فآمن به تلاميذه » (٢ : ١١). وقد شهد لنفسه : « لو لم أعمل بينهم أعمالاً لم يعملها آخر، لما كانت لهم حجة في خطيئتهم » وكفرهم به (١٥ : ٢٤).

وعلى خلاف أوهام الناس، حتى من أهل الكتاب (١٢ : ٣٤) فاستشهاد المسيح صلباً كمجرم هو أيضاً، في الإنجيل بحسب يوحنا، **ظهور مجد المسيح**، « الابن » ، « الكلمة » المتجسد، يعلن للجماهير : « لقد حانت الساعة التي يمجّد فيها ابن البشر » (١٢ : ٢٣). ولما خرج يهوذا لتنفيذ خيانته، قال يسوع لصحابته : « الآن تمجّد ابن البشر، وتمجّد الله فيه » (١٥ : ٣١). وقبل الاستشهاد يسوع يصلّي : « يا أبتاه، لقد أتت الساعة، فمجّد ابنك، لكي يمجّدك ابنك » (١٧ : ١)؛ « أيها الآب، الآن مجدني أنت فيك، بالمجد الذي كان لي فيك، من قبل كون العالمين » (١٧ : ٥). فصليب المسيح هو قمة مجده، مهما توهّم الواهمون، لأن صلب المسيح هو الضحية الإلهية لمجد الله وفداء العالمين.

٢ ـ وحياة الله تأتينا أيضاً بسر الفداء على الصليب

بالتجسّد الإلهي نقل « ابن الله » حياة الله إلى الأرض في شخصه الكريم؛ وباستشهاده كضحية إلهية، استحق للعالمين هذه الحياة الإلهية. هو نفسه أعلن : « كما أن موسى رفع الحية في البرية، كذلك ينبغي أن يرفع ابن البشر، لكي تكون الحياة الأبدية في كل مَن يؤمن به » (٣ : ١٤ ـ ١٥). وهذا الإعلان من مطلع رسالته يكشف عن هدفها.

وقد أوجز الإنجيل بحسب يوحنا رسالة الفداء بقوله : « لقد أحب الله العالم حتى أنه بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦). فحياة الله تأتينا أيضاً باستشهاد المسيح الابن، وفدائه لنا على الصليب.

وفي أحد الشعانين، يفسّر يسوع للجماهير معنى استشهاده العتيد : « الحق الحق أقول لكم : إن حبة الحنطة التي تقع في الأرض، إن لم تمت، فإنها تبقى وحدها؛ وأمّا إن ماتت فإنها تأتي بثمر كثير » (١٢ : ٢٤).

فاستشهاد المسيح الابن، في نظر الله، ضروري لتبديل تربة الإنسان، وجعلها صالحة لقبول حياة الله، في المسيح الفادي.

بموت المسيح يشترك المؤمنون به ببنوته، ومجده، ومحبة الله الآب، كما يصلي : « أيها الآب، إن الذين أعطيتني أريد أن يكونوا هم أيضاً حيث أكون أنا، لكي يشاهدوا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالمين ... لقد عرّفتهم اسمك (أي ذاتك)، وسأعرفهم أيضاً، لتكون فيهم المحبة التي أحببتني، وأكون أنا فيهم » (١٧ : ٢٤ - ٢٦). بهذه الإقامة الذاتية فيهم تمتد حياة الله في المسيح إليهم.

وهذه الإقامة الذاتية فيهم تتمّ خصوصاً بالقربان المسيحي.

٣ - وحياة الله تأتينا أخيراً بسر القربان المسيحي.

قلنا : بسر التجسد الإلهي ينزل الخالق إلى المخلوق.

وبسر الفداء، في استشهاد المسيح الابن، يرتفع المخلوق إلى الخالق.

وبسر القربان المسيحي يتّحد الخالق والمخلوق، في المسيح.

إن الإنجيل بحسب يوحنا يذكر العشاء السرّي، لكنه لا ينقل رسم القربان المسيحي، لأن الأناجيل المؤتلفة، ومن قبلهم بولس، ذكروه بتفصيل كافٍ وافٍ، فلا مجال عنده للتكميل.

لكن الإنجيل بحسب يوحنا ينقل الخطاب في « **خبز الحياة** » (ف ٦) الذي هيّأ الصحابة لرسم القربان المسيحي، وفصّل معناه تفصيلاً كاملاً.

يكرر يسوع سبع مرات : « أنا الخبز الحي النازل من السماء » . ثم يبيّن كيف أن هذا « الخبز الحي » - أي هو نفسه - يعطي الحياة الإلهية التي نزلت فيه بالتجسد الإلهي، واستحقّها للمؤمنين باستشهاده وفدائه : « إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد؛ والخبز الذي سأُعطيه أنا، **هو جسدي لحياة العالمين** » (٦ : ٥١).

ثم يفصل بتصاريح جامعة مانعة **مفاعيل القربان المسيحي :**

جسد المسيح في القربان المسيحي هو مصدر الحياة الإلهية في المسيحيين :

« الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن البشر، وتشربوا دمه، فلا حياة لكم في ذواتكم » (٦ : ٥٣).

جسد المسيح في القربان يعطي الحياة الإلهية في اليوم الحاضر وفي اليوم الآخر: « مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، فله الحياة، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير » (٦ : ٥٤). فالقربان المسيحي هو بذار الخلود.

بالقربان المسيحي تصير الإقامة المتبادلة الذاتية بين المسيح والمسيحيين : « فإن جسدي مأكل حقيقي، ودمي مشرب حقيقي: فمَن يأكل جسدي ويشرب دمي **يثبت فيّ وأنا فيه** » (٦ : ٥٦) في وحدة كيان ووحدة حياة، فوق تصوّر المخلوق.

بالقران المسيحي تمتد حياة الله في المسيح إلى المسيحيين : « كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب، فمَن يأكلني يحيَ هو أيضاً بي » (٦ : ٥٧). فالمسيح هو حياة المسيحي بقربانه.

القربان المسيحي هو « **خبز الحياة** » (٦ : ٣٥ و٤٨)، « هذا هو الخبز الذي نزل من السماء، فليس هو كالذي أكله الآباء (المن) وماتوا » (٦ : ٥٨) هذا تعريض باعتراضهم عن معجزة تكثير الخبز؛ فلم تكن سوى رمز « لخبز الحياة » الذي لا يموت موتاً أبدياً من يأكل منه.

القربان المسيحي هو طعام الخلود : « فالذي يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد » (٦ : ٥٨).

فسرّ القربان المسيحي **تجديد** لسرّ التجسد وسرّ الفداء، **وامتداد** لهما إلى كل مَن يقبل القربان المسيحي بإيمان ومحبة : فبالقربان يشترك كل مسيحي بسرّ التجسد وسرّ الفداء؛ ويصبح هيكلاً حيّاً للسيد المسيح، وفيه للثالوث الأقدس.

فالتجسد والفداء والقربان هي أعمال ابن الله لتنزيل حياة الله إلى المؤمنين.

هكذا يظهر الإنجيل بحسب يوحنا إنجيل حياة الله لنا في المسيح.

* * *

بحث ثاني عشر

دعوة المسيح ، في الإنجيل بحسب يوحنا

في الإنجيل بحسب يوحنا، تبلغ دعوة السيد المسيح المُثُل العليا كلها التي تحلم بها الإنسانية : إنها دعوة « النور » والتنوير؛ دعوة « الحياة » والاحياء؛ دعوة « النعمة والحقيقة » ؛ دعوة البنوّة الإلهية؛ دعوة « التأليه » - بدون شرك ولا إشراك؛ دعوة « التوحيد » بين الله والإنسان في المسيح، في كامل التجريد والتنزيه.

تلك هي **الظواهر الست** لمعاني « الخلاص » في الإنجيل بحسب يوحنا.

أولاً : إنها دعوة « النور » والتنوير

١ - منذ الفاتحة يعلن الإنجيل : « فيه كانت الحياة، والحياة نور العالمين » ؛ والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه » (١ : ٤ - ٥). ادعى المندائية، تلاميذ المعمدان، أن معلمهم هو « مِنْدا » أي النور. فقال الإنجيل : « لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور. أما **النور الحقيقي** الذي ينير كل إنسان » ، فهو يسوع المسيح (١ : ٨)، إنه « النور » في ذاته، وهو نور الكون.

في عيد الخيام، وفي الهيكل نفسه، يهتف يسوع بالجماهير والأحبار والعلماء، « **أنا نور العالمين!** مَن تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢). فهو « نور الحياة » ، وهو « نور العالمين » - وبرهن على ذلك بمعجزة شفاء الأكمه، الأعمى منذ مولده. وتأكيداً لذلك صرّح قبل إجرائها: « ما دمت في الكون **فأنا نور الكون** » (٩ : ٥).

ودعوته هي **دعوة التنوير**، ففي ختام دعوته العلنية يهتف بالجميع، « إن **النور** معكم بعد إلى حين ... فما دام **النور** معكم، فآمنوا **بالنور**،

لتكونوا أبناء النور ›› (١٢ : ٣٥ - ٣٦) - ثم يؤكد : ‹‹ أنا **النور** أتيت إلى العالم، لكي لا يمكث في الظلام كل مَن يؤمن بي ›› (١٢ : ٤٦).

٢ - والإنجيل يفصّل دعوة المسيح **صراعاً بين النور والظلام** في البشرية.

فمنذ الفاتحة يشير الإنجيل إلى هذه الظاهرة في دعوة المسيح : ‹‹ والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه ›› (١ : ٥).

إنه صراع الدينونة القاضية : ‹‹ على هذا تقوم الدينونة : أن النور قد جاء إلى العالم، والناس آثروا الظلمة على النور، لأن أعمالهم كانت شريرة! فإن كل من يفعل الشر يبغض النور، ولا يقبلُ البتة إلى النور، لئلا تُفضح أعماله. أمّا من يعمل الحق فإنه يُقبل إلى النور لكي يتبيّن أن أعماله مصنوعة في الله ›› (٣ : ١٩ - ٢١).

وفي الفصول (٧ - ١٢) نشهد صراع النور والظلمة بين المسيح النور واليهود، أهل الظلمة، بل ‹‹ **أبناء إبليس** ›› (٨ : ٢٤). فظل يسوع يتحداهم حتى النهاية : ‹‹ أنا النور، أتيت إلى العالم لكي لا يمكث في الظلام كل من يؤمن بي ›› (١٢ : ٤٦).

٣ - وهذا التعبير، ‹‹ أبناء إبليس ›› ، يخفي وراء الصراع الخارجي البشري، صراعاً كامناً، روحياً، كونيّاً بين المسيح النور وبين إبليس، ‹‹ رئيس هذا العالم ›› . ويسوع يكشف هذا الصراع الأكبر، ليظهر نهاية سلطان إبليس على البشر. يقول : ‹‹ الآن دينونة هذا العالم! الآن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً! وأنا متى ارتفعت، اجتذبت إليّ الجميع ›› (١٢ : ٣١). فإذا ما ظهر أن إبليس وزبانيته انتصروا بإعدام السيد المسيح، فهو النصر الذي يقود إلى الذل والخسران : ‹‹ إن رئيس هذا العالم يأتي، لكنه لا سبيل له عليّ! وإنما ينبغي أن يعلم العالم أني أحب الآب! وأني أعمل بما أوصاني الآب ›› (١٤ : ٣٠). فاستشهاد المسيح طاعة لأبيه ومحبة؛ وهوان ودينونة لإبليس وزبانيته : ‹‹ إن رئيس هذا العالم قد دِيْنَ ›› (١٦ : ١١) بمجرد طاعة المسيح لأبيه.

ولحراجة الموقف، فهو يطلب إلى أبيه السماوي لتلاميذه، ‹‹ لا أن تُخرجهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير ›› (١٧ : ١٥).

فبالإيمان بالمسيح تنال النور, وتكون النور : « ما دام النور معكم، فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور » (١٢ : ٣٦). هذه هي كلمة المسيح الأخيرة في دعوته العلنية.

فكانت كلها دعوة النور والتنوير.

ثانياً : إنها دعوة « الحياة » والإحياء

١ - ان السيد المسيح هو « الحياة » بذاته مع أبيه

منذ الفاتحة يعلن الإنجيل : « فيه كانت الحياة » (١ : ٤).

وهذه « الحياة » هي ذاتية، كيانية فيه، في الوحدة مع أبيه : « كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك آتى الابن أن تكون له الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦). فالآب هو « الحياة » ؛ والمسيح الابن هو « الحياة » عينها : « أنا الحياة » (١٤ : ٦).

٢ - تتفاعل هذه « الحياة » مع ميزات إلهية أخرى

بما أن « الحياة » في الله، وفي ابن الله، صفة ذاتية، كيانية، فهي تتفاعل مع صفات أخرى.

فتفاعل **الحياة والنور :** « فيه الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ٣). وحدّد الرب نفسه هذه الصلة: « أنا نور العالمين، من تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له **نور الحياة** » (٨ : ١٢).

وتتفاعل **الحياة والقدرة :** « أنا القيامة والحياة » (١١ : ٢٥). وإحياء لعازر برهان ذلك.

وتتكامل **الحياة والحقيقة.** فكان تعريف المسيح بنفسه : « أنا الصراط والحقيقة والحياة، لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (١٤ : ٦).

فالسيد المسيح هو بذاته، وبعثته : « **كلمة الحياة** » (١ يو ١ : ١).

٣ - بعثة السيد المسيح هي دعوة إحياء

بما أنه، مثل أبيه، الحياة في ذاته، فهو قادر أن يؤتيها مَن يشاء.

وقد حدّد هو نفسه أن دعوته هي **بعثة إحياء :** « وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). تلك ميزة بعثته على الأنبياء والمرسلين أجمعين : فالحياة صفة ذاتية في الله، لا يطالها إلاّ ابن الله، « الكائن في حضن الآب » (١ : ١٨) حيث الكيان والحياة واحد.

وقد مثّل ذلك بعدة استعارات :

باستعارة الماء الحي : « مَن يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا، فلن يعطش أبداً! فإن الماء الذي أُعطيه له يصير فيه نبعاً ينبع حياة أبدية » (٤ : ١٤). فالمسيح هو ماء الحياة، ونبع الحياة. لذلك « في اليوم الأخير العظيم من العيد (عيد الخيام الشعبي) وقف يسوع وصاح، قال : مَن عطش فلْيأتِ إليّ! ولْيشرب من آمن بي! فستجري في داخله، كما قال الكتاب، أنهار ماء حي » (٨ : ٣٧ - ٣٨).

باستعارة الخبز الحي: « أنا خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨). ويردّد سبع مرات: « أنا الخبز الحي النازل من المساء » . وفعله في المؤمن أبدي : « مَن يأكل من هذا الخبز يحيى إلى الأبد » (٦ : ٥١).

وشرط ذلك الإيمان : « مَن آمن بي، وإن مات، فسيحيا! ومَن كان حيّاً، وآمن بي، فلن يموت أبداً » (١١ : ٢٥ - ٢٦).

٤ - والإحياء بالمسيح على أنواع :

الإحياء النفساني بالإيمان : « الحق الحق أقول لكم، إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، له الحياة الأبدية » (٥ : ٢٤). وهذا الإحياء النفساني بالإيمان ليس مجازاً، بل حقيقة : إنه « انتقال من الموت إلى الحياة » (٥ : ٢٤).

الإحياء الجسماني بالقيامة : « كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، كذلك الابن أيضاً يُحيي مَن يشاء » (٥ : ٢١). وذلك في اليوم الحاضر، أو في اليوم الآخر.

والإحياء الأكبر هو في اليوم الآخر : « إن الساعة آتية لا ريب فيها، فيها يسمع الأموات صوت ابن الله، وحين يسمعون يحيون » (٥ : ٢٥).

٥ - والاحياء بالمسيح يتم بوسائل عديدة :

بالمعرفة : « والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الله الحق الأحد، والذي أرسلته يسوع المسيح » (١٧ : ٣). والمعرفة الكبرى هي بالإيمان : الحق الحق أقول لكم : إن مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني له الحياة الأبدية » (٥ : ٢٤).

بالولادة الثانية الروحية : « الحق الحق أقول لك : لا يقدر أحد أن يشاهد ملكوت الله، ما لم يولد من فوق » ، وهذه الولادة الثانية تتم « بالماء والروح » أي بالعماد المسيحي (٣ : ٣ و٥).

بالمحبة القائمة على الوصية : « من يسلك بحسب وصاياي ويحفظها، فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأُظهر له ذاتي » (١٤ : ٢١) فالمحبة المسيحية هي السبيل الأكبر للإحياء بالمسيح.

تلك هي دعوة « الحياة » ، والإحياء، في المسيح.

ثالثاً : إنها دعوة « النعمة والحقيقة »

« النعمة والحقيقة » هما **صفتا المسيح** الابن، كلمة الله المتجسد : « ونحن قد شاهدنا مجده، مجد الآب في وليده الوحيد، الممتلئ نعمة وحقيقة » (١ : ١٤).

« **النعمة والحقيقة** » هما **ميزتا المسيحية** على الموسوية وعلى سواها : « إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧). كانت الموسوية نظام « الشريعة » ؛ أما المسيحية فهي نظام « النعمة والحقيقة » .

١ - إنجيل النعمة

إنّ دعوة السيد المسيح هي دعوة النعمة الإلهية.

فالمسيح الابن هو « النعمة » (١ : ١٤)، ويعطي « النعمة » (١ : ١٧).

هذا ما يصرّح به الإنجيل منذ فاتحته : إنه « **ملء النعمة** » (١ : ١٤)؛ وإنه واهب النعمة الإلهية : « والنعمة .. حصلت بيسوع المسيح » (١ : ١٧).

إن **تعبير** « **النعمة** » يوناني. لذلك لم يرد في الأناجيل المؤتلفة، ولا في الإنجيل بحسب يوحنا، إلاّ في فاتحته التي هي من الإنجيلي، لإيجاز الإنجيل للعالم الهلنستي. **وهذا دليل الصحة فيها جميعاً،** خصوصاً عند يوحنا الذي لا يذكر التعبير إلاّ في فاتحته. لكنه يفصّل موضوع « النعمة » **بتعابير متنوعة.**

١) باستعارة الولادة الروحية الجديدة « بالماء والروح » بحياة إلهية في المسيح (٣ : ٣ و٥).

٢) باستعارة « **الماء الحي** » الذي ينبع لحياة أبدية في المؤمن (٤ : ١٤)؛ ومن نبع هذه « النعمة » تجري أنهار ماء حي » (٧ : ٣٨).

٣) باستعارة « **الخبز الحي** » **:** « أنا الخبز الحي النازل من السماء » . يصرّح بذلك ست مرات (ف ٦)؛ « فمن يأكل جسدي ويشرب دمي، فله الحياة الأبدية » (٦ : ٥٤)؛ « الحق الحق أقول لكم إن موسى لم يعطكم الخبز من السماء، ولكن أبي يعطيكم **خبز السماء الحقيقي،** لأن **خبز الله هو الذي ينزل من السماء،** ويهب الحياة للعالمين » (٦ : ٣٢ ـ ٣٣).

٤) باستعارة الحرية، والحرية الكبرى هي من الخطيئة : « الحق الحق أقول لكم : إن كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة، والعبد لا يقيم في البيت على الدوام؛ أما الابن فيقيم على الدوام : فإن حرّركم الابن كنتم في الحقيقة أحراراً » (٨ : ٣٤ ـ ٣٦).

هذا هو تحديد مفعول النعمة الإلهية في الإنسان سلبيّاً : إنها تحرير من الخطيئة.

ثم يفصّل **مفاعيل** « **النعمة** » في المؤمن :

١) إنها « **انتقال من الموت إلى الحياة** » ، ومن الضلال إلى « الحقيقة » .

٢) إنها « **انتقال من الظلام إلى النور** » : « فإن كل من يفعل الشر يبغض النور، ولا يُقبل البتة إلى النور لئلا تُفضح أعماله؛ أما مَن يعمل الحقيقة فإنه يُقبل إلى النور، لكي يتبين أن أعماله مصنوعة في الله » (٣ : ٢٠ ـ ٢١).

٣) إنها انتقال من حياة الطبيعة **إلى الحياة الإلهية** أي « الحياة الأبدية

في كل مَن يؤمن به » (٣ : ١٥). ويسوع نزل من السماء « لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠).

٤) إنها انتقال من البعاد عن الله **إلى المحبة الإلهية** التي تُنزل الله الثالوث في نفس المؤمن : « إن حفظتم وصاياي ثبتم في محبتي؛ كما أني حفظت وصايا أبي وأنا ثابت في محبته » (١٥ : ٩)؛ « فمَن أحبني حفظ كلمتي، وأبي يحبه، وأنا أُحبه، وإليه نأتي، وفيه نجعل مقامنا » (١٤ : ٢٣).

هذا هو تحديد مفعول النعمة الإلهية في الإنسان إيجابيّاً : إنها إقامة في المحبة، وإقامة الله في المؤمن المحب.

وتعبير « **النعمة** » اليوناني يقابله تعبير « **الخلاص** » الكتابي.

فالسيد المسيح هو « ملء النعمة » ، و « ملء الحقيقة » .

٢ - إنجيل الحقيقة

إن دعوة السيد المسيح هي دعوة « الحقيقة »

فالمسيح الابن هو « ملء الحقيقة » (١ : ١٤)؛ وبه « نزلت الحقيقة » (١ : ١٧).

١) يسوع المسيح، كلمة الله المتجسد، هو الحقيقة : « **أنا الحقيقة** » (١٤ : ٦)، الحقيقة التي تعطي « الحياة الإلهية » ؛ « **أنا القيامة والحياة** » (١١ : ٢٥).

فليس تعبير « الحقيقة » كائناً فكريّاً سماويّاً، كما في الغنوص؛ وليس تلك الصفة الذاتية من صفات الحق سبحانه، كما في الفلسفة، خصوصاً الأفلاطونية أو الأفلوطينية. فالإنجيل لا يسمي الله نفسه « الحقيقة » ، بل « الإله الحق الأحد » (١٧ : ٣) بل بحسب الإنجيل تأنّست « الحقيقة » في يسوع المسيح. فالحقيقة هي المنزلة في « كلمة الله » وفي « كلام الله » بواسطته.

المسيح الابن هو « الحقيقة » كذات وصراط وغاية : « أنا الصراط والحقيقة والحياة » (١٤ : ٦) : لذلك « لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (١٤ : ٦)؛ « ومن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٩).

يسوع المسيح هو « الحقيقة » ، ليس فقط من حيث هو « كلمة الله » الذاتية، في ذاته؛ بل من حيث هو « الكلمة صار بشراً وسكن فيما بيننا » (١ : ١٤) « وقد شاهدنا مجده (إلهيته)، مجد الآب في وليده الوحيد » (١ : ١٤).

٢) يسوع المسيح هو « الحقيقة » الذاتية، **وبه « نزلت الحقيقة »** (١ : ١٧).

في مقابلة حاسمة ترفع الوحي الإنجيلي على كل وحي وتنزيل، تقابل الفاتحة : « إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧). فالتوحيد فطرة في الإنسان، وإن شذّ أحياناً إلى الشرك. ومتى كان التوحيد موضوع التنزيل كان وحياً بدائياً. ومتى اقتصر التوحيد على شريعة منزلة كان قاصراً. يبقى الكشف الرباني عن « الذات » الإلهية فوق كل وحي.

أمّا السيد المسيح فهو « الحقيقة » ، وأتى « بالحقيقة » الإلهية المطلقة : « الحق الحق أقول لك : إننا ننطق بما نعلم، **ونشهد بما شاهدنا** » (٣ : ١١)، من مشاهدة العيان الإلهي. لذلك « فالكلام الذي قلته لكم هو **روح وحياة** » (٢ : ٦٣)، روح الله الذي فيه حياة الله. وليس من كلام مخلوق أو منزل وُصف بهذا الوصف : « فإن الذي أرسله الله ينطق بكلام الله، ولا يعطيه الروح بتقتير » (٣ : ٣٣). فكل روح الله في كلام السيد المسيح.

٣) حقيقة المسيح والإنجيل هي حقيقة الله ذاته

ففيه « **كلام الله** » تجسد ذاتاً في « **كلمة الله** » : « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا. وقد شاهدنا مجده (إلهيته)، مجد الآب في وليده الوحيد » (١ : ١٤) وفي ذلك ميزة الوحي الإنجيلي على كل وحي وتنزيل، **وإعجازه المطلق.**

إنه، فوق كل وحي وتنزيل، **الكشف الإلهي** لمشاهدة العيان : كلمة الله « المقيم في حضن الآب هو أخبر » (١ : ١٨).

فلم يتقبّل تنزيلاً بالواسطة أو مباشرة كغيره، بل كلّم الحقّ سبحانه

« في حضن الآب »: « إن الذي أرسلني هو الحق، وما سمعته منه، به أتكلم في العالم » (٨ : ٢٦).

وفي ذلك ميزة الإنجيل على كل تنزيل، كما يصرّح السيد المسيح نفسه : « قد كلمتكم بالحق الذي **سمعته من الله**، وهذا ما لم يعمله قط إبراهيم » (٨ : ٤٠) جد الأنبياء والمرسلين أجمعين. فإنه **نزل بحقيقة الله ذاته :** « فإني من الله خرجت وأتيت؛ وأنا لم آتِ من نفسي، بل هو أرسلني » (٨ : ٤٢). خرج من « حضن الآب » ، ونزل إلى الأرض بذاته، ليكشف للناس حقيقة الله في ذاته، « ويعلن الحقيقة ... ويقول الحق » (٨ : ٤٢ و٤٥ و٤٦).

فحقيقة المسيح والإنجيل هي حقيقة الله ذاته.

٤) فدعوة السيد المسيح هي « الشهادة الحقيقة »

هذا ما يصرّح به، قبل استشهاده، في محاكمته أمام الوالي الروماني. قال له : « لقد وُلدت، وجئت إلى العالم، **لكي أشهد للحقيقة** » (١٨ : ٣٧).

والمعمدان يشهد له أنه يقوم « بالشهادة للحقيقة » (٥ : ٣٣).

وأعمال الله على يده تشهد له أن أقواله شهادة للحقيقة : « إن لي شهادة أعظم من شهادة يوحنا (المعمدان) : إن الأعمال التي أولاني الآب أن أعملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها، هي تشهد لي بأن الآب أرسلني » (٥ : ٣٦).

فالله الآب نفسه شهد للمسيح بشهادته للحقيقة الإلهية؛ « والآب الذي أرسلني هو نفسه شهد لي؛ ولكنكم لم تسمعوا صوته » (٥ : ٣٧).

فسيرة المسيح، ورسالته، ودعوته، واستشهاده، كلها شهادة للحقيقة الإلهية التي تجسدت فيه (١٨ : ٣٧).

٥) وروح الله، مع صحابة المسيح، يحملون شهادته للحقيقة

فصحابة المسيح الذين أخذوا عنه « **يعرفون الحقيقة**، والحقيقة تحررهم » (٨ : ٣٢)؛ لأن السيد المسيح « قال لهم الحقيقة » (٨ : ٤٥) كما سمعها

من أبيه : « لأن الكلام الذي أعطيته لي قد أعطيته لهم. وهم قد قبلوه، وعلموا يقيناً أني منك خرجت، وآمنوا أنك أنت أرسلتني » (١٧ : ٨).

والروح القدس الفارقليط هو الذي يحمل مع الصحابة الإنجيل، الشهادة للحقيقة: « روح الحق ... يقيم معكم ويكون فيكم » (١٤ : ١٧)، « وأما الفارقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو الذي يعلمكم كل شيء، ويذكركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ٢٦)؛ « ومتى جاء روح الحق **فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها ...** لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٣ - ١٥).

وبما أن « روح القدس » أي الله، و « روح الحق » أي المسيح (١٤ : ٦) هو الذي يشهد مع صحابة المسيح وخلفائهم، فلا يمكن أن تُجمع كنيسة المسيح على ضلال، ولا يمكن أن تُحرّف شهادة المسيح للحقيقة.

٦) مفاعيل الحقيقة المسيحية

حقيقة المسيح **تحرّر :** « تعرفون الحقيقة، والحقيقة تحرّركم » (٨ : ٣٢).

حقيقة المسيح **تطهير من الخطيئة والخطإ :** « الحق الحق أقول لكم : ان كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة ... فإن حرّركم الابن منها كنتم حقاً أحراراً (٨ : ٣٤).

حقيقة المسيح **تقديس :** « أيها الآب ... قدّسهم في الحق، إن كلمتك هي الحق ... وأنا أُقدس ذاتي لأجلهم، لكي يكونوا هم أيضاً مقدّسين بالحق » (١٧ : ١٧ و١٩).

فالسيد المسيح هو « الحقيقة » (١٤ : ٦) ويشهد للحقيقة (١٨ : ٣٧).

رابعاً : إنها دعوة البنوة الإلهية المنزلة

إن المسيح الابن يجعلنا به وفيه أبناء الله. بهذا يشهد الإنجيل منذ فاتحته : « أما الذين قبلوه، فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله » (١ : ١٢).

وقد علمنا في الأناجيل المؤتلفة أن نصلّي : « أبانا الذي في السماوات » .

وفسّر بولس أنها بنوة إلهية « **بالتبنّي** » (غلا ٤ : ٥؛ رو ٨ : ١٦).

١ - إنها بنوة إلهية بولادة روحية إلهية

أما الإنجيل بحسب يوحنا فإنه يبيّن بأنها بنوة قائمة على الاشتراك في بنوة المسيح : « فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله، هم الذين آمنوا باسمه، الذين لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من إرادة رجل وُلدوا، بل من **الله** » (١ : ١٢ - ١٣). وذلك بدون شرك ولا إشراك، في كامل التجريد والتنزيه.

ويسوع يفسر هذه البنوة الإلهية بولادة إلهية من « روح الله » . يقول لنيقوديم : إنها ولادة « من فوق » (٣ : ٣)؛ ولادة « بالماء والروح » (٣ : ٥) : الماء كواسطة حسية، والفاعل فيه هو « الروح » ، روح الله الآب وروح المسيح الابن.

فالعماد المسيحي هو ميلاد روحاني، إلهي، بروح الله نفسه.

٢ - إنها بنوة تجعل أهلها أبناء الله وأصفياء المسيح

فالإيمان بالمسيح، الذي يتم **بالعماد**، هو الذي يعطي المخلوق البشر المعمود، عبد الله بالفطرة، السلطان الإلهي « ليصير ابناً لله » (١ : ١٢).

والإيمان بالمسيح، الذي يتم **بالقربان** يجعل أهله « أصفياء » المسيح. لذلك، بعد العشاء السري، الذي به اشترك تلاميذ المسيح للمرة الأولى في تلك البنوة، بقبول « جسده ودمه » ، يسمّيهم يسوع : « **أولادي الصغار** » (١٣ : ٣٣). ويعلن لهم : « لا أُسميكم بعد عبيداً، لأن العبد لا علم له بما يصنع سيده؛ بل سمّيتكم **أصفيائي** لأني أطلعتكم على كل ما سمعته من أبي » (١٥ : ١٥).

٣ - إنها بنوة تجعل أهلها مَسْكن الله الثالوث

هذه البنوة الإلهية تخلق **المحبة البنوية** التي تحمل الله الثالوث على السكنى والإقامة في نفس المؤمن المحب : « مَن أحبني حفظ كلمتي، وأبي يحبه، وإليه نأتي، **وفيه نجعل مقامنا** » (١٤ : ٢٣). وهذه الإقامة الإلهية تقود إلى وحدة في الوجود سامية : « لقد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني (البنوة الإلهية) لكي يكونوا واحداً كما نحن واحد، **أنا فيهم، وأنت فيّ**، لكي تتم فيهم الوحدة الكاملة » (١٧ : ٢٢ - ٢٣).

فهذه البنوة الإلهية في المسيح تُنزل الله الثالوث للإقامة في نفوس « أبناء الله » ، وتقودهم إلى وحدة الوجود السامية.

٤ - القربان المسيحي هو غذاء البنوة وحياتها

كما يغذّي الطير الحنون فراخه من لحمه ودمه، يغذّي السيد المسيح « أصفياءه » ، « أبناء الله » ، من جسده ودمه. يعلن : « جسدي مأكل حقيقي، ودمي مشرب حقيقي ... كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب، فالذي يأكلني يحيا أيضاً بي » (٦ : ٥٤ - ٥٧). فحياة الله تأتي إلى « أبناء الله » ، في المسيح، بقربان جسده ودمه.

وهكذا فالبنوة الإلهية في المسيحيين مبنية على ولادة « روحية » إلهية حقيقة، لا مجازية فقط - صورة مخلوقة عن بنوة المسيح الابن نفسها، وإن لم تكن مثلها ذاتية - وقائمة على حياة إلهية روحية، بغذاء روحي إلهي هو قربان جسد المسيح ودمه.

وهذا لا يقدر أن يفعله نبي أو رسول، أو أي مخلوق على الإطلاق، إلاّ المسيح الابن، الذي بتجسده وفدائه وقربانه **يشرك - بدون شرك - المسيحيين ببنوّته لله.**

وهذه هي ميزة الدعوة المسيحية على الرسالات النبوية قاطبة. إنها دعوة البنوة الإلهية المنزلة في المسيح.

خامساً : إنها دعوة « التأليه » في المسيح

قال القديس اثناسيوس الإسكندري الكبير هذه الكلمة الرائعة التي تصف المسيحية أكمل وصف : « **تأنّس الإله، ليؤلّه الإنسان** » !

فالمسيح الإله يجعل فيه « آلهة » ، بإشراكنا - من دون شرك - في إلهيته، كما يشركنا في نبوته وحياته.

١ - « التأليه » يتم باشتراك المسيحي في بنوة المسيح الإله

هذا ما يقوله الإنجيل منذ فاتحته : « أما الذين قبلوه، فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله » بولادة إلهية (١ : ١٢)، « بالماء والروح » (٣ : ٥)،

« لأن المولود من الروح هو روح » (٣ : ٦)، والمولد من الله هو إله - في كامل التجريد والتنزيه - وهم « من الله قد وُلدوا » (١ : ١٣).

فبالولادة الإلهية السامية، « بالماء والروح » ، يشترك المسيحي في بنوة المسيح الإله، فيتم « تأليهه » في المسيح، بروح الله والمسيح.

ما قاله السيد المسيح، ردّاً على اليهود أنه « ابن الله » ، يصحّ أيضاً في المسيحيين الحقيقيين : أجابهم يسوع : أوليس مكتوباً في توراتكم : (أنا قلت : إنكم آلهة) ؟ فإن كانت التوراة تدعو « آلهة » مَن صار إليهم كلام الله - ولا يمكن أن يُنقض الكتاب - فأنا الذي **قدّسه الآب** (بإلهيته وبنوته)، وأرسله إلى العالم، تقولون لي « كفرت » ، لكوني قلت : « أنا ابن الله » (١٠ : ٣٤ - ٣٦). كذلك « الذين آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله » (١ : ١٢) يشتركون في بنوة المسيح وإلهيته.

٢ - « التأليه » يتم أيضاً باشتراك المسيحي في حياة المسيح الإله

حياة الله نزلت إلينا في المسيح الإله. في مرحلة أولى، « كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك آتى الابن أن تكون له الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦). وفي مرحلة ثانية، إن « أبناء الله » في المسيح الابن يحيون من حياة الله التي أنزلها إلينا : « وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). وفي مرحلة ثالثة، « كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب، فالذي يأكلني (في قربانه) يحيا هو أيضاً بي » (٦ : ٥٧).

حياة إلهية واحدة، من الله الآب، في المسيح الابن، إلى المسيحيين « أبناء الله » ، بروح الله : فهذه الحياة الإلهية الواحدة هي أيضاً قوام « تأليههم » .

٣ - « التأليه » يتم أخيراً باشتراك المسيحي في إلهية المسيح

فالمسيحي الذي يشترك في بنوة المسيح وفي حياته، بشترك حتماً في إلهيته - بدون شرك ولا إشراك - يقول الرب يسوع في صلاته : « لقد آتيتهم المجد الذي آتيتني، لكي يكونوا واحداً كما نحن واحد : **أنا فيهم وأنت فيّ** » (١٧ : ٢٢ - ٢٣). هذا « المجد » هو إلهية المسيح، القائمة على

بنوته. وقد آتى المسيح المسيحيين هذا « المجد » وأشركهم فيه - في كامل التجريد والتنزيه. فتمت وحدة الوجود الحقة : « أنا فيهم وأنت فيّ » ؛ وتمّ « تأليههم » .

بولس الرسول سمّى **ذلك « التجسيد » في المسيح**. وهو في لغة يوحنا **« التأليه » في المسيح**. وقد جعل الإنجيل بحسب يوحنا هذا « التأليه » امتداداً لتجسّد كلمة الله الذي « صار جسداً وسكن في ما بيننا » (١ : ١٤)، فظهر « ملء النعمة والحقيقة، **ومن ملئِهِ نحن كلنا قد أخذنا نعمة على نعمة** » (١ : ١٦)، « بالتجسيد » فيه بالعماد، و « التأليه » فيه بالقربان، والإحياء الإلهي فيه بروحه القدوس.

فباشتراك المسيحيين في نعمة المسيح، أي في بنوته وحياته وإلهيته، « يتألهون » و « يصيرون آلهة » - من دون شرك ولا إشراك، في كامل التجريد والتنزيه.

فدعوة الإنجيل هي أيضاً دعوة « التأليه » في المسيح الإله.

سادساً : إنها دعوة « الوحدة » مع الله، في المسيح، بروحه القدوس

ما بين عيد الخيام وعيد التجديد من السنة الثالثة، يكشف الإنجيل بحسب يوحنا في تصاريح متصاعدة عن « **سر المسيح** » ، و « المسيح سرّ الله » (فيل ٢ : ٢) وسر الله في المسيح هو دعوة المؤمنين إلى « الوحدة » مع الله الآب، في المسيح الابن، بروحهما القدوس.

١ - أساس هذه « الوحدة » هو وحدة الآب والمسيح والابن

أنهى السيد المسيح دعوته العلنية، بهذا التصريح الضخم، ذروة التحدي الإنجيلي: « **أنا والآب واحد** » (١٠ : ٣٠). وقد رأينا أنها وحدة في الوجود، ووحدة في الكيان، ووحدة في الحياة، ووحدة في السلطان : « كما أن الآب له الحياة في ذاته. كذلك آتى الابن أن تكون له الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦)، « فما يفعله الآب يفعله الابن كذلك » (٥ : ١٩).

بناء على هذه الوحدة الإلهية بين الله الآب والمسيح الابن، يعلن للجماهير : « لكي تعلموا وتشهدوا أن الآب فيّ، وأنا في الآب » (١٠ : ٣٨)؛ كذلك

« مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥)؛ كما يصرّح لصحابته في الخلوة : « مَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٩). لذلك يستغرب من صحابته سوآلهم : « أرنا الآب » (١٤ : ٨). ويقول لفيلبس: « كيف تقول أنت: أرنا الآب ؟ أفلا تؤمن **أني أنا في الآب وأن الآب فيّ** » (١٤ : ١٠) إنها الوحدة المطلقة بين الله الآب والمسيح الابن، ما عدا ميزة الأبوة والبنوة، في وحدة الجوهر الإلهي الفرد.

٢ ـ قوام هذه « الوحدة » ، في المسيح، بروحه القدوس

فرسالة المسيح ودعوته أن يُشرك ـ بدون شرك ولا إشراك ـ المؤمنين به الحقيقيين في تلك الوحدة القائمة بين الآب والابن. متى نزل عليهم الروح القدس، الفارقليط، « في ذلك اليوم تعلمون **أني أنا في أبي، وأنتم فيّ، وأنا فيكم** » (١٤ : ٢٠). هكذا تمتد الوحدة الإلهية إلى المسيحيين الحقيقيين.

ويتم ذلك بالمحبة الحياتية : « مَن أحبني، فأبي يحبه، وإليه نأتي، وفيه نجعل مقامنا » (١٤ : ٢٣)، كما « روح الحق يقيم معكم، ويكون فيكم » (١٤ : ١٧).

وقد شبّه السيد المسيح تلك **الوحدة الوجودية الحياتية** باستعارة الكرمة والأغصان: « أنا الكرمة وأنتم الأغصان : مَن يثبت فيّ وأنا فيه فهو الذي يأتي بثمر كثير » (١٥ : ٥). فالوحدة القائمة بين المسيحيين والمسيح، في الله الآب، هي وحدة الأغصان والكرمة. فلا قوام للأغصان، ولا حياة، ولا وحدة إلاّ في الكرمة؛ والسيد المسيح هو « الكرمة الحقة » (١٥ : ١).

وفاعل هذه « الوحدة » بين المسيح والمسيحيين، وبينهم وبين الله الآب، هو الروح القدس، الفارقليط، « يقيم معكم ويكون فيكم » (١٤ :١٧)، « يأخذ ممّا لي ويخبركم؛ فجميع ما للآب هو لي، من أجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٤ ـ ١٥).

إنه صلة الوحدة بين المسيح والمسيحيين بالعماد، « بالماء والروح »

(٣ : ٥)، وبالقربان، جسد المسيح ودمه، وبالإقامة فيهم (١٤ : ١٧) على مثال قيام الروح القدس مع الآب والابن في وحدة الجوهر الإلهي.

« فالوحدة » المنشودة عمل إلهي يقوم بها ذات إلهية هي الروح القدس.

٣ ـ مثال وحدة المسيحيين هو وحدة الثالوث الأقدس

كما أن حياة المسيح الابن في المسيحيين هي امتداد لحياة الله الآب في المسيح (٥ : ٢٦)؛ كذلك وحدة المسيحيين في المسيح هي امتداد على مثال وحدة الثالوث الأقدس في الجوهر الإلهي الفرد. يسوع يدعو أباه : « أيها الآب القدوس، احفظهم **باسمك الذي أعطيته لي،** ليكونوا واحداً مثلما نحن » (١٧ : ١١). والاسم، في لغة الكتاب والإنجيل، كناية عن الذات. فمع الذات الإلهية أخذ المسيح الابن من أبيه الوحدة التي تجمعهما في الجوهر الإلهي الفرد. وعلى مثال هذه الوحدة، يطلب إلى أبيه قيام الوحدة بينه وبين المسيحيين.

ثم يصف هذه « الوحدة » بما يعني أنها **امتداد للوحدة الإلهية :** « ولست لأجلهم فقط (الصحابة) أصلي، بل لأجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم أيضاً : **ليكونوا بأجمعهم واحداً.** أيها الآب، **كما أنك أنت فيّ وأنا فيك،** فليكونوا هم أيضاً فينا ... **أنا فيهم، وأنت فيّ،** لكي تتم فيهم الوحدة الكاملة » (١٧ : ٢٠ ـ ٢٣).

فالله الآب في المسيح الابن، والمسيح الابن في المسيحيين، تلك هي **وحدة الوجود الحقة،** التي لا يمكن أن يتمّمها إلاّ المسيح الذاتي، والمسيح الكوني، والمسيح الإنساني. إنها معجزة الرسالات النبوية كلها.

فدعوة المسيح هي دعوة « الوحدة » مع الله الآب، في المسيح الابن، بروحهما القدوس.

سابعاً : « الخلاص » بالمسيح « مخلص العالم »

إن الإنجيل بحسب يوحنا هو أيضاً **إنجيل الخلاص** (٣ : ١٧؛ ٤ : ٤٢؛ ١٢ : ٤٧).

« الخلاص » ، تلك هي رسالة المسيح ودعوته في سائر أسفار الوحي الإنجيلي. وكل سفر يصف ناحية من « الخلاص » ، « بالمسيح مخلص العالم » .

لكن الإنجيل بحسب يوحنا أعطى معاني « الخلاص » أبعادها كلها :

١ ـ « الخلاص » في الإنجيل بحسب يوحنا على العموم

ليس « الخلاص » فقط افتداء الإنسان من الخطيئة، الموروثة والفعلية، هذه ناحية سلبية؛ بل « الخلاص » هو أيضاً **الأهداف الستة** في دعوة الإنجيل، وهذه هي الناحية الإيجابية:

ـ الخلاص هو دعوة « النور » والتنوير.

ـ الخلاص هو دعوة « الحياة » والإحياء.

ـ الخلاص هو دعوة « النعمة والحقيقة » .

ـ الخلاص هو دعوة البنوة الإلهية في المؤمنين.

ـ الخلاص هو دعوة « التأليه » في المسيح، بروحه القدوس.

ـ الخلاص هو دعوة « الوحدة » مع الله، في المسيح، بروحه القدوس.

تلك هي **معاني « الخلاص » الستة** في الإنجيل بحسب يوحنا؛ وإن كان التركيز على الناحية السلبية، الفداء من الخطيئة، هو الشائع.

٢ ـ « الخلاص » على التخصيص

يعلن السيد المسيح **سبع مرات** أن الخلاص الذي أتى لتتميمه هو منح « الحياة الأبدية » ، أي حياة الله، للمؤمنين به (٣ : ١٥ و٣٦؛ ٤ : ١٤؛ ٥ : ٢١ و٢٤ و٤٠؛ ٦: ٤٠ و٥٠ و٥٣ و٥٧؛ ١٠ : ١٠؛ ١١ : ٢٥؛ ٢٠ : ٣١).

ويفصّل ذلك بتصاريحه : إنه نزل من السماء « ليمنح الحياة للعالم » (٦ : ٣٣)؛ لذلك آتاه الله الآب « السلطان على كل خليقة » (١٧ : ١)؛ ويبذل « جسده لحياة العالمين » (٦ : ٥١).

وهو يقدر أن يمنح الحياة، لأن « له الحياة في ذاته » مثل الله أبيه

(٥ : ٢٦)؛ « فيه كانت الحياة » قبل الخلق (١ : ٤)؛ وفي تجسده ورسالته، هو « الحياة » (١٤ : ٦) : فمن ينهل ماء الحياة منه يصير فيه « نبعاً ينبع حياة أبدية » (٤ : ١٤). فهو يعطي الحياة لمن يشاء، مثل أبيه السماوي (٥ : ٢١)، لأنه « القيامة والحياة » (١١ : ٢٥). والمؤمن الذي يحيا بحياة المسيح، « لن يموت أبداً » (١١ : ٢٦)، « لن يذوق الموت إلى الأبد » (٨ : ٥١)؛ فإن خراف الراعي الصالح « لا تهلك أبداً » (١٠ : ٢٨).

فالخلاص المسيحي على التخصيص هو « الحياة الأبدية » أي الإلهية في المؤمن، على الأرض وفي السماء - هذا هو **إنجيل الخلاص.**

٣ - المسيح، « مخلص العالم »

هذه الصفة تستفتح الدعوة وتختتمها.

يأتي التصريح بهذه الصفة منذ افتتاح الدعوة، في زيارة يسوع منطقة السامريين الخوارج. قالوا، بعد امتلائهم من حضور السيد المسيح بين ظهرانيهم، للسامرية التي كانت سفيرته إليهم : « لقد تأكدنا أنه حقاً **مخلص العالم** » (٤ : ٦٤). وفي هذا اللقب العظيم يلتقي يوحنا مع سابقيه (متى ١ : ٢١؛ لوقا ٢ : ١١؛ أفس ٥ : ٢٣؛ فيل ٣ : ٢٠؛ ٢ تيم ١ : ١٠).

ويختم الإنجيل الدعوة، بمناسبة استقبال الهلينيين المتّقين، بهذه الاستعارة : « الحق الحق أقول لكم : إن حبة الحنطة، التي تقع في الأرض، إن لم تمت، تبقى وحدها، وأما إن ماتت فإنها تأتي بثمر كثير » (١٢ : ٢٤). هذه الاستعارة تمثل عمل الخلاص بالاستشهاد.

٤- استعارات الإنجيل لمعاني « الخلاص » ، و « المخلص »

في خطاب « خبز الحياة » يعلن : « والخبز الذي سأُعطيه أنا هو **جسدي، لأجل حياة العالم** » (٦ : ٥١). إن السيد المسيح سيبذل نفسه باستشهاده ضحية فداء، ثم بقربانه، امتداد تلك الضحية لجميع الذين يقبلونه. وفي ضحية جسده الخلاص، فهو المخلّص الحق.

في ختام عيد الخيام يعلن : « **أنا الراعي الصالح.** والراعي الصالح يبذل

حيـاته عن الخـراف ... **وأنــا أبـذل حيـاتي عن خرافـي**)) (١٠ : ١١ و١٥). هـذا تحـديد ((الخلاص)) الحق، و ((المخلص)) الحق.

في عيد التجديد، يُكرر التصريح : ((إن خرافي تسمع صوتي، أنا أعرفها، وهي تتبعني. وأنا أوتيها حياة أبدية، فلا تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي)) (١٠ : ٢٧ ـ ٢٨). فالخلاص الحق هو الحياة الأبدية التي يؤتيها المخلص الحق.

في زمن الفصح الأخير، بعد معجزة إحياء لعازر، قرّر السنهدرين قتل يسوع. فقال الحبر الأعظم لهم : ((إنكم لا تفعلون شيئاً، ولا تفكّرون بأن مصلحتكم تقضي بأن **يموت واحد عن الشعب**، ولا تهلك الأمة كلها)) ! والإنجيل يعلّق على كلمته : ((ولم يقل ذلك من نفسه، لكن إذ كان رئيس الكهنة في تلك السنة تنبّأ أن **يسوع سيموت عن الأمة**، وليس عن الأمة فقط، بل أيضاً ليجمع في الوحدة أبناء الله المشتتين)) (١١ : ٤٩ ـ ٥٢). فموت المسيح عن أهل الكتاب وعن الأميين هو ضحية الخلاص الحق، عند المخلص الحق.

وفي يوم الشعانين، بمناسبة استقبال وفد الهلنيّين المتّقين، أعلن يسوع : ((الآن نفسي قد اضطربت! ماذا أقول! يا أبتاه نجني من هذه الساعة! **ولكن لأجل هذه الساعة قد أتيت**)) (١١ : ٢٧). هنا تظهر **رسالة الخلاص**، **فالمسيح هو المخلّص** أتى لأجل ساعة استشهاده وضحيته، ليموت مثل حبة الحنطة، فيثمر خلاصاً كثيراً مثلها.

ويختم يسوع دعوته العامة بهذا التصريح الذي يكشف معنى رسالته وهدف دعوته: ((الآن دينونة هذا العالم! الآن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً! وأنا متى ارتفعت اجتذبت إليّ الجميع)) (١٢ : ٣١ ـ ٣٢). إنه خلاص العالم من سيطرة إبليس عليه منذ خطيئة آدم. فانتزاع سيطرة إبليس عن الإنسانية هو **الخلاص الأكبر**، والسيد المسيح هو ((**مخلص العالم**)).

٥ ـ صلاة الشهيد المخلّص

قبل استشهاده وتقديم بشريته ضحية الخلاص، يسوع يصلّي : ((يا أبتاه لقد أتت الساعة! فمجّدْ ابنك ليمجدك ابنك، ويعطي ـ وقد

قلّدته السلطان على كل بشر - الحياة الأبدية لجميع الذين أعطيتهم له ... قدّسْهم في الحق، إن كلامك هو الحق ... **وأنا أُقدّس ذاتي لأجلهم**، لكي يكونوا هم أيضاً مقدّسين بالحق » (١٧ : ١ و٥ و١٧ و١٩).

فالخلاص هو الحياة الأبدية التي يمنحها المسيح الابن. وذلك « **بتقديس ذاته لأجلهم** » أي بضحية بشريته لأجلهم. فهو الشهيد المخلص.

وفي هذا « الخلاص » ، بالاستشهاد وبذل الذات، مجد الله الآب ومجد المسيح الابن. ونقدر أن نضيف : مجد الإنسانية المخلّصة، التي تحصل على « الحياة الأبدية » بدم الشهيد المخلّص.

هذا هو « الخلاص » ، بالمسيح « مخلّص العالم » ، في الإنجيل بحسب يوحنا. وهو ختْم رسالته، وختم دعوته.

* * *

بحث ثالث عشر

ثمار بعثة المسيح في تلاميذه

لقد أوجز السيد المسيح مفاعيل رسالته ودعوته بهذا التصريح : « لقد أتيت إلى هذا العالم للدينونة؛ لكي يُبصر الذين لا يُبصرون، ولكي يعمى الذين يبصرون » (٩ : ٣٩). وهؤلاء هم أحبار اليهود وعلماؤهم الذين كفروا به. أمّا « الذين لا يبصرون » فهم البسطاء من أهل الكتاب مثل صحابته والأميون. فمن جهة كفر وعمى؛ ومن جهة إيمان وبصر.

نبحث الآن ثمار بعثة السيد المسيح في تلاميذه الذين كانوا « لا يبصرون » فأصبحوا « يبصرون » .

والإنجيل بحسب يوحنا **ثلاثة كتب**، نرى فيها تلك الثمار الشهية.

أولاً : في كتاب « الآيات » (ف ١ ـ ١٢)

نرى فيه الثمار السبع التي تنجم عن دعوة السيد المسيح فيهم :

١ ـ **التنوير بدعوة « النور »** . كان يسوع يصرّح : « أنا نور العالمين : مَن تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢)؛ « أنا النور أتيت إلى العالم لكي لا يمكث في الظلام كل مَن يؤمن بي » (١٢ : ٤٦). وصحابة يسوع، وتلاميذه المعروفون والمستورون الذين آمنوا به كانوا يشعرون يوماً فيوماً، من تصاريحه ومعجزاته، بأن **نور المسيح** يشعّ في داخلهم شيئاً فشيئاً، فكانوا ينتصرون في أزمات الإيمان التي ترصد الدعوة عند منعطفاتها. فبعد خطاب يسوع في « خبز الحياة » ، « ارتدّ عنه كثيرون من تلاميذه، وأمسكوا عن المسير معه. فقال للاثني عشر وأنتم، أفلا تريدون أن تذهبوا ؟ فأجابه سمعان بطرس : وإلى مَن نذهب، يا رب ؟ إن عندك كلام الحياة الأبدية، ونعلم أنك أنت قدوس الله » (٦ : ٦٦ ـ ٦٩).

٢ ـ **الإحياء بدعوة « الحياة »** . لقد حدّد يسوع أن رسالته بعثة إحياء : « وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). ومن موقف إلى موقف، ومن مشهد إلى مشهد، كان الصحابة والتلاميذ يشعرون بحياة جديدة تتملّكهم. فلمّا وصلهم خبر وفاة لعازر، صديق يسوع الذي كان يرتاح في بيته، « قال لهم يسوع مصارحاً : لعازر قد مات! وأنا من أجلكم أفرح بأني لم أكن هناك، لكي تؤمنوا. فهلموا بنا إليه. فقال توما، الملقب بالتوأم، للتلاميذ الآخرين : **فلنمضِ نحن أيضاً لنموت معه** » (١١ : ١٤ ـ ١٦). فقد بلغ فيهم إحياء يسوع لهم بالإيمان حدّ الاستعداد للاستشهاد في سبيله؛ واثقين بوعده : « أما أنتم فترونني لأني الحيّ، وأنتم ستحيون » (١٤ : ١٩).

٣ ـ **الامتلاء من نعمة المسيح وحقيقته.** ظل يوحنا الرسول بعد سبعين سنة من رفع المسيح يشعر بهذا الواقع الإنجيلي، فافتتح الإنجيل بقوله : « وقد شاهدنا مجده، مجد الآب في وليده الوحيد، ملء النعمة والحقيقة ...

أجل من ملئِهِ نحن كلنا قد أخذنا، ونعمةً على نعمةً (١ : ١٤ و١٦) فكانوا يمتلؤون شيئاً فشيئاً من نعمة المسيح وحقيقته.

٤ ـ **الشعور بكونهم صاروا** « **أبناء الله** » ، وقد أشركهم المسيح الابن ـ بدون شرك ـ في بنوّته. لذلك قال لهم : « لا أُسميكم بعد عبيداً، لأن العبد لا علم له بما يصنع سيده، بل سمّيتكم « **أصفيائي** » لأني أطلعتكم على كل ما سمعت من أبي » (١٥ : ١٥). وكان هذا الشعور موضع اعتزاز الصحابة والتلاميذ على العالمين. وقد أعلن يوحنا هذا الشعور باعتزاز في فاتحته : « أما الذين قبلوه، **فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله** » (١ : ١٢).

٥ ـ **الشعور** « **بالتأليه** » **في صحبة المسيح الإله.** كانت تصاريح المسيح، في السنة الثالثة من دعوته، في مصدره الإلهي وذاته الإلهية تبهرهم وتسحرهم، فيظلوا مشدوهين، مؤمنين، معتزين. وما كانت محنة الاستشهاد والصلب، التي أخبرهم عنها مراراً، لتقلّل من شعورهم. فما كادوا يرون مسيح القيامة حتى ازداد إيمانهم بإلهية السيد المسيح. ولمّا تحقق منها توما التي جحدها أولاً صاح : « ربي وإلهي » (٢٠ : ٢٨). وكان يوحنا الرسول عندما يراه بعد القيامة يقول : « هو الرب » (٢١ : ٧). **فالمسيح الإله يجعل صحابته على مثاله.**

٦ ـ **الشعور** « **بالاتحاد** » **مع الله الآب، في المسيح الابن، بالروح القدس.** وقد كرّس السيد المسيح أحاديثه مع صحابته، بعد العشاء السري (ف ١٣ ـ ١٤) وقبل الصعود إلى السماء (ف ١٥ ـ ١٧)، لتعزيز ذلك الشعور فيهم، بمثل تصريحه : « مَن أحبني يحفظ كلامي، وأبي يحبه، **وإليه نأتي، وفيه نجعل مقامنا** » (١٤ : ٢٣). وهو يصلي ليس فقط لأجل صحابته، بل « لأجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم، لكي يكونوا بأجمعهم واحداً : أيها الآب، كما أنك أنت فيّ، وأنا فيك، فليكونوا هم أيضاً فينا ... لقد آتيتهم المجد الذي آتيتني، لكي يكونوا واحداً كما نحن واحد : **أنا فيهم وأنت فيّ**، لكي تتمّ فيهم الوحدة الكاملة » (١٧ : ٢٠ ـ ٢٣). والفارقليط « روح القدس » أي الآب، و « روح الحق »

أي الابن، هو الذي يجعلهم يحيون حياة «الاتحاد» بل «الوحدة» مع الله الثالوث : «جميع ما للآب هو لي، من أجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم» (١٦ : ١٥).

٧ ـ **التمتّع «بالخلاص» في المسيح المخلّص.** وكم اعتزوا منذ مطلع الدعوة عندما سمعوا السامريين ينعتون السيد المسيح بأنه «مخلص العالم» (٤ : ٦٤). وكانوا يتحققون من ذلك يوماً بعد يوم عند كل معجزة يجريها أمامهم. فالخلاص الذي أخذوا ينعمون به شيئاً فشيئاً هو مثل شفاء مخلع أورشليم؛ ومثل إبراء الأكمه، الأعمى منذ مولده؛ ومثل إحياء لعازر. ورسخ في ذهنهم ووجدانهم، في قيامة المسيح، أنه حقاً الشهيد الأعظم، «مخلص العالم» . ولمّا أوقف السنهدرين بطرس ويوحنا، قال لهم بطرس باسمه واسم زميله : «ما من خلاص بأحد غيره، إذ ليس تحت السماء اسم آخر أُعطي للناس، به ينبغي أن تخلص» (الأعمال ٤ : ١٢).

تلك هي **الثمار السبع** التي ينعم بها تلاميذ المسيح في «كتاب الآيات» من الإنجيل بحسب يوحنا.

ثانياً : في كتاب «الأسرار» (١٣ - ١٧)

نرى يسوع يبعث في نفوس تلاميذه مشاعر التعزية والمحبة والفرح والوحدة قبل استشهاده، ويختم وداعه لهم بهتاف النصر : «ثقوا فقد غلبت العالم» .

١ ـ يسوع يُشيع التعزية في نفوس تلاميذه

إن «ساعة» استشهاده هي **ساعة مجده،** لو يعلمون : «لما خرج يهوذا قال يسوع : الآن تمجّد ابن البشر، وتمجّد الله فيه! إن كان الله تمجّد فيه فالله أيضاً يمجّده في ذاته، وسيمجده» (١٣ : ٣١ - ٣٢).

ثم يعدهم **باللقاء عند الآب :** «لا تضطرب قلوبكم ... فإذا ما انطلقت وأعددت لكم مكاناً، أرجع وآخذكم لتكونوا أنتم أيضاً حيث أكون أنا» في بيت أبي (١٤ : ١٢).

ويؤكد لهم أنهم في غيابه **سيعملون مثل أعماله،** فلا يظنون أنه سيهملهم :

« الحق الحق أقول لكم : إن مَن يُؤمن بي يعمل هو أيضاً الأعمال التي أعملها، بل يعمل أعظم منها، لأني منطلق إلى الآب » (١٤ : ١٢).

ويجزم لهم أنهم **سينالون من الآب** كل ما يسألونه باسم يسوع : « ومهما سألتم باسمي، فأنا أفعله، لكي يتمجّد الآب في الابن. وإذا **سألتموني شيئاً باسمي**، فأنا أفعله » (١٤ : ١٣ - ١٤). يشرع لهم الصلاة باسمه، مثل الصلاة باسم الله الآب.

ويعدهم **بالسلام**، وسط الجهاد والاستشهاد : « سلامي استودعكم! سلامي أُعطيكم! لا أُعطيكموه كما يعطي العالم » . فسلام الناس بلا فاعلية، وسلام المسيح قوته فيه : « فلا تضطرب قلوبكم، ولا ترتعد » (١٤ : ٢٧).

أسباب التعزية المسيحية أربعة :

١) رجوع المسيح إليهم

فلن يبقوا وحدهم في عالم يبغضهم. يقول : « لن أدعكم يتامى! إني راجع إليكم! بعد قليل لن يراني العالم البتّة؛ أما أنتم فترونني، **لأني الحي**، وأنتم ستحيون » (١٤ : ١٨ - ١٩).

وتلك الرؤية الموعودة مزدوجة : إنها رؤية القيامة؛ ثم الرؤيا السرية بالحضور الروحي فيهم : « الذي يحبني يحبه أبي، وأنا أُحبه، **وأظهر له ذاتي** » (١٤ : ٢١). بل أكثر من ذلك : « الذي يحبني يحفظ كلامي، وأبي يحبه، وإليه نأتي، **وفيه نجعل مقامنا** » (١٤ : ٢٣).

٢) الوعد بتنزيل الروح القدس إلى التلاميذ

يأخذ روح الله في بعثته إلى تلاميذ المسيح اسم « **الفارقليط** » أي المعين. وهو « روح القدس » أي روح الآب؛ و « روح الحق » أي روح الابن.

يقول : « وأنا أسأل الآب فيعطيكم فارقليط آخر، ليقيم معكم إلى الأبد، روح الحق ... **يقيم معكم ويكون فيكم** » (١٤ : ١٦ - ١٧). بهذه الإقامة الذاتية، السرية، فيهم، فهو يقوم مقام المسيح. يا لها من تعزية إلهية!

ويقول : « أما الفارقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو الذي يعلّمكم كل شيء، ويذكّركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ٢٦) فمهمة الفارقليط التعليمية ثنائية : أولاً « **يعلمكم كل شيء** » ، فلن يخفى شيء عليكم. ثم « **يذكركم بجميع ما قلت لكم** » ، فلا تخشو أن تنسوا شيئاً من تعليمي. وهذا الوعد ضمانة إلهية لكل ما نقله الإنجيل بأحرفه الأربعة، خصوصاً ضمانة إلهية لصحة ما ينقله الإنجيل بحسب يوحنا. يا لها من تعزية إلهية!

ويقول : « ومتى جاء الفارقليط، الذي أرسله إليكم من لدن الآب، روح الحق الذي ينبثق من الآب، فهو يشهد لي، وأنتم أيضاً تشهدون لأنكم معي منذ البدء » (١٥: ٢٦ - ٢٧). إن مهمة الصحابة، بعد دعوة السيد المسيح، هي الشهادة لها؛ ويا لها من مهمة شاقة عليهم. يشعرون بذلك ويقلقون. ولكن لا مجال للحيرة والقلق، **فالشاهد الأكبر معهم** هو الفارقليط، « **روح الحق، الذي من الآب ينبثق** » . فمصدره دليل قدرته الإلهية : إنه « روح الحق » أي روح المسيح (١٤ : ٦)؛ وهو أيضاً « من الآب ينبثق » . فشهادة « روح الحق » و « روح القدس » هي التي تقود شهادتهم وتؤيدها وتفرضها على العالمين. فيا لها من تعزية إلهية!

ويقول : « ومتى جاء (الفارقليط) فإنه يفحم العالم بشأن الخطيئة والبِرّ والدينونة : فبشأن الخطيئة لأنهم لم يؤمنوا بي؛ وبشأن البِرّ، لأني منطلق إلى الآب ولا تروني من بعد، وبشأن الدينونة، لأن رئيس هذا العالم قد دين » (١٦ : ٨ - ١١). فمهمة الفارقليط **الدفاعية ثلاثة :** سيجعل العالم يشعر بخطيئته لكفره بالمسيح؛ ويشعر بتقصيره في حق المسيحية، « البِرّ » الذي تعيش فيه بعد المسيح؛ ويشعر بزوال كابوس إبليس عنه، بعد أن قضى المسيح على سلطانه على العالم.

ويقول : « ومتى جاء روح الحق نفسه فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها، لأنه لن يتكلم من عند نفسه، بل يتكلّم بما يكون قد سمع، ويخبركم بما يأتي » (١٦ : ١٣). هذه **مهمة الوحي والنبوة.** فسيدوم الوحي الإنجيلي مع تلاميذ المسيح **ليصلوا** « **إلى الحقيقة كلها** » . وهذا ما نشاهده عند بولس

ثم عند يوحنا. ولن ينقطع روح النبوة والأبناء بالمصير، في غياب المسيح، بل يجدده روح المسيح في تلاميذه.

تلك هي **المهمات الخمس** في بعثة الروح القدس، الفارقليط، إلى الصحابة والكنيسة :

- مهمة الإقامة الدائمة معهم : « يقيم ويكون فيكم » .
- مهمة التعليم : « يعلمكم كل شيء »
- مهمة الشهادة : « فهو يشهد لي »
- مهمة الدفاع : « فإنه يفحم العالم »
- مهمة الوحي والنبوة : « يرشدكم إلى الحقيقة كلها... ويخبركم بما يأتي » .

ويسوع يستفتح الوعد بالروح القدس بقوله : « إني أقول لكم الحق : إن في انطلاقي خيراً لكم، **فإن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط** » (١٦ : ٧). فبعثة الروح القدس تعقب بعثة المسيح؛ وبعثة المسيح عابرة، أما بعثة الفارقليط فدائمة؛ وإن كانت « الشهادة للحقيقة » واحدة.

ويختتم يسوع الوعد بالروح القدس : « **انه سيمجّدني**، لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم. جميع ما للآب هو لي، من أجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٤ - ١٥). فبعثة الروح الفارقليط تقتصر على تمجيد المسيح الابن، بالمهمات الخمس التي يقوم بها أبد الدهر.

٣) الوعد برعاية الله الآب الأبوية لتلاميذ المسيح

يقول لهم : « الذي يحبني يحبه أبي » (١٤ : ٢١). **والمحبة** هي قمة الرعاية الأبوية الرحيمة.

ويقول لهم : « الذي يحبني ويحفظ كلامي يحبه أبي، وإليه نأتي وفيه نجعل مقامنا » (١٤ : ٢٣). **والإقامة الدائمة** مع الابن المحبوب هي مصدر سعادة لا تنتهي.

ويقول لهم : « أنا الكرمة الحقة وأبي الكرّام : كل غصن فيّ لا يأتي بثمر ينتزعه؛ وكل غصن يثمر ينقّيه لكي يأتي بثمر أكثر » (١٥ : ١).

إن الرعاية الأبوية الساهرة تقوم **بمهمة التأديب** عند الحاجة؛ وبمهمة **التنقية** من الأدران عند اللزوم.

ويقول لهم : « إن حفظتم وصاياي ثبتم في محبتي؛ كما أني حفظت وصايا أبي وأنا ثابت في محبته » (١٥ : ١٠). فالمحبة الإنجيلية عملية، لا أفلاطونية. فالوصية سبيل المحبة، ودليلها، وبرهانها.

ويقول لهم : « مهما سألتم باسمي فأنا أفعله، لكي يتمجد الآب في الابن؛ وإذا سألتموني شيئاً باسمي فأنا أفعله » (١٤ : ١٥ - ١٦). هذا مظهر رعاية الله الآب الرحيمة : إنه يستجيب كل دعاء؛ ويسوع يفعل كل ما يُطلَب من الآب، وكل ما يُطلب منه مباشرة. فهو القيّم على النعمة الإلهية.

ويقول لهم : « أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويثبت ثمركم، لكي يعطيكم الآب جميع ما تسألونه باسمي » (١٥ : ١٦). فالإيمان العامل بالمحبة الثابتة ينال كل شيء من الآب باسم يسوع.

ويقول لهم: « الحق الحق أقول لكم: إن جميع ما تطلبونه إلى الآب باسمي يعطيكموه » (١٦ : ٢٣). هذا هو الوعد المطلق برعاية الله الآب الأبوية. وهو مصدر تعزية دائمة لتلاميذ المسيح.

٤) صلاة المسيح لأجل تلاميذه ضمانة كبرى لتعزيتهم الموعودة

قبل استشهاده، أو بالحري قبل رفعه إلى السماء، يرفع يسوع صلاته الكبرى إلى أبيه السماوي لأجل صحابته (١٧ : ٩) ولأجل تلاميذه عبر الدهور (١٧ : ٢٠).

يصلّي لأجل حفظهم : « أيها الآب القدوس احفظهم باسمك » (١٧ : ١١).

ولأجل تقديسهم : « قدّسهم في الحق، إن كلامك هو الحق » (١٧ : ١٧).

ولأجل وحدتهم : « لكي يكونوا بأجمعهم واحداً : كما أنك، أيها الآب، أنت فيّ وأنا فيك، فلْيكونوا هم أيضاً فينا » (١٧ : ٢٠).

ولأجل خلودهم : « أيها الآب، إن الذين أعطيتني أريد أن يكونوا هم أيضاً حيث أكون أنا » (١٧ : ٢٤).

ولأجل دوام محبة الله الآب لهم وفيهم : « قد عرّفتهم اسمك (ذاتك) وسأعرفهم أيضاً، لتكون فيهم المحبة التي أحببتني، وأكون أنا فيهم » (١٧ : ٢٦).

فهذه الصلاة القائمة على الدوام، في الأرض وفي السماء، هي مصدر تعزية دائمة لتلاميذ المسيح، ما داموا في العالم (١٧ : ١١).

تلك هي أسباب التعزية المسيحية الأربعة.

٢ - يسوع يحرّضهم ويوصيهم بالمحبة

دعوة الإنجيل محورها **شرعة المحبة،** التي بها أوجز الشريعة والأنبياء**.** لكن في **وصية الوداع** يطلب إليهم الحفاظ على المحبة فيما بينهم، وخصوصاً له.

١) المحبة الأخوية هي دائماً « وصية جديدة »

يقول لهم : « إني أُعطيكم وصية جديدة : أن يحب بعضكم بعضاً! أجل أن يحب بعضكم بعضاً، كما أحببتكم أنا » (١٣ : ٣٤). الجديد في وصية المحبة هو قوله « **كما أحببتُكم أنا** » .

ويردّد لهم : « هذه هي **وصيتي :** أن يحب بعضكم بعضاً، كما أحببتكم أنا » (١٥ : ١٣). يظل التركيز على هذه الميزة : « كما أحببتُكم أنا » . ومن وصايا المسيح الكثيرة لتلاميذه، تبرز المحبة **كأنها وصيته الوحيدة لهم.**

ويبيّن لهم **صفة المحبة المطلوبة منهم :** « فإنه ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه عن أحبائه » (١٥ : ١٣). إن المحبة المسيحية الأخوية تصل حتى التضحية بالذات على مثال السيد المسيح.

فالمحبة الأخوية بين المسيحيين، وخصوصاً بين رؤسائهم خلفاء الرسل الصحابة، يجب أن تصل إلى **بذل الذات نفسها.** بدون التضحية في المحبة لا تقوم مسيحية صحيحة.

والمحبة المسيحية الأخوية هي **سلاحهم تجاه بغض العالم لهم :** « لئن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم ... » (١٥ : ١٨ - ٢١). « العالم » هنا - قبل انتشار المسيحية - يقصد اليهود. وهم رمز لبغض « العالم » الأكبر.

وهي **سلاحهم أيضاً تجاه اضطهاد العالم لهم :** « إن الساعة آتية، التي يتوهم فيها كل مَن يقتلكم أنه يقرّب لله عبادة » (١٦ : ٢).

وهي **مصدر فرح لهم،** في بغض العالم واضطهاده لهم : « الحق الحق أقول لكم : إنكم ستبكون وتنوحون، والعالم سيفرح! إنكم ستحزنون ولكن حزنكم سينقلب فرحاً » ! (١٦ : ٢٠).

٢) محبتهم للمسيح ضمانة لثباتهم وسعادتهم

عليهم أن يبادلوا السيد المسيح حباً بحب : « كما أحبني الآب، أنا أيضاً أحببتُكم : فاثبتوا في محبتي » (١٥ : ٩). فمحبة المسيح لهم امتداد لمحبة الآب له. وهذا مثال المحبة التي يطلبها منهم له.

عليهم أن يضحّوا بأنفسهم في سبيله، « كما أحببتُكم أنا : فإنه ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل حياته عن أحبائه » (١٥ : ١٣).

وبرهان محبتهم له هو حفظ وصاياه : « إن كنتم تحبوني تحفظون وصاياي » (١٤ : ١٥)؛ وحفظ جميع أقواله : « مَن لا يحبني لا يحفظ أقوالي! والكلام الذي تسمعونه مني ليس لي، بل للآب الذي أرسلني » (١٤ : ٢٤). فحفظ أقوال المسيح هو حفظ لأقوال الله عينها.

ويؤكد لهم بتكرار : « أنتم أصفيائي إذا صنعتم ما أنا موصيكم به » (١٥ : ١٤). فمخالفة وصايا المسيح هي خيانة لمحبته.

ومخالفة تعليم المسيح هي مخالفة لإرادة الله؛ **فالطاعة دليل المحبة :** « إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي، كما أني حفظت وصايا أبي، وأنا ثابت في محبته » (١٥ : ١٠).

الطاعة والإيمان هما جناحا المحبة للمسيح، والقيام بأعماله عينها : « الحق الحق أقول لكم : إن مَن يؤمن بي يعمل هو أيضاً الأعمال التي أعملها، **بل يعمل أعظم منها،** لأني منطلق إلى الآب » (١٤ : ١٢).

أخيراً الأصل هو **الثبات في المسيح**، بالإيمان والمحبة : « اثبتوا فيّ وأنا فيكم؛ كما أن الغصن لا يستطيع من نفسه أن يأتي بثمر، إن هو لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ » (١٥ : ٤).

٣ ـ الفرح في الجهاد والاستشهاد

يسوع ينطلق إلى الآب. ولمّا أخبرهم بذلك؛ « **ملأت الكآبة قلوبكم** » (١٦ : ٦). ولكن يجب أن يفرحوا بذلك. وأسباب الفرح، في غياب المعلم المحبوب، ووسط الجهاد والاستشهاد، متوفرة لهم.

يجب أن يفرحوا **لأن يسوع ذاهب إلى الآب :** « لا تضطرب قلوبكم ولا ترتعد : قد سمعتم أني قلت لكم : أنا ذاهب، ثم ارجع إليكم. لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون بأني ذاهب إلى الآب، لأن الآب أعظم مني » (١٤ : ٢٧ ـ ٢٨).

يجب أن يفرحوا لأن يسوع يذهب ليرسل لهم الروح القدس الفارقليط، **المعين الدائم لهم :** ... غير أني أقول لكم الحق : إن في انطلاقي خيراً لكم : فإن لم أنطلق لا يأتكم الفارقليط؛ أما إذا انطلقت فإني أرسله إليكم » (١٦ : ٥ ـ ٧). وعمل الروح فيهم لفرحهم، تكملة لتعزيتهم.

يجب أن يفرحوا لأن يسوع ذاهب **ليهيئ لهم مكانهم في بيت أبيه :** « لا تضطرب قلوبكم! آمنوا بالله، وآمنوا بي أيضاً! إن في بيت أبي منازل كثيرة، لذا قلت لكم : إني منطلق لأعدّ لكم مكاناً. فإذا ما انطلقت وأعددت لكم مكاناً، أرجع وآخذكم إليّ، لتكونوا أنتم حيث أكون أنا » (١٤ : ١ ـ ٤).

يجب أن يفرحوا لأن ساعة حصادهم ثمار الشهادة ليسوع قد حضرت : « ... بهذا يتمجّد أبي، وتكونون تلاميذي، إذا أتيتم بثمر كثير » (١٥ : ١ ـ ٨).

ويختم بقوله لهم : « قلت لكم هذا ليكون فرحي فيكم، ويكون فرحكم كاملاً » (١٥ : ١١).

٤ - الثقة المطلقة بيسوع

لأنه انتصر على إبليس رئيس هذا العالم : « لا أُطيل الحديث معكم، فإن رئيس هذا العالم يأتي، لكنه ليس له عليّ من سبيل. إنما يجب أن يعرف العالم أني أحب الآب، وأني أعمل ما أوصاني به » (١٤ : ٣٠ - ٣١). فاستشهاد المسيح لم يكن نصراً لإبليس وزبانيته، بل كان طاعة ومحبة أبيه : هذا ما يجب أن يعرفه العالم.

ولأنه انتصر على العالم - على العالم الأصغر، اليهود، وعلى العالم الأكبر : « قد حدّثتكم بهذا، ليكون لكم فيّ سلام : ففي العالم **ستكونون في شدة؛ لكن ثقوا**، ولْتطبْ نفوسكم : إني قد غلبت العالم » ! (١٦ : ٣٣).

وهذا النصران **مصدر فرح دائم لهم**، ما بين أحزان العالم : « الحق الحق أقول لكم : إنكم ستبكون وتنوحون، والعالم يفرح! إنكم ستحزنون ولكن حزنكم سينقلب فرحاً. فالمرأة إذا ما حان وضعها تحزن لأن ساعتها قد أتت؛ ولكنها متى وضعت طفلها لا تعود تتذكر شدتها، لفرحها بأن إنساناً ولد في العالم. وأنتم أيضاً، إنكم الآن في حزن، لكني سأراكم من جديد، فتفرح قلوبكم! وفرحكم هذا لا يقدر أحد أن ينتزعه منكم » (١٦ : ١٩ - ٢٢).

تلك هي **الثمار الأربع**، الثقة المطلقة بيسوع، الفرح الدائم في الجهاد والاستشهاد، والثبات على محبتهم ليسوع، ومحبتهم لبعضهم البعض، والتعزية التي يشيعها في نفوسهم، والتي جميعاً نجدها في كتاب « الأسرار » .

ثالثاً : في كتاب الاستشهاد والقيامة (ف ١٨ - ٢١)

وحانت المحنة، التي يسميها يسوع « ساعته » . فكان لا بدّ من إبعاد التلاميذ عنها، حتى يعود إليهم بقيامته.

١ - إبعاد الصحابة حين القبض على يسوع

لمّا حضرت فرقة الجيش مع شرطة الهيكل للقبض على يسوع، قام بمشهد معجز أفهمهم أنه يستسلم إليهم عن قدرة لا عن عجز : « قال

لهم : مَن تطلبون ؟ قالوا : يسوع الناصري! قال لهم : أنا هو! - وكان يهوذا مُسْلِمه واقفاً أيضاً معهم - فلما قال لهم « أنا هو » ارتدوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضاً: مَن تطلبون ؟ قالوا : يسوع الناصري! قال يسوع : لقد قلت لكم : أنا هو » (١٨ : ٤ - ٨).

بعد هذا الموقف المعجز، قال لهم : « إن كنت أنا مَن تطلبون **فدعوا هؤلاء ينطلقون** - ذلك لتتم الكلمة التي قالها : إن الذين أعطيتهم لي لم أفقد منهم أحداً » (١٨ : ٩).

٢ - إنقاذ بطرس من ورطته في دار رئيس الكهنة

يروي يوحنا بأنه « كان معروفاً عند رئيس الكهنة » (١٨ : ١٦) لأسباب قد نجهلها. لذلك أدخل بطرس معه إلى الدار (١٨ : ١٦) ليتتبّعا معاً مصير يسوع. لم يتعرّض أحد ليوحنا بسبب معرفته. أمّا بطرس فتعرّض لاستجوابات متتابعة لم يفلت منها إلاّ بإنكار معلمه. ولا يذكر الإنجيل مَن أنقذ بطرس، أيوحنا نفسه، أم تسلّل بطرس خارجاً حين توقيف يسوع وقيام الهرج والمرج. لا شك أن يسوع، وهو منطلق من غرفة المحاكمة إلى مكان انتظار الحكم عليه، **قد نظر إلى بطرس نظرة ذات معنى** « فخرج وبكى بكاء مراً » كما يقول متى (٢٦ : ٧٥) ولوقا (٢٢ : ٦٢).

٣ - يوحنا وحده يشهد صلب المسيح، فيكافئه

مشهد رائع ظل يراود وجدان يوحنا حتى شيخوخته، لمّا دوّن الإنجيل. فقال: « وكانت أُم يسوع؛ وأُخت أُمه، مريم التي لقلوبا؛ ومريم المجدلية؛ واقفات عند صليبه » (١٩ : ٢٥). لكن يوحنا لا يذكر أُمه صالومة (مرقس ١٥ : ٤). ثم سجّل : « فلما رأى يسوع أُمه، **وبقربها التلميذ الذي كان يحبه** ... » (١٩ : ٢٦ - ٢٧)، سلّمه أُمّه، وديعة الودائع، مكافأة له على حبه وجرأته.

٤ - استشهاد جرّأ الأتباع الكبار على الظهور

كان يوسف الرامي ونيقوديم الأورشليمي من زعماء اليهود والسنهدرين. فاستأذنا الوالي الروماني بدفن يسوع : « فأخذا جسد يسوع، ولفّاه بلفائف

مع الأطياب، على حسب عادة اليهود في دفنهم » (١٩ : ٤٠). ثم وضعاه في « قبر جديد » بالبستان الذي في أسفل الجلجلة. ولعله كان لأحدهما، فلم يزعجهما أحد.

تلك هي **الثمار الأربع** المدوّنة في استشهاد المسيح. وهذه هي **الثمار الخمس الأخرى** في قيامته.

١ - السلام والفرح برؤية المسيح الرب في قيامته

في عشية يوم القيامة، « الأول من الأسبوع (أي يوم الأحد)، فيما أبواب المنزل الذي كان التلاميذ فيه موصدة، خوفاً من اليهود، أتى يسوع ووقف في الوسط، وقال لهم: **السلام عليكم.** قال هذا وأراهم يديه وجنبه، **ففرح التلاميذ** إذ أبصروا الرب » (٢٠ : ١٩).

٢ - تسلميهم رسالة المسيح

« فقال لهم مرة أخرى : السلام عليكم. كما أن الآب أرسلني، كذلك أنا أُرسلكم » (٢٠ : ٢١). فرسالة الرسل الصحابة، وخلفائهم من بعدهم، هي من رسالة المسيح نفسها. وهي امتداد لبعثة الآب للمسيح الابن. فرسالة المسيحية رسالة سماوية إلهية لا يصح لأحد أن يتنكر لها.

٣ - تنزيل الروح القدس الموعود عليهم

« ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم : **خذوا الروح القدس** » (٢٠ : ٢٢) فالروح القدس هو « الفارقليط الآخر » الذي وعدهم به قبل استشهاده؛ والذي يقوم مقام المسيح مع تلاميذه. وبدخول يسوع، بقيامته، في عالم الروح، صار يعطي « الروح » الإلهي من ذاته. فأعطاهم « الروح » الموعود بنفخة من فمه القدوس. فريح نفخته رمز لذات « الروح » ؛ وصدوره من فمه القدوس كناية عن صدوره من ذات المسيح الابن.

ولا يعطي، من ذاته، روح الله، إلاّ الله. ونفخ السيد المسيح روح الله فيهم برهان قاطع على أُلوهته.

والمشهد كله برهان أيضاً على تمتّع السيد المسيح في قيامته بسلطان الله.

وليس من شهادة أكبر على ذلك من تنزيل الروح القدس على صحابته وتلاميذه.

٤ ـ تسليم التلاميذ سلطان الغفران

بعد تنزيل الروح القدس عليهم، بنفخة من ذاته القدوسة، أضاف : « فمن غفرتم خطاياهم غُفرت لهم، ومَن أمسكتم خطاياهم أُمسِكَت » (٢٠ : ٢٣).

سلطان الغفران سلطان إلهي ذاتي، فوق طاقة المخلوق. فكل الناس يشهدون : « لا يغفر الخطايا إلاّ الله وحده » . لذلك برهن يسوع بمعجزة أنه يتمتع بسلطان الله نفسه لغفران الخطايا، فكان هذا السلطان برهان إلهية يسوع.

وفي يوم القيامة يزيد البرهان تأكيداً بتسليم سلطان الغفران الإلهي عينه، الذي فيه، إلى تلاميذه. فصحابة المسيح وخلفاؤهم من بعدهم يتمتعون بسلطان الله والمسيح لغفران الخطايا. وهذا السلطان الإلهي في المسيحية هو برهان أيضاً على إلهية المسيحية.

وميزة المسيحية على الأديان قاطبة أنها تتمتع بسلطان الغفران الإلهي الذي ييسّر للمؤمنين توبتهم إلى الله.

وسلطان الغفران هو نعمة الاستشهاد والقيامة الكبرى. فهو الدواء الإلهي للداء البشري، الخطيئة. فهو يتمّم توبة الخاطئ، ويجعله يطمئن بطريق حسية مشهودة لغفران الله. فبه ينسكب الفرح والسلام في النفوس.

٥ ـ تمتع الصحابة والتلاميذ، في القيامة، بحاسة الإيمان

نقلَ الصحابة العشرة بشرى القيامة لزميلهم توما الغائب. فاستنكر وقال لهم : « إن لم أرَ أثر المسامير في يديه، وأضع إصبعي في موضع المسامير، وأضع يدي في جنبه، فلن أُؤمن » (٢٠ : ٢٥).

فظهر يسوع من جديد للصحابة وتوما معهم، وكشف عن صدره المطعون بحربة، ومدّ يديه وأثر المسامير فيها؛ « ثم قال لتوما : هات إصبعك

إلى ههنا وانظر يدي! وهات يدك وضعها في جنبي! ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً. أجاب توما وقال له : ربّ وإلهي » (٢٠ : ٢٧ - ٢٨).

وتوالت ظهورات المسيح، بعد قيامته، لتلاميذه « مدة أربعين يوماً » (الأعمال ١ : ٤). ظهر لهم فيها زرافات ووحدانا، حتى لا يدع لهم مجالاً لريبة في أنه قُتل وصلب ومات وقام من الموت والقبر.

من تلك الظهورات، ظهور « على بحر طبرية » (٢١ : ١). « فقال التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس : « هو الرب » (٢١ : ٧). لقد غرست قيامة المسيح في نفوسهم حاسة الإيمان.

تلك هي **الثمار التسع** في كتاب الاستشهاد والقيامة.

وإذا عدنا إليها جميعاً، وجدنا أن ثمار بعثة المسيح في نفوس صحابته وتلاميذه **عشرين.**

إنها مسك الختام في مواعيد المسيح : « في ذلك اليوم ستعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيّ، وأنا فيكم » (١٤ : ٢٠). هذه هي **وحدة الوجود الحقة** في المسيح، الذي يجمع الخالق والمخلوق في ذاته.

والسبب الكياني لحياة الإنسان حياة الوحدة مع الله الآب، في المسيح الابن، بروحهما القدوس، هو بعثة السيد المسيح : « لقد **أعلنت اسمك** للناس، الذين أعطيتهم لي » ؛ « **لقد آتيتهم المجد الذي آتيتني**، ليكونوا واحداً كما نحن واحد : أنا فيهم، وأنت فيّ، لكي تتم فيهم الوحدة الكاملة » (١٧ : ٢٢ - ٢٣). إن تعبيري « الاسم » و « المجد » هما كناية عن الذات الإلهية.

فبعثة السيد المسيح **كشف إلهي عن ذات الله.** وهذا فوق طاقة المخلوق وفوق كل وحي أو تنزيل واقع أو ممكن.

* * *

بحث رابع عشر

إنجيل الرموز المسيحية

لقد مرّ بنا بحث **الرمزية في سيرة المسيح**، بحسب يوحنا. ثم رأينا كيف تأخذ السيرة **أسلوب الدراما** الرمزية بين النور والظلمة، والحقيقة والكذب، وبين الله و « العالم » .

هنا نبحث **الرمزية في دعوة المسيح.** فقد يكون أسلوب السيرة، من الإنجيلي نفسه؛ أمّا الرمزية في الدعوة، فهي من السيد المسيح عينه.

وهذه الرمزية في الدعوة ليست **شبهة على صحته،** كأنها أسلوب هلنستي، كما يظن بعضهم؛ ولا عهد لنبي إسرائيل بمثله. قائل هذا القول يجهل أسلوب « **أسفار الرؤيا** » التي انتشرت بين اليهود، قبل ظهور السيد المسيح؛ وكلها أسلوب رمزي.

وما الرمز، في حقيقته، سوى مثل بصورة الاستعارة، بحسب أسلوب الأمثال التي اشتهرت به الدعوة الإنجيلية بحسب المؤتلفة.

وبما أن الإنجيل بحسب يوحنا هو خصوصاً **الإنجيل الأورشليمي،** في بيئة علمية بين الأحبار والفقهاء، فلا بدْع أن يكون إنجيل الرموز المسيحية. وهي على نوعين : الرموز الحسية، والرموز المعنوية.

أولاً : الرموز الحسية

منها « حمل الله » والهيكل الجديد، والميلاد الجديد، والماء الحي، والخبز الحي، والباب، والراعي الصالح، والكرمة الحقيقية. تلك ثمانية رموز حسية.

١ - « هذا هو حمل الله »

المعمدان يفتتح الإنجيل بهذا اللقب الرمزي المثقل بالمعاني الماضية والآتية.

مشهورة في التوراة قصة **الحمل الفصحي**، الذي جعله أشعيا نبوءة عن الحمل الحقيقي الموعود (أشعيا ٥٣ : ٧).

جاء يسوع لزيارة المعمدان، بعد عماده وصومه، « فرأى (يوحنا) يسوع مقبلاً إليه فقال : **ها هو ذا حمل الله** الذي يرفع خطيئة العالم » (١ : ٢٩). كان الحمل الفصحي كفارة عن بني إسرائيل؛ والحمل الحقيقي، يسوع، هو كفارة عن « خطيئة العالم » كله.

فالمعمدان يجدّد نبوءة أشعيا، ويعلن تطبيقها على يسوع المسيح. فالنبوة وتحقيقها يحدّدان هدف بعثة المسيح الأكبر : إنه الضحية عن « خطيئة العالم » .

والإنجيل في خاتمته يشهد التحقيق والتطبيق : « وأما يسوع فلمّا انتهوا إليه، ورأوه قد مات، لم يكسروا ساقيه. بيد أن واحداً من الجند فتح جنبه بحربة، فخرج للوقت دم وماء ... وقد جرى ذلك ليتم الكتاب : إنه لا يُكسر له عظم » (يو ١٩ : ٣٣ ـ ٣٦ قابل سفر الخروج ١٢ : ٤٦). والإنجيلي، شاهد العيان، يعلن شهادته : « والذي شاهد هو الذي يشهد، وشهادته حق؛ وهو يعلم أنه يقول الحق لكي تؤمنوا أنتم » (١٩ : ٣٥).

فالسيد المسيح هو « حمل الله » الحقيقي، كفارةً عن العالمين.

٢ ـ السيد المسيح هو « الهيكل » الجديد

بمناسبة الفصح الأول من دعوته (٢ : ١٣) صعد يسوع إلى أورشليم هو وتلاميذه الأولون. وافتتح دعوته بأورشليم بعمل رمزي ضخم : **طرْد تجار الدين من الهيكل**. وهذا عمل سلطة الهيكل. « فخاطبه اليهود، وقالوا له : أية آية ترينا حتى تفعل هكذا ؟ أجاب يسوع وقال لهم : **انقضوا هذا الهيكل** (مشيراً بيده إلى نفسه)، وأنا أُقيمه في ثلاثة أيام ... أمّا هو فكان يتكلّم عن **هيكل جسده** » (٢ : ١٨ ـ ٢١).

فمنذ مطلع دعوته يعرف يسوع مصيره المحتوم. وهذا من علم الغيب، أكثر مما هو نبوءة.

وبهذا المصير الذي ارتضاه يسوع، جعل « **هيكل جسده** » بديلاً عن هيكل أورشليم، موضع عبادة العالمين.

فالسيد المسيح هو « الهيكل » الجديد لعبادة الله في العهد الجديد.

٣ - الميلاد الجديد « بالماء والروح »

بمناسبة الفصح الأول من دعوته، « آمن كثيرون باسمه، عند رؤيتهم المعجزات التي كان يجريها » (١ : ٢٣). ومن هؤلاء كان نيقوديم، « من الفريسيين، ومن أعيان اليهود » (٣ : ١) ومن أعضاء السنهدرين، المجلس اليهودي الديني الأعلى.

فجاء ليلاً إلى يسوع يباحثه في ملكوت الله الذي يدعو إليه، وقد أيقن أنه « ما من أحد يقدر أن يصنع الآيات التي أنت تصنعها ما لم يكن الله معه » (٣ : ٢).

دخل يسوع معه رأساً في صلب الموضوع، « وقال له : الحق الحق أقول لك : ما من أحد يقدر أن يعاين ملكوت الله، **ما لم يولد من فوق** » (٣ : ٣)، وهذا كناية عن مولد سماوي، إلهي.

فقصّر علاّمة إسرائيل عن التحليق مع يسوع في تعليمه (٣ : ٤). ففسّر له يسوع تصريحه بقوله : « الحق الحق أقول لك : ما من أحد يقدر أن يدخل ملكوت السماوات، ما لم **يُولد من الماء والروح:** فالمولود من الجسد إنما هو جسد؛ والمولود من الروح إنما هو روح » (٣ : ٥). **الولادة الجديدة** « بالماء والروح » كناية ظاهرة عن العماد. فالعماد المسيحي هو الميلاد الجديد « بالماء والروح » . إنه **ميلاد روحاني**، بقدرة « الروح » ، العامل في الماء المقدس. وهذا المولد الجديد الروحاني هو المولد « **من فوق** » أي « **من الروح** » كما يفسّر يسوع (٣ : ٨).

فتعبير الميلاد الجديد « بالماء والروح » رمز مثقل بالمعاني.

٤ - رمز « الماء الحي »

رمز « **الماء** » استعارة متشعّبة في الإنجيل بحسب يوحنا.

الاستخدام الأول لهذا الرمز يأتي في عرس قانا الجليل، حيث يسوع

حوّل الماء إلى خمر (٢ : ١ - ١٢)، استعارةً لتحويل العهد القديم إلى عهد جديد.

الاستخدام الثاني كان في حديث يسوع مع نيقوديم، علاّمة إسرائيل. إن الميلاد الجديد للإنسان يكون « بالماء والروح » (٣ : ٥)، كناية عن العماد الذي يقدس الإنسان بالماء المقدس، وفعل الروح القدس فيه. فكما أن الحياة الحسية بالماء، كذلك الحياة الجديدة الروحية بالماء المقدَّس والمقدِّس بفعل « الروح » الإلهي.

الاستخدام الثالث يرد في حديث يسوع مع السامرية. يسوع هو الذي يعطي « **الماء الحي** » (٤ : ١٠ و١١) : « فمن يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا له، فلن يعطش أبداً؛ فإن الماء الذي أُعطيه له يصير فيه نبعاً ينبع حياة أبدية » (٤ : ٢٤). فالرمز استعارة لنعمة الله والمسيح في الإنسان.

الاستخدام الرابع، في إعلان يسوع لليهود، في عيد الخيام : « **مَن عطش فلْيأتِ إليّ!** ولْيشربْ مَن آمن بي. فكما قال الكتاب : ستجري من باطنه أنهار ماء حي » (٧ : ٣٧ - ٣٨). والإنجيلي يفسّر الرمز : « **قال هذا عن الروح** الذي كان المؤمنون به، مزمعين أن يقبلوه » (٧ : ٣٩).

« فالماء الحي » رمز « للروح » الإلهي الذي يعطيه المسيح ويستقر في المسيحي.

الاستخدام الخامس، في صلب المسيح وطعن جنبه بحربة، « فخرج للوقت **دم وماء** » (١٩ : ٣٤). هذا التعبير واقع مشهود، في استعارة رمزية. أما الواقع فهو خروج « دم وماء » من جنب المسيح المطعون، برهاناً على حقيقة موت المسيح الذي مصل دمه إلى ماء. والاستعارة الرمزية ثنائية : فالدم كناية عن القربان المسيحي، والماء كناية عن العماد المسيحي؛ فكلاهما نبعا من قلب المسيح على الصليب.

هكذا يأتي **رمز** « **الماء** » مقترناً بالخمر (٢ : ١ - ١٢) كناية عن تحول العالم إلى عهد جديد في المسيح؛ ومقترناً « بالروح » (٣ : ٥؛ ٧ : ٣٧ -

٣٩) كناية عن نعمة الله المُنزَلَة في الروح القدس إلى نفس المؤمن؛ ومقترناً بالدم (١٩ : ٣٤) كناية عن القربان المسيحي.

فتعبير «الماء» ، «الماء الحي» رمز متعدّد المعاني.

٥ ـ رمز «خبز الحياة» ، «الخبز الحي»

بمناسبة تكثير الخبز في البرية لآلاف الناس، ومقارنة بعض اليهود بين هذه المعجزة ومعجزة المنّ لموسى، أدلى لهم يسوع بحديثين «وهو يعلم في جامع كفرناحوم» (٦ : ٥٩). والحديثان متميزان بالتصدير.

الحديث الأول في «خبز الحياة» ، حيث يسوع يستفتح ويختم بقوله : «**أنا خبز الحياة**» (٦ : ٣٥ ـ ٤٨)، بتعليمه والإيمان به.

ومحوره قوله في المطلع : «أنا خبز الحياة : مَن يُقبل إليّ، فلن يجوع أبداً، ومَن يؤمن بي فلن يعطش أبداً» (٦ : ٣٥). فتعليم يسوع والإيمان به هو طعام الإنسان وشرابه؛ بعيداً عنه سيظل يجوع ويعطش. وقوله في الختام : «الحق الحق أقول لكم : إن مَن يؤمن له الحياة الأبدية، فأنا خبز الحياة» ٦ : ٤٧ ـ ٤٨). فيسوع هو «خبز الحياة» ، وتعليمه «حياة أبدية» .

الحديث الثاني في «**الخبز الحي النازل من السماء**» بدل المنّ. ومحوره قوله في المطلع : «آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا! هذا هو الخبز الذي نزل من السماء لكي لا يموت كل من يأكل منه» (٦ : ٤٩ ـ ٥٠). ثم يفصّل ذلك بسبعة تصاريح يعلن فيها أن «الخبز الحي» النازل من السماء «هو جسدي لأجل حياة العالم» (٦ : ٥١ ـ ٥٨). ويختم بقوله : «هذا هو الخبز الذي نزل من السماء؛ ليس هو كالذي أكله الآباء وماتوا : فالذي يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (٦ : ٥٨).

فرمز «**الخبز**» ثنائي : إنه «خبز الحياة» كناية عن تعليم المسيح؛ وإنه «الخبز الحي» كناية عن «جسد المسيح» في قربانه.

٦ ـ رمز «الباب»

ما بين عيد الخيام في مطلع تشارين، وعيد التجديد في أواخر كانون

الأول، لا ينقل لنا الإنجيل بحسب يوحنا سوى حديثين ليسوع، في استعارتين رمزيتين. الأولى هي رمز « الباب » ، « باب الخراف » (١٠ : ١ - ١٠).

بدأ يسوع حديثه **بمَثَل « راعي الخراف »** الذي يعرف خرافه، وخرافه تعرفه. « قال لهم يسوع هذا المثل، غير أنهم لم يفهموا عمّا كان يكلمهم » (١٠ : ١ - ٦).

حينئذٍ صرّح لهم يسوع، باستعارة رمزية : « الحق الحق أقول لكم **أنا باب الخراف؛** فجميع الذين أتوا قبلي (باسم المسيح) سُرّاق ولصوص؛ ولكن الخراف لم تسمع لهم » (١٠ : ٧ - ٨). بهذا الحكم قضى يسوع قضاء مبرماً على جميع الذين أتوا قبله وبعده باسم « المسيح ».

ثم ارتفع إلى المطلق فأعلن : « **أنا الباب**[١] : إن دخل بي أحد يكون في أمان؛ فيدخل ويخرج ويجد مرعى » (١٠ : ٩).

ونعرف أن هذا « الباب » هو **باب الحياة :** « السارق لا يأتي إلاّ ليسرق ويذبح ويُهلك. أمّا أنا فقد أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). فبالحقيقة يسوع المسيح هو وحده باب الحياة، وباب الخراف الناطقة. إنه « الباب » الوحيد على الإطلاق؛ لا « باب » إلى ملكوت الله سواه.

٧ - رمز « الراعي الصالح »

هذه هي الاستعارة الرمزية الثانية.

يصرّح يسوع لهم : « أنا الراعي الصالح » (١٠ : ١١). وميزة « الراعي الصالح » أنه « يبذل حياته عن الخراف » ، ولا يهرب مثل الأجير إذا ما رأى الذئب مقبلاً (١٠ : ١٢ - ١٣).

ويعلن ثانيةً : « أنا الراعي الصالح » (١٠ : ١٤). وميزته الثانية : « أعرف خرافي، وهي تعرفني؛ كما أن الآب يعرفني، وأنا أعرف الآب »

---

(١) نقدر ضخامة هذا التعبير الرمزي الشرقي، من تسمية دار الخلافة العثمانية : الباب العالي.

(١٠ : ١٤ - ١٥). فمعرفة السيد المسيح بخرافه مثل معرفة الله الآب الذاتية والكونية.

وتلك المعرفة المتبادلة، المتعادلة، بين الله الآب، والمسيح الابن هي أيضاً برهان إلهية يسوع المسيح.

وكم جميلة تلك الاستعارة الرمزية، وكم هي ملأى بالتعزية والقوة للمسيحيين عبر الدهور، إن السيد المسيح هو « الراعي الصالح » الإلهي لهم. فلن يتركهم فريسة للذئاب.

ولقول يسوع « **أنا الراعي الصالح** » معنى آخر أوفى. إن تعبير « الراعي » **كناية كتابية عن الملك**. ونبؤة حزقيال في المسيح الموعود تجعله داود آخر، والراعي الأعظم لشعبه: « إني أُقيم، لأجعله على رأسهم، راعياً يرعاهم، عبدي داود » (٣٤ : ٢٣)؛ « عبدي داود يملك عليهم، ولن يكون إلاّ **راعٍ واحد** لهم أجمعين » (٣٧ : ٢٤). فبقول يسوع « أنا الراعي الصالح » تتميم للنبؤة، وإعلانٌ مجازي كتابي لملكه وملكوته.

٨ - رمز « الكرمة الحقة »

في حديث الوداع، يسرّ يسوع لتلاميذه بهذا الوضع الجديد :

« أنا الكرمة الحقة وأبي الكرّام ... أنا الكرمة وأنتم الأغصان » (١٥ : ١ و٥). فبقوله « الحقة » تعريض بإسرائيل، كرمة الله في العهد القديم. بالمسيح قام وضع جديد، فصار المسيح والمسيحيون كرمة الله الحقة.

في هذا الوضع الجديد **يصبح الله نفسه « الكرّام »** الذي يعتني بالأغصان المثمرة، وينتزع الأغصان غير المثمرة. فهو الذي « ينقّي » كرمته، لكي تأتي على الدوام بثمر أكثر. هذه هي الرعاية الأبوية الكريمة « للكرمة » المسيحية.

والسيد المسيح هو « الكرمة » ، التي ينبت عليها الأغصان. ففي الوضع الجديد، لا يمكن للمؤمنين أن يعيشوا بدون تأصلهم في المسيح الكرمة : « اثبتوا فيّ وأنا فيكم : فكما أن الغصن لا يستطيع من نفسه أن يأتي بثمر، إنْ هو لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ » (١٥ : ٤).

والمسيحيون هم « الأغصان » في المسيح الكرمة : « مَن يثبت فيّ وأنا فيه، فهو الذي يأتي بثمر كثير، فإنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً » (١٥ : ٥) فاتحاد المسيحي بالمسيح هو **ضرورة حياة.** فالمسيحي الذي لا يمتص حياته من المسيح الكرمة يذبل وييبس، ومصيره وقود للنار.

ويختم تفصيل الاستعارة الرمزية الرائعة بقوله : « بهذا يتمجّد أبي، وتكونون تلاميذي، إذا أتيتم بثمر كثير » (١٥ : ٨).

تلك هي الرموز الحسية في الإنجيل بحسب يوحنا.

ثانياً : الرموز المعنوية

منها « الساعة » ، و « العبادة بالروح والحق » ، و « النور » و « الرفع » .

١ ـ رمز « الساعة »

إنه تعبير متواتر يرمز إلى رسالة المسيح، وخصوصاً إلى استشهاده.

فمنذ فجر دعوته، يقول لأمه في عرس قانا الجليل : « لم تأتِ ساعتي بعد » (٢ : ٤). لكن إكراماً لأمه قدّم ساعته، وساعة القدر الأزلي، وحوّل الماء إلى خمر كأنها معتّقة. فشمل تعبير « **الساعة** » **هنا رسالة المسيح كلها.**

لكن التعبير مختص باستشهاد المسيح وبعثه.

ففي عيد الخيام، وهو أكبر عيد شعبي عند اليهود[١] ، طالبه « أخوته » أي ذوو قرابته، بإعلان نفسه في هذا العيد، فأجابهم : « **إن وقتي لم يحن بعد،** أما وقتكم فهو عتيد في كل حين » (٧ : ٦). وأردف : « اصعدوا أنتم إلى هذا العيد، أمّا أنا فلست بصاعد (الآن) إلى هذا العيد، **لأن وقتي لم يتم بعد** » (٦ : ٨) ـ تعبير « الوقت » مرادف لتعبير « الساعة ».

« ولكنه بعد أن صعد « أخوته » إلى العيد، صعد هو أيضاً، لا في الجهر، بل في السر » (٦ : ١٠). « وفي منتصف العيد صعد يسوع

---

(١) يوسيف : العاديات اليهودية ك ٨ / ف ٤ / ع ١.

إلى الهيكل وأخذ يعلّم » (٦ : ١٤). « فحاولوا حينئذٍ أن يقبضوا عليه، إلاّ أن أحداً لم يلقِ عليه يداً، **لأن ساعته** لم تكن بعد قد حانت » (٦ : ٣٠).

وفي أسبوع الاستشهاد (١٢ : ١) تتواتر **التصريحات عن حلول « ساعته »** . ففي عصر أحد الشعانين، التمس بعض المتّقين من الهلّينيين أن يقابلوا يسوع. فأخبر فيلبس وأندراوس بذلك يسوع. « فأجابهما يسوع قال : **لقد حانت الساعة** التي يمجّد فيها ابن البشر » (١٢ : ٢٣). فيظهر أن هداية العالم إلى المسيحية متوقفة على « ساعة » استشهاد المسيح. إنها « ساعة » مجده الأكبر.

حينئذٍ شعر يسوع **بهول هذه « الساعة »** ، فأعلن أمام الجماهير المزدحمة حوله: « الآن نفسي قد اضطربت! ماذا أقول ؟ يا أبتاه أدركني في هذه الساعة ... **ولكن لأجل هذه الساعة قد جئت** » (١٢ : ٢٧). إن استشهاد السيد المسيح هو « ساعته » وهدف رسالته الأكبر هو « هذه الساعة » .

فاستشهاد المسيح هو « ساعته » ؛ لكنه في الوقت ذاته هو « ساعة » رجوعه إلى الآب، « إذ كان يسوع يعلم أن **الساعة قد حانت** لينتقل من هذا العالم إلى أبيه » (١٣ : ١).

وساعة استشهاده هي أيضاً **ساعة المخاض بالإنسانية الجديدة**، وساعة حزن تلاميذه الذي سينقلب إلى فرح : « فالمرأة، إذا ما حان وضعها، تحزن لأن ساعتها قد أتت، ولكنها متى وضعت طفلها، لا تعود تذكر شدّتها، لفرحها بأن إنساناً قد وُلد في العالم » (١٦ : ٢١).

ولمّا حانت « ساعته » وقف يصلّي : « يا أبتاه، لقد حانت الساعة : فمجّد ابنك، لكي يمجّدك ابنك » (١٧ : ١).

والإنجيل بحسب يوحنا يحدّد ساعة الحكم بالإعدام صلباً على المسيح، لأنها بدء « ساعته » : « وكانت تهيئة الفصح، وكان نحو الساعة السادسة » من النهار (١٩ : ١٤).

ثم يحدّد ساعة موته (١٩ : ٢٠) ودفنه : « إذ كان يوم التهيئة » أي

تهيئة الفصح، « لأن ذلك السبت كان يوماً عظيماً » (١٩ : ٣١) لاجتماع السبت والفصح معاً.

« **فساعة** » **المسيح على التخصيص** هي ساعة استشهاده؛ وفي الوقت نفسه ساعة مجده الأكبر؛ وساعة رجعته إلى الآب؛ كما هي ساعة المخاض بالعهد الجديد للإنسانية، وساعة الفداء والخلاص للعالم.

٢ - رمز العبادة « بالروح والحق »

جاءت الاستعارة الرمزية في حديث يسوع مع السامرية. لمّا استأنست به، وأيقنت أنه نبي (٤ : ١٩)، سألته في الخلاف القائم بين اليهود والسامريين. قالت : « آباؤنا عبدوا في هذا الجبل[١] ؛ وتقولون أنتم : إن الموضع الذي تجب فيه العبادة هو في أورشليم » (٤ : ٢٠).

« فقال لها يسوع : أيتها المرأة صدقيني، إن الساعة آتية فيها تعبدون الآب، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم » (٤ : ٢١). ثم أفهمها « أن الخلاص يأتي من عند اليهود » (٤ : ٢٢). وأردف : « لكنّ الساعة آتية لا ريب فيها، حيث العابدون الحقيقيون يعبدون الآب **بالروح والحق.** فعلى مثال هؤلاء يريد الله عابديه : فإن الله روح، والذين يعبدونه **فبالروح والحق** ينبغي أن يعبدوه » (٤ : ٢٤).

فقرنت المرأة الذكية تلك الساعة بظهور المسيح الموعود : « قالت له المرأة: أنا أعرف أن « ماسيّا » - وهو الذي يدعى المسيح - يأتي؛ فمتى جاء فهو يخبرنا بكل شيء. قال لها يسوع : أنا هو! أنا المتكلّم معك » (٤ : ٢٥ - ٢٦).

فالعبادة « **بالروح والحق** » هي العبادة المسيحية. إنها تتم « بالروح » أي بالروح القدس؛ وتكون « في الحق » أي في المسيح (١٤ : ٦). والعبادة التي تتم « بالروح والحق » هي العبادة الوحيدة الحقيقية التي يرتضيها الله الآب (٤ : ٢٤).

فرمز العبادة « بالروح والحق » كناية عن العبادة المسيحية.

---

(١) هو جبل « جرزيم » ، قرب السامرة، حيث أنشأ السامريون هيكلاً معارضاً لهيكل أورشليم.

٣ - رمز « النور »

نوجز هنا ما سنفصله في بحث « المسيح النور » .

في الكتاب كله، « النور » كناية عن الوحي الإلهي.

وفي الإنجيل بحسب يوحنا، يأتي « النور » كناية عن رسالة السيد المسيح، وكناية عن شخصيته.

١) « النور » كناية عن رسالة المسيح

في تعليق الإنجيلي على حديث يسوع مع نيقوديم يقول : « إن النور قد جاء إلى العالم، والناس آثروا الظلام على النور » (٣ : ١٩) - مقابلة رائعة بين « النور » أي المسيح، وبين « الظلام » أي « العالم » .

قبل شفاء الأكمه، الأعمى منذ مولده، يعلن يسوع : « ما دمت في العالم، فأنا نور العالم » (٩ : ٥). وتأتي المعجزة برهان الحقيقة. والمقابلة بين النهار والليل (٩ : ٤)، كناية عن نور الحياة، وظلام الموت.

بمناسبة قيامة لعازر يبرّر يسوع عزمه بالعودة إلى اليهودية حيث حاولوا رجمه (١١ : ٨) بقوله : « أليس النهار اثنتي عشرة ساعة[١] ؟ إن مشى أحد في النهار لا يعثر، لأنه يُبصر نور هذا العالم؛ ولكن إن مشى في الليل تعثّر، لأنه لا نور فيه » (١١ : ٩ - ١٠). فيسوع هو نور النهار بتعليمه وبشخصيته.

٢) « النور » كناية عن شخصية المسيح

يعلن في عيد الخيام الشعبي : « **أنا نور العالمين :** مَن تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له **نور الحياة** » (٨ : ١٢). فالمسيح هو نور الحياة في العالمين.

ويختم دعوته، بتحدي اليهود : « إن **النور** معكم بعد إلى حين؛ فسيروا ما دام **النور** معكم، لئلا يغشاكم الظلام ... فما دام **النور** معكم،

---

(١) يستدل من هنا أننا في أواخر آذار، من السنة الثالثة.

فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور ›› (١٢ : ٣٥ - ٣٦). فالمسيح ذاته هو ‹‹ النور ›› في العالمين.

في آخر دعوته يركّز يسوع على صفة النور فيه : ‹‹ **أنا النور**، جئتُ إلى العالم لكي لا يمكث في الظلام كل من يؤمن بي ›› (١٢ : ٤٦). فالمسيح ذاته هو ‹‹ النور ›› ، والإيمان به خروج من الظلام إلى النور. بينما خيانته، والابتعاد عنه ليل وظلام، كما كانت حالة يهوذا لمّا خرج لتنفيذ مؤامرته، فقد ‹‹ كان ليل ›› (١٣ : ٣٠)، ليل في الطبيعة، وليل في نفسه.

ثم يأتي رمز النور في صلة مع الحياة، ومع الحقيقة، ومع المحبة، كما سنرى في بحث لاحق : فالمسيح ذاته هو **نور الحياة، ونور الحقيقة، ونور المحبة.**

٤ - رمز ‹‹ رفع ›› المسيح

يكنى السيد المسيح دائماً عن صلبه ‹‹ برفعه ›› . إنها استعارة رمزية لطيفة تغطي كل ما في الصلب من هوان.

فمنذ مطلع دعوته يكشف لنيقوديم عن مصيره : ‹‹ كما أن موسى رفع الحية في البريّة، كذلك ينبغي أن **يُرفع ابن البشر**، لكي تكون الحياة الأبدية في كل مَن يؤمن به ›› (٣ : ١٤ - ١٥). فرفع المسيح لصلبه مصدر حياة أبدية، إلهية، سماوية لجميع المؤمنين. هل فهم نيقوديم الاستعارة الرمزية ؟ أما الإنجيلي فقد فهمها على ضوء الواقع، فقال : ‹‹ لقد أحب الله العالم حتى أنه **بذل وليده الوحيد** لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية ›› في الدنيا والآخرة (٣ : ١٦).

وبعد خطاب ‹‹ خبز الحياة ›› تشكك كثيرون من تلاميذه، ‹‹ فقال لهم : أذلك يشّككم ؟ فلو رأيتم ابن البشر يرتفع إلى حيث كان أولاً ؟ ›› (٦ : ٦٢)، هنا ‹‹ رفع ›› المسيح يأخذ معنى ثانياً، وهو الصعود إلى السماء.

لكن يظل ‹‹ الرفع ›› بالصلب المعنى السائد. فعلى عتبة الاستشهاد، يعلن لليهود: ‹‹ الآن دينونة هذا العالم! الآن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً!

وأنـا **متى رُفعتُ** اجتذبت إليّ الجميـع ›› (١٢ : ٣١ - ٣٢). هنـا يفسّـر الإنجيلي معنـى ‹‹ الرفـع ›› : ‹‹ قال يسوع هذا ليدل علـى أيـة ميتـة كـان مزمعاً أن يموتها ›› (١٢ : ٣٣). لكن استنكر اليهود قصة ‹‹ الرفع ›› لابـن البشـر، الشـخص السماوي الخالـد : ‹‹ فكيف تقول أنـت : ينبغـي أن يُرفع ابن البشر ؟ مَن هو ابن البشر هذا ›› ؟ (١٢ : ٣٤).

تلك هي الرموز المعنوية في الإنجيل بحسب يوحنا.

فهي والرموز الحسية إنجيل الرموز المسيحية في الدعوة الإنجيلية.

* * *

بحث خامس عشر

ألقاب المسيح ، عند يوحنا

ألقـاب المسـيح، فـي الإنجيـل بحسـب يوحنـا، غنيـة. وهـي تبـرز نـواحي شخصـية السـيد المسيح المعجزة.

وهي على نوعين : الأسماء الحقيقية، والألقاب المجازية. نعطي عنها هنا **لوحة جامعة**، ونترك التفصيل لأبحاث أخرى.

أولاً : الأسماء الحقيقية

يعطي الإنجيل السيد المسيح اثني عشر اسماً، كلها دلائل على شخصيته الفريدة.

١ - إنه ‹‹ **الكلمة** ›› (١ : ١). بهذا الاسم الكريم يستفتح الإنجيل. والحرف اليوناني أبلغ تعبيراً من العربي. إنـه ‹‹ **لوغس** ›› أي النطق الذاتي في الله. وهـذا أجمل تفسير لمعنى ‹‹ **ابن الله** ›› ، يرفع عنه كل تشبيه وتجسيم، ويرفعه إلى حقيقته في كامل التجريد والتنزيه.

٢ - إنه ‹‹ **ابن الله** ›› ، ‹‹ الابن ›› على الإطلاق، ‹‹ الوليد الوحيد ›› .

يستفتح الإنجيل بهذا الاسم، بشهادة المعمدان له : « فذلك ما قد شاهدت، وأشهد أنه **ابن الله** » (١ : ٣٤). ويختتم بشهادة الإنجيلي نفسه : « لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله » (٢٠ : ٣١). وما بين المطلع والختام ينقل شهادة يسوع لنفسه. أصرح موقف كان في عيد التجديد. تحدّوه، أن يعلن بصراحة هل هو المسيح. فأكد لهم أنه أعلن ذلك. لكن المسيح المشهود أعظم من المسيح الموعود : « **انا والآب واحد** » (١٠ : ٣٠). فحاولوا رجمه، ظناً منهم أنه كفر! فردّ التحدّي : « أنا الذي قدّسه الآب، وأرسله إلى العالم، تقولون لي « كفرتَ » لكوني قلت : **أنا ابن الله** » ! (١٠ : ٣٦). والتصريحان يفسّر بعضهما بعضاً. فليست بنوة المسيح الابن **مجازية** كالتي ينسبها الكتاب والإنجيل للمؤمنين؛ إنما هي **حقيقية** لكون الآب والابن واحد.

يؤيد ذلك استعمال التعبير « **الابن** » على الإطلاق، (٣ : ١٦) ممّا يميّزه عن كل بنوة تُنسب إلى الله. يعزّز ذلك المقابلة المتواترة المطلقة : « **الآب والابن** » .

وقطعاً لكل شبهة يسميه الإنجيل مراراً « **الابن الوحيد** » ، وبحسب الحرف اليوناني « مونوجنيس » أي « **الوليد الوحيد** » (١ : ١٨). وحرف « الوليد » يقطع بأنها ولادة حقيقية، لا بنوة مجازية. وصفة « الوحيد » تؤيد ذلك، وترفع ولادته فوق كل مخلوق. فالتعبير « الوليد الوحيد » يقطع أيضاً بأنها ولادة في ذات الله، **ولادة « نطقية »** ، عقلية، روحية بحسب تعبير « الكلمة » : يصدر نطق الله الذاتي عن ذات الله، كصدور ابن عن أبيه في عالم المخلوق.

ولا يترك الإنجيل مجالاً لشبهة بين البنوة الحقيقية المنسوبة للمسيح الابن، وبين البنوة المجازية المنسوبة للأولياء والمؤمنين، **بتصاريحه** مثل « أنا والآب واحد » ؛ ومثل قوله : « إنما الذي يمجدني **هو أبي، الذي تدعونه أنتم إلهكم** » (٨ : ٥٤) ومثل إعلان أزليته: « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (٨ : ٥٨)؛ **وببياناته :** وحدة العمل بين الآب والابن (٥ : ١٩) ووحدة الحياة الذاتية (٥ : ٢٦) ووحدة السلطان في اليوم الحاضر وفي اليوم الآخر (٥ : ٢١ و٢٥)، ووحدة الديّان، فهو ملك يوم الدين

نيابة عن أبيه (٥ : ٢٢ و٢٧) ووحدة الوجود الإلهي : فهو كائن في السماء وفي الأرض معاً (٣ : ١٣)، وفي الماضي والحاضر والمستقبل، بالرغم من ظهوره الحسي العابر، بإشارات عديدة.

٣ ـ إنه « الله » . بهذا الإعلان الضخم يستفتح الإنجيل : « وكان الكلمةُ الله » (١ : ١). وبمثله يختمه : « ربّي! وإلهي! » (٢٠ : ٢٨). **ولا تعارض بين الاسمين:** « الله » و « ابن الله » ، لوحدة الجوهر الفرد بين الآب والابن، فوق كل تصوّر مخلوق. هذا ما عناه الإنجيل في فاتحته : « الإله، الوليد الوحيد، الذي في حضن الآب » (١ : ١٨)، تعبيراً عن سر الله في ذاته، بقدر ما تحمل لغة المخلوق.

٤ ـ إنه « المسيح » . فالتلاميذ الأولون يبشرون بعضهم بعضاً : « لقد وجدنا المسيح » (١ : ٤١). ويسوع يكشف عن هذه الحقيقة، خارجاً عن إسرائيل، للسامرية وبني قومها (٤ : ٢٦). لكنه لا يصرّح به للجماهير الإسرائيلية، لئلا يثير ثورة شعبية، بسبب الرواسب القومية فيهم. ويفضل استخدام « ابن البشر » لأنه أبلغ منه في الدلالة على شخصيته. ويدع أعماله تشهد له، حتى إثارة الجماهير (٧ : ٤٠ ـ ٤٤). ورسخ في وجدان الشعب أنه المسيح الموعود. **لكن المسيح المشهود** أعظم بلا حد **من المسيح الموعود.** أخيراً في عيد التجديد، وفي هيكل أورشليم، « تحلّق اليهود حوله وقالوا له : « حتى متى تريب أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح فقله لنا جهراً! ـ أجابهم يسوع، قال : **لقد قلته لكم** ولا تصدقون، والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي، غير أنكم لا تصدقون » (١٠ : ٢٤ ـ ٢٦). ويقفز يسوع إلى الإعلان الضخم عن حقيقته : « أنا والآب واحد ... أنا ابن الله » (١٠ : ٣٠ و٣٦).

٥ ـ إنه « ابن البشر » ، بحسب الاصطلاح الآرامي؛ و « ابن الإنسان » بحسب الحرف اليوناني. وذلك، لا بحسب اللغة كما نعتَ حزقيال نفسه؛ بل بحسب نبوة دانيال : « ابن البشر الآتي على سحاب السماء » ، وكما ترجم يسوع نفسه: « ابن البشر النازل من السماء ». هذا ما قاله لأخصائه منذ البدء (١ : ٥١)، ولنيقوديم علاّمة إسرائيل (٣ : ١٣ ـ ١٤). وأحبّ طوال دعوته أن يُعرف بهذا الاسم، لأنه يكشف عن سر شخصيته،

بتحقيق النبوة والواقع : « وآتاه سلطان الدينونة بما أنه ابن البشر » (٥ : ٢٧). وفي محاكمته الدينية، إذ استحلفه الحبر الأعظم أن يعلن حقيقته، أجابهم : « سترون ابن البشر آتياً على سحاب السماء » (في المؤتلفة).

٦ - **إنه « المصطفى »** الذي « ملائكة الله يصعدون وينزلون عليه » (١ : ٥٦)؛ « الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم » (١٠ : ٣٦)، انه اسمٌ للمسيح في التوراة والإنجيل، قبل أن يستعيره غيره لنفسه، من بعده.

٧ - **إنه « المعلّم »** ، وبالآرامية « **رابّي** » . بهذا الاسم ناداه تلاميذه (١ : ٣٧)، وسمّاه الشعب (٦ : ٢٥). وبه عرّف يسوع أيضاً عن نفسه (١٣ : ١٣).

٨ - **إنه « ملك إسرائيل »** ، كناية شعبية عن « المسيح » . به شهد التلاميذ الأوائل مثل نثنائيل، منذ مطلع الدعوة : « رابّي أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل » (١ : ٤٩). لكن يسوع لم يسمح بمناداته بهذا الاسم أثناء دعوته، بسبب الحساسية القومية والسياسية. لكنه في أحد الشعانين، وقد أزفت الآزفة، ارتضى أن تهتف له الجماهير : « هوشعنا! مبارك الآتي باسم الرب، ملك إسرائيل » (١٢ : ١٣). وهذه المظاهرة الشعبية كانت محور محاكمته المدنية : « أنت ملك اليهود » (١٨ : ٢٣)؛ وسبب سخرية الجند الروماني به : « السلام، يا ملك اليهود » (١٩ : ٣)؛ وعلّة إعدامه على صليبه: « يسوع الناصري ملك اليهود » (١٩ : ١٩ و٢١).

٩ - **إنه « حمل الله »** . به تنبّأ أشعيا (٣٥ : ٥). وكان هذا الاسم محور شهادة المعمدان له (١ : ٢٩)، وتحققت النبوءتان على الصليب : « إنه لا يُكسر له عظم » (١٩ : ٣٣ و٣٦) كما في شرط الحمل الفصحي.

١٠ - **إنه « مخلص العالم »** . بهذا الاسم شهد له السامريون (٤ : ٤٢). وفسّره يسوع لليهود، بأنه « **المحرّر** » من الخطيئة - لا من الاستعمار الروماني كما كانوا يتوهمون: « الحق الحق أقول لكم : إن كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة ... فإن حرّركم الابن كنتم حقاً أحراراً » (٨ : ٣٤ و٣٦).

١١ - **إنه « قدوس الله »** . وقد رضي يسوع هذا الاسم من صحابته،

دليلاً على إيمانهم به، بعد رِدّة كثيرين من التلاميذ عنه: « فنحن قد آمنّا ونعلم أنك قدوس الله » (٦ : ٦٩). والتعبير مرادف « لابن الله » كما تحدّى به اليهود : « فأنا الذي قدّسه الآب، وأرسله إلى العالم، تقولون لي « كفرت » لكوني قلت : أنا ابن الله » (١٠ : ٣٦).

١٢ - **إنه « الرب »** ، **« الرب الإله »** . فالإنجيل يسميه « الرب » (٤ : ١). وهو يعلن ذلك بكنايات عديدة كقوله: « الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (٦ : ٥٨ - ٥٩). وفهم اليهود أنه يعلن إلهيته فحاولوا رجمه. وفي ختام دعوته، في عيد التجديد، يطلق الإعلان الضخم : « أنا والآب واحد » ! حينئذٍ تناول اليهود من جديد حجارة ليرجموه » (١٠ : ٣٠ - ٣١). فتحداهم بقوله : « لقد أريتكم أعمالاً صالحة كثيرة من عند الآب، فلأي عمل منها ترجموني ؟ أجابه اليهود : ليس لعمل صالح نرجمك، بل للكفر **ولأنك تجعل نفسك إلهاً، وأنت إنسان** » (١٠ : ٣٢ - ٣٣).

وخاتمة المشاهد والمواقف، في الإنجيل بحسب يوحنا، كان في رؤية الصحابة لمسيح القيامة، وتوما معهم. فأظهر لهم أنه مثل الله تعالى « عالم الغيب والشهادة » ، فقال لتوما: « هاتِ إصبعك إلى ههنا وانظر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمناً! أجاب توما، قال له : ربي! وإلهي! » (٢٠ : ٢٦ - ٢٨).

فتلكم اثنا عشر اسماً حقيقيّاً تصف شخصيته من جميع نواحيها.

ثانياً : الألقاب المجازية

وهذه أيضاً اثنا عشر لقباً. قد ورد بحث بعضها في مواضع أخرى، لكن نستجمعها هنا لفائدة اللوحة الكاملة.

١ - **إنه « العريس »** في دعوة الله الكبرى للبشرية: « من له العروس فهو العريس » (٣ : ٢٩). فهو « عريس » البشرية الجديدة.

٢ - **إنه « مخلص العالم »** . هذا ما يشهد به أهل السامرة، بعد ما مكث بين ظهرانيهم يومين وخبروه. « وكانوا يقولون للسامرية : لسنا بعدُ

من أجل كلامك نؤمن، فقد سمعناه نحن، وتأكد لنا، أنه حقاً مخلص العالم » (٤ : ٤٢).

٣ - إنه « ملء النعمة والحقيقة » (١ : ١٦)، « ومن ملئه نحن كلنا أخذنا نعمة على نعمة » ، وحقيقة على حقيقة : بعد نعمة الكتاب وحقيقته، نعمة الإنجيل وحقيقته. لقد وزع الله النعمة والحقيقة، بالوحي، على الأنبياء. أما السيد المسيح، ختام النبوة والكتاب، فهو « ملء النعمة والحقيقة » .

٤ - إنه ملك يوم الدين : « فإن الآب لا يدين أحداً (بذاته) بل فوّض كل دينونة إلى الابن ... وآتاه سلطان يوم الدين، بما أنه ابن البشر » (٥ : ٢٢ و٢٧).

٥ - إنه « خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨)؛ أي هو « الخبز الحي النازل من السماء، والواهب الحياة للعالم » (٦ : ٥٠ و٥١ و٥٨).

٦ - إنه « نور العالمين » . أعلن ذلك في عيد الخيام، أكبر عيد شعبي عندهم : « أنا نور العالمين : مَن تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢). وقبل شفاء الأكمه، الأعمى منذ مولده صرّح : « ما دمت في العالم، فأنا نور العالم » (٩ : ٥). وجاءت المعجزة دليل النبوة والشهادة.

٧ - إنه « الباب » إلى الله ، « **باب الخراف** » الناطقة المؤمنة : « الحق الحق أقول لكم : أنا باب الخراف، جميع الذين أتوا قبلي (باسم المسيح) سرّاق ولصوص؛ ولكن الخراف لم تسمع لهم. أنا الباب، مَن دخل بي يكنْ في أمان ... وقد أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ٧ - ١٠) **فهو باب الحياة.**

٨ - إنه « الراعي الصالح » . وسمته بذل نفسه عنها : « أنا الراعي الصالح : الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (١٠ : ١١). وسمته الأخرى معرفتها الصحيحة : أنا الراعي الصالح، أعرف رعيتي، ورعيتي تعرفني » (١٠ : ١٤).

٩ - إنه « القيامة والحياة » (١١ : ٢٥). يطلق هذا التصريح المعجز قبل إحياء لعازر. وتأتي المعجزة برهان الشهادة.

١٠ - **إنه « حبة الحنطة » الإلهية** التي تموت لتأتي بثمر كثير (١٢ : ٢٤).

١١ - **إنه « الصراط والحقيقة والحياة :** لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (١٤ : ٦). الله هو « الحقيقة » على الإطلاق، والمسيح هو أيضاً هذه « الحقيقة » ؛ الله هو « الحياة على الإطلاق، والمسيح هو أيضاً هذه « الحياة » ؛ لذلك فهو « الصراط » الوحيد المطلق الذي يقود إلى الحقيقة وإلى الحياة في ذات الله.

١٢ - **إنه « الكرمة الحقة »** (١٥ : ١)؛ « أنا الكرمة وأنتم الأغصان » (١٤ : ٥). يؤكد ذلك مرتين لصحابته وتلاميذه ليبيّن لهم : « إنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً » ؛ لكن « مَن يثبت فيّ وأنا فيه فهو الذي يأتي بثمر كثير » (١٥ : ٥).

فتلكم اثنا عشر لقباً مجازيّاً تكشف عن سلطان المسيح، وبذلك عن شخصيته الإلهية.

فأسماء المسيح وألقابه، في الإنجيل بحسب يوحنا ظواهر متعدّدة لحقيقة إلهيته.

* * *

بحث سادس عشر

المسيح « النور » - إنجيل النور

لقد ألمحنا، عند الضرورة، لهذه الصفة. وهذا تفصيل القول فيها.

« **النور** » في الكتاب كله كناية عن الوحي والتنزيل. أمّا في الإنجيل فالنور ليس فقط **كناية عن الوحي الإنجيلي**؛ بل أيضاً **كناية عن رسالة المسيح**، كما هو **كناية عن شخصية المسيح**، كما رأينا. ومن إعجاز الإنجيل على الكتاب مقابلة النور والظلام بالخير والشر، ولا توجد في الكتاب.

عند المؤتلفة يبقى النور رمزاً للشريعة والحكمة وكلمة الله؛ ورمزاً للحياة

والسعادة والفرح والحرية، بخلاف الظلام رمز الموت والشقاء والدموع، كما في الكتاب. عند لوقا، وخصوصاً عند بولس يبدأ رمز النور والظلام كناية عن الخير والشر.

أما عند يوحنا فيأخذ **رمز** « **النور** » كل أبعاده. يرد التعبير عنده ٢٣ مرةً؛ مقابل « **الظلام** » **أو** « **الليل** » ٨ مرات، ثلاث منها في الليل الطبيعي (٦ : ١٧ مرتين؛ ٢٠ : ١)، والخمس الأخر كناية عن الكفر (١ : ٥؛ ٨ : ١٢؛ ١٢ : ٣٥ و٤٦).

أولاً : أبعاد رمز « النور »

في عيد الخيام، أضخم عيد **شعبي** عندهم، أطلق يسوع تصريحه الداوي، « **أنا نور العالمين :** مَن تبعني لا يمشي في الظلام « بل يكون له نور الحياة » (٨ : ٢٢). وهذا التصريح له أبعاد سلبية، وأبعاد إيجابية؛ ويتحدّى « أنوار » إسرائيل.

١ ـ الأبعاد السلبية لرمز « النور »

إعلان يسوع أنه « النور » (١٢ : ٤٦) يطلقه ضد الجهل والخطيئة والعبودية والعزة القومية والكذب وإبليس.

المسيح هو النور، من تبعه لا يمشي في ظلام الجهل (٨ : ١٢).

المسيح هو النور الذي يحرّر من الخطيئة (٨ : ٣٢).

المسيح هو النور الذي يحرّر من العبودية: « إن حرّركم الابن كنتم حقاً أحراراً » (٨ : ٣٦).

المسيح هو النور الذي يسمو على العزة القومية : « إني قد كلمتكم بالحق الذي سمعته من أبي، وهذا ما لم يعمله قط إبراهيم » (٨ : ٤٠).

المسيح هو النور الذي ينجي من الكذب : « إني من الله خرجت » (٨ : ٤٢).

المسيح هو النور الذي يقضي على إبليس، « فإنه كذوب وأبو الكذب » ويسوع وحده « يعلن الحقيقة » (٨ : ٤٤ ـ ٤٧).

٢ - الأبعاد الإيجابية لرمز « النور »

وإعلان يسوع المتواتر أنه « النور » يكشف به عن علمه الإلهي، وعن مصدره، وعن بنوته، وعن شهادة الآب للابن، وعن انتصاره على الموت.

المسيح هو النور، وهذا دليل علمه الإلهي الذي يرقى إلى علم الله، « عالم الغيب والشهادة » : « كما أن الآب يعرفني، فأنا أعرف الآب » (١٠ : ١٥).

المسيح هو النور، وهذا برهان مصدره الإلهي : « الحق الحق أقول لك : إننا نشهد بما شاهدنا » (٣ : ١٢)؛ « أنا أتكلم بما رأيت عند أبي ... لأني من الله خرجت » (٨ : ٣٨ و٤٢).

المسيح هو النور كناية عن بنوته الإلهية : « إنما الذي يمجدني هو أبي، الذي أنتم تدعونه إلهكم » (٨ : ٥٤).

المسيح هو النور، برهانَ انتصاره على الموت، بينما الأنبياء كلهم، وإبراهيم جدّهم قد ماتوا : « الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (٨ : ٥٨).

٣ - المسيح هو « نور العالمين » لا « أنوارهم »

كان اليهود يسمّون عيد الخيام « عيد الأنوار » لأنهم كانوا يشعلون في زوايا هيكلهم أربع صوانٍ ذهبية ملأى بالرماد والزيت فتطل أنوارها من علو على جماهير السكان والمواطنين والحجاج. وكانوا يرمزون بها إلى « **أنوارهم** » **الأربعة :** الشريعة، والهيكل، وأورشليم وإسرائيل نفسه، بناء على إشارات التوراة والأنبياء. في هذا الجو الحماسي الشعبي أطلق يسوع تصريحه الداوي : « أنا نور العالمين » .

يسوع هو « نور العالمين » لا شريعتهم : « إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧).

يسوع هو « نور العالمين » لا هيكلهم، فهو وحده « مخلص العالم » .

يسوع هو « نور العالمين » لا أورشليم، مدينتهم. يعلن : « ما دمت في العالم فأنا نور العالم » (٩ : ٥)، ويظهر ذلك بمعجزة الأكمه، الأعمى منذ مولده.

يسوع هو « نور العالمين » لا شعب إسرائيل. يصرّح لهم : « أنتم من أسفل، وأنا من فوق! أنتم من هذا العالم، وأنا لست من هذا العالم » (٨ : ٢٣).

تلك أبعاد رمز « النور » في الإنجيل بحسب يوحنا.

ثانياً : صلة « النور » بالقيم الكبرى

يأتي رمز « النور » في صلة مع القيم التي يقدّسها الإنسان: في صلة مع « الحياة » ، وفي صلة مع « الحقيقة » ، وفي صلة مع « المحبة » .

١ ـ النور والحياة

المسيح هو « نور الحياة » (٨ : ١٢). وهو « خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨). وهو ماء الحياة، « الماء الحي » (٤ : ١٠). والحياة فيه ذاتية مثل النور : « فكما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك آتى الابن أن تكون له الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦). والإيمان شرط الشركة في حياته (٣ : ١٥ ـ ١٦؛ ٦ : ٤٠ و٤٧؛ ٢٠ : ٣١). كذلك العمل بوصاياه، خصوصاً بشرعة المحبة (١٢ : ٥٠). لذلك يقول : « أنا القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا » (١١ : ٢٥ ـ ٢٦).

٢ ـ النور والحقيقة

المسيح هو « النور الذي ينير كل إنسان » (١ : ٩) لأنه « ملء النعمة والحقيقة » (١ : ١٤). إنه التجسيد الفعلي « للحقيقة » المطلقة لأنه « كلمة الله » (١ : ١). وهو ينطق بالحقيقة المطلقة، « لأننا ننطق بما نعلم، ونشهد بما شاهدنا » ، « في حضن الآب » (٣ : ٨ مع ١ : ١٨). فنطقه فوق كل وحي وتنزيل : « لقد كلمتكم بالحقيقة التي سمعتها من الله، وهذا لم يفعله قط إبراهيم نفسه » (٨ : ٤٠). ويتحداهم : وأما أنا فلانني أقول الحقيقة فلا تصدقوني » (٨ : ٤٥). ولكن « فمن كان من الله يسمع أقوال الله : فإن كنتم لا تسمعونها، فلأنكم لستم من الله » (٨ : ٤٧)؛ « فالذي أرسلني هو الحق وما سمعته منه، به أتكلم في العالم » (٨ : ٢٦).

فهو « الماء الحي » الحقيقي (٧ : ٣٨)؛ وجسده « مأكل حقيقي » (٦ : ٢٢)؛ وهو « الكرمة الحقيقية » (١٥ : ١) التي يتعلق بها المؤمنون كأغصان حية (١٥ : ٥). لذلك « إن أنتم ثبتم على كلامي تكونون حقاً تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يحرّركم » (٨ : ٣١ - ٣٢)؛ والتحرير الأكبر هو من الخطيئة، العبودية الحقة (٨ : ٣٤).

فالسيد المسيح هو **الصلة الوجودية الكونية الوحيدة** بين الخالق والمخلوق : « أنا الصراط والحقيقة والحياة؛ لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (١٤ : ٦).

والقول الفصل : « أنا النور » (١٢ : ٤٦)؛ « أنا الحقيقة » (١٤ : ٦).

٣ - النور والمحبة

المسيح نفسه تجسيد لمحبة الله الآب لنا : « هكذا أحب الله العالم حتى أنه بذلك ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦). « وعلى هذا تقوم الدينونة : إن النور قد جاء إلى العالم، والناس آثروا الظلام على النور (٣ : ٢٩). فالنور والمحبة هما في المسيح، فمن كان في المسيح، كان في النور والمحبة. ومصدر ذلك مصدر المسيح نفسه: « في ذلك اليوم ستعلمون أني أنا في أبي، وأنتم فيّ، وأنا فيكم » (١٤ : ٢٠). وشرط ذلك قبول المسيح والإنجيل : « مَن كانت عنده وصاياي وحفظها، فهو الذي يحبني؛ والذي يحبني، يحبه أبي، **وأُظهر له ذاتي** » (١٤ : ٢١). **فالمحبة سبيل النور** والكشف عن ذات الله وذات المسيح وذات الإنسان.

فرمز « النور » تجسيد للحقائق الإلهية والكونية والإنسانية، في المحبة والحقيقة والحياة. هذا هو المسيح النور.

* * *

بحث سابع عشر

المسيح « الحقيقة » - إنجيل الحقيقة

تعبير « النور » وتعبير « الحقيقة » مترادفان متلازمان؛ والسيد المسيح يعلن : « أنا النور » (٨ : ١٢؛ ١٢ : ٤٦)؛ كما يعلن : « أنا الحقيقة » (١٤ : ٦).

إن تعبير « الحقيقة » يرد ٢٥ مرة، بينما تعبير « النور » ٢٣ مرة. لكن يُضاف إليها تعبير « الحق » ١٤ مرة؛ وتعبير « حقيقي » ٩ مرات. لذلك فالإنجيل بحسب يوحنا هو **إنجيل « الحقيقة »** .

بهذا يتحدى يوحنا أهل الكتاب والأميين أجمعين. وموضوع « الحقيقة » فيه برهان إعجازه. فالموضوع وتعابيره تحمل معاني أبعد ممّا ألفته آذان البشر.

أولاً : الابن والحقيقة

منذ الفاتحة يرتفع المسيح الابن إلى منزلة الله. في العهد القديم جاء هذا التعبير: « يهوه غني بالنعمة والحقيقة » (سفر الهجرة = الخروج ٣٤ : ٦). والإنجيل منذ الفاتحة يصف يسوع بأنه « ملء النعمة والحقيقة » (١ : ١٤).

وفي مقابلة رائعة، تردّ الفاتحة على اليهود الذين يرون الحقيقة في الشريعة الموسوية: « إن الشريعة نزلت بموسى؛ وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧). فليست الحقيقة في الشريعة، بل في المسيح يسوع.

والمسيح **هو الحقيقة لكونه الابن :** « الإله، الوليد الوحيد، الذي في حضن الآب هو أخبر » (١ : ١٨). وهو يعلن : « الحق الحق أقول لك : إننا ننطق بما نعلم، ونشهد بما شاهدنا » (٣ : ١١).

ثانياً : رسالة المسيح هي تنزيل الحقيقة

مع تجسّد كلمة الله (١ : ١ و١٤) تجسّدت الحقيقة المطلقة فيه. فلم يعد وحي الله **كتاباً منزلاً**، بل صار **شخصاً منزلاً :** الذي أرسله الله

يقول أقوال الله »(٨ : ١٤)؛ «الذي ينزل من السماء يشهد بما شاهد وسمع »(٨ : ٣٢).

إنه يقول الحقيقة : «أنا كلمتكم بالحق الذي سمعته من أبي، وهذا ما لم يفعله إبراهيم نفسه »، جد الأنبياء (٨ : ٤٠). ويتحداهم : «وأما أنا فلأني أقول الحقيقة لا تصدقوني! ... فإن كنت أقول الحقيقة فلِمَ لا تصدقوني ؟ »(٨ : ٤٥ ـ ٤٦).

إنه يشهد للحقيقة : «إني لهذا وُلدت، ولهذا أتيت، لكي أشهد للحقيقة »(١٨ : ٣٤)، يعلن ذلك في مجلس القضاء، بحضرة الوالي الروماني. ولا غرو «فإن الذي أرسله الله ينطق بكلام الله، والله لا يؤتيه الروح بتقتير »(٨ : ٣٤).

والقول الفصل: «أنا الصراط والحقيقة والحياة: لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي »(١٤ : ٦). لقد تجسدت «الحقيقة والحياة »فيه، فلا «صراط »إلى الله إلاّ المسيح نفسه؛ ولا سبيل إلى «الحقيقة والحياة »إلا به وفيه ومعه.

ثالثاً : كل ما يصدر عن المسيح هو حق وحقيقة

أقواله كلها حق وحقيقة : « الذي أرسله الله يقول أقوال الله »(٨ : ١٤)؛ « لأني لم أتكلم من نفسي، بل الآب الذي أرسلني هو حدّد لي ما أقول وما أشهد به »(١٢ : ٤٩)؛ « ولكن الذي أرسلني هو الحق، وما سمعته منه، به أتكلم في العالم »(٨ : ٢٦)؛ « أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي »(٨ : ٣٨)؛ « بل أتكلم بما علمني الآب »(٨ : ٢٨).

أعماله كلها حق وحقيقة : « لأن الابن لا ينفرد بالعمل وحده، بل يعمل ما يرى الآب يعمل »(٥ : ١٩)؛ « إن الأعمال التي آتاني الآب أن أعملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها، هي تشهد لي بأن الآب هو أرسلني »(٥ : ٣٦).

وتصاريحه عن ذاته كلها حق وحقيقة : « الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم، تقولون لي « كفرت » لكوني قلت : أنا ابن الله ـ إن كنت لا أعمل **أعمال أبي** فلا تصدّقوني ... »(١٠ : ٣٦ ـ ٣٨)؛ « والآب الذي أرسلني هو نفسه شهد لي »(٥ : ٣٧).

رابعاً : طاعة الإيمان للحقيقة المسيحية

هذا هو المبدأ العام الذي يستخلصه الإنجيلي من الدعوة المسيحية؛ « لقد أحب الله العالم حتى أنه بذل وليده الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦).

فالمؤمنون هم أهل النور : « لأن كل من يفعل الشر يبغض النور، ولا يُقبل البتة إلى النور، لئلا تُفضح أعماله؛ وأما من يعمل الحقيقة، فإنه يُقبل لكي يتبين أن أعماله في الله مصنوعة » (٣ : ٢٠ ـ ٢١).

فلا يؤمن بالحقيقة المسيحية إلاّ مَن كان من الله : « مَن كان من الله يسمع أقوال الله؛ فإن كنتم لا تسمعونها فلأنكم لستم من الله » (٨ : ٤٧).

ويعلن أمام القضاء : « لقد وُلدت وجئت إلى العالم لأجل هذا : **أن أشهد للحقيقة**، وكل مَن هو من أهل الحقيقة يسمع صوتي » (١٨ : ٣٧). **أشهد للحقيقة**، وكل مَن هو من أهل الحقيقة يسمع صوتي » (١٨ : ٣٧). فالذين يقبلون شهادة المسيح هم « أهل الحقيقة » .

خامساً : « روح الحقيقة »

« الحقيقة » المسيحية سامية، قد تقصّر عنها عقول البشر. لذلك جعل المسيح روحه القدوس « فارقليط » لها أي معيناً يحمل الناس على قبولها، ومن ثَمّ على فهمها والحياة منها؛ فسماه السيد المسيح « **روح الحقيقة** » (١٤ : ١٧)، « الذي من الآب ينبثق » (١٥ : ٢٦).

فهو الشاهد الأكبر للحقيقة المسيحية، مع تلاميذ المسيح : « فهو يشهد لي، وأنتم أيضاً تشهدون، بما أنكم معي منذ البدء » (١٥ : ٢٦).

وقد رأينا تفصيل شهادته (١٦ : ٨ ـ ١١). ومحورها أنه « هو الذي يعلّمكم كل شيء، ويذكّركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ٢٦)؛ وهو الذي « يرشدكم إلى الحقيقة كلها » (١٦ : ١٣).

سادساً : أبعاد « الحقيقة »

في الإنجيل بحسب يوحنا، « الحقيقة » عينها هي الله نفسه في ذاته السامية : الله الآب، والمسيح الابن، والروح القدس الفارقليط.

الحقيقة هي الإنجيل، دعوة السيد المسيح.

الحقيقة هي مرادف لملكوت الله بحسب المؤتلفة.

الحقيقة هي أيضاً مرادف « للبِرّ » بحسب بولس.

فالإنجيل بحسب يوحنا هو **إنجيل الحقيقة،** في شخصية السيد المسيح، وفي رسالته : أي أقواله وأعماله وأحواله.

ويسوع هو المسيح الحقيقة، لأنه المسيح الابن. فتجسدت « الحقيقة » الإلهية فيه، فظهر « ملء الحقيقة والنعمة » (١ : ١٤)، وعرف بنفسه « أنا الحقيقة » (١٤ : ٦).

* * *

بحث ثامن عشر

المسيح « الحياة » - إنجيل الحياة

« أنا الحياة » (١٤ : ٦)؛ « أنا القيامة والحياة » (١١ : ٢٥). وكان إحياء لعازر برهان الإعلان، فكما يصح وصف الدعوة المسيحية بأنها « إنجيل الحقيقة » ، كذلك يصح وصفها بأنها « **إنجيل الحياة** » .

أولاً : الدعوة « لملكوت الله » - و « الحياة »

في الأناجيل المؤتلفة، متى ومرقس ولوقا، محور رسالة المسيح هو الدعوة إلى « **ملكوت الله** » ، أو « **ملكوت السماوات** » بحسب تعبير متى، حيث « السماوات » اصطلاح كتابي كنايةً عن الله.

فهو يدعو « بإنجيل الملكوت » (متى ٤ : ٢٥؛ ٩ : ٣٥).

ومعجزات المسيح، خصوصاً طرد الشياطين بأمره، هي الدلائل على حضور ملكوت الله : « إذا كنت بروح الله أطرد الشياطين، فإن ملكوت الله قام بينكم » (متى ١٢ : ٢٨).

وميزة هذا الملكوت أنه أتى بالمسيح، وهو آتٍ على الدوام حتى تجلّيه في يوم الدين، لذلك يصلي المسيحيون : « أبانا الذي في السماوات ليأتِ ملكوتك » (متى ٦ : ١٠).

فالإنجيل الذي يدعو به يسوع بحسب المؤتلفة، هو « **إنجيل الملكوت** » ودعوته هي « **كلام الملكوت** » (لوقا ٤ : ٤٣؛ ٨ : ١٠؛ ٩ : ١١؛ ١٦ : ١٦) وحضور المسيح هو ظهور الملكوت (لوقا ١٧ : ٢٠ ـ ٢١).

لكن هذا التعبير الضخم، المثقل بالمعاني، الذي يملأ الأناجيل المؤتلفة، يظهر نادراً في الإنجيل بحسب يوحنا، وقد يقتصر على الحديث مع نيقوديم (٣ : ٣ و٦) . واستبدله الإنجيل بحسب يوحنا بتعبير « **الحياة** » .

من هنا نجمت الشبهة على صحة الإنجيل بحسب يوحنا، فهو على زعم بعضهم قد بدّل محور دعوة المسيح. ولكن الإنجيل بحسب يوحنا لم يبدّل دعوة المسيح إلى « ملكوت الله » ؛ بل استبدل التعبير الكتابي « ملكوت الله » بتعبير « الحياة » ، الذي تستسيغه البيئة الهلنستية، والذي كان يسوع نفسه يستعمله في حديثه مع الأخصاء والعلماء من بني قومه، في الإنجيل الأورشليمي.

ثانياً : إنجيل « الحياة »

إن محور الإنجيل بحسب يوحنا يظهر من خاتمته : « وإنما كتبت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله، ولتكون لكم إذا آمنتم **الحياة باسمه** » (٢٠ : ٣١). كما يظهر من فاتحته : « فيه كانت الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ٤).

يؤيد ذلك خاتمة رسالة يوحنا، مقدّمة الإنجيل : « ونعلم أيضاً أن ابن الله قد أتى، وآتانا بصيرة لكي **نعرف الحقيقة.** ونحن في **الإله الحقيقي،** في ابنه يسوع المسيح : هذا هو **الإله الحقيقي والحياة الأبدية** » (١ يو ٥ : ٢٠). فالحقيقة المطلقة والمنزلة سبيل إلى « الحياة الأبدية » .

إن « إنجيل الملكوت » هو عينه « إنجيل الحياة » ، بتعبير من المختلف المؤتلف، دليل الإعجاز في الإنجيل.

إنه إنجيل « الحياة » لأن المسيح هو **الحياة المطلقة :** « كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك آتى الابن أن تكون له الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦). فهو « الحياة » الذاتية، ومصدر حياة في الدنيا والآخرة : « الحق الحق أقول لكم : إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني له الحياة الأبدية؛ ولا يخضع لدينونة، لكنه ينتقل من الموت إلى الحياة » (٥ : ٢٤). ولأن المسيح الابن **مصدر حياة** مثل الله الآب؛ « فكما أن الآب يقيم الأموات ويُحييهم، كذلك الابن أيضاً يُحيي مَن يشاء » (٥ : ٢١).

إنه إنجيل « الحياة » **لأن المسيح هو واهب الحياة:** هذا هدف نزوله إلى الأرض: « أما أنا فقد أتيت لتكون لهم الحياة وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). وهو يعطي الحياة بولادة جديدة « بالماء والروح » ؛ « والمولود من الروح هو روح » (٣ : ٥ و٦). والمسيح هو « **ماء الحياة** » (٤ : ١٠)، لأنه « كما قال الكتاب؛ من داخله تجري أنهار ماء حي » (٧ : ٣٩).

والمسيح هو « **خبز الحياة** » (٦ : ٣٥ و٤٨) أي « الخبز الحي النازل من السماء : مَن يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد » (٦ : ٥١).

ثالثاً : الشركة في « الحياة »

تتم شركة « الحياة » في المؤمن على **خمسة شروط :**

الشرط الأول هو الإيمان : إن « الحياة الأبدية » ، حياة الله، نزلت إلينا في المسيح، وبالمسيح : « فلقد أحب الله العالم حتى أنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦)؛ « مَن آمن بي، وإن مات، فسيحيا؛ وكل من كان حيّاً، وآمن بي، فلن يموت أبداً » (١١ : ٢٥ - ٢٦). تلك هي مشيئة الله الآب في بعثة المسيح الابن : « مشيئة أبي أن تكون لكل مَن يرى الابن، ويؤمن به، الحياة الأبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير » (٦ : ٤). وتتم مشيئة الله الآب في استشهاد المسيح : « كما أن موسى رفع الحية في البرية، كذلك ينبغي أن يُرفع ابن البشر، لكي تكون الحياة الأبدية في كل من يؤمن به » (٣ : ١٥).

الشرط الثاني هو حفظ وصاياه : « الحق أقول لكم : مَن حفظ كلامي لن يرى الموت أبداً » (٨ : ٥١)؛ وبالعكس « مَن لا يحبني لا يحفظ أقوالي » (١٤ : ٢٤) ويعطي ذاته مثالاً : « إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي، كما أني حفظت وصايا أبي وأنا ثابت في محبته » (١٥ : ١٠)؛ « إن كنتم تحبوني تحفظون وصاياي » (١٤ : ١٥).

الشرط الثالث هو بذل النفس في سبيل المسيح : « مَن أحب نفسه فإنه يهلكها؛ ومَن أبغض نفسه في هذا العالم، فإنه يحفظها للحياة الأبدية » (١٢ : ٢٥).

الشرط الرابع هو الثبات في المسيح كالأغصان في الكرمة : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان : مَن يثبت فيّ وأنا فيه، فهو الذي يأتي بثمر كثير، فإنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً » (١٥ : ٥).

الشرط الخامس والأكبر، للاشتراك مباشرة بحياة الله في المسيح، هو القربان، جسد المسيح ودمه : « أنا خبز الحياة : آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا : هذا هو الخبز الحي النازل من السماء[١] ، **لكي لا يموت كل من يأكل منه** » ؛ « إن لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه، فلا حياة لكم في أنفسكم » (٦ : ٤٨ ـ ٥٠).

رابعاً : تحقيق الحياة الإلهية في المؤمن

تتحقق حياة الله والمسيح في المؤمن على أنواع :

الواسطة الإلهية، الوجودية، الكيانية هي **الروح القدس.** فالكتاب تنبأ، والإنجيل حقق أنه « من داخله ستجري أنهار **ماء حي** ـ قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (٧ : ٣٨ ـ ٣٩). فروح الله الآب، الصادر من المسيح إلى المسيحي هو **نبع الحياة الإلهية فيه.** روح الله والمسيح هو « النبع » المقيم : « وأنا أسأل الآب فيعطيكم **فارقليط**

---

(١) المزمور ٧٨ : ٢٤ نعت المن بالخبز النازل من السماء؛ فتعريف المسيح يجمع بين الحدث والمزمور.

آخر، ليقيم معكم إلى الأبد ... يقيم معكم، ويكون فيكم » (١٤ : ١٦ - ١٧).

ونتحقق حياة الله، في المسيح، بالروح القدس، في المؤمن **بسكنى الله الثالوث فيه:** « مَن يحبني يحفظ كلامي، وأبي يحبه، **وإليه نأتي، وفيه نجعل مقامنا** » (١٤ : ٢٣). فحيث الله حياة الله.

ومع هذه السكنى الإلهية في المؤمن، يكون **الكشف الذاتي :** « من يسلك بحسب وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني؛ والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أُحبه، **وأُظهر له ذاتي** » (١٤ : ٢١).

وحياة الله في المؤمن المسيحي تجعله بشعر **بأنه ابن الله،** بامتداد بنوة المسيح إليه، بروح الله والمسيح : « والذين قبلوه آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله » (١ : ١٢).

هذا الشعور، وذاك الكشف، وتلك السكنى الإلهية، في المسيحي المؤمن المحبّ، تجعله يتمتع « **بسلام** » **المسيح** فيه، لا كالسلام الذي يعطيه العالم (١٤ : ٢٧؛ ١٦ : ٣٣)؛ ويستشعر « بالفرح الكامل » (١٥ : ١١؛ ١٧ : ١٣).

فقد قام **تعبير** « **الحياة** » عند يوحنا مقام **تعبير** « **ملكوت الله** » عند المؤتلفة. تبدّل اللفظ، لكن المعنى واحد. فملكوت الله هو حياته في أبنائه، العائشين « بالروح » ، في المسيح.

وتعليم « الحياة » ، « الحياة الأبدية » ، هو من **إعجاز الإنجيل** على أهل الكتاب وأهل الحكمة جميعاً. ولا مجال للتفصيل.

هذا هو إنجيل « الحياة » ، للمسيح « الحياة » .

* * *

بحث تاسع عشر

المسيح « الصراط » - إنجيل « الصراط » المستقيم

ظل أهل الكتاب يصلّون : « اهدنا الصراط المستقيم » حتى جاء يسوع المسيح فأعلن للعالمين، بواسطة صحابته : « **أنا الصراط** » **على الإطلاق.** وفسّر تصريحه بقوله : « **لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي** » (١٤ : ٦). فهو **الصراط الأوحد.** إنه الصراط الأوحد، المطلق، بذاته، بشهادته، بفعله، بتعليمه.

أولاً : المسيح هو الصراط الأوحد، المطلق، بذاته

إنه « ابن الله » و « ابن البشر » ، فهو يجمع في ذاته الخالق والمخلوق. لذلك ليس من « صراط » إلى الله أقرب، وأوضح، وألزم من المسيح نفسه.

ففيه ينزل الخالق إلى المخلوق. إنه « ابن الله » من حيث هو « كلمة الله » أي نطقه الذاتي؛ « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (١ : ١٤). فبنزول « ابن الله » ، « من حضن الآب » (١ : ١٨)، ينزل الخالق نفسه إلى المخلوق : « فإن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلّص به العالم » (٣ : ١٧).

وفيه يرتفع المخلوق إلى الخالق. بالاشتراك في حياة الله التي في المسيح : « وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١١)؛ وبالاشتراك في بنوته: « والذين قبلوه آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله » (١ : ١٢).

ولا يمكن لنبي ولا لرسول ولا لمخلوق أن يجمع في ذاته الخالق والمخلوق، إلاّ الذي هو « ابن الله » و « ابن البشر » شخصاً واحداً.

لذلك فالمسيح هو الصراط الأوحد، المطلق، بذاته.

ثانياً : المسيح وحده هو الصراط بشهادته

كل شهادة لله ناقصة ما لم تكن شهادة عيان. ولا يمكن لنبي ولا لرسول ولا لمخلوق أن يشهد لله شهادة عيان، إلاّ القائم في « حضن الآب » (١ : ١٨) و « الخارج منه » إلى العالم (٨ : ٤٢)؛ فهو وحده، دون العالمين، عنده شهادة العيان.

هذا ما يعلنه يسوع بتصاريح متنوعة.

يقول للأفراد مثل نيقوديم : « الحق الحق أقول لك، إننا ننطق بما نعلم، **ونشهد بما شاهدنا** » (٣ : ١١).

ويقول للجماهير في جامع كفرناحوم : « ما من أحد رأى الآب إلاّ الذي من لدن الله، فهو قد رأى الآب » (٦ : ٤٧). وفي عيد الخيام في موسم حجّ يعلن: « **أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي ...** لأنني من الله خرجت وأتيت: فأنا لم آتِ من نفسي، بل هو أرسلني » (٨ : ٤٢) ...

فالسيد المسيح هو وحده، في تاريخ النبوة والكتاب، شاهد العيان لذات الله. لذلك فهو وحده الصراط الأوحد المطلق إلى الله بشهادته.

ثالثاً : المسيح وحده هو الصراط بفعله

بين الأنبياء والمرسلين أجمعين، المسيح وحده « نزل من السماء » . بينما غيره خرج من الأرض وتلقى وحي المساء، بالواسطة، ومن وراء حجاب الغيب.

ويسوع يركّز دائماً بتصاريحه على **نزوله من السماء.** ففي جامع كفرناحوم يعلن: « إني قد نزلت من السماء، لا لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني؛ ومشيئة الذي أرسلني أن لا أتلف أحداً ممن أعطاني، بل أُقيمه في اليوم الآخِر » (٦ : ٣٨ - ٣٩). ونزل بصفة « خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨)، لذلك « أنا الخبز الحي النازل من السماء » (٦ : ٥١).

وفي عيد الخيام، في موسم حج، يصرّح : « أنتم من أسفل، وأنا من فوق! أنتم من هذا العالم، وأنا لست من هذا العالم » (٨ : ٢٣). كذلك : « إني من الله خرجت وأتيت، فأنا لم آتِ من نفسي، بل هو

أرسلني)) (٨ : ٤٢). وصحـابته يناجونه : ((من أجـل ذلك نؤمـن أنك من الله خرجت)) (١٦ : ٣٠).

وفي عيد التجديد يعلن أيضاً : ((أنا الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم)) (١٠ : ٣٦). ولم يقل الكتاب ولا الإنجيل ذلك في أحد من المرسلين أو المخلوقين؛ إنما ((الذي أتى من العلاء هو أعلى من الجميع ... وإن الذي أتى من السماء هو أسمى من الجميع)) (٣ : ٣١).

ويسوع يركّز دائماً بتصاريحه على **رجوعه إلى الآب في السماء.** لقد تشكك بعض تلاميذه من خطابه في ((خبز الحياة)) فقال لهم : أذلك يشككم ؟ فلو رأيتم ابن البشر يصعد إلى حيث كان أولاً)) (٦ : ٦١ - ٦٢). وفي عيد الخيام بهيكل أورشليم يعلن : ((أنا بعد معكم زمناً يسيراً، ثم ارجع إلى الذي أرسلني)) (٧ : ٣٣). ثم يُسِرّ إلى صحابته : ((قد سمعتم أني قلت لكم : أنا ذاهب ثم ارجع إليكم؛ لو كنتم تحبّوني لكنتم تفرحون **بأني ذاهب إلى الآب،** لأن الآب أعظم مني)) (١٤ : ٢٨). لكنتم تفرحون **بأني ذاهب إلى الآب،** لأن الآب أعظم مني)) (١٤ : ٢٨). وبعد القيامة يبلّغ صحابته : ((إني صاعد إلى أبي وأبيكم، إلى إلهي وإلهكم)) (٢٠ : ١٧).

فالسيد المسيح، بنزوله من السماء، ((من حضن الآب)) ؛ ورجوعه إلى الآب، قد شقّ وحده طريق السماء. فبفعله هو الصراط الأوحد والمطلق إلى الله. لذلك يقدر أن يعلن : ((أنا الصراط ... لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي)) (١٤ : ٦).

رابعاً : المسيح وحده هو الصراط بتعليمه

كل أنبياء الله يعلمون صراط الله، ويدعون إلى الصراط المستقيم. لكن السيد المسيح وحده أعلن أنه ((الصراط)) الأوحد المطلق إلى الله بتعليمه.

فهو لا ينطق ((بالأرضيات)) وحدها مثل غيره، بل ((ينطق بالسماويات)) (٣ : ١٢). ((فالذي أتى من السماء هو أسمى من الجميع، ويشهد بما شاهد وسمع)) (٣ : ٣٢).

كان أهل الكتاب من محافظين وخوارج ينتظرون ظهور المسيح. ويقولون

فيما بينهم مثل السامرية : « متى جاء فهو يبشرنا بكل شيء » (٤ : ٢٥) فجاء وأعلن: « إن تعليمي ليس مني، بل ممّن أرسلني » (٧ : ١٦)؛ « والذي أرسلني هو الحق، **وما سمعته منه**، به أتكلّم في العالم » (٨ : ٢٦)؛ « أنا أتكلّم **بما رأيت عند أبي** » (٨ : ٣٨).

وليس من نبي، ولا رسول، ولا مخلوق على الإطلاق يمكن أن يقول عن تعليمه: « ما سمعته منه (من الحق) به أتكلّم في العالم » (٨ : ٢٦)؛ « أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي » (٨ : ٣٨).

لذلك فهو الصراط الأوحد والمطلق إلى الله تعالى.

خامساً : « أنا الصراط والحقيقة والحياة »

« الحقيقة والحياة » على الإطلاق هما كنايتان عن الله نفسه. فليس في طاقة المخلوق، مهما سما، أن يكون « الحقيقة والحياة » على الإطلاق.

والسيد المسيح وحده، بين الأنبياء والمرسلين، والمخلوقين أجمعين، تجرّأ أن يعلن: « أنا الصراط والحقيقة والحياة » (١٤ : ٦)؛ وأن يؤكد ذلك بقوله : « من رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٩).

فبما أن الله الآب ظهر فيه، فهو أيضاً « **الحقيقة** » **على الإطلاق**. وأعلن أنه نزل « ليشهد للحقيقة » (١٨ : ٣٧). فهو الصراط الأوحد والمطلق إلى « الحقيقة » .

وبما أن الله ظهر فيه، فهو أيضاً « **الحياة** » **على الإطلاق**. وأعلن « إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠). فهو الصراط الأوحد والمطلق إلى « الحياة » .

ربّاه عفوك، قائل هذا القول، إما هو الكفر بالذات، وإما هو الحق بالذات. ومحاولات اليهود المتواترة لرجمه كلما نطق بمثلها هي برهان الواقع على صدورها منه. ولا يستطيع أحد أن يتهم السيد المسيح. كما لا يستطيع أحد أن يُتهم صحابته بالتزوير عليه، وهم القديسون الموحدون المخلصون الذين استشهدوا في سبيل شهادتهم.

والقول الفصل في **المسيح الصراط** هو قوله : « لم يصعد أحد إلى السماء،

إلاّ الذي نزل من السماء، **ابن البشر الكائن في السماء** ›› (٣ : ١٣). فالكائن في السماء على الدوام، ينزل إلى البشر، ويصعد ‹‹ حيث كان أولاً ›› ، إلى ‹‹ حضن الآب ›› هو وحده في الحقيقة الصراط الأوحد والمطلق إلى ‹‹ الحقيقة والحياة ›› . وتعليمه هو إنجيل الصراط المستقيم.

* * *

بحث عشرون

المسيح ‹‹ القيامة ›› - إنجيل ‹‹ اليوم الآخر ››

من أضخم تصاريح السيد المسيح قوله : ‹‹ أنا القيامة والحياة ›› (يوحنا ١١ : ٢٥). وهو كناية عن ألوهته، لأن ‹‹ القيامة والحياة ›› أعمال إلهية وصفات ربانية.

وهو ليس تصريحاً عابراً. إنما هي دعوة السيد المسيح كلها.

فبعد شفاء مخلّع أورشليم، برّر عمله بسلطان أكبر فيه : ‹‹ فكما أن الآب يُنهض الأموات ويحييهم، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء ›› (٥ : ٢١). وسلطان الإحياء الإلهي يملكه يسوع في اليوم الحاضر، وفي اليوم الآخر : ‹‹ الحق الحق أقول لكم : إن الساعة آتية لا ريب فيها يسمع الأموات صوت ابن الله وحين يسمعون يحييون ›› (٥ : ٢٥)، ويكرر تصريحه : ‹‹ فلا تدهشوا من هذا، لأن الساعة آتية، يسمع فيها جميع من في القبور صوته، فيخرجون منها : أمّا الذين عملوا الصالحات فينهضون للحياة؛ وأما الذين عملوا السيئات فينهضون للقضاء ›› (٥ : ٢٨ - ٢٩). هذا الحديث في هيكل أورشليم وصف لسلطان الاحياء والقيامة في يسوع، ‹‹ الابن ›› ، ‹‹ ابن الله ›› .

وبعد معجزة تكثير الخبز في البرية، كان خطاب يسوع في ‹‹ خبز الحياة ›› ، **أولاً بالإيمان به** (٦ : ٣٥ - ٤٨) حيث يكرّر ثلاث مرات :

« وأنا أُقيمه في اليوم الآخِر » (٦ : ٣٩ و٤٠ و٤٤)، أي « الحق الحق أقول لكم : إن مَن يؤمن له الحياة الأبدية » (٦ : ٤٧). فهذا تعبير صريح أنه « القيامة والحياة » . **وثانياً بالقربان** (٦ : ٤٩ ـ ٥٨) الذي « من يأكل منه **يحيا إلى الأبد** » ؛ يكررها أيضاً ثلاث مرات (٦ : ٥٠ و٥١ و٥٨). هذا الحديث في جامع كفرناحوم يثبت أن السيد المسيح هو أولاً « القيامة » ، وثانياً « الحياة » .

وسلطان الإحياء والقيامة يظهر خصوصاً في إحياء نفسه بعد موته. لمّا قربت أيام استشهاده أعلن لهم في أورشليم عينها : « إن أبي يحبني لأني أبذل حياتي، لكي أسترجعها أيضاً : لا ينتزعها أحد مني! وإنما أنا أبذلها باختياري. فلي **سلطان** أن أبذلها، ولي **سلطان** أن أسترجعها أيضاً، تلك هي الوصية التي تلقيتها من أبي » (١٠ ـ ١٧ ـ ١٨). وهذا تصريح آخر بأنه « القيامة والحياة » ، يظهر منه أنه « عالم الغيب والشهادة » .

وفي « عيد التجديد، في أورشليم، وكان شتاء، وكان يسوع يتمشى ذهاباً وإياباً في الهيكل، في رواق سليمان، فتحلّق اليهود حوله وقالوا له : حتى متى تريب أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح فقله لنا جهراً ـ أجابهم يسوع : لقد قلته لكم » (١٠ : ٢٢ ـ ٢٥). ويستشهد بأعماله الإلهية على صحة قوله. أما هم فلا يؤمنون به لأنهم ليسوا من خرافه : « إن خرافي تسمع صوتي، أنا أعرفها وهي تتبعني؛ **وأنا أوتيها حياة أبدية**، فلا تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي » (١٠ : ٢٧ ـ ٢٨). فهو يعلن مداورة أنه « القيامة والحياة » .

إن الإنجيل بحسب يوحنا لا ينقل معجزات إحياء الموتى التي تمت في الجليل. لكنه ينقل بتفصيل أكبر معجزة إحياء ميت يمكن أن تجري. كان لعازر من بيت عنيا، قرب أورشليم، صديق السيد المسيح، يرتاح عنده، في تنقلاته ما بين العاصمة وغور الأردن. أخيراً مات لعازر ودفن. ووصل الخبر إلى يسوع في عبر الأردن أي في الغور الشرقي. ولمّا تحقق يسوع من موته ودفنه، جاء إلى بيت عنيا. فهرعت مرتا، أخت الميت، لاستقباله. وقالت له الكلمة التي كانت تردّدها مع أُختها مريم، في مرض أخيهما : « يا سيدي لو كنت ههنا، لما مات أخي! ـ قال لها يسوع :

سيقوم أخوك » ! فظنت أنه يشير إلى القيامة الأخيرة. حينئذٍ أعلن لها وللعالم : « **أنا القيامة والحياة**، مَن آمن بي، وإن مات، فسيحيا؛ وكل من كان حيّاً وآمن بي، فلن يموت أبداً. أتؤمنين بهذا » ؟ (١١ : ٢٣ - ٢٧) ثم وقف على باب القبر - المغارة وقال : ارفعوا الحجر عن الباب، « فقالت له مرتا، أخت الميت : يا سيدي، لقد أنتن، قال له أربعة أيام » (١١ : ٣٩). و « **الأيام الأربعة** » هي المدة الشرعية في التلمود للتحقق من حقيقة الموت. وصرخ يسوع بصوت جهير : يا لعازر هلمّ خارجاً! فخرج الميت حياً. فأثبت يسوع بهذه المعجزة المنقطعة النظير أنه حقاً « القيامة والحياة » .

كما أثبت بتعليمه وتصاريحه المتواترة **حقيقة** « **اليوم الآخِر** » ؛ فأكمل وحده **التوحيد الكتابي** أي الإيمان بالله واليوم الآخِر من بعث وحشد ودينونة، فسعادة أبدية أو هلاك أبدي. **هذا هو إنجيل اليوم الآخِر.**

وأعلن أنه وحده **ملك يوم الدين**، بالنيابة عن أبيه السماوي : « وآتاه سلطان يوم الدين لأنه ابن البشر » (٥ : ٢٧).

والذي يعلن مراراً، ويثبت ذلك بالمعجزة الإلهية : « وأنا أُقيمه في اليوم الآخِر » هو حقاً **المسيح « القيامة » .**

* * *

بحث واحد وعشرون

المسيح « الكلمة »

قبل السيد المسيح كان كلام الله **كتاباً منزلاً**، أمّا في السيد المسيح فصار كلام الله **شخصاً منزلاً**، هو « **كلمة الله** » الذاتية، الذي يجسّد فيه وحي الله كله.

أولاً : كلام الله

النبوة والحكمة ظاهرة بشرية نجدها عند كل الأمم.

لكن النبوة الإلهية الحقة كانت ميزة أهل الكتاب على العالمين، وقد قيل : ((يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم، وأني فضّلتكم على العالمين)) . لذلك فهم أهل الكتاب الأولون، كتاب الله، الذي فيه كلام الله. وكلام الله في كتاب الله كان.

١ - **شريعة** : في كتب موسى الخمسة

٢ - **تاريخاً** : في كتب تاريخ بني إسرائيل الخمسة.

٣ - **نبوّة** : في كتب الأنبياء الأربعة الكبار، وفي كتاب النبيين الصغار.

٤ - **زبوراً** : في كتب المزامير الخمسة

٥ - **قصَصاً** : في خمسة كتب من القصص الشعبي.

٦ - **حكمة** : في كتب الحكمة الخمسة.

وموجزها أنها كانت وحياً وشريعة ووعداً :

١ - **وحياً** يكشف عن وحدانية الله ورعايته لشعبه وكونه.

٢ - **شريعة حياة** تنقل أحكام الله لشعبه وللإنسان.

٣ - **وعداً** بالمسيح الآتي، ختام الكتاب والنبوة

وما كان محور كتاب الله كله ؟

إن السيد المسيح يجعل نفسه محور كتاب الله : ((إنكم تبحثون في الكتب (المقدسة) على اعتبار أن لكم فيها حياة أبدية؛ وهي التي تشهد لي)) (يوحنا ٥ : ٣٩).

وعنه أخذ صاحب الرسالة العبرية قوله يصف **منزلة السيد المسيح** من وحي الله كله: ((إن الله، بعد إذ كلّم الآباء قديماً بالأنبياء، مراراً عِدّة وبأساليب شتى: كلّمنا نحن في هذه الأيام - وهي الأخيرة -

بالابن الذي جعله وارثاً للكل، وبه أنشأ الأكوان؛ الذي هو **ضياء مجده وصورة جوهره**، وضابط الكل بكلمة قدرته؛ الذي بعد أن طهّرنا من خطايانا، جلس عن يمين الجلال في الأعالي » (١ : ١ - ٣).

فكلام الله في الكتاب كان بأنبياء بشر؛ أمّا كلام الله الأخير والأسمى كان « **بالابن** » ، الذي يسميه الإنجيل بحسب يوحنا « **كلمة الله** » .

ثانياً : « الكلمة » ، « كلمة » الله

إن الإنجيل بحسب يوحنا أوجز أسماء المسيح الحسنى، وألقابه الجلّى وأوصافه المثلى، في فاتحته، بتعبير « **الكلمة** » . فهو « الكلمة » الإلهي في ذات الله؛ و « الكلمة » الكوني في الكون؛ و « الكلمة » الإنساني لمّا « صار الكلمة بشراً وسكن في ما بيننا » (١ : ١٤).

والتعبير اليوناني أصحّ من العربي : إنه « **لوغس** » **أي النطق الذاتي** في الله. فلا تجعل إلهيته تعدّداً في الله الواحد الأحد، إذ هو نطقه الذاتي. وسنرى في بحث لاحق إعجاز هذا التعبير للكشف عن « سر المسيح » في ذاته، وفي الله نفسه، كما صرّح الإنجيل منذ الآية الأولى :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة فهو منذ البدء في الله ».

١ - مصدر تعبير « الكلمة » في لفظه ومعناه

قيل : إن صفة « كلمة الله » ليست من المسيح نفسه، بل من الإنجيلي الذي أخذها من البيئة الهلنستية.

أجل إن السيد المسيح لم يعرّف عن نفسه بأنه « الكلمة » كلمة الله . لذلك فالإنجيل لا يستعملها أبداً في الإنجيل على لسان يسوع - إلاّ في الفاتحة التي وضعها موجزاً للإنجيل، ودليلاً على معناه.

وهذا الاستخدام من **باب** « **تهلين** » **الدعوة**، لاستساغتها في البيئة الهلنستية، في أسمى ما بلغت إليه حكمتها.

كان التعبير شائعاً في البيئة الهلنستية كلها، في الفلسفة، وفي الغنوص،

وفي علم الكلام. وعَبَرَ التعبير إلى البيئة الإسرائيلية، فاستخدمه فيلون في الكلام العبراني، إيلافاً لأهل الحكمة.

وجاء يوحنا الرسول ومدرسته في أفسس، فاقتبسه لأنه رأى فيه **أفضل تعبير** « **لسر المسيح** » في ذاته وفي الله؛ **وأكمل تفسير لمرادفه** « **ابن الله** » .

ويوحنا استخدم التعبير اللفظي استخداماً؛ لكنه لم يأخذ بمعانيه الهلنستية، ولا الكلامية الشائعة. وفي هذا **إعجاز التعبير في الإنجيل.**

فتعبير « لوغس » في الإنجيل لا يعني كما في الفلسفة الهلنستية « **العقل الكلّي** » - بل النطق الذاتي في الله.

ولا يعني، كما عند فيلون اليهودي، إنه **واسطة الخلق المخلوقة** قبل كل خلق، بل النطق الذاتي الإلهي الخلاّق :

« بـه كـل شيء كـوّن وبدونه لم يكن شيء ممّا كُوّن » (١ : ٣)

إنه مبدأ الخلق، والواسطة الخلاّقة معاً.

وليس تعبير « الكلمة » نقلاً للتعبير الربّاني « **مَمْرا** » أي الكلام، صفة من صفات الله الحسنى عندهم، لا واسطة الخلق الخلاقة.

فيوحنا استخدم التعبير اليوناني، « لوغس » ، **استخداماً لغويّاً**، وسكب فيه تعليم الإنجيل في إلهية يسوع وبنوته الذاتية، متّخذاً ما جاء في العهد القديم من تعليم في « **كلام الله** » وفي « **حكمة الله** » ، كصفة من صفات ذاته. فمصدر الاصطلاح **في معناه كتابي.**

٢ - المصادر التي هيأت إعجاز التعبير عند يوحنا

قد استجمع يوحنا في تعبير « لوغس » ، « الكلمة » كل ما جاء قبله من وحي في العهدين القديم والجديد.

ففي الصفحة الأولى من التوراة، رأى « كلام الله » الخلاّق، يخلق السماوات والأرض بذاته، ويفصل الخلق في ستة أيام.

وفي أسفار الحكمة : ابن سيراخ (ف ٢٤)، الأمثال (٨ : ٢٢)، حكمة سليمان (٧ : ٢٢ - ٨ : ٨) تظهر « **حكمة الله** » ذاتاً في الله، أكثر منها صفة.

ويتطور التعبير في الإنجيل إلى **الحكمة الشخصية** (متى ١١ : ١٩). فكان تفصيل الإنجيل لها في كلام بولس (فيل ٢ : ٦ - ١١؛ كول ١ : ١٥ - ٢٢؛ ٢ : ٩) وكلام أبولّس (عبر ١ : ١ - ١٢) تهيئة ربانية لفاتحة الإنجيل بحسب يوحنا.

هكذا تكونت مصادر تعليم يوحنا، بكشف الروح له، أن يسوع المسيح، « ابن الله » هو « الكلمة » ، كلمة الله المتأنّس.

وهذا أكمل تعريف « لسر المسيح » كما سنرى.

٣ - أبعاد تعبير المسيح « الكلمة »

في تصريح الإنجيل، « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا، وقد شاهدنا مجده، مجد الآب في ابنه الوليد الوحيد » (١ : ١٤) تعبير ناطق لحقيقة تجسّد « كلمة الله » في يسوع المسيح؛ وبرهان أيضاً على أن تجسّد « الكلمة » قائم دائم، لا عابر غابر؛ وبرهان كذلك على أن التجسّد الإلهي تَمّ منذ لحظة تكوين المسيح في مريم أُمه بمعجزة إلهية؛ لا في عماده، ولا في بدء ظهور « مجده » في دعوته فقط.

أجل لم يقل الإنجيل بحسب يوحنا متى تمّ تجسّد « الكلمة » في يسوع، فكان « المسيح » ؛ لكن في قوله : « والكلمة صار بشراً » إشارة كافية إلى أن تجسّد « الكلمة » قد تمّ منذ تكوين يسوع بشراً في مريم أُمه. ناهيك عن إنجيل البشارة ليوسف عند متى، وإنجيل البشارة لمريم العذراء عند لوقا. فيسوع المسيح هو « كلمة الله » المتأنس.

وهناك، في الفاتحة عينها، تعبيران يدلاّن على جلال تجسّد « الكلمة » في يسوع المسيح :

الأول : « وقد شاهدنا مجده، **مجد الآب في ابنه، الوليد الوحيد** » (١ : ١٤). فالكلمة المتجسد يتشح بجلال « مجد الآب » ؛ فيظهر على حقيقته أنه « الابن، الوليد الوحيد »، لا فقط « الابن الوحيد » الذي قد يحتمل معنى مجازيّاً. إنه « الوليد الوحيد » بحسب التعبير اليوناني « مونوجنيس » . فهي ولادة حقيقته، لكنها روحية، نطقيّة، ذاتية،

لأنـه « الكلمـة » ، نطـق الله الـذاتي، مـن ذات الله، فـي ذات الله، فـوق المخلـوق، ومـا يمـتّ إلـى المخلوق بصلة.

الثاني : « **ملء النعمة والحقيقة** » . إن « النعمة والحقيقة » صفتان إلهيتان، فوق طاقة المخلوق. والقول بأن يسوع المسيح هو « ملء النعمة والحقيقة » كناية عن صفته الإلهية.

وفي التعريف بأن يسوع المسيح هو « **كلمة الله** » إشارة لطيفة بليغة إلى أن **كلام الله** صار فيه ذاتاً. كان في الكتاب قبله وحياً، فصار فيه شخصاً. فكلام الله الذاتي نفسه نزل إلينا في يسوع المسيح، « الكلمة » . **فليس بعد « كلمة » الله الذاتية من كلام الله بوحي، أو تنزيل.**

يؤيد ذلك تصريحه في آخر دعوته : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)؛ « مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥)؛ « مَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٩)؛ « أنا الصراط والحقيقة والحياة : لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (١٤ : ٦).

فهو خاتمة الكتاب والنبوة.

فيه **كلام الله** صار « **كلمة الله** » الذاتية.

* * *

بحث ثانٍ وعشرون

المسيح « أنا هو »

هذا الاسم الأسمى، « أنا هو » قمة التعريف بذات السيد المسيح وسر شخصيته، كما فيه أجمل توريات الإنجيل وأبلغها.

١ - التعبير « أنا هو » موصوفاً

يأتي أحياناً تعبير « أنا هو » موصوفاً، فيحمل أجمل التوريات وأبلغها.

واستعماله المتواتر في الإنجيل بحسب يوحنا يعطيه مسحة الجلال الإلهي على وجه السيد المسيح. يقول :

١) « **أنا هو خبز الحياة :** مَن يقبل إليّ فلن يجوع أبداً! ومن يؤمن بي فلن يعطش أبداً » (٦ : ٣٥).

٢) « **أنا هو نور العالمين :** فمن تبعني فلا يمشي في الظلام، بل يكون له **نور الحياة** » (٨ : ١٢).

٣) « **أنا هو الراعي الصالح :** أعرف خرافي، وخرافي تعرفني، كما أن الآب يعرفني، وأنا أعرف الآب. وأبذل نفسي عن خرافي » (١٠ : ١٤ - ١٥).

٤) « **أنا هو القيامة والحياة :** مَن آمن بي، وإن مات، فسيحيا؛ وكل من كان حيّاً، وآمن بي، فلن يموت أبداً » (١١ : ٢٥).

٥) « **أنا هو النور** قد جئت إلى العالم، لكي لا يمكث في الظلام كل من يؤمن بي » (١٢ : ٤٥ - ٤٦).

٦) « **أنا هو الصراط والحقيقة والحياة :** لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (١٤ : ٦).

٧) « **أنا هو الكرمة الحقيقة**، وأبي الكرّام ... أنا الكرمة وأنتم الأغصان » (١٥ : ١ و٥) ...

هذا التعبير السباعي - الذي يبلغ عدد الكمال عندهم - يصف السيد المسيح بأوصاف إلهية، فوق طاقة المخلوق؛ وهي تكتنف التعبير المطلق، فتعطيه كل إعجازه.

٢ - التعبير « أنا هو » مطلقاً

أطلق يسوع تصريحه الضخم، في عيد الخيام أضخم عيد شعبي عندهم، وفي عاصمتهم، وفي الهيكل نفسه؛ وذلك في أصعب حوار مع أحبارهم وفقهائهم.

وطّأ للتصريح بقوله : « أنتم من أسفل وأنا من فوق! أنتم من هذا العالم، وأنا لست من هذا العالم » (٨ : ٢٣).

ثم أردف : « لقد قلت لكم : إنكم تموتون في خطاياكم، أجل تموتون في خطاياكم، إن لم تؤمنوا **أني أنا هو** » (٨ : ٢٤).

تجاهلوا إعلانه، « فقالوا له: و « **مَن أنت** »؟ قال لهم يسوع: ما أقوله لكم من البدء »! (٨ : ٢٥).

وللتركيز والتوكيد، « قال لهم يسوع أيضاً : إذا ما رفعتم ابن البشر فعندئذٍ تعرفون أني **أنا هو** » (٨ : ٢٨).

وتطور الحوار، فختمه يسوع بالتصريح الجامع المانع : « الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم، **أنا هو** » **أو** « **أنا الكائن** » (٨ : ٥٨).

حينئذٍ فهموا أنه **يدّعي لنفسه اسم الله الأعظم** الذي نزل على موسى في حوريب (سفر الهجرة - الخروج ٣ : ١٤)؛ « فأخذوا حجارة ليرجموه، غير أن يسوع توارى وخرج من الهيكل » (٨ : ٥٩).

وكأن السيد المسيح تعمّد اقتباس تصريح الله تعالى نفسه كما أعلنه أشعيا النبي: « تعرفون أني أنا هو، يهوه » (٨ : ٢٨). والاقتباس بالحرف الواحد فيه ذروة التحدي.

وما قاله جهراً، أعلنه لصحابته في خلوة العشاء السري : « أقول لكم هذا منذ الآن وقبل أن يكون، حتى إذا ما كان تؤمنون **أني** « **أنا هو** » (١٣ : ١٩). ويشهد أنه ينسب لنفسه اسم الله الأعظم تصريحه الأول لهم : « أنا الصراط والحقيقة والحياة » على الإطلاق (١٤ : ٦)؛ وتصريحه الثاني : « مَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٩).

فهل استخدم يسوع التعبير نفسه حين القبض عليه في بستان الزيتون ؟ « قال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصري. فقال لهم : « **أنا هو** » - وكان يهوذا مسلمه واقفاً معهم - فلما قال لهم « أنا هو » ارتدوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضاً: « مَن تطلبون » ؟ قالوا : « يسوع الناصري » . أجاب يسوع : لقد قلت لكم « **أنا هو** » . فإن كنت أنا مَن تطلبون فدعوا هؤلاء ينطلقون » (١٨ : ٤ - ٨).

إن سقوطهم على الأرض، عند إعلان يسوع « أنا هو » دليل على

أنه اقتبس الاسم الأعظم لنفسه. فهل كان سقوطهم على الأرض **معجزة رؤية** بهرتهم بجلاله الإلهي، أم **معجزة قدرة** صرعتهم ؟

فسواءٌ كانت معجزة رؤية أم معجزة قدرة، فقوله للمرة الثانية « أنا هو » تعني « يسوع الناصري » البشر، الذي استسلم لأيديهم.

إن إعلان يسوع ثلاث مرات، الأولى في أكبر أعيادهم الشعبية؛ والثانية لصحابته في وداعهم؛ والثالثة في مطلع استشهاده : إني « **أنا هو** » . هو إصرار منه على **التعريف بنفسه، بمثل تعريف الله تعالى بنفسه.**

يشهد بذلك في المرة الأولى إعلانه المعجز للجمهور : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)، وتفسيره : « مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥).

ويشهد بذلك في المرة الثانية إعلانه المعجز لصحابته: « أنا الصراط والحقيقة والحياة ... مَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٦ و٩).

ويشهد بذلك في المرة الثالثة معجزة جلاله التي بهرت فرقة الجيش وشرطة الهيكل، فسقطوا على الأرض عند إعلانه « أنا هو » (١٨ : ٦).

فتعريف السيد المسيح بنفسه، بتعريف الله تعالى بنفسه، وبالحرف الواحد، هو نسبة الاسم الأعظم لشخصيته، والإعلان الأكبر لإلهيته.

* * *

بحث ثالث وعشرون

إنجيل الإيمان

الإنجيل بحسب يوحنا هو إنجيل الإيمان. مشاهده ومواقفه في كل صفحة منه. وهذا ما يعلنه منذ فاتحته : « أما الذين قبلوه, فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله » (١ : ١١)؛ كما يصرح به في خاتمته : « وإنما كُتبت هذه لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله، ولكي تكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه » (٢٠ : ٣١).

والإنجيل يركّز على موضوع الإيمان فيه؛ وعلى ضرورته للحياة الأبدية؛ وعلى مفاعليه.

أولاً : موضوع الإيمان

في الإنجيل بحسب يوحنا يأتي الكشف تدريجيّاً، من «سر المسيح» إلى «سر الله» إلى «سر الروح» . وذلك بأسلوب بارع معجز : فبالكشف عن ذاته، يكشف السيد المسيح عن ذات الله، وعن ذات روح الله.

فليس موضوع الإيمان التوحيد الخالص وحده، مثل سائر الكتب المنزلة والتوحيد هو إيمان أهل الكتاب في بيئة الدعوة الإنجيلية؛ بل الإيمان «بسر المسيح» في «سر الله» .

١ - الإيمان «بسر المسيح» وتعليمه

يقول لصحابته : «أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بي أيضاً» (١٤ : ١). في ذلك الحياة الأبدية الموهوبة للمؤمنين : «والحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي الوحيد، والذي أرسلته يسوع المسيح» (١٧ : ٣).

فهو **الكاشف الأوحد** عن سر الله، لأنه «ليس من هذا العالم» ، بل «من فوق» (٨ : ٢٣)، من «حضن الآب» (١ : ١٨)، **فلا صراط سواه إلى الله،** لأنه «الصراط والحقيقة والحياة : لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي» (١٤ : ٦).

وهو **واهب الحياة الأبدية :** «وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة» (١٠ : ١٠). وصفته الإلهية : «أنا القيامة والحياة» (١١ : ٢٥). وهو يعطي الحياة الأبدية لمن يشاء، ويقيمه في اليوم الأخير (٦ : ٤٠).

وهو «مخلص العالم» (٤ : ٤٢)، المخلص الأوحد الذي عنده وحده «كلام الحياة الأبدية» (٦ : ٦٨)؛ ويهب الخلاص للذين يثبتون على الإيمان به، والمحبة له (٨ : ٣٠ - ٣١).

فتعليمه نطق « بالسماويات » : « إذا قلت لكم الأرضيات ولا تصدّقون، فكيف إذا قلت لكم السماويات تصدقون » (٣ : ١٢). والنطق « بالسماويات » هو الكشف عن « سر الله » بالكشف عن « سر المسيح » .

٢ - الإيمان « بسر الله »

كل وحي وتنزيل اقتصر على التوحيد، وشريعة التوحيد. و « سر الله » هو الغيب المحجوب عن المخلوق. وحده الذي نزل « من حضن الآب » (١ : ١٨) يقدر أن يكشف « سر الله » . وهذا الكشف لا يمكن أن يأتي به إلاّ المسيح الابن، الذي بصفة كونه ابن البشر هو كائن على الأرض وفي السماء جميعاً (٣ : ١٣). يختم فاتحة الإنجيل بهتاف الاعتزاز : « **هو وحده أخبر عنه** » (١ : ١٨).

ويسوع نفسه في صلاته الأخيرة يشهد لأبيه: « **لقد أعلنت اسمك للناس** » (١٧ : ٦)، و « الاسم » في لغة الكتاب والإنجيل كناية عن الذات : فقد أعلن السيد المسيح « **سر الله** » **أنه** « **الآب** » في ذاته. وحوّل الدين كله، من **صلة عبد بربه، إلى صلة ابن بأبيه السماوي**؛ وعلّم تلاميذه أن يصلّوا على الدوام « أبانا الذي في السماوات » .

والسيد المسيح يجعل الإيمان بالمسيح الابن مثل الإيمان بالله الآب؛ وذلك لأنه « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)؛ فهو « أنا هو » مثل الله نفسه، كما رأينا.

والإنجيل يركّز على **الوحدة** الوجودية، الكيانية، الذاتية، القائمة بين الله الآب، والمسيح الابن، في روحهما القدوس : « في ذلك اليوم ستعلمون أني أنا في أبي ... » (١٤ : ٢٠). ويطلب الوحدة لتلاميذه على مثال الوحدة في الثالوث الإلهي : « كما أنك أيها الآب أنت فيّ، وأنا فيك » (١٧ : ٢١)، « كما نحن واحد » (١٧ : ٢٢).

تلك الوحدة الوجودية، الكيانية الذاتية تجعل المسيح الابن يعلن أخيراً للجمهور : « مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥)،

ولصحابته، مخاطباً فيلبس : « **مَن رآني فقد رأى الآب.** فكيف تقول أنت : أرنا الآب ؟ أفلا تؤمن أني أنا في أبي، وأن الآب فيّ » (١٤ : ٩ - ١٠).

ويطلب الإيمان بذلك، بناء على شهادته، وبناء على معجزاته (١٤ : ١١).

ثانياً : ضرورة الإيمان بالوحي الإنجيلي

١ - شهود السيد المسيح في دعوته ثلاثة :

شهادة الله الآب، فقد تحداهم بقوله : « أنا أشهد لنفسي، وأبي الذي أرسلني يشهد لي » (٨ : ١٨). وقد شهد له بصوته الداوي من السماء في عماده وفي تجلّيه؛ كما شهد له بمعجزاته.

شهادة الكتاب : « إنكم تبحثون في الكتب على اعتبار أن لكم فيها الحياة الأبدية، وهي التي تشهد لي » (٥ : ٣٩). وسيد الأنبياء عندهم موسى : « فلو كنتم تصدقون موسى، لصدقتموني أنا أيضاً، **لأنه كتب عني** » (٥ : ٤٦).

شهادة الأعمال المعجزة. كان يسوع يعلم أن المعجزة دليل النبوة الأوحد، في عقلية البشر، حتى من أهل الكتاب. لذلك فهو في كل مناسبة خطيرة يستشهد بمعجزاته : « إن الأعمال التي آتاني الآب أن أعملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي ... » (٥ : ٣٦)؛ ولمّا تحدّوه أن يعلن أن المسيح، « أجابهم يسوع : لقد قلته لكم، والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي » (١٠ : ٢٥)؛ « إن كنت لا أعمل أعمال أبي، فلا تصدقوني » أني أنا « ابن الله » (١٠ : ٣٦ - ٣٧).

فلم تأتِ نبوة, ولا رسالة، ولا دعوة سماوية بمثل شهود السيد المسيح. وهذا ما شهد به الشعب الذي سمعه ورأى ما عمله، مع مكافحة السلطات والأحزاب الدينية اليهودية له: « وإذ سمع بعض الجمع هذا الكلام قالوا : لا جرم أن **هذا هو النبي** (الموعود)! وقال آخرون : **بل هو المسيح** » (٧ : ٤٠ - ٤١)؛ « وآمن به كثيرون من الجمع، وكانوا يقولون: متى جاء المسيح، فهل تُراه يعمل آيات أكثر من هذا ؟ » (٧ : ٣١).

وأوفد السنهدرين شرطة الهيكل للقبض على يسوع، فرجعوا ولم يفعلوا. « فقال لهم هؤلاء لِمَ لم تأتوا به ؟ فأجاب الشُرط : ما تكلّم إنسان قط مثل هذا الإنسان » (٧ : ٤٦).

٢ ـ صراع الإيمان والكفر حول المسيح والإنجيل

إن رواية الإنجيل بحسب يوحنا تتطور شيئاً فشيئاً إلى « **دراما** » ، هو في الحقيقة صراع الوجود بين الإيمان والكفر، حول المسيح والإنجيل.

فتجاه تعليم المسيح، وانكشاف سره رويداً رويداً، كان الناس والصحابة أنفسهم بحاجة أن يروا أعماله ليؤمنوا به.

هذا ما جرى منذ الفصح الأول في أورشليم؛ « آمن كثيرون باسمه، عند رؤيتهم المعجزات التي كان يجريها » (٢ : ٢٣).

وفي الفصح الثاني (٥ : ١) شفى مقعد أورشليم بكلمة منه : وكان ذلك في سبت. فآمن به كثيرون، وتصلّب الرؤساء؛ « **فكان اليهود يضطهدون يسوع،** لأنه كان يفعل هكذا في السبت. فأجابهم : إن أبي على الدوام يعمل، وأنا كذلك أعمل. فازداد اليهود لذلك طلباً لقتله، ليس فقط لأنه استباح السبت، بل أيضاً لأنه كان يدعو الله « أباه » ، مساوياً نفسه بالله » (٥ : ١٦ - ١٨).

وبمناسبة الفصح الثالث، لم يصعد يسوع إلى أورشليم، بل صنع معجزة تكثير الخبز لآلاف الناس، في البرية. « فلما عاين الناس الآية التي صنعها يسوع، أخذوا يقولون : « هذا الرجل هو في الحقيقة النبي الآتي إلى العالم » . وأدرك يسوع أنهم عازمون أن يأتوا ويختطفوه، **ليقيموه ملكاً**، فرّ وحده إلى الجبل » (٦ : ١٤ - ١٥).

والمتصلبون في أورشليم - من غير أهل السنهدرين - عند مشاهدتهم إبراء الأكمه، الأعمى منذ مولده؛ وبمناسبة موت لعازر « قال بعضهم : ألم يكن في وسعه، هو الذي فتح عيني الأعمى، ان يجعل هذا أيضاً لا يموت » (١١ : ٣٧). لقد رسخ في وجدانهم أن سلطان المسيح من سلطان الله نفسه! وبعد إقامة لعازر من القبر، بعد أربعة أيام من موته، استسلموا

للإيمان به : « فآمن به كثيرون من اليهود الذين أتوا إلى مريم وشاهدوا ما فعل » (١١ : ٤٥)؛ لكن السلطات اليهودية، « منذ ذلك اليوم وطنوا العزم على قتله » (١١ : ٥٣).

٣ - الاستجابة للإيمان بالمسيح والإنجيل

إن الاستجابة للإيمان مرهونة بأقدارها : « إذا ما رفعتم ابن البشر، فعندئذٍ تعرفون أنـي « أنا هو » ... وفيما هو يتكلم بهذا، آمن به كثيرون » (٨ : ٢٨ - ٣٠).

وكلما سما موضوع الإيمان، كما في « سر المسيح » ودعوة الإنجيل، كلما كـان صـعباً. لذلك كلما أوغل يسوع في الإعلان عن ذاته، كلما تنـازل لدعمه بتصـاريحه ومعجزاتـه. فقبل إقامة لعازر من الموت يصلي ويعلن : « يا أبتِ : إنما تكلّمت هكذا من أجل الجمهور المحيط بي، حتى يؤمنوا أنك أنت أرسلتني » (١١ : ٤٠).

وينتظـر يسـوع أن ينمو الإيمـان فـي دعوتـه، **بالمعرفـة المتزايـدة،** فـي اختبـار يسـوع وصحبته، كما جرى لبطرس والصحابة، بعد ردة « كثيرين من التلاميذ » في الجليل : « هذا الكلام صعب، فمن يستطيع سماعه » (٦ : ٦٠). حينئذٍ أجاب سمعان بطرس، باسم الصحابة: « يا رب إلى من نذهب ؟ إنّ عندك كلام الحياة الأبدية. فنحن قد آمنـا، ونعلم أنـك قدوس الله » (٦ : ٦٨).

وقد يكون الإيمان **بحاجة إلى الملموس،** للتثبيت من صحة موضوعه، كما جرى لتوما، أحد الصحابة، لمّا بشره رفاقه بقيامة المسيح، فقال : « إن لم أرَ أثر المسامير فـي يديـه، وأضـعْ إصبعي في موضع المسامير، وأضعْ يدي في جنبه، فلن أؤمن » (٢٠ : ٢٥). وذلك لأن خبر القيامـة، بعد الاستشـهاد العظيم، فوق التصديق. ويتنـازل يسوع للاستجابة، لأن الطلب طلب إيمان، لا طلب كفر. فظهر لهم ثانية، « وقال لتوما : هاتِ إصبعك إلى ههنا وانظر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمناً » . ولدى المشاهدة العيان ينفجر الإيمـان : « ربي! وإلهي! » (٢٠ : ٢٦ - ٢٩).

لكن يسوع يفضّل **الإيمان المطلق**، على المشاهدة، وعلى المعجزة. فقال حينئذٍ لصحابته ومَن معهم : « طوبى للذين يؤمنون، ولم يروا » (٢٠ : ٢٩).

هذا هو الإيمان المسيحي عبر الدهور.

ثالثاً : مفاعيل الإيمان الباهرة

١ ـ بالإيمان شاهد الرسل الصحابة « مجده » (١ : ١٤)

يجب أن يكفي هذا الإيمان، بدون معجزات تؤيده، لأنه شاهدة « الحق » لنفسه (٨ : ١٤). لكن معجزات المسيح الفريدة تساعد ضعف الإيمان، تجاه سمو موضوعه. ففي قانا « أظهر مجده فآمن به تلاميذه » (٢ : ١١).

وهو يقول للناس : « أولا تؤمنون، ما لم تعاينوا المعجزات والآيات » (٤ : ٤٨). هذه طبيعة الناس، وطبيعة النبوة بينهم.

والإنجيل دوّن بعض معجزات يسوع، « لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله » (٢٠ : ٣١) ...

٢ ـ الإيمان المسيحي هو باب « الحياة الأبدية »

هذا هو إعلان يسوع المطلق: « الحق الحق أقول لكم: إن من يؤمن له الحياة الأبدية » (٦ : ٤٧).

وهذه هي خبرة الرسل الصحابة : « لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦) ...

٣ ـ الإيمان المسيحي هو نور الحياة

المؤمن المسيحي يملك النور، ويسلك في النور، كما قال الرب : « أنا نور العالمين : مَن تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢).

هذا هو هدف بعثة المسيح، يعلنه منذ البداية : « لقد أحب الله العالم

حتى أنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦). وظل يعلنه حتى النهاية : « أنا النور قد أتيت إلى العالم، لكي لا يمكث في الظلام كل من يؤمن بي » (١٢ : ٤٦) ...

٤ ـ الإيمان المسيحي هو باب الخلود السعيد

المؤمن المسيحي المخلص هو منذ هذه الدنيا من أهل القيامة السعيدة : « هذه مشيئة أبي : أن تكون لكل مَن يرى الابن (في يسوع) ويؤمن به الحياة الأبدية؛ وأنا أُقيمه في اليوم الآخِر » (٦ : ٤٠).

هذا هو سلطان يسوع المعجز : « **أنا القيامة والحياة :** مَن آمن بي، وإن مات فسيحيا! وكل مَن كان حيّاً وآمن بي، فلن يموت أبداً » (١١ : ٢٥) ...

٥ ـ الإيمان المسيحي هو سبيل الخلاص

هذا هو إعلان يسوع نفسه : « الحق الحق أقول لكم : إن مَن يسمع كلامي، ويؤمن بالذي أرسلني، له الحياة الأبدية؛ ولا يخضع لدينونة، لكنه قد **انتقل من الموت إلى الحياة** » (٥ : ٢٤).

إن الإيمان المسيحي هو « انتقل من الموت إلى الحياة » ، منذ هذه الدنيا، وفي الآخرة.

وهذه هي شهادة شاهد العيان، كاتب الإنجيل : « إن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم : فمن آمن به لا يُدان؛ ومَن لا يؤمن به فقد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله، الوليد الوحيد » (٣ : ١٧ ـ ١٨) ...

رابعاً : قصة الإيمان المسيحي على الأرض

قصة الإيمان على الأرض هي قصة الصراع الدائم بين الإيمان والكفر. وهذا الصراع يبلغ الذروة في الدعوة الإنجيلية : « وعلى هذا تقوم الدينونة، أن **النور** قد جاء إلى العالم، والناس آثروا الظلام على النور لأن أعمالهم كانت شريرة » (٣ : ١٩).

وهذه هي فلسفة الإيمان والكفر : « إن كل من يفعل الشر يبغض النور، ولا يُقبل البتة إلى النور، لئلا تُفضح أعماله. وأما من يعمل الحق فإنه يقبل إلى النور، لكي يتبيّن أن أعماله مصنوعة في الله » (٣ : ٢٠ ـ ٢١).

ويسوع بأقواله وأعماله وأحواله **لم يدع مجالاً للشك فيه :** « إن الأعمال التي آتاني الآب أن أعملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها، هي تشهد لي بأن الآب أرسلني » (٥ : ٣٦).

وهو يفسر لصحابته سبب كفر طائفة من اليهودية : « لو لم أعمل بينهم أعمالاً **لم يعملها آخر**، لما كان عليهم من خطيئة، أما الآن وقد رأوا، فقد أبغضوني أنا وأبي. وذلك ليتم المكتوب في شريعتهم : **إنهم أبغضوني بلا سبب** » (١٥ : ٢٤ ـ ٢٥).

وكفر طائفة من اليهود بالسيد المسيح هو مثال صارخ لكفر طائفة من البشرية به: « إنهم أبغضوني بلا سبب » .

فمنذ فاتحته إلى خاتمته، يوحنا هو إنجيل الإيمان.

* * *

بحث رابع وعشرون

إنجيل المحبة

إن السيد المسيح طوّر الدين كله من صلات **ربوبية وعبودية**، إلى صلات محبة **أبوية وبنوية**. والإنجيل بحسب يوحنا هو الصورة الكاملة لهذا التطور المعجز. فبعثة السيد المسيح محبة إلهية؛ ورسالته محبة بنوية؛ ووصيته محبة أخوية.

أولاً : بعثة المسيح محبة إلهية

هكذا أوجز الإنجيل بعثة الله الآب للمسيح الابن : « لقد أحبّ الله العالم حتى أنه بذل ابنه، الوليد الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية : فإن الله لم يرسل ابنه، الوليد الوحيد، إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلّص به العالم » (٣ : ١٦ ـ ١٧).

فبعثة المسيح الابن وضحيته هما **أكبر برهان إلهي** على محبة الله للإنسان، خليقته، كما أعلن يسوع نفسه : « ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه عن أحبائه » ، في حياته ومماته (١٥ : ١٣).

فكانت سيرة المسيح كلها **شهادة حب متواصل**؛ فكانت محبة الله طعام يسوع : « إنما طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمّم عمله » (٤ : ٣٤). لم تكن محبة عاطفية فحسب، بل عاملة : « فإني قد نزلتُ من السماء، لا لأعلم مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني » (٦ : ٣٨).

فالسيد المسيح يعلّق دائماً **نظره برغبة أبيه السماوي :** « أنا لا أستطيع من نفسي أن أعمل شيئاً، فبحسب ما أسمع أحكم، وحكمي حق، لأني لا أبتغي مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني » (٥ : ٣٠).

ما سمعه من أبيه السماوي، به ينادي على الأرض : « إن الذي أرسلني حق، وما سمعتُه منه، به أتكلم في العالم » (٨ : ٢١)؛ « فقد كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله » (٨ : ٤٠).

فيسوع يسمع على الدوام أباه السماوي، وأبوه يسمعه على الدوام : « يا أبتِ شكراً لك لأنك سمعتَ لي، فقد كنت عالماً أنك تسمع لي على الدوام » (١١ : ٤١ ـ ٤٢).

فبعثة الله الآب للمسيح الابن محبة إلهية.

ثانياً : رسالة المسيح محبة بنوية

يعلن في صلاته الأخيرة أنه مجّد أباه حق التمجيد في رسالته : « يا أبتِ ... أنا قد مجّدتك على الأرض، إذ أكملت العمل الذي كلّفتني لأعمله » (١٧ : ٤).

ولمّا بلّغ رسالته رفع تلاميذه من حالـة « عبيد » إلـى حالـة « أصـفياء » فخـاطبهم : « لا أُسميكم بعد عبيداً، لأن العبد لا علم له بما يصنع سيده، بل سميتكم أصـفياء، لأنـي أطلعتكم على كل ما سمعت من أبي » (١٥ : ١٥).

وهو يصطفي أبناء الله بالإيمان والمحبة. وقد فهم ذلك تلاميذه. فمريم ومرتا تقولان لـه: « يا رب أن الذي تحبه مريض » (١١ : ٣). إن المحبة تبلغ الإعجاز في الخطـاب، مثل هذه الرسالة إلى يسوع.

وكاتب صداقات يسوع مشهورة : « وكان يسوع يحب مرتا ومريم ولعازر » (١١ : ٥). وبين صحابته، كان له تفضيل، مثل « التلميذ الذي كان يسوع يحبه، والذي اتكأ على صدره في العشاء » (٢١ : ٢٠).

محبة يسوع لنا من محبته لأبيه، ويتجلى سمو حب المسيح لنا كما لأبيـه في استشهاده وصلبه. وقد أعلن ذلك قبل آلامه : « ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه عن أحبائه » (١٥ : ١٣). وقد أحبهم إلى أقصى حدود الحب، بما لا يمكن أن يحلم به مخلوق، في **القربان والصلب،** كما يعلن الإنجيل : « وقبل عيد الفصح، إذ كان يسوع يعلم أن الساعة قد حانت له لينتقل من هذا العالم إلى أبيه، هو الـذي أحب خاصته الذين في العالم، **أحبهم إلى الغاية** » (١٣ : ١).

وهو يستسلم بمحبة خالصة كاملة لله أبيه، ولأخيه الإنسان، ويشرب الكأس التي قدّمها له أبـوه حتـى الثمالـة؛ لكنـه يشـربها **بحريـة مطلقـة :** « إن أبـي يحبنـي لأنـي أبـذل حيـاتي، لكـي أسترجعها أيضاً، لا ينتزعها أحد مني، وإنما أنـا أبـذلها باختيـاري : فلـي سلطان أن أبذلها، ولـي سلطان أن أسترجعها أيضاً ـ تلك هي الوصية التي قبلتها من أبي » (١٠ : ١٧ ـ ١٨).

فرسالة المسيح محبة بنوية.

ثالثاً : شرعة المسيح هي المحبة

شـرعة المحبـة المسـيحية لهـا وجهـان : محبـة الإنسـان لله الآب فـي المسـيح، بروحهمـا القدوس؛ ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان في المسيح، بروحهما القدوس أيضاً.

١ ـ محبة الإنسان لله في المسيح، بروحهما القدوس

١) الجواب الوحيد على بعثة المحبة عند الله الآب، ورسالة المحبة في المسيح الابن، هو المحبة : « فلنحبّ، لأنه أحبنا هو أولاً » (١ يو ٤ : ١٩).

ومحبة الإنسان للمسيح الابن، من محبة الله الآب : « قال لهم يسوع : « لو كان الله أباكم، لكنتم تحبونني، لأنني من الله خرجت وأتيت » (٨ : ٤٢).

وبرهان المحبة هو حفظ وصايا الله والمسيح : « مَن يسلك بحسب وصاياي، ويحفظها، فهو الذي يحبني؛ والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأُظهر له ذاتي » (١٤ : ٢١)؛ « إن كنتم تحبونني تحفظون وصاياي » (١٤ : ١٥)؛ « لأن من لا يحبني لا يحفظ أقوالي » (١٤ : ٢٤). فبرهان محبته هو حفظ وصاياه : « من يسلك بحسب وصاياي، ويحفظها، فهو الذي يحبني » (١٤ : ٢١).

٢) فمحبة الله الآب والمسيح الابن ليست حرة، إنما هي **ضرورة حياة وخلاص.** وفي ذلك تكون **المحبة من الإيمان.** فالمصير الإنسان كله معلّق على « الإيمان العامل في المحبة » : « فمن آمن به، فلا يُدان؛ ومَن لا يؤمن به فقد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله، الوليد الوحيد » (٣ : ١٨). هذا هو مبدأ المسيح نفسه : « فمن رفضني ولم يقبل أقوالي، فله ديانة الكلام الذي نطقت به هو يدينه في اليوم الآخِر » (١٢ : ٤٨).

٣) والمعرفة الإيمانية سبيل المحبة : « قال يسوع : إنكم لا تعرفوني أنا ولا أبي. لو كنتم تعرفوني لَعرفتم أبي أيضاً » (٨ : ٣١). فالمسيح الابن والله الآب واحد : « أنا والآب » (١٠ : ٣٠). لذلك أعلن : « إن الذي أرسلني هو معي، ولم يدعني وحدي، فإني أفعل دائماً ما يرضيه » (٨ : ٢٩).

٤) فالمحبة سبيل إلى **الإقامة الذاتية المتبادلة** بين الله الآب، والمسيح الابن، والإنسان ابن الله في المسيح : « مَن يحبني يحفظ كلامي، وأبي

يحبه، وإليه نأتي، **وفيه نجعل مقامنا** » (١٤ : ٢٣). والواسطة الوجودية هي السيد المسيح نفسه : « **أنا في أبي، وأنتم فيّ، وأنا فيكم** » (١٤ : ٢٠).

٥) وهذه الإقامة المتبادلة بالمحبة هي سبيل إلى **الوحدة بين الخالق والمخلوق**، في المسيح، بروحه القدوس ـ في كامل التجريد والتنزيه. هذا ما يعلنه يسوع في صلاته الأخيرة: « أيها الآب، كما أنك **أنت فيّ وأنا فيك**، فلْيكونوا هم أيضاً فينا ... لقد آتيتهم المجد (البنوة) الذي آتيتني، لكي يكونوا واحداً، كما نحن واحد : **أنا فيهم، وأنت فيّ**، لكي يكونوا في الوحدة الكاملة » (١٧ : ٢١ ـ ٢٣).

لم ترقَ أحلام الصوفيين الأصفياء إلى مثل هذه الرغبة في صميم المخلوق التائق إلى خالقه. ولا يجسر مخلوق عاقل على النطق بمثل هذه الإقامة الذاتية المتبادلة، التي تقود إلى وحدة بين الخالق والمخلوق في المسيح الابن، بروحهما القدوس. ولو لم يكن المسيح الابن، النازل « من حضن الآب » هو الذي أعلن ذلك بتواتر، لَمَا استطاع العقل الإنساني أن يحلم به، أو يصدقه، أو يقبله.

تلك هي المحبة المسيحية، لله الآب، في المسيح الابن، بروحهما القدوس.

٢ ـ محبة الإنسان للإنسان، بحسب المسيح

الإنجيل كله يشهد بأن السيد المسيح **أوجز أحكام الله كلها بشرعة المحبة :** « أحبب الله بكل قلبك ... وأحبب قريبك كنفسك : بهاتين الوصيتين تتعلّق الشريعة كلها والنبيّون » .

١) والإنجيل بحسب يوحنا **يوجز وصايا الإنجيل كلها في شرعة المحبة :** « هذه هي وصيتي أن يحبّ بعضكم بعضاً، **كما أحببتُكم أنا** » (١٥ : ١٢). فوصية السيد المسيح الكبرى، وتكاد تكون الوحيدة، هي المحبة الأخوية، التي يجب أن تصل إلى **بذل الذات**، على مثال السيد المسيح : « فليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه عن أحبائه » (١٤ : ١٣)؛ وأن تصل في خدمة الآخرين إلى **غسل أرجلهم**، على مثال السيد المسيح : « ... فإذا كنت أنا الرب والمعلّم قد غسلت أرجلكم، وجب عليكم

أنتم أيضاً أن يغسل بعضكم أرجل بعض : **فإني قد أعطيتُكم قدوة** لتصنعوا أنتم أيضاً كما صنعت أنا بكم ... إذا ما عرفتم وعملتم، **فطوبى لكم** » (١٣ : ١٢ - ١٧).

٢) إن شرعة المحبة هي تعليم المسيح الدائم؛ لكنه عند استشهاده يسمّيها « **وصية جديدة** » : « إني أُعطيكم وصية جديدة : أن يحبّ بعضكم بعضاً، أجل أن يحب بعضكم بعضاً **كما أحببتُكم أنا** » (١٣ : ٣٤).

فهي « جديدة » لكونها « **كما أحببتُكم أنا** » (١٣ : ٣٤؛ ١٥ : ١٢)، أي حتى الاستشهاد وبذل الذات (١٥ : ١٣).

٣) وهي **وصيته الأخيرة** لأنه سلمهم إياها « وصية جديدة » عند استشهاده وصلبه. والوصية الأخيرة هي ميثاق موضوع، وعهد مقطوع. فكيف إذا وُضعا وقُطعا في القربان والدم! والخيانة الكبرى هي خيانة الوصية الأخيرة للشهيد المحبوب.

٤) بذلك اكتسبت شرعة المحبة المسيحية **صفة الشهادة للعالمين.** ففي صلاته الأخيرة يسأل يسوع لتلاميذه الوحدة في المحبة « حتى يؤمن العالم أنك أنت أرسلتني » (١٧ : ٢١)؛ ويسأل لهم كمال الوحدة « ليعلم العالم أنك أنت أرسلتني » (١٧ : ٢٣).

٥) وهذه هي **صفات المحبة المسيحية :** أن تكون شاملة، سمحاء، معطاء.

يجب أن تكون المحبة **شاملة،** فلا تقتصر على القومية أو الدين، بل على **مثال محبة الله الشاملة :** « **فلقد أُحب الله العالم** حتى أنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ فإن الله لم يرسل ابنه إلى العالم، ليدين العالم، بل ليخلص به العالم » (٣ : ١٦ - ١٧)؛ وعلى **مثال محبة المسيح الشاملة،** الذي « يعطي - وقد قلّدته السلطان على كل بشر - الحياة الأبدية لجميع الذين أعطيتهم له » (١٧ : ٢)؛ « لقد أعلنت اسمك للناس، الذي أعطيتنيهم من العالم » (١٧ : ٦).

يجب أن تكون المحبة المسيحية **سمحاء،** على مثال المحبة الإلهية القائمة

بين الله الآب والمسيح الابن : « كل ما لي هو لك؛ وكل ما لك هو لي » (١٧ : ١٠).

يجب أن تكون المحبة المسيحية **معطاء،** تبذل من ذاتها، مثل « حبة الحنطة، إنْ لم تمت، فإنها تبقى وحدها؛ وأمّا إن ماتت فإنها تأتي بثمر كثير » (١٢ : ٢٤). إنها مثل محبة المسيح تقوم على التضحية والضحية.

وفصل الخطاب أن المحبة المسيحية هي **شركة حياة إلهية :** « كما أنك، أيها الآب، أنت فيّ، وأنا فيك، فلْيكونوا هم أيضاً فينا » (١٧ : ٢١)؛ « لكي يكونوا واحداً، كما نحن واحد : أنا فيهم، وأنت فيّ » (١٧ : ٢٢)؛ « فتكون فيهم المحبة التي أحببتني، وأكون أنا فيهم » (١٧ : ٢٦).

في آداب الدين والدنيا، لم تسمع الأرض بمثل هذه اللغة في المحبة : « الله محبة » ! المسيح والدنيا، لم تسمع الأرض بمثل هذه اللغة في المحبة : « الله محبة » **!** المسيح محبة**!** المسيحي محبة!

إن الإنجيل بحسب يوحنا هو الإعجاز المطلق في لغة المحبة. إنه إنجيل المحبة.

* * *

بحث خامس وعشرون

إنجيل التتميم : « لقد تم »

سيرة السيد المسيح هي **ملحمة الوجود**

فكانت رسالته صراعاً على واجهتين. على **الواجهة الأمامية، البشريّة،** كانت صراعاً ضدّ عناصر الشر في الإنسان؛ فختم رسالته بقوله لصحابته : « ثقوا فإني قد غلبت العالم » (١٦ : ٣٣).

وعلى **الواجهة الخلفية، الغيبية،** كانت صراعاً ضدّ إبليس على سلطان العالم. وبما أنه بالاستشهاد والصلب يقضي على سلطان إبليس ويحرّر

الإنسان من سيطرته، ثمرة الخطيئة، أعلن قبل بدء آلامه : « الآن دينونة هذا العالم! **الآن رئيس هذا العالم يُطرد خارجاً!** وأنا متى رفعتُ عن الأرض اجتذبت إليّ الجميع » (١٢ : ٣١).

ولما تمّت ملحمة الوجود، باستشهاد المسيح، الشهيد الأعظم في تاريخ البشرية، كانت **كلمته الأخيرة** التي نقلها الإنجيل بحسب يوحنا، هو إعلانه على الصليب، قبل موته: « لقد تمّ » (١٩ : ٣٠) أي لقد تمت رسالته كلها، وحققت أهدافها كلها، وآتت ثمارها كلها.

أولاً : لقد تمت رسالته كلها

« لقد تمّ » **!** إنها كلمة **المجاهد الأكبر** الذي أنهى جهاده، ودخل في راحته : « لقد انتهى كل شيء » على أتمّ وجهه!

« لقد تمّ » **!** إنها كلمة **العامل الأول** في سبيل الله والإنسان، السعيد بأنه أكمل عمله: « لقد اكتمل كل شيء » على أكمل وجه!

« لقد تَمّ » **!** إنها كلمة **الشاهد الأمين** الذي أطاع حتى الموت، الموت على الصليب : « لقد نُفذ كل شيء » على أحسن وجه!

« لقد تَمّ » **!** انها كلمة **الرسول الأعظم** الذي حقّق كل النبوات التي سبقت بحقه ومصيره : « لقد تحقّق كل شيء » على أفضل وجه!

« لقد تَمّ » **!** إنها كلمة **المخلص الأوحد** الذي باستشهاده حرّر الإنسان من الشر والكفر : « لقد بلغ كل شيء مداه » على خير وجه!

« لقد تَمّ » **!** إنها كلمة **سيد التاريخ والمصير**، الذي فتح باستشهاده « عهداً جديداً » للبشرية : « لقد حصل كل شيء » على أوفى وجه!

« لقد تَمّ » **!** إنها كلمة **رب العالمين** الذي به تمّت صلة السماء بالأرض، واكتملت وحدة الوجود بين الخالق والمخلوق، بتأنسه وفدائه : « لقد استقرّ كل شيء » على غاية ما يُرام.

« لقد تَمّ » **!** هذا هو النطق الإلهي المعجز، الذي قلّ ودلّ، فكان عنوان الإعجاز المطلق.

ثانياً : لقد حققت رسالته أهدافها كلها

« لقد تَمّ » ! أي « لقد غلبتُ العالم » (١٦ : ٣٣).

لقد انتصر على **ظلمة الوجود،** فكان « نور العالمين : فمن تبعني فلا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢).

لقد انتصر على **ثورة الإنسان** على ربه وعلى نفسه، بإحلال السلام بين الله الصالح والإنسان الخاطئ؛ وبين الإنسان وأخيه الإنسان : « السلامَ أستودعكم! سلامي أعطيكم! لست أُعطيكموه كما يعطيه العالم : « فلا تضطرب قلوبكم، ولا ترتعد فرائصكم » (١٤ : ٢٧).

لقد انتصر على **كذب الإنسان،** فكان « النعمة والحقيقة » (١ : ١٤).

لقد انتصر على كل **عبودية للإنسان،** فحرّره من كل عبودية : « إن حررّكم الابن، كنتم حقاً أحراراً » (٨ : ٣٦).

لقد انتصر على **كل شر،** فتحدى العالمين: « مَن منكم يُثبت عليّ خطيئة » (٨ : ٤٦).

لقد انتصر على **كل كفر،** فتحدى الناس أجمعين: بي « تعرفون الحق، والحق يحرركم » (٨ : ٣٢).

لقد انتصر على **كل موت،** فأعتق الإنسان المؤمن حقاً من الخوف الأكبر، ومن كل خوف أصغر : « أنا القيامة والحياة » (١١ : ٢٥).

فكان بشخصيته ورسالته ودعوته « **الصراط والحقيقة والحياة،** لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (١٤ : ٦).

فحقّ له أن يسرّ إلى تلاميذه، وهو على درب الاستشهاد : « لتطبْ نفوسكم : إني قد غلبت العالم » (١٦ : ٣٣).

ثالثاً : لقد آتت رسالته ثمارها كلها

« لقد تَمّ » ! أي « لا أطيل معكم الحديث، فإن رئيس هذا العالم يأتي، **وليس له إليّ من سبيل!** وإنما ينبغي أن يعرف العالم أني أُحبّ الآب، وأني أعمل بما أوصاني الآب » (١٤ : ٣١).

فباستشهاد، وطرْد إبليس عن سلطان العالم، **صار حكم العالم لله ولمسيحه.** ما لا يتم في اليوم الحاضر، سيُعلن في اليوم الآخر : « وأما إبليس الذي أضلّهم، فطُرح في بحر النار والكبريت، حيث **الوحش والنبي الكذّاب أيضاً!** هناك ليلاً ونهاراً يُعذّبون، إلى دهر الداهرين » (الرؤيا ٢٠ : ١٠).

لقد كشف لنا سر الله : « فإن الله لم يره أحد قط! الإله، الوليد الوحيد، الذي في حضن الآب هو أخبر » وأظهره (١ : ١٨). وصرّح في صلاته الأخيرة : « **لقد أعلنت اسمك للناس** » (١٧ : ٦). و « الاسم » في اصطلاح الكتاب والإنجيل كناية عن الذات : **فقد كشف لنا ذات الله وسره؛** وهذا فوق طاقة المخلوق والتنزيل.

لقد شهد للحق أكمل شهادة، فأعلن في مجلس القضاء والإعدام « لقد ولدت، وجئت إلى العالم، لأشهد للحق » (١٨ : ٣٧).

لقد استشهد في سبيل الحق أكبر استشهاد : « إن أبي يحبني لأني أبذل حياتي لكي أسترجعها أيضاً ... تلك هي الوصية التي تلقيتها من أبي » (١٠ : ١٧).

لقد افتدى بضحية ذاته الإنسان من الخطيئة، الشر الأكبر، الذي يستجلب غضب الله؛ ومن الهلاك، الشر الحق الأبدي : « ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل حياته عن أحبائه » (١٥ : ١٣).

لقد نقل الإنسان، من حالة عبد بالفطرة، **إلى حالة ابن الله** بالنعمة والتبني : « أما الذين قبلوه، فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله » (١ : ١٣).

لقد زرع في الأرض **الإيمان الحق** الذي يكشف عن غيب الله، وعن مصير الإنسان فهو ينطق بالأرضيّات، كما ينطق بالسماويات (٣ : ١٢).

لقد أثبت في الإنسان **الرجاء الأوفى** الذي يرفعه فوق حقارته إلى مشارف السماء: « لا أُسميكم بعد عبيداً ... **بل سميتكم أصفياء** لأني أطلعتكم على كل ما سمعت من أبي » (١٥ : ١٥).

لقد غرس في الناس **المحبة الإلهية** التي هي سر الله، وسر الإنسان، وسر الأكوان: « لقد عرّفتهم اسمك (الآب)، وسأعرفهم أيضاً، لتكون فيهم المحبة التي أحببتني، وأكون أنا فيهم » (١٧ : ٢٦).

لقد آتى البشر **سلام الله** لكي ينعموا في ذواتهم، وفيما بينهم، براحة الوجدان والسريرة: « السلام أستودعكم! سلامي أُعطيكم! لست أعطيكموه كما يعطيه العالم : فلا تضطرب قلوبكم، ولا ترتعد فرائصكم » (١٤ : ٢٧).

لقد ألقى في بني آدم **بذور الفرح**، فرح السماء، الذي يبعث في حياتهم المسيحية حب الوجود ورب الوجود: « قلت لكم هذا ليكون فرحي فيكم، ويكون فرحكم كاملاً » (١٥ : ١١).

والقول الفصل أن السيد المسيح **أنزل لبني الإنسان روح الله**، « فارقليط آخر، ليقيم معكم إلى الأبد؛ روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه؛ أما أنتم فتعرفونه لأنه يقيم معكم ويكون فيكم » (١٤ : ١٦ - ١٧).

فله الحق كله أن يشهد على الصليب: « لقد تَمّ » ! كما سيشهد في اليوم الآخر: « لقد تَمّ! أنا الألف والياء! أنا المبتدأ والمعاد! » (الرؤيا ٢١ : ٦). فما بين الشهادتين قد احتوى التاريخ والمصير.

هذا هو إنجيل التتميم والتكميل.

* * *

بحث سادس وعشرون

إنجيل الإعلان الإلهي الأسمى في ‹‹ سر الله ››
‹‹ لقد عرّفتهم اسمك ›› (١٧ : ٢٩)

كل وحي وتنزيل **اقتصر على التوحيد،** أي إعلان وحدانية الله، فوق كل وثنية أو شرك. فكان الإعلان خارجاً عن ذات الله. حتى في الوحي الموسوي الأكبر كان إعلان الله عن ذاته أنه ‹‹ **يهوه** ›› أي ‹‹ **أنا الكائن** ›› أو كما ترجموه ‹‹ **الحي القيوم** ›› ؛ وبلغة الفلسفة : **الوجود الواجب الوجود.** ولكن كل وحي وتنزيل قبل السيد المسيح لم يرقَ إلى الكشف عن ‹‹ سر الله ›› ، عن الله وتنزيل قبل السيد المسيح لم يرقَ إلى الكشف عن ‹‹ سر الله ›› ، عن الله في ذاته. كان ذلك محفوظاً للمسيح الابن، النازل من ‹‹ حضن الآب ›› (١ : ١٨).

ففي صلاته الأخيرة يوجز السيد المسيح دعوته بقوله: ‹‹ **لقد أعلنت اسمك للناس** ›› (١٧ : ٦). وفي لغة الكتاب والإنجيل ـ كما قلنا مراراً ـ ‹‹ الاسم ›› كناية عن الذات. فقد كشف لنا الإنجيل عن **ذات الله،** عن ‹‹ سر الله ›› في كيانه الأسمى. وهذا لم يرقَ إليه وحي ولا تنزيل.

أولاً : تعابير ‹‹ سر الله ›› في الإنجيل

ثلاثة تعابير إنجيلية تكشف لنا ‹‹ سر الله ›› .

١ ـ أكّد السيد المسيح التوحيد الكتابي المتواتر، أساس تعليمه والكشف الذي نزل به. فقال : ‹‹ الحياة الأبدية هي أن يعرفوك **أنت الله أحد الحق، والذي أرسلته يسوع المسيح** ›› (١٧ : ٣).

فالحياة الأبدية منوطة **بهاتين الشهادتين؛** لا بغيرهما.

٢ ـ لكن تجاه كل تشبيه أو تمثيل ‹‹ للحق ›› سبحانه، أعلن أيضاً: ‹‹ **إن الله روح** ›› (٤ : ٢٤). بهذا قضى على كل وثنية أو شرك بالله.

فالله تعالى في طبيعته « **روح** » ، فوق كل مادة كونية، أو كلّ تصوّر مادّي. فلا سبيل من بعد إلى تمثيل أو تشبيه.

فمن يتهم الإنجيل أو المسيحية « **بالتشبيه** » ينقضه صريح الإنجيل « بأن الله روح ».

٣ ـ والإعلان الإلهي الأسمى في الإنجيل أن الله هو « **الآب** » **على الإطلاق**. ونحن في العربية، شقيقة الأرامية التي نطق بها يسوع. نمدّ لفظ « الآب » **لتمييزه عن كل « أب »** .

إن فكرة **أبوة الله** كانت شائعة في الشرق الأوسط، على سبيل المجاز عند أهل الكتاب، وعلى سبيل الحقيقة الوثنية عند الأمميين.

فعند بني إسرائيل، أهل التوحيد الخالص بعد موسى النبي، **إن الله تعالى أب على المجاز.** فهو سبحانه أبو إسرائيل بين الشعوب، وخصوصاً أبو ملك إسرائيل، خليفة الله في أرضه، وعلى التخصيص أبو المسيح الموعود. وذلك بناء على « العهد » المقطوع في سيناء، وعلى سبيل الرعاية الرحيمة. فلم ترق أحلام أحد إلى تصوّر **أبوّة حقيقة في ذات الله**، إلاّ عند أهل الآلهة الوثنية.

فإعجاز الإنجيل هو الإعلان الإلهي الأسمى بأن « **الله أب** » **في ذاته**، فوق كل تشبيه وتجريد، بما يفوق تصوّر المخلوق في التوحيد.

هذا معنى كلمة السيد المسيح : « لقد أعلنت اسمك للناس » (١٧ : ٦).

ثانياً : الشبهات على العقيدة المسيحية الإنجيلية

يخلقون الشبهات الكثيرة على صحة العقيدة الإنجيلية المسيحية. وهذه بعضها، خصوصاً في بيئتنا العربية.

١ - « أبي وأبيكم، إلهي وإلهكم » (يو ٢٠ : ١٨).

صحيح أن يسوع يقول : « أنا صاعد إلى أبي وأبيكم، إلى إلهي وإلهكم » . فظاهر التعبير يجعل مقابلة بين أبوّة الله للمسيح وأُبوّته للتلاميذ؛

وكأنه يصحح التعبير الأول، « أبي وأبيكم » ، بالتعبير الثاني، « إلهي وإلهكم » .

لكن يفوت المعترضين أن السيد المسيح يميّز لفظاً بين « أبي » وبين « أبيكم » . فهو ينسب لنفسه في الإنجيل كله **بنوة خاصة، من أبوّة خاصة**، يحرص دائماً على التمييز بينهما. وأكبر شاهد تصريحه الضخم في عيد الخيام الشعبي : « إنما الذي يمجّدني **هو أبي، الذي تدعونه أنتم إلهكم** » .

وكل ما يذكره الإنجيل، في كلام المسيح، من إلهية في الله بالنسبة له، ومن خضوع من المسيح الابن لله أبيه، كما في قوله « إلهي وإلهكم » ينطلق من كون السيد المسيح « **ابن الله** » **و** « **ابن البشر** » **أيضاً.**

ما يخفى على كثيرين - خصوصاً في بيئتنا العربية - هو **الثنائية في كلام** السيد المسيح، القائمة على **الثنائية في شخصيته.** فهو ينطق تارة كإله، وتارة كإنسان؛ طوراً « كابن الله » ، وطوراً « كابن البشر » . فمن الجهل المدقع بحقيقة الإنجيل، اعتماد بعضهم على بشرية المسيح في أقواله وأعماله وأحواله لنكران إلهيته، كما يفعل علماء بني قومنا؛ أو الاعتماد على أقواله وأعماله وأحواله لنكران إلهيته، كما يفعل علماء بني قومنا؛ أو الاعتماد على أقواله وأعماله وأحواله في إلهيته، لنكران حقيقة بشريته، كما فعل بعض المبتدعة المسيحيون الأقدمون. ولا يزال أهل البدعة المونوفيسية يقولون بوحدة الطبيعة في المسيح، بسبب وحدة الشخصية والأقنوم. إن الثنائية في كلام المسيح، مع وحدانية الشخصية والأقنوم، تنبع من الثنائية في طبيعة المسيح، مع وحدانية الشخصية والأقنوم.

٢ - كيف تتفق وحدانية الله مع الأبوة والبنوة فيه ؟

المشكل الأساسي لكل شبهة هو **قيام تثليث وجودي** كياني في وحدانية « الله أحد، الله الصمد » .

ولكن هذا هو **الواقع الإنجيلي،** فهو يشهد بوحدانية الله، كما ورثها الإنجيل عن الكتاب، وبالحرف الواحد : « لكي يعرفوك **أنت الله أحد الحق** » (١٧ : ٣). فهذه هي **الشهادة الأولى** في الإنجيل، على لسان المسيح نفسه.

والشهادة الثانية التي تشبهها أن « الله أحد الحق » هو في ذاته « **الآب** » ، « والذي أرسلته يسوع المسيح » هو « **الابن** » **الأحد الحق** على الإطلاق فالكشف الإنجيلي **للأبوة والبنوة** في « الله أحد، الله الصمد » هو ميزة الوحي والتنزيل في الإنجيل.

والمسيح الابن، تدليلاً على ذلك، يستخدم تعبيراً معجزاً ينفرد به على النبيين وعلى العالمين. فهو وحده سمّى الله تعالى « أبّا » بالأرامية، أي « أبتا » بالعربية، والأصح « **بابا** » بلغتنا الشعبية (مرقس ١٤ : ٣٦). وليس من استخدام قبله ولا بعده لهذا التعبير بحق الجلال الإلهي. فنسمع فيه صوت يسوع نفسه وحده.

والإنجيل بحسب يوحنا يطلق على « الابن » صفتين تميزان بنوته الإلهية الذاتية على كل بنوة مخلوقة أو مجازية.

التعبير الأول هو اسم « الكلمة » ، « **لوغس** » أي **النطق الذاتي.** فليس من المعقول ولا المقبول أن يكون « الله الروح » بلا نطق ذاتي، روحي، إلهي مثله؛ وهذا النطق الذاتي فيه هو « ابنه » ، يصدر عنه، وفيه، كصدور ابن عن أبيه في عالم المخلوق، في كامل التنزيه والتجريد، فهي ولادة ذاتية، من ذات الله، في ذات الله، لذات الله.

والتعبير الثاني هو « **مونوجنيس** » أي « **الوليد الوحيد** » (١ : ١٤ و١٨؛ ٣ : ١٦ و١٨) الذي يقتضي ولادة حقيقية، لكنها نطقية، روحية، ذاتية؛ لا فقط « الابن الوحيد » الذي قد يحتمل معنى مجازيّاً.

فهما **أُبوّة حقيقية، وبنوّة حقيقة،** في الله الواحد الأحد، لوحدة الكيان والوجود بينهما، كما في التصريح الذي تحدى به اليهود في عيد التجديد : « **أنا والآب واحد** » (١٠ : ٣٠).

ثالثاً : التعبير عن « الأبوة » و « البنوة » في الوحدة المطلقة

العقل البشري مقيد بحسّه وإدراكه، وهما مقيدان بعالم المخلوق. والله تعالى « ليس كمثله شيء » حتى يدركه العقل البشري في ذاته. لذلك

تنازل السيد المسيح، عندما كشف لنا « سر الله » في ذاته، إلى **أساليب من التعبير** تقرّبه من إدراكنا.

فحقيقة الأبوة الوحيدة، والبنوة الوحيدة، في الوحدة الإلهية المطلقة قائمة :

١) في وحدة الوجود والحياة : « كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦).

٢) في وحدة الإرادة بين الآب والابن : « أنا لا أستطيع أن أعمل من نفسي شيئاً، فكما أسمع أحكم، وحكمي عادل، لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني » (٥ : ٣٠).

٣) في وحدة العمل، وهي مظهر وحدة الوجود والكيان والحياة : « الحق الحق أقول لكم : إن الابن لا يستطيع من نفسه أن يعمل عملاً ما، إلاّ ما يرى الآب يعمله : فما يعمله هو، يعمله الابن كذلك » (٥ : ١٩).

٤) في وحدة الوجود المتبادل بين ذات الآب في الابن، وبين ذات الابن في الآب. ويسوع يكرر التصاريح بهذا **الكمون الوجودي والكياني الذاتي.** أعلن للجمهور في عيد الخيام : « إن كنت لا أعمل أعمال أبي فلا تصدقوني؛ ولكن إن كنت أعملها، ولا تريدون أن تصدّقوني، فصدقوا هذه الأعمال، لكي تعلموا وتشهدوا **أن الآب فيّ، وأنا في الآب** » (١٠ : ٣٨). فحاولوا رجمه تكفيراً له، فأفلت من أيديهم بقدرة قادر (١٠ : ٣٩).

ما قاله للجمهور، ردّده في الخلوة لصحابته، مخاطباً أحدهم : « يا فيلبس، أفلا تؤمن **أني أنا في الآب، وأن الآب فيّ** » ؟ الأقوال التي أنطق بها، لا أتكلّم بها من نفسي، **بل الآب المقيم فيّ** هو يعمل أعماله. فصدّقوني **أني أنا في الآب، وأن الآب فيّ**؛ وإلاّ فصدقوا من أجل الأعمال » (١٤ : ١٠ - ١١).

وفي صلاته الأخيرة يعطي وحدة الوجود الذاتي بين الآب والابن في وحدة الكيان، مثالاً لوحدة المسيحيين في المسيح : « أيها الآب، كما أنك أنت فيّ، وأنا فيهم، فلْيكونوا هم أيضاً فينا » (١٧ : ٢١).

٥) في وحدة المعرفة القائمة بين الآب والابن : « كما أن الآب يعرفني، فأنا أعرف الآب » (١٠ : ١٥). إنها معرفة ذاتية متبادلة، متعادلة.

٦) في وحدة المحبة القائمة بين الآب والابن : « فإن الآب يحب الابن، ويريه جميع ما يعمل. وسيرته أعمالاً أعظم من هذه، فتأخذكم الدهشة » (٥ : ٢٠). وهي محبة قائمة قبل الخلْق : « لأنك أحببتني قبل تكوين الكون » (١٧ : ١٤)؛ « **لقد عرّفتهم اسمك** (الآب)، وسأعرفهم أيضاً، لتكون فيهم المحبة التي أحببتني قبل تكوين الكون » (١٧ : ٢٩).

٧) في وحدة « المجد » بين الآب والابن. و « المجد » في لغة الإنجيل كناية عن الألوهية. فعند استقبال الهلنيين المتقين، يهتف المسيح الابن عفويّاً : « أيها الآب مجّد اسمك » (١٢ : ٢٨)، بتمجيد المسيح الابن. فمجده هو مجد الآب عينه. وعند بدء الاستشهاد، « قال يسوع : الآن تمجّد ابن البشر، وتمجّد الله فيه! إن كان الله قد تمجّد فيه، **فالله أيضاً يمجّده في ذاته**، وسيمجّده عن قريب » (١٣ : ٣١ - ٣٢). وفي صلاته الأخيرة يعلن : « يا أبتاه، لقد حانت الساعة : فمجّد ابنك، ليمجّدك ابنك ... أنت أيها الآب، مجّدني فيك **بالمجد الذي كان لي فيك قبل تكوين الكون** » (١٧ : ١ و٥). فهو « مجد » إلهي، ذاتي، أزلي واحد، بين الله الآب، والمسيح الابن.

والقول الفصل، **وحدة الكرامة** الواجبة لله الآب والمسيح الابن : « على الجميع أن يُكرموا الابن كما يكرمون الآب : فمن لا يكرم الابن، لا يكرم الآب الذي أرسله » (٥ : ٢٣). فليست فقط كرامة المرسَل من كرامة المرسِل؛ بل كرامة الابن من كرامة الآب.

هذا هو إنجيل الإعلان الأسمى في « سر الله » .

* * *

بحث سابع وعشرون

« سر المسيح »

الواقع الإنجيلي، خصوصاً في الإنجيل بحسب يوحنا، فيه ظاهرتان بارزتان : بشرية يسوع المسيح وإلهيته. ولا سبيل فيه إلى إسقاط ظاهرة في سبيل الأخرى. وفي هذه **الثنائية القائمة في وحدة الشخصية « سر المسيح »** ، كما يسميه بولس الرسول.

إن بشرية السيد المسيح ظاهرة لا تحتاج إلى دلائل وبراهين؛ وبها يتمسّك بنو قومنا لينكروا إلهية السيد المسيح. فهذا مسخ لشهادة الإنجيل.

إن الإنجيل بحسب يوحنا يؤكد **بشرية السيد المسيح وإلهيته معاً.** فلا تذوب عنده واحدة في الأخرى، ولا تنفصل فيه واحدة عن الأخرى. فهو « **ابن الله** » و « **ابن البشر** » معاً. فكيف يكون ذلك ؟ وكيف يكون « ابن مريم » « ابن الله » ، والله، سبحانه، هو « الله أحد الحق » (١٧ : ٣) ؟

مع ذلك **هذا هو الواقع الإنجيلي،** وهذه هي الحقائق الثابتة التي عليها يرتكز « سر المسيح » . فما سرّ هذه الشخصية الفريدة في العالمين والنبيين، **الواحدة والثنائية معاً،** التي تجمع وتوحّد بين الله وإنسان في يسوع المسيح ؟

أنوار المسيحية منذ نشأتها بولس، وأبولّس (الرسالة إلى العبرانيين) ويوحنا الحبيب، وجّهوا اهتمامهم، في تدوين الوحي الإنجيلي، للكشف عن «سر المسيح » في وحدانيته وثنائية معاً.

لقد توصل بولس، بعد المعاناة الطويلة، وبوحي الروح القدس، إلى تفصيل الإنجيل، بتفسير «سر المسيح », برسائله، خصوصاً بالأناشيد الموجزة المعجزة التي دوّنها في رسائله الصوفية إلى أهل فيلبي، وأهل كولوسي، وأهل أفسس، عواصم الصوفية الهلينية والمشرقية في آسيا الصغرى الرومانية. ففي النشيد الفيليبّي مثلاً يقول : « إن القائم في حال الله »قد تنازل

واتّخذ « حال العبد، وصار بشراً، عائشاً كبشر في الهيأة ... فهو الرب يسوع في مجد الله الآب » (٢ : ٦ - ١١). ويوجز « سر المسيح » في هذه الآية المعجزة : « **فيه يحلّ جسديّاً ملء اللاهوت كله** » (كول ٢ : ٩).

وأبولّس، في فاتحة الرسالة إلى « **العبرانيين** » ، أي النصارى من بني إسرائيل، أوجز « سر المسيح » بهذا الوصف الجميل : إنه « **ضياء مجده، وصورة جوهره** » (١ : ٣). فهو « **الابن** » على الإطلاق، ليس على طريقة المخلوقين، بل على طريقة الخالق : إنه « **ضياء** » الذات الإلهية الفريدة، منها وفيها؛ إنه « صورة جوهره » أي ختم الذات الإلهية التي تقوم فيه. إنها استعارات تقرّب الحقيقة الغيبية من الإدراك البشري، ولا تحدّدها.

وكانت كلمة الوحي الأخيرة محفوظة لخاتمة رسل المسيح، أول المدعويين بينهم، « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » ، والذي اتكأ على صدره في العشاء السري ينهل منه الحب والعرفان. لقد أوجز الإنجيل بحسب يوحنا « سر المسيح » في **ثلاثة تعابير**، نستجمعها هنا، ولو كان في ذلك بعض التكرار المفيد.

أولاً : المسيح « أنا هو »

نوجز هنا ما فصّلناه في بحث سابق.

إن الإنجيل بحسب يوحنا ينسب للسيد المسيح صفات الله تعالى عينها في العهد القديم؛ وهذا برهان ضخم على حقيقة إلهيته.

وما هو أضخم أن السيد المسيح ينسب لذاته **اسم الله الأعظم** في التوراة : « أنا هو » أي « يهوه » . وذلك سبع مرات - كمال العدد والبيان.

١) استفتح الإعلان الكبير بهذا التمهيد : « أنتم من أسفل، وأنا من فوق! أنتم من هذا العالم، وأنا لست من هذا العالم! » (٨ : ٢٣). فهو من عالم الخالق، نزل إلى عالم المخلوق.

ثم يأتي التصريح الصارخ : « لقد قلت لكم : إنكم تموتون في خطاياكم! أجل إنكم تموتون في خطاياكم، إن لم تؤمنوا أني « **أنا هو** » (٨ : ٢٤). استغربوا واستكبروا إعلانه، « فقالوا له : ومَن أنت ؟ قال لهم يسوع :

مَن أقوله لكم مِن البدء ›› (٨ : ٢٥). فهو يستند إلى مصدره الإلهي، لينسب لذاته اسم الله الأعظم : ‹‹ أنا لست من هذا العالم ›› . إنه من عالم الخالق، ‹‹ أنا هو ›› ، أي ‹‹ الكائن ›› ، ‹‹ الحي القيوم ›› ، الوجود الواجب الوجود.

٢) وقال لهم يسوع أيضاً : إذا ما رفعتم ابن البشر، فحينئذٍ تعرفون أني ‹‹ **أنا هو** ›› (٨ : ٢٨). هنا يحدّد لهم زمن الكشف عن حقيقته : إن مجد الاستشهاد والصليب الذي لا مثيل له في تاريخ البشرية، ومجد القيامة من الموت والقبر الذي يفوق إعجاز المعجزات الإلهية، كلاهما سيؤكدان لهم أن يسوع المسيح كان ‹‹ أنا هو ›› .

٣) ثم دلّهم على إلهيته، من أزليته، بهذا الإعلان المعجز : ‹‹ الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم، **أنا هو** ›› (٨ : ٥٨) أي ‹‹ أنا الكائن ›› . حينئذٍ تحققوا أنه ينسب لذاته اسم الله الأعظم، وحقيقة إلهيته. لذلك حاولوا رجمه (٨ : ٥٩).

٤) بمناسبة خيانة يهوذا، التي يكشفها لصحابته في العشاء السري، يعلن لهم : ‹‹ أقول لكم هذا منذ الآن، وقبل أن يكون، حتى إذا ما كان تؤمنون أني ‹‹ **أنا هو** ›› (١٣ : ١٩). وبرهان الإعلان هو هذه النبوءة الغيبية التي يظهر منها أنه ‹‹ عالم الغيب والشهادة ›› مثل الله تعالى.

٥) وكان توقيف يسوع في بستان الزيتون. ‹‹ فخرج يسوع - وهو عالم بجميع ما كان موشكاً أن يأتي عليه - وقال لهم : مَن تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصري! فقال لهم : ‹‹ **أنا هو** ›› - وكان يهوذا مسلّمه معهم ›› (١٨ : ٥).

٦) ‹‹ فلما قال لهم : ‹‹ **أنا هو** ›› رجعوا القهقرى وسقطوا على الأرض ›› ! إن المخلوق يصعق أمام اسم الله الأعظم (١٨ : ٦).

٧) ‹‹ فسألهم أيضاً : مَن تطلبون ؟ قالوا : يسوع الناصري! أجاب يسوع : لقد قلت لكم ‹‹ **أنا هو** ›› . فإن كنت أنا مَن تطلبون، فدعوا هؤلاء ينطلقون ›› (١٨ : ٨).

في المواقف الثلاثة، ببستان الزيتون، يأتي اسم الله الأعظم، « أنا هو » ؛ مقروناً باسم « يسوع الناصري » التاريخي. **فيسوع هو « يهوه » ، « أنا هو » .**

فتلك النصوص السبعة ـ مع القياس على أن النص السابع ـ تقودنا من يسوع التاريخ، إلى حقيقة مسيح الإيمان، « **أنا هو** » الذي مصدره ليس من عالم المخلوق، بل « من فوق » ، من عالم الخالق؛ والذي هو أزلي من قبل وجود إبراهيم؛ والذي هيبته، وصدى اسمه الكريم، تجعلان الناس يسقطون مصعوقين.

فيسوع يكشف بالاسم الكريم الإلهي الذي ينسبه لذات أنه حقيقةً « أنا هو » أي « يهوه » ، « الكائن » والحي القيوم » .

ـ لكن هل هناك إلهان، الله والمسيح ؟

إن الاسم الثاني « الكلمة » ، وصفته « مونوجنيس » ، « الوليد الوحيد » يدفعان الشبهة دفعاً قاطعاً.

ثانياً : « الكلمة » ، « مونوجنيس »

نوجز أيضاً هنا ما فصّلناه سابقاً، في عود على بدء لزيادة البيان.

إن تعبير « **ابن الله** » تفهمه عامة الناس ـ وإن جفل من أهل التوحيد. وهناك تعبير آخر نزل في فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا، تعبير علمي، فلسفي، « **كلمة الله** » ، يدفع كل شبهة قد تعلق باسم « **ابن الله** » . وتأتي صفة « **مونوجنيس** » بالحرف اليوناني، أي « الوليد الوحيد » ، فترفع تلك البنوة من عالم المخلوق إلى عالم الخالق، في كامل التنزيه والتجريد، بدون أيّ تشبيه في التوحيد.

إن الإنجيل بحسب يوحنا أوجز « سر المسيح » بهاتين الرباعيتين في فاتحته :

« في البدء كان الكلمة   والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة   فهو منذ البدء في الله ...

« والكلمة صار بشراً   وسكن في ما بيننا
وقد شاهدنا مجده   مجد الآب في ابنه الوحيد »

١) « فسر المسيح » أنه « الكلمـة » في ذات الله، أي **النطق الذاتي** في « الله أحد الحق » . وللتأكيد على أنه « الكلمـة » الذاتيـة - لا الكلمـة الخلاقـة أو المُنزَلـة - يكرّر مرتين : « والكلمـة كـان فـي الله ... فهـو منـذ البدء فـي الله » . فكـل تفسـير مغـرض لتعبيـر « الكلمـة » بأنـه أمـر الله الخلاّق، أو وحي الله المنزل، هو تحريف للإنجيل.

وفي « الله أحد الحق » تمييز بين الذات الإلهية، وبين نطقها الذاتي، لا تعدّد في الكيان الإلهي؛ لذلك يضيف : « **والله كان الكلمة** » ؛ وقد صرّح السيد المسيح أيضاً : « **أنا والآب واحد** » (١٠ : ٣٠). فالله ونطقه الذاتي، « كلمته » ، هما واحد في الوجود والكيان؛ ومع ذلك فهما متميّزان كالذات ونطقها الذاتي، لأنه لا أعراض في الجوهر الإلهي الفرد » . بل يصدر نطق الله الذاتي، من ذات الله، في ذات الله، فوق المخلوق كله.

وهذا الصدور الذاتي، الروحي، النطقي هو **ولادة حقيقة** ذاتية، روحية، نطقية؛ فكانت **الأبوة الحقيقية** في الذات الإلهية، **والبنوة الحقيقة** في نطقها الذاتي، « الكلمة » .

٢) وتـأتي صـفة « **مونـوجنيس** » فتؤكـد حقيقـة الموصـوف، « الكلمـة » . فهـو بحسـب الحرف اليوناني « **الوليد الوحيد** » - لا فقط الابن « الوحيد » كما يترجمون عادة. فهناك، في وحدة الكيان الوجودي الإلهي، ولادة ذاتية، نطقية، أسمى من المخلوق وإدراك المخلوق، في كامل التنزيه والتجريد في صحة التوحيد.

فالذات الإلهية، ونطقها الذاتي، كيان واحد، ووجود واحد، هو واجب الوجود والكيان. ويكشف لنا الله، الذي « ليس كمثله شيء » ، أن نطقه الذاتي يصدر عن ذاته، في ذاته، لذاته، صدور النطق عن الذات العاقلة، بما يشبه الولادة في عالم المخلوق، فهـو « مونـوجنيس » أي « الوليد الوحيد » . فكانت الذات الإلهية هي « الآب » ، والنطق الذاتي، « الكلمة، مونـوجنيس » ، هو « الابـن » علـى الإطـلاق، فـي الوحدة الإلهيـة المطلقـة، بمـا يشـبه الأبـوة والبنـوة فـي عـالم المخلوق.

فبنوة المسيح الابن، من الله الآب، هي **بنوة حقيقية، لا مجازية** كالتي

تنسب إلى المخلوق؛ لكنها روحية، نطقية، ذاتية، بدون تعدّد ولا تجزؤ ولا انفصال. فنطق الله الذاتي، « الكلمة » ، هو في ذات الله « الوليد الوحيد » .

٣) و « الكلمة » ، « الوليد الوحيد » في ذات الله هو أيضاً « الحي القيوم » مثل مصدره، ومع أبيه : « فيه كانت الحياة » (١ : ٤)، فهو « **نور الحياة** » (١ : ٤)، « النور الحقيقي » (١ : ٩)، « النور » على الإطلاق (١٢ : ٤٦). « فالكلمة » ، « الوليد الوحيد » هو « **نور الحياة** » في ذات الله، وللعالمين، فولادة « كلمة الله » من ذات الله، في ذات الله، هي **بنوة النور والحياة** في الله.

٤) ثم كان الحدث الأكبر في تاريخ السماوات والأرضيين: « **والكلمة صار بشراً** » (١ : ١٤). فكان اسمه التاريخي والبنوي « يسوع المسيح » (١ : ١٧).

الحرف اليوناني يقول : « صار لحماً - « سَرْكْسْ » ، لا « جسداً - « صوما » . وهذا برهان لغوي على حقيقة « التجسّد » واتخاذ كامل البشرية، « ما عدا الخطيئة » . والحرف اليوناني هو ترجمة الحرف الأرامي، لغة المسيح : « بِسْرا - أو - بِسْرو » بحسب اللهجة؛ ويرادفه في العربية حرفياً تعبير « بشر » . فكان الترجمة الصحيحة : « والكلمة صار بشراً » .

واقتصار التحديد الإنجيلي على الناحية « البشرية » من الشخصية الإنسانية، هو دليل على **اتخاذ « كلمة الله » البشرية من الإنسان** من دون أن يتحول « كلمة الله » إلى إنسان، لأن التحوّل من الخالق إلى المخلوق مستحيل، كالتحول من المخلوق إلى الخالق مستحيل. لكن لا يستحيل عقلاً - وكما هو الواقع - أن يتّخذ « كلمة الله » الذاتي طبيعة بشرية، مع طبيعته الإلهية؛ ويتّحد بها كاتحاد الروح الإنساني بجسد. هنا وحدة إنسانية. وفي « تجسّد » أو « تأنّس » كلمة الله الذاتي، وحدة إلهية وبشرية معاً، **في وحدة الذات وثنائية الطبيعة**. فليس في ذلك من تأليه، ولا من تأنيس أو تجسيد، وذلك مستحيل عقلاً كما في واقع الإنجيل.

٥) وفي الإنجيل ظاهرة جلية تُظهر **وحدة الذات في ثنائية الطبيعة :**

فيسوع المسيح **يقول دائماً « أنا »** ، سواء نطق كإله، أو تكلّم كإنسان. وهو يردّد هذا ال « أنا » نحو خمسين مرة بعد المائة. ويعبّر عن **سر هذا ال « أنا »** بقوله نحو عشرين مرة « **أنا هو** » ، منها سبع على الإطلاق كما رأينا، في نسبة اسم الله الأعظم في التوراة لنفسه؛ كما في تسميته الله تعالى « **أبي** » على الانفراد والإطلاق. وقد أفصح عن حقيقة قصده بتصريحه : « إنما الذي يمجّدني هو أبي، الذي تدعونه أنتم إلهكم » (٨ : ٥٤)؛ « إنكم لا تعرفوني أنا، ولا أبي؛ لو كنتم تعرفوني لعرفتم أبي أيضاً » (٨ : ١٩) إن « الابن » هو سرّ « الآب » .

فإن أسلوب يسوع في كلامه برهان على وحدة الذات، في ثنائية الطبيعة، الإلهية والإنسانية.

يقول مثلاً بصفة كونه « **ابن البشر** » : « أنا هو » المسيح (٤ : ٢٦)؛ « أنا هو الخبز الحي النازل من السماء » (ست مرات في ف ٦)؛ « أنا هو باب الخراف » (١٠ : ٧)؛ « أنا هو الباب » (١٠ : ٩)؛ « أنا هو الراعي الصالح » (١٠ : ١١ و١٤) ...

ويقول مثلاً بصفة كونه « **ابن الله** » : « أنا هو نور العالمين » (٨ : ١٢) « أنا هو النور » (١٢ : ٤٦)؛ « أنا هو القيامة والحياة » (١١ : ٢٥)؛ « أنا هو الصراط والحقيقة والحياة » (١٤ : ٦)؛ « أنا أتكلّم بما شاهدت في أبي » (٨ : ٣٨)؛ « قبل أن يكون إبراهيم أنا هو » الكائن (٨ : ٥٨)؛ « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)؛ « الآب فيّ، وأنا في الآب » (١٠ : ٣٨)؛ « أنا في الآب والآب فيّ » (١٤ : ١٠ و١١)؛ « أيها الآب أنت فيّ وأنا فيك » (١٧ : ٢١) ...

فهذا ال « أنا » الواحد الوحيد الذي ينطق تارة « كابن الله » وطوراً « كابن البشر » ، على لسان يسوع المسيح، **هو شخصية واحدة، في ثنائية الطبيعة**؛ أي بحسب علم الكلام المسيحي : أُقنوم واحد، في طبيعتين، إلهية وإنسانية؛ كما حدّدها المجمع المسكوني الثالث في أفسس (سنة

٣٣١)، في تفصيل الإنجيل، ضد أهل البدعة الذين ما برحوا يورّطون بني قومنا في اتهام المسيحية[1] .

هذا هو « الكلمة » ، « الوليد الوحيد » المتأنس، أو المتجسّد : **فلا تأليه، ولا تجسيد أو تأنيس،** كما يتوهمون ويوهمون؛ بل تجسّد كلمة الله، أو تأنّس نطق الله الذاتي في يسوع المسيح. إنه اتحاد، كاتحاد النفس بالجسد، في وحدة الذات. هذا هو « مجد » المسيح.

ثالثاً : « مجد » المسيح - إنجيل مجد المسيح

التعبير الإنجيلي الثالث الذي يكشف « سر المسيح » هو « المجد » .

إن تعبير **« مجد » الله** في الكتاب والإنجيل هو كناية عن إلهيته. والإنجيل بحسب يوحنا ينسب هذا « المجد » الإلهي عينه للسيد المسيح، كما يقول منذ فاتحته : « وقد شاهدنا مجده، مجد الآب في ابنه، الوليد الوحيد » (١ : ١٤). فمجد المسيح، كلمة الله المتجسد، **هو « مجد الآب » عينه،** ظهر فيه؛ فكان « ملء النعمة والحقيقة » (١ : ١٤)، و « ابن البشر الذي نزل من السماء، والكائن في السماء » (٣ : ١٣).

وصفته الكبرى التي تجعله « مجد الآب » عينه، أنه أزلي، وفي ذات الله : « أيها الآب، أنت مجدني الآن، بالمجد الذي كان لي فيك من قبل تكوين الكون » (١٧ : ٥). وهذا المجد الإلهي الأزلي في يسوع المسيح، لم تحجبه بشريته، بل ظهر في سيرته ودعوته.

ومصدر هذا « المجد » الإلهي الأزلي في يسوع المسيح، **وصفته الذاتية،** هو كونه « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠)، أي « الآب فيّ وأنا في الآب » (١٠ : ٣٨)، « أنا في الآب، والآب فيّ » (١٤ : ١٠ و١١)، « أيها الآب أنت فيّ وأنا فيك » (١٧ : ٢١).

لقد ظهر « مجد الآب في ابنه، الوليد الوحيد » بمعجزاته، وبالوحدة

---

(١) قابل القاضي منصور حسين عبد العزيز : « دعوة الحق، أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام » الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢ التي أهداها لي المؤلف نفسه.

القائمة بين الآب والابن، وفي استشهاده وصلبه، وفي رجعته إلى « أبيه » ورفعه إليه.

١) مظاهر « مجده » في معجزاته

فمنذ معجزته الأولى في قانا الجليل، « **أظهر مجده**، فآمن به تلاميذه » (٢ : ١١). وذلك لأن معجزات يسوع هي معجزات الآب نفسه : « بل الآب المقيم فيّ هو يعمل أعماله » (١٤ : ١٠).

إن المعجزة الحقيقية هي ظاهرة فريدة من مظاهر « مجد » الله والمسيح. هذا ما أعلنه أيضاً لأخت لعازر قبل إحيائه : « إنك، إن آمنتِ، ترين مجد الله » (١١ : ٤٠).

والسيد المسيح يعتبر معجزاته أعمالاً إلهية، لا ريب فيها. وهذا محور جداله مع علماء اليهود : « **إن كنت لا أعمل أعمال أبي**، فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعملها، ولا تريدون أن تصدّقوني، فصدّقوا هذه الأعمال لكي تعلموا وتشهدوا أن **الآب فيّ، وأنا في الآب** » (١٠ : ٣٨). هذه الشهادة المطلوبة هي نفسها **التعريف** « **بمجد** » **المسيح**، أي الشهادة بإلهيته: « إنما الذي يمجدني هو أبي، الذي تدعونه أنتم إلهكم » (٨ : ٥٤).

وفي ختام رسالته ودعوته يُجري السيد المسيح تقييماً لمعجزاته أمام صحابته : « لو لم أعمل في ما بينهم أعمالاً **لم يعملها آخر**، لَمَا كانت عليهم خطيئة. أما الآن وقد رأوا، فقد أبغضوني أنا وأبي (أي كفروا بي وبأبي). بذلك تتم الكلمة المكتوبة في شريعتهم : إنهم أبغضوني بلا سبب » (١٥ : ٢٥).

إن المعجزة دليل النبوة الإلهية الأوحد. وفي تاريخ النبوة والكتاب، انفرد السيد المسيح بمعجزاته على الأنبياء والرسل : **فعمل** « **أعمالاً لم يعملها آخر** » **!** لأن موضوع نبوته ودعوته، خصوصاً في بيئة التوحيد والكتاب، كان يقتضي مثل تلك المعجزات الإلهية التي تشهد بصحة تعليمه السامي، وتُظهر « مجده » الإلهي.

٢) « مجد » المسيح هو في الوحدة القائمة بين الآب والابن

إنها وحدة الوجود والكيان : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣٠). وقد فصّلنا سابقاً ظواهرها وحقائقها، فما بين المسيح الابن والله الآب :

وحدة في سلطان يوم الدين.

وحدة في العمل.

ووحدة في الحياة.

ووحدة في الوجود الإلهي.

ووحدة في الذات الإلهية، أي الطبيعة الإلهية.

ووحدة في الكرامة الواجبة على المخلوق.

وكلها دلائل وبراهين وحدة الوجود والكيان الإلهي.

إنها **سبع وحدات** تشهد كلها بأن « مجد » المسيح الابن من « مجد » الله الآب.

٣) « مجد » المسيح في استشهاده

إن يسوع يسمّي استشهاده « **ساعته** » ؛ وهو « يقدّس » نفسه لأجل هذه الساعة عينها (١٧ : ١٩).

وفي سيرته يسير إليها بكل رضى. ولمّا حانت قام بتطهير صحابته، استعداداً لها. ولما أزفت « خرج وهو عالم بكل ما كان موشكاً أن يأتي عليه » (١٨ : ٤).

وهو يعتبر استشهاده « مجده » . فأعلن للجمهور، قبيل الحدث الأعظم : « لقد حانت الساعة التي يُمجد فيها ابن البشر » (١٢ : ٢٣). وشعر بروعة تلك « الساعة » فنادى: « أيها الآب مجّدْ اسمك! فجاء صوت من السماء : قد مجّدته، وسأمجّده أيضاً » (١٢ : ٢٨).

وعند الاستشهاد كان يصلّي : « يا أبتاه، لقد أتت الساعة، فمجّدْ ابنك، لكي يمجّدك ابنك ... أيها الآب، أنت الآن مجّدني فيك بالمجد الذي كان لي فيك قبل تكوين الكون » (١٧ : ١ و٥).

فساعة استشهاد السيد المسيح هي « مجد » إلهي أزلي!

لذلك كان يكنى عنها « **بالرفع** » . فكان على الدوام يخاطب اليهود بقوله : « إذا ما رفعتم ابن البشر، فعندئذٍ تعرفون **أني « أنا هو »** (٨ : ٢٨). فباستشهاده وقيامته سيعرفون « مجد » أُلوهيته. وسيكون صليب راية فتح العالم لدينه : « وأنا متى رفعت من الأرض، اجتذبت إليّ العالمين » (١٢ : ٣٢).

٤) « مجد » المسيح في رجعته إلى الآب ورفعه إليه تعالى

« **النور** » مرادف « **للمجد** » في لغة الإنجيل. فمنذ عيد الخيام يعلن لليهود عن رجعته إلى الآب. « قال يسوع : أنا معكم بعد زمناً يسيراً، ثم أرجع إلى الذي أرسلني » (٧ : ٣٣)؛ « فما دام النور معكم، فآمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور » (١٢ : ٣٦).

ويُسرّ لصحابته قبل فراقهم : « الحق الحق أقول لكم : إن مَن يؤمن بي يعمل هو أيضاً الأعمال التي أنا أعملها، بل يعمل أعظم منها، لأني منطلق إلى الآب » (١٤ : ١٢). فالمعجزة لأجل السيد المسيح هي أيضاً « مجد » المسيح.

وتنزيل « الروح » على تلاميذه هو أيضاً « مجد » المسيح : « إنه سيمجّدني لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم. جميع ما للآب هو لي، من أجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٤ ـ ١٥). فجميع ما لله الآب، وجميع ما لروح الله، هو للمسيح الابن؛ وكله « مجد » المسيح. لقد مجّده الله الآب في بعثته؛ وسيمجده روح الآب والابن بعد البعثة على مدى الدهر.

هذا هو « مجد الآب في ابنه، الوليد الوحيد » (١ : ١٤).

وهذا هو إنجيل « مجد » المسيح.

بتلك التعابير الثلاثة : « أنا هو » ، « الكلمة ـ الوليد الوحيد » ، « مجد » المسيح ـ يفصّل الإنجيل « سر المسيح » ، « ابن الله » و « ابن البشر » معاً. وتلك التعابير يوجزها إعلانه للجمهور : « مَن رآني فقد

رأي الذي أرسلني » (١٢ : ٤٥)؛ وإعلانه لصحابته : « مَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ٩).

هذا هو « سر المسيح » .

* * *

بحث ثامن وعشرون

سر « الروح »

سر « الروح » الإلهي ظل مغلقاً على جميع الأنبياء. وكان لسان حالهم جميعاً قوله : « ويسألونك عن الروح ؟ قلْ : الروح من أمر ربي، وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً » !

وميزة الإنجيل، على كل وحي وتنزيل، أنه كشف « سر الروح » .

وميزة الإنجيل بحسب يوحنا أنه جاء **بالكشف الأوفى :** بالإشارات في الكتاب الأول منه (ف ١ ـ ١٢)؛ وبالعبارات في الكتاب الثاني منه (١٣ ـ ١٧)؛ وبالتحقيقات في الكتاب الثالث منه (١٨ ـ ٢١).

أولاً : الإشارات إلى « الروح » الإلهي

في الكتاب الأول من الإنجيل بحسب يوحنا (ف ١ ـ ١٢) يأتي الحديث عن « الروح » الإلهي بإشارات واضحة : في الولادة الجديدة، وفي العبادة الجديدة، وفي العقيدة الجديدة، وفي الحياة الدينية الجديدة.

١ ـ الولادة الجديدة « بالماء والروح »

منذ مطلع دعوته، في حديثه مع نيقوديم، علاّمة إسرائيل، يسوع يشير إلى « سرّ الروح » وعمله. إن الحياة الدينية، المسيحية، الإلهية تبدأ بولادة جديدة « من فوق » أي سماوية. ويفسر يسوع أنها ولادة

حقيقة لكنها روحية : « بالماء والروح » (٣ : ٥). والإشارة صريحة إلى العماد المسيحي، بالماء المقدس وفعل الروح القدس فيه، وفي المعمود. وعمل « الروح » خفي، غير محسوس، مثل « الريح تهب حيث تشاء ... » (٣ : ٨). لذلك « فالمولود من الروح، إنما هو روح » (٣ : ٦). فالولادة الجديدة، بالعماد، تنقل الإنسان من عالم المادة إلى عالم « الروح » .

٢ ـ العبادة الجديدة « بالروح والحق »

نعرف من حديث يسوع مع السامرية أن الخلاف على مكان العبادة كان قائماً بين اليهود، أهل السنة، والسامريين أهل البدعة. سُئل يسوع في ذلك، فارتفع فوق الخلاف كله، ورفع الدين من قيود المادة إلى رحابة « الروح » . فقال : « إن الساعة آتية، وها هي حاضرة، حيث العابدون الحقيقيون يعبدون الآب **بالروح والحق** » (٤ : ٢٣).

كلمة معجزة، **فيه تجديد الدين كله**. فمع الدعوة الإنجيلية، سيُعبد الله تعالى باسم « الآب » الذي كشف السيد المسيح سره (١٧ : ٦ و٢٦). وعبادته ستكون « بالروح والحق » ، وهما كناية عن الروح القدس، وعن المسيح الحقيقة (١٤ : ٦)؛ أي عبادة شعارها تعليم المسيح، وقوامها عمل « الروح » في المؤمن. فالمخلوق بحد ذاته عاجز عن عبادة الله الآب حق عبادته، فيتولى روح الله والمسيح توجيهها إلى ما فوق طاقة المخلوق.

فبالمسيح الابن جاء « **عهد الروح** » في البشرية : « والله لا يعطيه (للمسيح) الروح بتقتير » (٣ : ٣٤)، والسيد المسيح لا يعطي تلاميذه « الروح » أيضاً بتقتير : « إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم: فجميع ما للآب هو لي، من أجل هذا قلت لكم: إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٤ ـ ١٥).

فروح الدين هو روح الله والمسيح نفسه.

٣ ـ العقيدة الجديدة « روح وحياة »

بعد خطاب يسوع في « خبز الحياة » ، « الخبز الحي النازل من السماء » في القربان المسيحي، تأثر بعض تلاميذ المسيح بدس الفريسيين، فأخذوا

« يتذمرون » منه. فأجابهم على المعجز بالأعجز، « فقال لهم : أذلك يشككم ؟ فلو رأيتم ابن البشر يصعد حيث كان أولاً! » (٦ : ٦٠ - ٦٢). أي إن وعده بخبز « جسده لأجل حياة العالم » (٦ : ٥١) ليس في طاقة المخلوق، كما تتوهمون، بل هو بقدرة القادر، النازل من السماء، والصاعد إليها. ثم قال : « الروح هو الذي يحيي، وأما الجسد فلا يفيد شيئاً » (٦ : ٦٣) : ففي القربان، جسد المسيح، ليست المادة فيه هي التي تعطي « الحياة للعالم » ، بل الروح الإلهي في جسد المسيح الحقيقي والقرباني هو الذي يفعل فعل الله.

وأضاف : « **الكلام الذي قلت لكم هو روح وحياة** » (٦ : ٦٣).

إن العقيدة الجديدة المسيحية هي « روح » ، أي روحية حقيقية - لا مجازية؛ فعلها هو فعل روح الله فيها؛ لذلك فهي « حياة » إلهية تفعل بذاتها في الإنسان، بفعل روح الله والمسيح.

٤ - الحياة الجديدة المسيحية هي « أنهار ماء حي »

في عيد الخيام، « وفي اليوم الأخير العظيم من العيد، وقف يسوع وصاح. قال : « مَن عطش فلْيأتِ إليّ! ولْيشربْ مَن آمن بي! فكما قال الكتاب : **ستجري من داخله أنهار ماء حي - قال هذا عن الروح** الذي كان المؤمنون به مزمعين أن ينالوه. فإنه لم يكن بعد الروح، لأن يسوع لم يكن بعد قد مُجّد » (٧ : ٣٧ - ٣٩).

نقلنا مراراً هذا التصريح العظيم، لأنه الوعد العظيم بتنزيل « الروح » الإلهي على المؤمنين بالمسيح. والعظيم في هذا التصريح أن « الروح » سيأتي بالمسيح، ومن داخل المسيح. والرسول السماوي الذي يحمل روح الله في ذاته، والذي يعطي من ذاته روح الله هو وحده، « الذي أرسلته، يسوع المسيح » (١٧ : ٤). ففي هذه الميزة الإلهية، إعجاز رسالة المسيح على جميع الرسالات قاطبة.

وقد أجمع الآباء والعلماء على أن القول المذكور في الكتاب هو نبوءة أشعيا، مع خلاف في النص المشار إليه. فإيريناوس ينقل أشعيا (٤٣ : ١٩ - ٢١). وكيريانس القرطاجي أشعيا (٤٨ : ٢١). أما اليوم فيفضلون

أشعيا (٥٨ : ١١). وقد تكون الإشارة إلى الصخرة التي فجّر منها موسى الماء، « وكانت الصخرة المسيح » كما يقول بولس. لكن ممّا لا شك فيه أن يسوع افتتح دعوته في الناصرة بنبؤة أشعيا (٦١ : ١ ـ ٢) : « روح الله عليّ، فقد مسحني وأرسلني ... » (لوقا ٤ : ١٨). فهو الرسول الوحيد الممسوح « بالروح » الإلهي عينه؛ « المسيح » حقاً على الإطلاق. وفي هذا إعجازه الذاتي المطلق على المرسلين والأنبياء أجمعين.

والاستشهاد الكتابي **مطبّق أولاً على السيد المسيح :** « فمن داخله تجري أنهار ماء حي » أي يتدفق روح الله من المسيح الابن تدفق أنهار ماء حي » **ومطبق ثانياً على المسيحيين،** « المؤمنين به، المزمعين أن ينالوه » (٧ : ٣٩). ففي الحياة الجديدة التي يبعثها السيد المسيح ببعثته، سيتدفق روح الله والمسيح، من المسيحيين، تدفق أنهار ماء حي. وفي هذا، إعجاز الحياة المسيحية على كل حياة دينية.

تلك هي الإشارات إلى « سرّ الروح » .

ثانياً : العبارات عن « الروح » الإلهي

في الكتاب الثاني من الإنجيل بحسب يوحنا (ف ١٣ ـ ١٧) تأتي العبارات الصريحة عن « الروح » الإلهي، في **خمسة نصوص،** من حديث يسوع الخاص إلى صحابته. قد تكون كلها من حديث يسوع بعد العشاء السرّي، كما استجمعها يوحنا الحبيب (ف ١٣ ـ ١٧)؛ وقد يكون بعضها من هذه الخلوة (ف ١٤) وبعضها من بعد القيامة وقبل الصعود إلى السماء (ف ١٥ ـ ١٦) على ما يظهر لي من القرائن. يكفي قوله، بعد حديثه الأول: « **قوموا، ولننطلق من ههنا** » (١٤ : ٣١) والذي ختمه بالسلام عليهم (١٤ : ٢٧). والوعد بالعودة إليهم (١٤ : ٢٨)؛ وقوله لهم : « **إني ذاهب إلى الآب** » (١٤ : ٢٨) وقوله أيضاً : « **لا أطيل بعد الحديث معكم** » (١٤ : ٣٠). فكلها خواتم ظاهرة لحديثه. لذلك فاستئناف الحديث للحال غريب (١٥ : ١)، وهو مسرع إلى صلاة الفزع من الموت والصليب، في بستان الزيتون؛ وقد فرّق صحابته فرقتين، الأولى من ثمانية عند باب البستان، والثانية من « الثلاثة المقربين » على مقربة منه، عند موضع الصلاة الحزينة،

داخل البستان. لذلك، على رأينا، فإن استجماع الأحاديث كلها في موضع واحد من الإنجيل هو **جمع تنسيقي، لا تاريخي.** والقول الفصل في ذلك هو قوله في الحديث الثاني : « إني منطلق إلى الآب، ولا تروني من بعد » (١٦ : ١٠) وهم قد رأوه بعد موته وبعثه.

ثم إن يسوع « الروح » الإلهي « **القدس** » على الإطلاق، أي من عالم « القدس » أي الله، فليس هو من عالم الأرواح الملائكية. إنه من ذات الله؛ **فهو « الروح القدس »** على سبيل التجريد والتنزيه المخلوق؛ أو بتعبير آخر، هو **روح القدس أي روح الله**، في نسبة ذاتية، لا نسبة معنوية.

ويصفه مراراً بأنه « **روح الحق » أي روح المسيح**، الذي هو الحق (١٤ : ٦). إنها أيضاً نسبة ذاتية، لا مجازية.

لذلك فهو روح القدس، وروح الحق، أي **روح الله الآب والمسيح الابن معاً**؛ فكلاهما المصدر الذاتي « للروح » الإلهي، سواء قلنا : « المنبثق من الآب بالابن » ، أو « المنبثق من الآب والابن مصدراً واحداً » . ولا ننس تصريح المسيح : « جميع ما للآب هو لي؛ من أجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ مما لي » (١٦ : ١٤ - ١٥).

ولا ننسَ تصريح المسيح : « **جميع ما للآب هو لي**؛ من أجل هذا قلت لكم : **إنه يأخذ مما لي** » (١٦ : ١٤ - ١٥). فالقدرة الذاتية في الآب لانبثاق الروح القدس، هي القدرة الذاتية عينها في الابن لانبثاقه. كذلك « **أنا والآب واحد** » (١٠ : ٣٠) في الكيان الإلهي، وقدرته على انبثاق الروح القدس.

إن التعبير البشري محدود، فلا يستجمع الحقائق الإلهية كلها معاً. فكل تعبير عنها هو ناقص حتماً، من جهة من الجهات. فلا داعي للخلاف المزمن المشهور.

وفي بعثة الروح القدس، يسميه يسوع باسم جديد : « **الفارقليط** » . وللخلاف في تعريب هذا الاسم الكريم، فضّل بعضهم - ونحن منهم - نقله بحرفه اليوناني. والتعريب الأصح عندنا هو « **المعين** » ، كما يظهر

أيضاً من فعله. في الوعد الأعظم « بفارقليط آخر » ، في هذه العبارات الواضحات.

١ - الوعد « بالروح القدس الفارقليط » قبل الاستشهاد

في حديث الوداع قبل الاستشهاد، كرّر السيد المسيح وعده « بالروح القدس، الفارقليط » مرتين.

النص الأول : « وأنا أسأل الآب، فيعطيكم **فارقليط آخر**، ليقيم معكم على الدوام، روح الحق، الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه، ولا يعرفه. أما أنتم فتعرفونه، لأنه يقيم معكم ويكون فيكم » (١٤ : ١٦ - ١٧).

هذا النص يحدّد **مصدر « الروح » :** إن الآب يعطيه، فهو مصدره الذاتي؛ وهو « روح الحق » أيضاً أي روح المسيح الابن الذي هو « الحق » (١٤ : ٦) فالله الآب والمسيح الابن كلاهما مصدر واحد للروح القدس.

وعمله في المسيحيين ناجم عن **صفته :** إنه « **فارقليط آخر** » يقوم مقام السيد المسيح على الدوام، ليس مقاماً معنويّاً فحسب، بل حقيقيّاً « **لأنه يقيم معكم، ويكون فيكم** » (١٤ : ١٧)؛ فهي إقامة حقيقية في المسيحيين، وسكنى حقيقية فيهم. وهذه ميزة المسيحي على العالمين، إنه مسكن روح الله والمسيح، الذي يقيم فيه ويهديه. وتلكما الإقامة والسكنى هما إفراديتان وجماعيّتان؛ أي يقيم في كل مسيحي أهل لذلك، كما يقيم في المسيحيين أجمعين، فهم دون العالمين شعب المسيح ومسكن روحه.

قبل السيد المسيح، كان العالم يجهل وجود « الروح القدس الفارقليط » **ذاتاً**؛ والمسيح الابن عرّف به، وكشف ذاته وصفته وعمله لتلاميذه. وصرّح لهم أنه بعد رفعه إلى السماء، يبدأ **عهد الروح القدس.**

« **فالعهد الجديد** » بالإنجيل هو عهد المسيح الابن، كما هو عهد الله الآب، وعهد الروح القدس، الفارقليط.

وترجمة « **الفارقليط** » **بالمعين** هي على رأينا أصح من « المعزي » أو « المحامي ».

فكل مسيحي يسكن فيه « الروح القدس الفارقليط » هو بالحقيقة **عبد « المعين »** ، كما هو عبد الله، وعبد المسيح - على عبودية هي البنوة الإلهية التي رفعنا إليها السيد المسيح.

وتنزيل المسيح « للروح القدس، الفارقليط » على تلاميذه، « ليقيم معهم على الدوام »، « فيقيم معهم، ويكون فيهم » هو **الإعجاز الأكبر** في رسالة السيد المسيح، الذي لم يحلم بمثله نبي، ولا رسول.

النص الثاني : « وأمّا الفارقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو الذي يعلّمكم كل شيء، ويذكركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ٢٦).

فقوله « **سيرسله الآب باسمي** » إشارة صريحة إلى مصدره الثنائي والأحد معاً : فالآب يرسله، لكن « باسم » المسيح الابن.

وقوله « **باسمي** » يدل على أن بعثة « الروح الفارقليط » هي **بعثة مسيحية** بكل معنى الكلمة.

ومهمّة هذه البعثة مع صحابة المسيح وتلاميذه « إلى الأبد » هي **ثنائية :** إنه « **يعلّمكم كل شيء** » ، فلن يمرّ على المسيحية عبر الدهور شيء تجهله؛ وكلما احتاجه المسيحيون، وجدوه فيهم معلّماً. وفي ذلك **عصمة الكنيسة** بفعل الروح القدس المقيم فيها على الدوام « فارقليط آخر » .

وإنه أيضاً « **يذكركم بجميع ما قلت لكم** » ، فهو الذي يُحافظ في المسيحية على **وديعة الإنجيل**، وعلى **صحة تدوينه** بوحي « الروح القدس الفارقليط » .

فهذه شهادة قائمة على **وحي الإنجيل، وعصمة الإنجيليين** في تدوينه على أربعة أحرف، كما سلموه إلينا. ولا نفهم جهل بني قومنا عندما يتجرؤون على نكران الوحي الإنجيلي[١] .

ولا مجال أيضاً لشبهة في أميّة الصحابة الذين قد يعجزون عن فهم تعليم

---

(١) قابل القاضي منصور حسين عبد العزيز في كتابه « دعوة الحق، أو الحقيقة بين الإسلام والمسيحية » ، الطبعة الثانية : الفصل الرابع، المبحث السادس ص ٣٢٤ الخ ...

المسيح على حقيقته؛ كما لا مجال لشبهة في ضياع تعليم المسيح، أو **إنجيل المسيح الحقيقي**، كما يتوهم بعض بني قومنا.

كذلك لا مجال لسوء فهم إنجيل المسيح، سواء من الصحابة الذين تسلّموه ودوّنوه؛ أو من قِبل الكنيسة الأمينة عليه مدى الدهر، مهما تعدّدت البِدَع فيها، وكل بدعة تؤيد زعمها بآيات منه. فسهل على الملحد ضرب الإنجيل بعضه ببعض؛ كما أنه أسهل على المؤمن وأقوم تفسير الإنجيل بعضه ببعض، حيث القرائن اللفظية والمعنوية لا تُحصى.

إن المسيحية معها على الدوام « الروح القدس » ، « فارقليط آخر » ، « يعلمكم كل شيء، ويذكركم بجميع ما قلت لكم » ، سواء **بالإنجيل المكتوب** على أربعة أحرف، أو **بالإنجيل الشفوي** المنقول بالإجماع والتواتر، في ما يُسمى « التراث الإنجيلي » أو « التقليد الكنسي » .

٢ ـ الوعد « بالروح القدس الفارقليط » قبل الرفع إلى السماء

إن النصوص الثلاثة الآتية هي من بعد صلب المسيح وبعثه، ومن قبل رفعه إلى السماء، على رأينا، كما قدمنا.

النص الثالث : « ومتى جاء الفارقليط، الذي أرسله إليكم من لدن الآب، روح الحق الذي من الآب ينبثق، فهو يشهد لي، وأنتم أيضاً تشهدون بما أنكم معي منذ البدء » (١٥ : ٢٦).

في هذا النص الكريم حقيقتان :

الأولى فيها التصريح الوافي عن مصدر « الفارقليط » . إنه « من الآب ينبثق » ، ولا مجال لاجتهاد في معرض النص. لذلك لا خلاف بين المسيحيين عليه، بسبب صراحة التأكيد. وفي الآية **ثلاثة تعابير** تدل على أن الابن أيضاً هو مصدر واحد مع الآب، للروح القدس. قبل الاستشهاد كان يسوع يقول بأن الآب « **يعطيه** » (١٤ : ١٦)، « يرسله » (١٤ : ٢٦). أمّا بعد الاستشهاد والقيامة المجيدة، فيسوع يقول : « **أرسله إليكم** » (١٥ : ٢٦). وفي علم الكلام الإنجيلي والمسيحي، فالرسالة من ذات الله كناية عن المصدر الإلهي : فالابن هو أيضاً مصدر الروح القدس لأنه

هو نفسه « يرسله من لدن الآب » . والتعبير « **أرسله** » دليل على سلطان مصدري مباشر.

ثم يأتي التعبير الثاني المتواتر بحرف واحد أن الروح القدس هو « **روح الحق** » (١٤ : ١٧؛ ١٥ : ٢٦؛ ١٦ : ١٣)؛ **و** « **الحق** » **هو الابن** (١٤ : ٦) ففي هذه الإضافة المتواترة **نسبة مصدرية مباشرة.**

ثم التعبير الثالث : « **يشهد لي** » ، فهو كناية أخرى على أنه « **يصدر مني** » . فتلك التعابير الثلاثة، مثل القرائن الأخرى، تدل دلالة واضحة على أن الروح القدس **ينبثق من الابن، كما ينبثق من الآب،** في وحدة مصدرية، لأن « جميع ما للآب هو لي » (١٦ : ١٥)، ولأنه « يأخذ ممّا لي » (١٦ : ١٤).

الحقيقة الثانية هي **الشهادة للمسيح.** وهي أيضاً ثنائية. إن **الشاهد الأعظم** للمسيح هو « الروح القدس، الفارقليط » : « فهو يشهد لي » . وفي قوة التعبير حصر وقصر: إنه « يشهد لي » ، لا لغيري.

وإن الشاهد الآخر للمسيح هم صحابته : « وأنتم أيضاً تشهدون » (١٥ : ٢٧). وقوله « بما أنكم معي منذ البدء » برهان على أنهم **شهود العيان** لرسالة المسيح وسيرته وشخصيته.

وشهادة صحابة المسيح له **قيّمة معصومة،** تستمد قيمتها الكبرى وعصمتها العظمى، من شهادة الروح القدس للمسيح، معهم وبهم وفيهم.

النص الرابع : « فإن لم أنطلق، لا يأتكم الفارقليط، وأمّا إذا انطلقت، فإني أرسله إليكم. ومتى جاء فإنه يفحم العالم، بشأن الخطيئة والبِرّ والدينونة : فبشأن الخطيئة لأنهم لم يؤمنوا بي؛ وبشأن البِرّ لأني منطلق إلى الآب، ولا تروني من بعد؛ وبشأن الدينونة، لأن رئيس هذا العالم قد دين » (١٦ : ٧ - ١١).

هذا النص يصف بعثة « الفارقليط » ، ومصدرها، وأوانها، وضرورتها، ومفاعليها.

هنا يظهر أن السيد المسيح **هو مرسل الفارقليط :** « فإني أرسله إليكم » ،

ولا ذكر لصلته بالله الآب، فالمسيح الابن هو مصدر الروح الفارقليط. وأسلوب التعبير المنفرد هنا يجعل الابن متعادلاً مع الآب في مصدر « الروح » .

وإن بعثة الروح « المعين » مرتبطة بنهاية بعثة الابن : « فإن لم أنطلق، لا يأتكم الفارقليط؛ وأما إذا انطلقت فإني أرسله إليكم » .

وضرورتها ظاهرة من الوعد بها، ومن مفاعيلها : « فإنه يفحم العالم » .

وعظمتها قائمة في ديمومتها : بعثة الروح الفارقليط لتلاميذ المسيح، هي دائمة « إلى الأبد » ؛ كما هي ظاهرة من مفاعيلها.

إن مهمة بعثة الروح الفارقليط **ثلاثية :**

« فإنه يفحم العالم بشأن الخطيئة، **لأنهم لم يؤمنوا بي** » . إن « العالم » المقصود أولاً هم « اليهود » الذين لم يؤمنوا بيسوع المسيح، ويُظهر لهم « خطيئتهم » الكبرى، الكفرية؛ كما سيفعل على الدوام مع العالم الأكبر، الذين يرفضون نور المسيح سيكون الكفر بيسوع المسيح محنة اليهود الدائمة؛ وسيظل السيد المسيح شغلهم الشاغل، فلا يزالون يتعذّبون منه، ويعذبون تلاميذه بشتى أفاعيلهم.

« وإنه يفحم العالم بشأن البرّ، لأني منطلق إلى الآب، ولا تروني من بعد » . سيظهر الروح المعين للعالم الأصغر، اليهود، والعالم الأكبر « برّ » المسيحيين، في إيمانهم بالسيد المسيح، وان لم يروه من بعد. إن إيمان المسيحيين هو « برّ الله » فيهم.

« وإنه يفحم العالم بشأن الدينونة، لأن رئيس هذا العالم قد دين » ؛ وارتفع سلطانه عن البشر، كما كان يمارسه، قبل نزول المسيح الابن إلى الأرض. فحيث تسود المسيحية يختفي سلطان إبليس الظاهر.

فهناك **أمران عظيمان** يشهدان لرسالة المسيح وشخصيته الإلهية : إزالة سلطان إبليس عن البشر، مهما ظل له من تأثير؛ وتنزيل الروح القدس الفارقليط على المسيحيين، وفي العالمين. وهذا العمل الثنائي الإلهي ليس في طاقة المخلوق، فهو شاهد أيضاً على إلهية السيد المسيح، وإلهية إنجيله.

النص الخامس : « وعندي أشياء كثيرة أقولها لكم، غير أنكم لا

تطيقون حملها. ولكن متى جاء روح الحق ذاته، فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها. وهو لا ينطق من عند نفسه، بل ينطق بما سمع؛ ويخبركم بما يأتي. إنه سيمجّدني لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم : جميع ما للآب هو لي، من أجل هذا قلت لكم: إنه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٢ - ١٥).

هذا النص الكريم يستجمع حقائق عديدة :

الحقيقة الأولى إن السيد المسيح سكت عن أشياء، وترك كشفها للتلاميذ بواسطة الروح « المعين » ، المقيم معهم وفيهم. وفيه برهان قاطع على صحة تعليم الكنيسة، كلّما تكشّف لها في الإنجيل حقيقة قديمة جديدة. قد تنام بعض الحقائق الإنجيلية والمسيحية أجيالاً، ثم تبرز واضحة للضمير المسيحي، فتحدّدها السلطة المسيحية، المعصومة ببعثة الروح الفارقليط فيها. فالنص شاهد على العصمة الموعودة.

الحقيقة الثانية : « فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها » . فلا خوف على المسيحية، بعد المسيح. إن معها « فارقليط آخر » يرشدها إلى الحقيقة كلها؛ فلن تخفى عليها حقيقة مسيحية ظاهرة أو كامنة.

وأقرب من ذلك، ففي النص دليل جلي على صحة فهم الإنجيل بحسب يوحنا **لأبعاد شخصية السيد المسيح ورسالته ودعوته**، بكشف الروح القدس « للحقيقة كلها، حقيقة المسيح والإنجيل. فإن انفرد الإنجيل بحسب يوحنا، عن الأناجيل المؤتلفة، في إعلان تلك الأبعاد، فليس ذلك بشبهة عليه، كما يتوهم بعضهم؛ إنما ذلك من عمل الروح القدس الموعود، الذي يقود الوحي الإنجيلي « إلى الحقيقة كلها » .

الحقيقة الثالثة إن الروح الفارقليط لن يأتي بتعليم جديد. **فقد خُتم الوحي الإلهي بالإنجيل.** إن الفارقليط « **يأخذ ممّا لي ويخبركم** » . فما يكشفه الروح القدس لتلاميذ المسيح، ليس من عنده، بل من كنز المسيح في الإنجيل : فهو يوضح تعليم المسيح، **ولا يأتي بتعليم جديد.** وهذا الإيضاح « للحقيقة كلها » يتجاوز الصحابة إلى الكنيسة مدى الدهر.

الحقيقة الرابعة : « إنه سيمجّدني » (١٦ : ١٤). ستقتصر بعثة الروح القدس الفارقليط على تمجيد المسيح الابن، كما اقتصرت بعثة المسيح الابن على تمجيد الله الآب (١٧ : ٤).

وكل « فارقليط » مزعوم لا « يمجّد » المسيح، فهو « فارقليط » كاذب.

الحقيقة الخامسة في مصدر « الروح القدس الفارقليط » : « جميع ما للآب هو لي : من أجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ ممّا لي » في كيانه ووحيه (١٦ : ١٥) فإذا كان « **جميع ما للآب هو لي** » ، فإن القدرة الإلهية لانبثاق الروح القدس في ذات الله **هي متعادلة بين الآب والابن :** فهو يصدر من الابن كما يصدر من الآب، بالقدرة الإلهية الواحدة عينها. يشهد بذلك أيضاً قوله : « **إنه يأخذ ممّا لي** » في كيانه وفعله ووحيه.

الحقيقة السادسة : إن الروح القدس الفارقليط هو في الكنيسة المسيحية **معلّمها** « يرشدها إلى الحقيقة كلها » بما « يأخذ ممّا لي ويخبركم » . فلن تضل كنيسة المسيح أبد الدهر، مهما قام حولها أو فيها من بِدَع؛ ولن تُجمع أمة المسيح على ضلال. إن الحقيقة المسيحية كلها ضامنها الروح القدس الفارقليط.

الحقيقة السابعة أن الروح القدس الفارقليط هو أيضاً مصدر « **النبوة** » **الخالدة** في المسيحية، « يرشدها إلى الحقيقة كلها » ، « **ويخبركم بما يأتي** » .

إن السيد المسيح هو **خاتمة النبوة والكتاب.** لكن الروح القدس الفارقليط يديم هذه النبوة والكتاب في المسيحية أبد الدهر.

فروح الله الآب والمسيح الابن هو أيضاً روح الكنيسة والمسيحيين : إنه « فارقليط آخر » ، « يقيم معكم، ويكون فيكم » ، « ويقيم معكم إلى الأبد » (١٤ : ١٥ - ١٧). فليس من « فارقليط آخر » خارج المسيحية.

٣ - استطراد : هل يمكن تطبيق صفة « الفارقليط » على مخلوق

من الناس مَن يرى أن **صفة « الفارقليط »** في الإنجيل تنطبق على مخلوق؛ فهي نبؤة برسول يأتي بعد السيد المسيح.

هـذا الـزعم تحريـف مكشـوف للإنجيل؛ بـل إنمـا هـو **كفـر محـض**، لأن شـخصية « الفـارقليط » فـي الإنجيل **ذات إلهيـة**، فـلا يمكـن بحـال مـن الأحـوال تطبيقهـا علـى مخلـوق علـى الإطلاق.

١ - مصدر « الفارقليط » هو ذات الله

إنه « روح الحق الذي **ينبثق من الآب** » (١٥ : ٢٦). فالنص صريح قاطع مـانع؛ ولا مجـال للاجتهـاد فـي معـرض الـنص. إن مصـدر « الفـارقليط » **هو ذات الله الآب**. ولا يمكـن أن ينبثـق مخلـوق علـى الإطـلاق مـن ذات الله؛ وكـل مخلـوق هـو بـأمر الله الخـلاق. لـذلك فنسـبة « الفارقليط » إلى مخلوق أو رسول هو كفر محض؛ وهو الشرك عينه.

٢ - بعثة « الفارقليط » إلى صحابة المسيح، لا إلى غيرهم

إن النصـوص الخمسـة التـي تحمـل الوعـد الأعظـم « بالفـارقليط » كلهـا تـنص نصـاً قاطعـاً مانعـاً بـأن بعثـة « الفـارقليط » **هي لصحابة السيد المسيح**. إن يسـوع يخـاطب صـحابته ويقـول لهـم :

١) « وأنا أسأل الآب **فيعطيكم** فارقليط آخر، ليقيم معكم إلى الأبد ... **يقيم معكم**، ويكون فيكم » (١٤ : ١٦ : ١٧).

إن الوعد بالفارقليط هو لصحابة المسيح : « يعطيكم ... ليقيم معكم » ؛ لا لغيرهم.

إنه « يقيم معكم **إلى الأبد** » ، وهذا عمل الله، لا عمل مخلوق أو رسول.

إنه « **يكون فيكم** » ، وهـذا عمـل روح الله، لا عمـل مخلـوق أو رسـول الـذي لا يمكـن أن يسكن في مخلوق آخر.

٢) « وأما الفارقليط، الروح القدس ... ويذكركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ٢٦).

إن « الفارقليط » هو « **الروح القدس** » كناية عن التجريد والتنزيه عن المخلـوق. فمن الكفر المحض نسبته إلى مخلوق أو رسول.

وهو « يذكركم بجميع ما قلت لكم » ، لا بتعليم آخر ينقض تعليم المسيح.

إن « الفارقليط **سيرسله الآب باسمي** » ، فهو يأتي باسم المسيح لا باسم غيره. وبعثته تكون إلى صحابة المسيح، لا إلى غيرهم بعد مئات السنين.

٣) « ومتى جاء الفارقليط، الذي أرسله إليكم من لدن الآب، روح الحق الذي ينبثق من الآب، فهو يشهد لي » (١٥ : ٢٦).

يقول : « **أرسله إليكم** » أي **إلى صحابة المسيح، لا على غيرهم**، وبعد أجيال!

ويقول : « أرسله إليكم من لدن الآب » : **فهو ينزل من السماء**، لا يُخلق على الأرض، مهما كان وحيه أو كلمه جبريل!

والقول الجامع المانع، والقول الفصل القاطع هو : « **الذي من الآب ينبثق** » أي يصدر من ذات الله. ومن الكفر المحض تطبيق هذه الصفة الذاتية على مخلوق أو رسول!

إنه « يشهد لي » أي للمسيح، لا عليه!

٤) « فإن لم أنطلق **لا يأتكم الفارقليط**؛ وأما إذا انطلقت **فإني أرسله إليكم** » (١٦ : ٧).

إن بعثة « الفارقليط » مخصصة بصحابة المسيح أنفسهم، لا بغيرهم. فالقول ببعثة الفارقليط - مهما كان اسمه البشري - إلى غير صحابة المسيح، هو تحريف للإنجيل، مكشوف، مفضوح.

٥) « ولكن متى جاء (الفارقليط)، روح الحق، فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها ... وهو يخبركم بما يأتي. إنه سيمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم » (١٦ : ١٣ - ١٥).

إن بعثة « الفارقليط » محدّدة، محصورة ومقصورة على صحابة المسيح؛ لا إلى غيرهم، وبعد أجيال!

« إنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها » ، وهذا عمل إلهي لا يقوى عليه مخلوق أو رسول، مهما نزل عليه من اللوح المحفوظ!

« وهو يخبركم بما يأتي » فيديم روح نبوّة المسيح في صحابته وأتباعهم أبد الدهر. وهذا عمل لا يمكن أن يقوم به مخلوق أو رسول!

إن « الفارقليط » « **سيمجدني** » ، لا يسلب « مجد » المسيح، أي إلهيته، بحسب صحة الاصطلاح في الكتاب والإنجيل.

فالنصوص الخمسة في الوعد الأعظم ببعثة « الفارقليط » تحصرها بصحابة المسيح أنفسهم، وتقتصرها عليهم؛ ولا تقصد غير تلاميذ المسيح على الإطلاق.

وقد تم الوعد الأعظم ببعثة « الفارقليط » على صحابة المسيح. فليس من رسول يأتي بعد المسيح يكون « فارقليط آخر » سواه.

ولا يمكن تطبيق صفة « الفارقليط » على مخلوق، بلْه على رسول بشر، على الإطلاق.

ثالثاً : التحقيقات بتنزيل « الروح القدس، الفارقليط »

صفة التكميل ظاهرة على الإنجيل بحسب يوحنا : فما نقله غيره قبله يكتفي به، ما لم يكن للحدث أبعاد لم يشيروا إليها.

والكتاب الثالث (ف ١٨ ـ ٢١) من الإنجيل بحسب يوحنا، فيه تحقيق نبوات السيد المسيح في استشهاده، ثم في قيامته. منها تحقيق الوعد بمنحهم الروح القدس الفارقليط.

وتمّ هذا التحقيق على فترتين، وعلى نوعين : بعد البعث وقبل الرفع كان تحقيق الوعد بطريقة روحية؛ وبعد الرفع إلى السماء، بطريقة حسية.

١ ـ تحقيق الوعد « بالفارقليط » بطريقة روحية

في عشية أحد القيامة، « فيما أبواب المنزل الذي كان التلاميذ فيه موصدة ـ خوفاً من اليهود ـ أتى يسوع ووقف في الوسط، وقال لهم : السلام عليكم. قال هذا وأراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ، إذ أبصروا الرب. وقال لهم مرة ثانية : السلام عليكم. كما أن الآب أرسلني كذلك أنا أُرسلكم. ولمّا قال هذا نفخ فيهم وقال لهم : **خذوا الروح القدس؛**

فمن غفرتم خطاياهم غُفِرت لهم، ومَن أمسكتم خطاياهم أُمسكت)) (٢٠ : ١٩ - ٢٣).

في هذا النص حقائق عديدة نستوضحها فيما يلي :

الحقيقة الأولى في طريقة ظهور المسيح لهم بعد موته ودفنه : لقد دخل العلية الصهيونية حيث كان الصحابة مجمعين ((**والأبواب موصدة، خوفاً من اليهود**)) . وهذا العبور إليهم من خلال جدران البيت برهان حسي على أن السيد المسيح، بقيامته، تخلّص من قيود المادة، **وصار ببشريته إلى حال الروح الإلهي** الذي لا سبيل لقيود المادة والزمان والمكان عليه. فتهيأت بذلك أفكارهم وجوارحهم لما سيحدث. لقد انتقل السيد المسيح بقيامته من عالم المخلوق إلى عالم الله؛ وصارت قدرته الإلهية في بشريته المجيدة، مطلقة.

الحقيقة الثانية في منحهم ((سلامه)) . كان ((السلام عليكم)) مرتين، بحسب العُرْف الشرقي : السلام الأول في بدء الظهور لهم، والثاني في ختامه. فالعادة ((مسيحية)) قبل أن يحتكرها غيرهم.

وقوله حينئذٍ ((**السلام عليكم**)) هو سلام المسيح المقتدر على الموت والفناء، سلام المسيح، الحي القيوم، الذي يفعل فعله بذاته. إذا كان سلامه عليهم قبل الاستشهاد لم يرفع الاضطراب والهلع في نفوسهم (١٤ : ٢٧)؛ فبعد القيامة المجيدة ((سلامه)) فعّال بذاته. لقد حصل تلاميذه على السلام الداخلي - وهو الأصل - حتى في الاستشهاد مثل المعلم المحبوب. وسلام المسيح سيكون على الدوام في كنيسته، مهما هبت عليها الزوابع والأعاصير.

الحقيقة الثالثة هي تحقيق وعده قبل استشهاده : ((أنا ذاهب ثم أرجع إليكم)) (١٤ : ٢٨). فرجع إليهم حيّاً بعد صلبه وموته؛ ((**وأراهم يديه وجنبه**)) (٢٠ : ٢٠) ليتحقّقوا أنه عينه، لا يخال آخر يشبهه. ((ففرح التلاميذ إذ أبصروا الرب)) (٢٠ : ٢٠). أما في وداعه الثاني لهم، بعد قيامته وقبل رفعه، فكان قوله : ((إني منطلق إلى الآب، ولن تروني من بعد)) (١٦ : ١٠)، بناء عليه، كان تقسيمنا للوعد ((بالفارقليط)) على

فترتين، كما فصّلناه سابقاً. فقيامة المسيح من الموت والقبر حقيقة تاريخية لا شبهة عليها : فقد شاهد تلاميذه أثر المسامير في يديه، ومكان الحربة في جنبه.

الحقيقة الرابعة : « كما أن الآب أرسلني، كذلك أنا أُرسلكم » (٢٠ : ٢١). فرسالة الصحابة والكنيسة هي **امتداد لرسالة المسيح عينها.** إن المسيحيين هم رسل المسيح أبد الدهر، وويل لتلميذ المسيح الذي يخون الرسالة والأمانة. ومجد رسالة المسيحي، خصوصاً المسؤول، **هو مجد إلهي،** لأن رسالته امتداد لرسالة المسيح عينها؛ ومجد إلهي آخر أنه يقوم بها **بعون الروح القدس،** فليس وحده في عمل الله.

الحقيقة الخامسة هي بيت القصيد في بحثنا هذا: « ولما قال هذا نفخ فيهم؛ وقال لهم : خذوا الروح القدس » (٢٠ : ٢٢).

إن هبة الروح القدس الفارقليط لصحابة المسيح وكنيسته كان ثمنها استشهاد المسيح، وصلبه وموته ودفنه وقيامته. ومن الثمن نقدّر قيمة الهبة الإلهية.

وقوله « **نفخ فيهم** » هو إشارة حسية لمنحهم الروح القدس الفارقليط الذي وعدهم به قبل استشهاده، كما يوضحه قوله : « **خذوا الروح القدس** » فالمسيح الابن « **نفخ** » **الروح القدس من ذاته** في الزمن، كما « نفخه » من ذاته في الأزل.

وهذا فصل الخطاب في انبثاق الروح القدس الفارقليط **من الابن، كانبثاقه من الآب،** في وحدة الكيان الإلهي.

وقوله « **خذوا الروح القدس** » هو تحقيق وعده « بالروح القدس الفارقليط ». إن « كلمة الله » المتأنس، الحي القيوم في قيامته، **يعطي** صحابته وكنيسته « الروح القدس الفارقليط » من ذاته، كما تشير النفخة الرمزية الذاتية الصادرة منه.

ونفخ « الروح القدس، الفارقليط » ، من ذاته، في صحابته هو البرهان الأكبر على إلهية المسيح الابن، وبنوته الذاتية من ذاته الله الآب : فروح الله الذاتي لا يصدر إلاّ من ذات الله.

هكذا، **لقد تحقق وعد السيد المسيح** بمنح صحابته ((الروح القدس الفارقليط)) ، الرسول الذي يأتي من بعده **أكبر من مخلوق.** والوهم بتحقيق نبوءة المسيح ((بالفارقليط)) في ((رسول بشر)) يأتي بعد مئات السنين، وعلى غير صحابة المسيح، هو كفر بالواقع التاريخي والديني. فكم لأوهام الناس من متناقضات مع الحقيقة والواقع!

الحقيقة السادسة في منح صحابته وكنيسته **سلطان الغفران**، بفعل الروح القدس الفارقليط، الممنوح لهم : ((فمن غفرتم خطاياهم غُفرت لهم؛ ومن أمسكتم عليهم خطاياهم أُمسكت)) (٢٠ : ٢٣).

إن الغفران من الإثم سلطان إلهي محض؛ ((**لا يغفر الخطايا إلاّ الله**)) . وقد نزل به السيد المسيح، ومارسه في رسالته، برهاناً على إلهيته. وها هو يمنحه لصحابته وكنيسته، برهاناً على تأسيسها الإلهي.

فكنيسة المسيح وحدها في العالمين تملك سلطان الله والمسيح، لغفران الخطايا. **وهو ميزتها الإلهية على العالمين.**

ورجال الكنيسة المسيحية لا يغفرون الخطايا، بسلطانهم الذاتي، من أنفسهم - هذا كفر بحق الله تعالى! إنما يغفرون الخطايا بسلطان المسيح فيهم، وبفعل ((الروح القدس، الفارقليط)) فيهم : لقد نالوا سلطان الغفران، مع هبة الروح القدس الفارقليط)) لهم؛ ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس؛ فمن غفرتم خطاياهم غُفرت لهم)) (٢١ : ٢٢ - ٢٣). وهذه أيضاً ميزتهم على العالمين.

الحقيقة السابعة أن بعثة ((الروح القدس الفارقليط)) إلى صحابة المسيح وكنيسته هي تحقيق أيضاً لوعده ((بفارقليط آخر ليقيم معكم إلى الأبد ... يقيم معكم، ويكون فيكم)) (١٤ : ١٦ - ١٧).

كانت بعثة المسيح الابن **الحسية** محدودة في زمن. أما بعثة ((الفارقليط)) **الروحية** فهي قائمة دائماً في المسيحية ((على الدوام، وإلى الأبد)) .

فالمسيح الابن، بعد استشهاده وموته وقيامته المجيدة، **وقبل رفعه إلى السماء**، حقّق وعده بتنزيل ((الروح القدس الفارقليط)) على صحابته. فكان ذلك **بطريقة روحية أولاً؛ ثم بطريقة حسية**، بعد رفعه إلى السماء.

٢ - تحقيق الوعد « بالفارقليط » بطريقة حسية

إن تحقيق وعد المسيح « بالفارقليط » ، بطريقة حسية، لم يذكره الإنجيل بحسب يوحنا، لأنه اكتفى بما نقله سفر « أعمال الرسل » من قبله.

يقول : « ولمّا حلّ يوم الخمسين، كانوا كلهم معاً في مكان واحد. فحدث بغتة صوت من السماء كصوت ريح شديدة تعصف، وملأ كل البيت الذي كانوا جالسين فيه. وظهرت لهم ألسنة منقسمة، كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، **فامتلأوا كلهم من الروح القدس.** وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى، كما آتاهم الروح أن ينطقوا » (٢ : ١ - ٤).

هكذا تمّ تنزيل « الروح القدس، الفارقليط » بطريقة حسية على صحابة المسيح وتلاميذه، وذلك في « **اليوم الخمسين** » بعد الفصح وقيامة المسيح. ويسمى يوم العنصرة.

فتحقق بذلك وعد السيد المسيح، **برسول يأتي من بعده** اسمه « الروح القدس، الفارقليط » . كما تحققت كل النبوءات القديمة بتنزيل روح الله. « في الأيام الأخيرة » ، أيام السيد المسيح وانتشار دعوته؛ خصوصاً نبوءة يوئيل النبي (٢ : ٢٨ - ٣٢) التي ذكرها بطرس، زعيم الصحابة، للجمهور الذي تجمهر حولهم (أع ٢ : ١٧)، بسبب الأحداث الكونية الطارئة.

كان نزول « الفارقليط » حينئذٍ **بطريقة حسية أظهرتها ثلاثة أحداث كونيّة،** هي دلائل على المعجزة الإلهية الفريدة :

الحدث الكوني الأول : « فحدث بغتةً صوت من السماء كصوت ريح شديدة تعصف » (أع ٢ : ٢). وهذه الريح المعجزة دليل على حضور « الروح » المعجز. والحدث الكوني ينتهي إلى مكان الصحابة والتلاميذ، دليلاً حسّياً على نزول « الروح القدس الفارقليط » عليهم.

الحدث الكوني الثاني : « وظهرت لهم ألسنة منقسمة، كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم » (أع ٢ : ٣). إن تلك **الألسنة النارية**

هي رمز مجسّم لحضور «الروح القدس الفارقليط» وفعله الإلهي في الذين يحلّ عليهم : إنه يفعل فعل نار إلهية في التطهير والتقديس والوحي.

« **فامتلأوا كلهم من الروح القدس** » (أع ٢ : ٤). لقد نزل « الفارقليط » على صحابة المسيح وتلاميذه. فمعجزة « الفارقليط » مختصة بهم، لا بغيرهم. ونسبته إلى غيرهم افتراء على الحقيقة والتاريخ.

« **فامتلأوا كلهم من الروح القدس** » (أع ٢ : ٤). بذلك ستتحقق في صحابة المسيح وتلاميذه كل المفاعيل المعجزة التي تذكرها النصوص الخمسة حاملة الوعد به.

الحدث الكوني الثالث : « وطفقوا يتكلمون **بلغات أخرى** كما آتاهم الروح أن ينطقوا » (أع ٢ : ٤).

وتحقق من **معجزة اللغات** جماهير من يهود المهاجر، ومن « المتّقين » الأمميين الذين اعتنقوا اليهودية، « من كل أمة تحت السماء » (أع ٢ : ٥)؛ وقد أتوا إلى أورشليم في موسم الحج، في يوم العنصرة، أحد أعيادهم الكبرى ومواسم الحج. وكلهم شهدوا : « إننا نسمعهم ينطقون بألسنتنا، بعظائم الله » (أع ٢ : ١١).

ومعجزة اللغات هذه هي **برهن معجز حسي،** ملموس، على أن « الروح القدس الفارقليط » قد نزل وحلّ على صحابة المسيح وتلاميذه.

فتحقّقت في صحابة المسيح وتلاميذه **نبؤته** « برسول يأتي من بعدي، اسمه الفارقليط » . وذلك « في **اليوم الخمسين** » من الفصح وقيامة السيد المسيح من الموت والقبر، بعد استشهاده.

فعلى العالم كله ألاّ ينتظر « فارقليط آخر » بعد المسيح بمئات السنين، يأتي إلى غير صحابة المسيح وتلاميذه.

لقد تحقق وعد السيد المسيح ونبؤته « بفارقليط آخر » يأتي بعده؛ وذلك **بطريقة حسية،** في أحداث كونية معجزة، بعد رفع المسيح إلى السماء بعشرة أيام؛ **وبطريقة روحية** في يوم قيامته بالذات.

هذا هو « سر الروح » في الإنجيل.

ومن إعجاز الإنجيل أنه كشفه للعالمين.

بحث تاسع وعشرون

سر « الثالوث » الأقدس

الله و « الكلمة » و « الروح » - في التوحيد الخالص.

ما صلة « الكلمة » الذاتي بذات الله ؟

ما صلة « الروح » الذاتي بذات الله ؟

سرّ حيّر الأنبياء قبل الحكماء. في الكتاب، قبل الإنجيل، في ومضات خاطفة من الوحي، شعر الأنبياء أن « **سر الله** » في ذاته، المحجوب عن المخلوق، هو سرّ حياة إلهية، ذاتية، تسمو عن الإدراك في نطقه الذاتي الخلاق، وفي روحه الذاتي، المحيي. فكانوا يسمون الله الواحد الأحد « **ألوهيم** » ، بلفظ الجمع، على التفخيم، تجاه « **يهوه** » إله التوحيد المطلق.

وكان محفوظاً للإنجيل، قمة الوحي والتنزيل، أن يكشف عن « سر الله » في ذاته: « إن الله لم يره أحد قط؛ الإله، الابن الوليد الوحيد، الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه » (١ : ١٨).

وهو وحده، بين المخلوقين، والرسل أجمعين، في استطاعته أن يكشف « سر الله » في ذاته، لأن « **سر الله هو المسيح** » كما يقول بولس (كول ٢ : ٢) والقول المأثور يصح في الخالق أكثر من المخلوق : **الابن سرّ أبيه.**

نزل المسيح، ونزل الإنجيل معه، في بيئة التوحيد الكتابي الخالص. فكل كشف فيه عن « سر الله » يبقى في حدود التوحيد المطلق. فإذا ما كشف لنا **سر « الكلمة » الذاتي في الله، وسر « الروح » المطلق في الله**، أتانا بالقول الفصل في الوحي والتنزيل.

إن السيد المسيح هو **ختم النبوة الأعظم، وختم الولاية الأعظم**، فمهما شهد لنا عن « سر الله » في ذاته، فشهادته هي الحق والحقيقة. وهي **شهادة شاهد العيان وحده لذات الله** (٣ : ١١). فمنذ مطلع دعوته يعلن

لعلاّمة إسرائيل التوحيدي : « الحق الحق أقول لك : إننا ننطق بما نعلم، **ونشهد بما شاهدنا! ...** فإنه لم يصعد أحد إلى السماء (ليشاهد) إلاّ الذي نزل من السماء، ابن البشر الكائن في السماء » (٣ : ١١ و١٣).

وقد شهد المسيح الابن بما شاهد في « حضن الآب » (١ : ١٨) : أن « الله أحد الحق » (١٧ : ٣) **هو في ذاته « الآب »** ، **و « الكلمة »** ، **و « الروح »** ؛ في صلات ذاتية، كيانية، حياتية، سمّوها في علم الكلام المسيحي « **أقانيم** » فسما وحيه الإنجيلي على إدراك أهل التوحيد التوراتي؛ فكفّروه، وطالبوا بإعدامه. **فاستشهد في سبيل شهادته**، وشهادة الدم الزكي لا تُردّ! والوالي الروماني الذي كان وحده في فلسطين حينئذٍ يملك حق الإعدام، حقّق معه، فأعلن له يسوع : « لقد ولدت وأتيت إلى العالم لأجل هذا، **حتى أشهد للحقيقة.** فمن كان من أهل الحقيقة يسمع ندائي » (١٨ : ٣٧). ولما حاول بنتيوس بيلاطس، الوالي الروماني، أن ينقذ يسوع الذي ثبتت له براءته، من جور بني قومه، كشفوا له حينئذٍ عن سبب إعدامه : « إن لنا شريعة، وبحسب شريعتنا هو يستوجب الموت، **لأنه جعل نفسه ابن الله** » (١٩ : ٧).

فاستشهد السيد المسيح « لأنه جعل نفسه ابن الله » . وأيّد شهادته باستشهاده؛ وأيّد الله تعالى شهادته واستشهاده ببعثه ورفعه حيّاً إلى السماء.

فالمسيح، « ابن الله » يكشف لنا « سر الله » أبيه، بالكشف عن ذاته وعن « الروح » .

أولاً : الله هو « الآب » على الإطلاق

الكشف الأسمى الأول عن « سر الله » أن الله تعالى في ذاته الصمدانية **هو « الآب » على الإطلاق،** في كامل التجريد والتنزيه.

ففي صلاته الأخيرة، يستفتح : « يا أبتاه ... أنا قد مجّدتك على الأرض، إذ أتممت العمل الذي أعطيتني لأعمله[١] ... **لقد أعلنت إسمك**

---

(١) ظاهر هذا القول أن صلاة المسيح الأخيرة كانت قبل الرفع إلى السماء، لا قبل الاستشهاد.

للناس، الذين أعطيتني من العالم ›› (١٧ : ٤ و٦). ويختمها بقوله : ‹‹ **لقد عرّفتهم اسمك**، وسأعرفهم أيضاً ... ›› (١٧ : ٢٦). و ‹‹ الاسم ›› في لغة الكتاب والإنجيل، كما قلنا مراراً، كناية عن الذات.

إن ‹‹ الاسم ›› الإلهي الذي أعلنه السيد المسيح، وعرّف به، أن الله أب في ذاته، أنه ‹‹ **الآب ›› على الإطلاق**، في كامل التنزيه والتجريد، في التوحيد. فلا مجال ‹‹ لتشبيه ›› أبداً؛ ‹‹ والله ليس كمثله شيء ›› . هذا ما يعنيه استعمال الاسم الكريم على الإطلاق : ‹‹ الآب ›› .

إن الله تعالى **هو ‹‹ الآب ››** ، لا على المجاز كما في النسبة إلى المخلوقين؛ بل على الحقيقة، لأن له في ذاته ‹‹ **الابن، الوليد الوحيد** ›› (١ : ١٤ و١٨؛ ٣ : ١٦ و١٨). وهذا سر استعمال الإنجيل بحسب يوحنا تعبير ‹‹ الابن ›› على الإطلاق، مثل ‹‹ الآب ›› على الإطلاق.

ولتقريب تلك الأبوة الإلهية، وتلك البنوة الإلهية، في ذات الحي القيوم، من أذهان البشر، كانت آخر صفحة من الوحي الإنجيلي فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا حيث يُسمى ‹‹ الابن ›› ، ‹‹ **الكلمة** ›› أي النطق الذاتي في ذات الله.

في ‹‹ الله أحد الحق ›› (١٧ : ٤)، إن ‹‹ الآب ›› هو مصدر ‹‹ الابن ›› ، ‹‹ الكلمة ›› الذاتي، بصدور روحي نطقي ذاتي، يسمو على المخلوق : ‹‹ كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك آتى الابن أن تكون له الحياة في ذاته ›› (٥ : ٢٦). إن الله واحد أحد، لا انقسام فيه، ولا تجزئة، لتكون أُبوته وبنوته على طريقة المخلوق؛ **بل ذاته الناطقة** (الآب) **تعطي ذاتها في نطقها الذاتي** (الابن ـ الكلمة)، وفي الذات الكيان والحياة.

‹‹ **فالآب** ›› هو الناطق الذاتي الحي، و ‹‹ **الابن** ›› هو النطق الذاتي الحي، في الحي القيوم الواحد الأحد.

هذا هو ‹‹ الآب ›› ، وهذا هو ‹‹ الابن ›› في ‹‹ سر الله ›› **في وحدة الكيان :** ‹‹ أنا والآب واحد ›› (١٠ : ٣٠)؛ **في وحدة الوجود :** ‹‹ أنا في الآب، والآب فيّ ›› (١٤ : ١٠ و١١؛ ١٧ : ٢١)، ‹‹ الآب فيّ، وأنا في الآب ›› (١٠ : ٣٨)؛ **في وحدة الحياة** (٦ : ٥٧؛ ٨ : ١٦ و٢٩)؛

في وحدة المشيئة (٥ : ٣٠)؛ **في وحدة المعرفة والمحبة** (٥ : ٢٠ و٢٣؛ ١٠ : ١٥؛ ١٤ : ٣١؛ ١٧ : ٢٤)؛ في وحدة العمل (٥ : ١٧ - ٢٠)؛ **في وحدة المجد** (١٢ : ٢٨؛ ١٣ : ٣١) : « أيها الآب أنت مجّدني فيك، بالمجد الذي لي فيك من قبل تكوين الكون » (١٧ : ٥).

ويسوع يأخذ هذه **التصاريح على حقيقتها**، لا على المجاز، لذلك كفروه مراراً، وحاولوا اغتياله مراراً، لكنه كان « يتخلص من أيديهم، لأن ساعته ما أتت بعد » (٥ : ١٧؛ ١٠ : ٣٣؛ ١٩ : ٧)، حتى وقعت الواقعة، فشهد الشهادة عينها في محاكمته الدينية أمام السنهدرين، ومحاكمته المدنية أمام الوالي الروماني.

وبما أن « الآب » هو مصدر « الابن » في الحيّ القيوم، فهو أيضاً **مصدر بعثته في العالم**. يذكر يسوع ذلك نحو **أربعين مرة** في الإنجيل بحسب يوحنا (٣ : ١٧؛ ١٠ : ٣٦؛ ١٧ : ١٨ ...).

ويسوع ينتسب دائماً إلى هذه البعثة الأبوية : فطعامه أن يعمل مشيئة مَن أرسله، ويتمّم عمله (٤ : ٣٤؛ ٦ : ٣٨)؛ وهو يعمل أعمال أبيه (٩ : ٤)، وأعماله هي أعمال أبيه، فيه وبه (١٤ : ١١)؛ وينطق في العالم بما سمعه من أبيه في الأزل، وهو « في حضن الآب » (١ : ١٨ مع ٨ : ٢٦)؛ و « يشهد بما شاهد » في أبيه (٣ : ١١). لذلك ما بين « الآب » المرسِل، و « الابن » المرسَل، وحدة في البعثة والرسالة (٥ : ١٩ - ٢٣) وفي التصديق والإيمان الواجب بها (٥ : ٢٣؛ ١٢ : ٤٤؛ ١٤ : ٢٤؛ ١٥ : ٢١ - ٢٤).

فرسالة السيد المسيح هي **بعثة « الابن »** - لا فقط كالمسيح الموعود - ويسوع يطلب الإيمان به وبرسالته على هذا الأساس (١١ : ٤٢؛ ١٧ : ٨ و٢١ و٢٣ و٢٥)؛ أي الإيمان « بالآب » المرسِل (٥ : ٢٤؛ ١٧ : ٣) و « الابن » المرسَل (٥ : ٢٤؛ ١٧ : ٣).

وفي الإنجيل بحسب يوحنا، يسوع يرى في استشهاده، ثم في رفعه إلى السماء، **الرجوع إلى « الآب » مصدره**. منذ عيد الخيام يقول : « أنا معكم زماناً يسيراً، ثم أرجع إلى الذي أرسلني » (٧ : ٣٣). وفي

وداعه لهم قبل استشهاده، يعلن أن ساعة الرجوع إلى « الآب » قد حانت (١٤ : ٣٢). وفي وداعه الأخير قبل رفعه إلى السماء يصرح: « أما الآن فإني أرجع إلى الذي أرسلني » (١٦ : ٥). ويصلّي قبل رفعه : « أنا لست بعد في العالم، أما هم فإنهم في العالم. أنا أرجع إليك » (١٧ : ١١).

إن الكشف الإنجيلي الأسمى الأول عن « سر الله » في ذاته أن « الله أحد الحق » (١٧ : ٤ = التثنية ٦ : ٤) هو « **الآب** » **على الإطلاق**، « **الآب القدوس** » (١٧ : ١ و٥ و١١ و٢١) في كامل التنزيه والتجريد في التوحيد.

ثانياً : « الابن » في « سر الله »

في بحث سابق، رأينا إلهية يسوع المسيح، « ابن الله، في الإنجيل بحسب يوحنا. هنا نبحث الظاهرة الخاصة بهذا الإنجيل : إنه يسمي يسوع « ابن الله » ، « **الابن** » **على الإطلاق.** ويسوع يستعمل هذا التعبير في كل خطبه، مع صحابته، وعلى رؤوس الأشهاد!

وفي بحث سابق أيضاً، رأينا أن تعبير « **الكلمة** » (١ : ١) هو التفسير المَنزل في فاتحة الإنجيل لبنوة « الابن » من الله الآب : إنها بنوة نطقية، روحية، ذاتية؛ يصدر نطق الله الذاتي، من ذات الآب، صدور ابن عن أبيه، في عالم المخلوق، والله « ليس كمثله شيء » . فالله « الآب » هو الذات الإلهية الناطقة؛ و « الابن » هو النطق الذاتي، في ذات الله.

وقد رأينا أيضاً أن صفة « **مونوجنيس** » **أي** « **الوليد الوحيد** » تصف البنوة الإلهية في ذات الله حقّ وصفها : إنه « الابن، الوليد الوحيد » على الإطلاق، لأن نطق الله الذاتي، الصادر عنه، فريد، وحيد. فكان **تعبير** « **الابن** » على الإطلاق، حاملاً لمعاني « الكلمة » وصفته « الوليد الوحيد » .

وهذان التعبيران، « الكلمة » و « الوليد الوحيد » يدفعان كلّ **تشبيه** مع المخلوق، في التوحيد المطلق. إنه « الابن » على الإطلاق، أسمى من كل بنوّة ممكنة : فليس هناك من « **تأليه** » على الإطلاق.

وقد فهم اليهود سموّ هذا التعبير، « فازدادوا طلباً لقتله، ليس فقط لأنه استباح السبت، بل أيضاً لأنه كان يدعو الله أباه، **مساوياً نفسه بالله** » (٥ : ١٨).

وفي الخطاب الدفاعي (٥ : ١٩ - ٣٠) يعلن هذه المساواة في استعمال « الآب » و « الابن » على الإطلاق، مع وحدة الذات الإلهية بينهما :

وحدة الوجود والحياة بين الآب والابن (٥ : ٢٦)

وحدة العمل بين الآب والابن (٥ : ١٩ - ٢٠)

وحدة الإحياء في الدنيا (٥ : ٢١)

وحدة الإحياء والدينونة في اليوم الآخر (٥ : ٢٢ و٢٥ و٢٨)

مع تفويض السلطان في يوم الدين « للابن » بصفة كونه « ابن البشر » (٥ : ٢٧)؛ **فهو ملك يوم الدين**، أكبر مظاهر الله في خلقه.

والحياة الأبدية، بحسب الإنجيل، معلّقة على الإيمان « بالآب » و « الابن » : « الحق الحق أقول لكم : إن من يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني له الحياة الأبدية؛ ولا يخضع لدينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة » (٥ : ٢٤). هذا ما يردّده في جامع كفرناحوم حيث بلغت المعارضة حدّ الردّة : « الحق الحق أقول لكم : إن من يؤمن له الحياة الأبدية ... إن **مشيئة أبي** أن تكون الحياة الأبدية لكل مَن يرى **الابن** ويؤمن به » (٦ : ٤٧ و٤٠).

هذا هو « الابن » ، « الوليد » في « سر الله » .

ثالثاً : « الروح » المطلق في ذات الله

في بحث سابق رأينا « سر الروح » في « سر الله » .

إن إعجاز الإنجيل، على كل وحي وتنزيل، هو في الكشف عن سر « الآب » كما في الكشف عن سر « الروح » في الله.

وميزة رسالة السيد المسيح على الرسالات كلها أنها **رسالة « الروح » :** « فلا يُعطى - أو يُعطي - الروح بتقتير » (٣ : ٣٤).

والسيد المسيح يكشف سر « الروح » المطلق في ذات الله : بالكشف عن وجوده ذاتاً في الله؛ وبالكشف عن مصدره من ذات الله؛ وبالكشف عن فعله في تلاميذ المسيح، وفعله في العالم.

١ - المسيح الابن يكشف سر وجود « الروح » في الله

في سيرة الأنبياء يظهر **روح الله** بطريقة استثنائية، وفي ظروف خارقة. أمّا السيد المسيح « فالروح » فيه فطرة : ينطق دائماً « بالروح » ، ويعمل دائماً بقدرة « الروح » ؛ منه تنطلق دائماً كلمات « الروح » كما من نبعها؛ ومنه تنبعث معجزات « الروح » كما من أصلها. فكما أن « الآب هو معي على الدوام » (٨ : ٢٩)؛ كذلك « الروح » هو معه على الدوام، لأنه « روح الحق » أي روحه.

إن الكتاب الأول، من الإنجيل بحسب يوحنا (ف ١ - ١٢) هو تعريف باسم « الآب » بواسطة « الابن » المتجسد في المسيح. والكتاب الثاني (١٣ - ١٧) هو كشف عن « الروح » في الآب والابن، من حيث هو « روح القدس » و « روح الحق » . والكتاب الثالث (١٨ - ٢١) هو، بعد الاستشهاد والقيامة المجيدة، كشف عن تنزيل « الروح القدس الفارقليط » على الصحابة والتلاميذ، « بنفخ » « الروح » من ذاته فيهم.

وهذا هو تفصيل بعض المشاهد.

إن المعمدان، سابق المسيح ومصدّقه، يشهد لتلاميذه حتى يوجههم إلى يسوع : « إني رأيت **الروح** نازلاً من السماء، بهيئة حمامة، وقد استقرّ عليه » (١ : ٣٢). ويوحنا المعمدان يستعمل كلمة النبوة عند أشعيا : « عليه يستقرّ الروح » (٦١ : ١). لقد تحققت النبوة في المسيح بشهادة المعمدان. وهذا المشهد الإلهي في عماد المسيح كان العلامة الربانية التي وعد بها المعمدان لكي يعرف المسيح ويُعرّف به : « وأنا لم أكن أعرفه، إلاّ أن الذي أرسلني لأعمّد بالماء، هو قال لي : إن الذي ترى **الروح** ينزل ويستقرّ عليه هو الذي يعمّد بالروح القدس. فذلك ما شاهدت، وأشهد أنه هو ابن الله » (١ : ٣٢ - ٣٤).

ويوحنا الرسول، الشاهد لعماد المسيح ونزول « الروح » عليه، والسامع لتصاريح المعمدان، يشهد أيضاً « أن الله لا يعطيه **الروح** بتقتير » (٣ : ٣٤) - لا روح النبوة فحسب، بل « الروح » الذاتي في الله.

ويسوع يشهد للسامرية وبني قومها أن « العابدين الحقيقيين يعبدون الآب، بالروح، والحق » (٤ : ٢٣). « الآب » هو اسم الله الأعظم في الإنجيل؛ و « الروح » المطلق هو الروح القدس؛ و « الحق » هو المسيح الابن (١٤ : ٦).

ويسوع يشهد لليهود، في عيد الخيام، عيدهم الشعبي الكبير : « مَن عطش فلْيأتِ إليّ! ولْيشرب مَن آمن بي! فكما قال الكتاب : من داخله ستجري أنهار ماء حي! قال هذا عن **الروح** الذي كان المؤمنون به مزمعين أن ينالوه » (٧ : ٣٧ - ٣٩). فاجتمعت النبوة والشهادة « للروح » الإلهي.

وبعد خطاب يسوع في « خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨) الذي هو « جسده » في القربان (٦ : ٥١)، تشكك « كثيرون من تلاميذه » ، بدس الفريسيين؛ فأوضح لهم: « **الروح** هو الذي يحيي؛ وأما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي قلت لكم هو روح وحياة » (٦ : ٦٣)، فالذي يفعل في « جسد المسيح » هو « الروح » الإلهي.

إن « الروح » المطلق يظهر ذاتاً في دعوة المسيح.

٢ - المسيح الابن يكشف مصدر « الروح » الإلهي

في **النصوص الخمسة** التي تحمل الوعد الأكبر بتنزيل « الروح القدس الفارقليط » يكشف المسيح الابن عن مصدر « الروح » الإلهي في ذات الله. وقد فصّلناها سابقاً. نكتفي هنا بتحديد مصدره :

« الفارقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي » (١٤ : ٢٦).

« ومتى جاء الفارقليط الذي أرسله إليكم من لدن الآب، **روح الحق** الذي ينبثق من الآب، فهو يشهد لي » (١٥ : ٢٦).

الحقيقة الأولى إن الروح القدس « **ينبثق من الآب** » ، فهو من عالم

الخالق، لا من عالم المخلوق، فلا يمكن خلطه مع جبريل أو أحد الأرواح الملائكية القدسية المخلوقة ...

وهذا الخلط بين « الروح القدس » الإلهي، وبين جبريل أو أحد الملائكة المقرّبين، هو الذي يُضل بني قومنا في حقيقة التثليث المسيحي، وفي حقيقة « الروح القدس » ذاته، و « **روح القدس** » كما يقولون.

والتعبيران : « الروح القدس » و « روح القدس » صحيحان. قد اعتدنا قراءة « الروح القدس » . **إن « الروح » هو « القدس »** على الإطلاق مثل الله تعالى ذاته. لكن في اليونانية نهاية الحرف في الصفة (αγίου) وفي الإضافة (άγιου) يسهل الخلط في كتابتها كما في قراءتها. فيصحّ أن نقول أيضاً « **روح القدس** » على الإضافة إلى « القدس » أي الله المنزّه عن المخلوق. وهو تعبير معادل « **لروح الحق** » كما يسميه الإنجيل مراراً.

والإنجيل بحسب يوحنا يمتاز عن سائر أسفار الوحي الإنجيلي بنعت « الروح » الإلهي أنه « **روح الحق** » ؛ بينما سائر الأسفار تسميه فقط « الروح القدس » .

إنه « روح الحق » كما أنه « روح القدس » . وفي هذه الإضافة الثنائية سرّ شخصية « الروح » الإلهي، وسر مصدره. وهذه هي **الحقيقة الثانية**.

إن « الفارقليط » هو « **روح القدس** » أي الله الآب، كما هو « **روح الحق** » أي المسيح الابن (١٤ : ٦). وفي هذه النسبة الذاتية، الكيانية، **إلى « القدس » وإلى « الحق »**، حقيقة ذاته، وحقيقة مصدره.

إن «الروح القدس » هو «**روح القدس** » أي الله الآب، لأنه من الآب ينبثق » (١٥ : ٢٦). فصدوره من ذات الآب، في ذات الآب، هو برهان إلهيته، كما هو برهان وحدته مع الذات الإلهية.

و"إن «الروح القدس » هو أيضاً «**روح الحق** » أي المسيح الابن. يؤكد ذلك ثلاث مرات (١٤ : ١٧؛ ١٥ : ٢٦؛ ١٦ : ١٣). وهذه النسبة الذاتية الكيانية هي برهان مصدره أيضاً من الابن.

وليس من تعدّد في مصدر «الروح » الإلهي من الآب ومن الابن،

« لأن جميع ما للآب هو لي » (١٦ : ١٤) من ذلك **القدرة الإلهية الذاتية على إصدار « الروح القدس »** ، والتي هي واحدة في الآب والابن؛ ووحدتها برهان وحدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن كلاهما معاً.

وقوله : « روح الحق، الذي من الآب ينبثق » يدل على مصدر « الروح » الإلهي، الواحد والثنائي معاً. إنه « ينبثق من الآب » ؛ وهو « روح الحق » أيضاً أي الابن. فالله الآب، والابن « الحق » هما مصدر واحد وثنائي معاً للروح الإلهي فيهما. وهو مصدر كياني، ذاتي، وجودي، حياتي؛ لأنه ليس في الله من حدوث، ولا من تعدد، ولا من تجزئة، بل من وحدة الوجود المطلق في الحي القيوم.

ومصدر « الروح » الإلهي، الواحد والثنائي معاً في وحدة الذات الإلهية، **يظهر أيضاً من بعثة الروح الفارقليط.** إن السيد المسيح يردّد دائماً أن الله الآب قد أرسله؛ وهو في رسالته كلها ينتسب دائماً إلى الله الآب. ولا يُقال أبداً إن « الروح » بعث المسيح الابن، أو إن الابن ينتسب في بعثته « للروح » الإلهي. كلّ ما يُقال إن « الروح » حلّ عليه في عماده، وأخذ يسيّره في رسالته. لكن مصدر البعثة والرسالة محفوظ لله الآب وحده. وهذا دليل على أن **مصدر الرسالة امتداد لمصدر الذات، وبرهان له.** كذلك الأمر في بعثة « الروح القدس الفارقليط » : « يرسله الآب باسمي » (١٤ : ١٦)؛ بل « أرسله إليكم، من لدن الآب » (١٥ : ٢٦)؛ « يأخذ ممّا لي ويخبركم، لأن جميع ما للآب هو لي » (١٦ : ١٥). بناء عليه، فالروح الفارقليط يرسله الله الآب والمسيح الابن كلاهما معاً، في وحدة العمل والإرسال. وهذه البعثة الواحدة والثنائية معاً في مصدرها، هي دليل وامتداد لمصدر الذات عينها فيه : فهو ينبثق من الابن، كما ينبثق من الآب، من مصدر واحد وثنائي معاً، مهما كان التعبير عن ذلك في علم الكلام المسيحي.

فبهذين الاسمين، « روح القدس » أي الآب، و « روح الحق » أي الابن، يكشف الإنجيل وحده عن **شخصية « الروح » :** إنه من ذات الله، في ذات الله. وفي صلة مصدرية ذاتية مع « القدس » ومع « الحق » أي مع الآب والابن على سواء.

٣ - المسيح الابن يكشف عمل « الفارقليط » في بعثته

إن السيد المسيح يسمّي « الروح القدس » في بعثته « **الفارقليط** » - وهو اسم انفرد به الإنجيل بحسب يوحنا على الوحي الإنجيلي كله. وقد مرّ بنا صحة ترجمته « **بالمعين** » ، أفضل من « المحامي » أو « المعزّي » .

وهو في بعثته « **فارقليط آخر** » (١٤ : ١٦) أي يقوم مقام السيد المسيح : فبعثته امتداد لبعثة المسيح الابن.

وصفة بعثته أنها دائمة : « ليقيم معكم على الدوام، إلى الأبد » (١٤ : ١٦) : حضور ذاتي، وتأييد معنوي.

فميزة المسيحية على الديانات كلها أنها أيضاً رسالة « الروح القدس الفارقليط » . فليس في الأرض من ديانة، سواء نزلت من السماء، أو طلعت من الناس، خصّها الله بمثل هذه الميزة.

وصفة بعثة « الروح الفارقليط » أنها أيضاً **إقامة دائمة، وسكنى روحية ذاتية،** في تلاميذ المسيح : « يقيم معكم، ويكون فيكم » (١٤ : ١٦). فالمسيحي الحق هو هيكل الروح القدس الفارقليط، كما قال بولس من قبل أيضاً : « أولا تعلمون أن أجسادكم هي **هياكل الروح القدس،** الذي فيكم » (١ كو ٦ : ١٩).

والصفة الثالثة لبعثة « الروح القدس الفارقليط » أنها **مصدر الحياة المسيحية** (٣ : ٥ - ٨؛ ٦ : ٦٣؛ ٧ : ٣٨). تلك صفات بعثته الثلاث.

وللروح القدس الفارقليط في بعثته عملان : عمل في المسيحية، وعمل في العالم.

١) عمل « الفارقليط » المعين في الكنيسة ثلاثي :

- إنه هو « **الذي يعلمكم كل شيء** » (١٤ : ٢٦). فروح النبوة المسيحية مستمر في المسيحية، فلا يمكن أن تُجمع أمة المسيح على ضلال.

- إنه « **يذكركم بجميع ما قلت لكم** » (١٤ : ١٦)، فلا يسقط شيء من تعليم السيد المسيح، وإن لم يذكر الإنجيل كل أعماله المعجزة

(٢٠ : ٣٠). ففي هذا العمل الإلهي **ضمانة إلهية لصحة الإنجيل** بأحرفه الأربعة، كما سلمه لنا صحابة المسيح.

- إنه « **يرشدكم إلى الحقيقة كلها** » (١٦ : ١٣)، الحقيقة المسيحية، وكل حقيقة أخرى تدعمها. فلا خوف على كنيسة المسيح من ضلال يتسرّب إليها.

وفي هذا العمل الثلاثي « للروح القدس الفارقليط » في كنيسة المسيح، منذ الصحابة إلى منتهى الدهر، الضمانة الإلهية الكبرى **لصحة الوحي الإنجيلي** كما سلموه لنا دعوةً وكتابةً، **ولصحة الإيمان المسيحي** على مدى الأجيال، مهما قام حوله من بِدَع.

إن بعثة « الروح القدس الفارقليط » إلى صحابة المسيح وتلاميذه هي الضمانة الإلهية الكبرى لصحة الوحي الإنجيلي كله في « العهد الجديد » . فإن **أميّة الصحابة** لن تحول دون فهمهم حقيقة المسيحية حقّ فهمها؛ فلم ينحرفوا عن الوحي الإنجيلي كما تسلّموه من المسيح، وسلّموه لأتباعهم. فما جاء في عرض الإنجيل على أربعة أحرف، أو نصوص، هو حقيقة الإنجيل من زواياه الأربع. ولن يشوّهها ما كتبه بعض المبتدعة المسيحيين، عن تقى أو عن هوى، من **أناجيل منحولة عديدة**، لم تعتمدها كنيسة المسيح الجامعة ولم تقم بتلاوتها الرسمية على المؤمنين؛ **كما أنها لم تتلفها** خشية منها على الإنجيل الحق بأحرفه الأربعة.

وما جاء من دعوة الرسل في « أعمال الرسل » كان **التفسير الأول** الحق للإنجيل، بإرشاد الروح القدس الفارقليط. وما جاء في رسائل الرسل وبولس كان **التفسير الثاني** الحق للإنجيل، والمكمّل للأول. وما جاء في كتابات يوحنا الرسول، الرسالة والإنجيل والرؤيا، كان **التفسير الثالث** الحق للإنجيل، والمكمّل للأول والثاني. فأسفار « العهد الجديد » كلها، مهما قام على صحة بعضها من شبهة، هي حقيقة الوحي الإنجيلي، بضمانة الروح القدس الفارقليط، الذي « يذكّركم بجميع ما قلت لكم » ، والذي « يعلمكم كل شيء » ، والذي « يرشدكم إلى الحقيقة كلها » .

وبما أن السيد المسيح، مرسل « الروح القدس الفارقليط » على تلاميذه،

لا يصلي فقط لأجل صحابته، بل أيضاً « **لأجل الذين يؤمنون بي على كلامهم** » (١٧ : ٢٠)، فبعثة « الروح القدس الفارقليط » هي للمسيحيين أيضاً على الدوام، بعمله الثلاثي فيهم: « يذكركم بجميع ما قلت لكم » ، « ويعلمكم كل شيء » ، « ويرشدكم إلى الحقيقة كلها » . وفي ذلك الضمانة الإلهية الكبرى **لعصمة كنيسة المسيح** في تعليم المسيحية، طالما « الروح القدس الفارقليط » هو « فارقليط آخر » يقوم معهم وفيهم مقام المسيح « على الدوام وإلى الأبد » (١٤ : ١٦).

٢) عمل « الفارقليط » المعين في « العالم » ثلاثي أيضاً

إنه « يفحم العالم بشأن الخطيئة والبِرّ والدينونة » (١٦ : ٨)، في سر المسيح، وفي سرّ صلبه : فلم يكن موت المسيح إعداماً، بل استشهاداً يمحو « الخطيئة » ، ويقيم « بِرّ » الله والمسيح، وينتصر على إبليس، عدو الله والإنسان « بدينونته » - وهنا نوجز ما فصلناه سابقاً.

- إنه « يفحم العالم بشأن الخطيئة ... **لأنهم لم يؤمنوا بي** » (١٦ : ٩). فالروح القدس الفارقليط هو الذي يهدي إلى الإيمان بالمسيح، وهو الذي يردّ على الكفر بالمسيح. وهذه ضمانة وتعزية إلهية لدعاة المسيحية.

- إنه « يفحم العالم بشأن البِرّ ... لأني راجع إلى الآب، **ولا ترونني من بعد** » (١٦ : ١٠). لم يترك السيد المسيح كنيسته وحدها بين أعاصير الكفر والإثم؛ بل أرسل إليها « فارقليط آخر، يقيم معها على الدوام وإلى الأبد » في غياب المسيح « الراجع إلى الآب » . فانتقل الإيمان به، من المحسوس والمُشاهد، إلى **الإيمان الغيبي والعقلي**، كما قال لتوما: « طوبى للذين يؤمنون، ولم يروا » (٢٠ : ٢٩).

- إنه « يفحم العالم بشأن الدينونة ... **لأن رئيس هذا العالم قد دين** » (١٦ : ١١). فسقط إبليس عن سيطرته على العالم، باستشهاد السيد المسيح، وصار السلطان في العالم لله ولمسيحه، مهما ظهر من سلطان إبليس وزبانيته. فالسيد المسيح، بروحه القدوس، « **يجذب إليه الجميع** » (١٢ : ٣٢). فمستقبل الدين والإيمان على الأرض هو للمسيحية، بضمانة « الروح القدس الفارقليط » ، مهما بلغ الكفر والإلحاد قبل رجعة المسيح لليوم

الآخر. **وهذه تعزية إلهية كبرى للمسيحيين**، طالما «الروح القدس الفارقليط» هو «فارقليط آخر» يقوم معهم وفيهم مقام المسيح «على الدوام وإلى الأبد».

*

هذا هو «سر الله» : **الآب والكلمة والروح.**

إنه سر «الله أحد الحق» ، الحي القيوم، في حياته الذاتية الصمدانية. وفضل الإنجيل على العالين، وعلى الرسل أجمعين، إنه كشف وحده «سرّ الله» في ذاته.

إنه «هو الله أحد الحق» (١٧ : ٣).

والله تعالى لـه، منـه وفيـه «**كلمتـه**» أي **نطقـه الـذاتي**، بحسـب الحـرف اليونـاني «**لوغس**» . ونطقه الذاتي يصدر من ذاته، في ذاته، لذاته، صدور ابن عن أبيه في عالم المخلوق، بما يفوق طاقة المخلوق «فالله ليس كمثله شيء» . فبحق يسمي الإنجيل ـ نقلاً عن المسيح، شاهد العيان «في حضن الآب» ـ الذات الإلهية الناطقة «**الآب**» ، والنطق الذاتي الإلهي الصادر عنها «**الابن**» .

والله تعالى أيضاً له، منه وفيه «**روحه**» ، «**الروح**» **المطلق**، الذي حار في فهم «حقيقته» جميع الأنبياء. فهو «**روح القدس**» أي الله؛ وهو «**روح الحق**» أي المسيح الابن (١٤ : ٢٧؛ ١٥ : ٢٦؛ ١٦ : ١٣). **إنه «روحهما»** كلاهما في وحدة الذات الإلهية. وهل من المعقول أن يكون الله تعالى في ذاته بدون «روح» هو «الروح» المطلق، «**الروح القدس**» على الإطلاق ؟ إنه «ينبثق» من ذات الله، في ذات الله، لذات الله، انبثاق «الروح» عن الذات الإلهية، في وحدة الحي القيوم.

هذا هو «**التثليث**» **المسيحي**، في **خالص التوحيد.**

إن سرّ «**الثالوث الأقدس**» في «الله أحد الحق» هو كشف إلهي في الإنجيل **لحياة الحي القيوم** في ذاته الصمدانية.

لذلك كان أمر السيد المسيح في بعثة صحابته إلى العالم أجمع : «لقد

أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض : فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم **باسم الآب والابن والروح القدس** » (متى ٢٨ : ١٨ - ١٩).

فكانت البسملة المسيحية، في التثليث الحق، ضمن التوحيد الخالص : « باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. آمين » .

هذا هو « سر الله » ، الثالوث الأقدس : « الآب » و « الكلمة » و « الروح » .

* * *

بحث ثلاثون

العذراء ، أم المسيح ، في الإنجيل بحسب يوحنا

إن الإنجيل بحسب يوحنا يفتتح دعوة السيد المسيح بمشهد العذراء، أُمّ المسيح، في **موقف الشفاعة المشفّعة**؛ ويختتمها بمشهد **امتداد أُمومتها** إلى جميع المسيحيين، بشخص يوحنا الحبيب - فكأن الدعوة الإنجيلية كلها تسير وعين « الأم » ترعاها؛ وكأن الحياة المسيحية كلها لا تصحّ إلاّ برضاها.

أولاً : افتتاح الدعوة بمشهد العذراء في موقف الشفاعة

يتفق الإنجيل بحسب يوحنا، مع الإنجيل بحسب لوقا، على أن افتتاح الدعوة الإنجيلية كان في الناصرة ومنطقتها.

ودّع يسوع أُمّه في الناصرة، وجاء إلى الأردن، فاعتمد على يد يوحنا المعمدان - لا لمغفرة الخطايا، وهو المعصوم (٨ : ٤٦) - بل للإيذان بافتتاح دعوته، وتأييدها بشهادة المعمدان ذات الشعبية الكبيرة. وقد تهيّأ لمباشرة دعوته في الخلوة بصوم أربعين يوماً، دخل فيها مع إبليس في صراع

خفي، ليحمله الوسواس الخنّاس على تغيير منهاج دعوته، وتبديل أهدافها. فخسر إبليس الجولة الأولى. وسيكون له جولة ثانية في استشهاد المسيح.

ثم قَبِلَ خمسة من أتباع المعمدان تلاميذ له. ورجع إلى الناصرة ليفتتح دعوته في بلدته. ولمّا بلغوا قانا الجليل، على مقربة من الناصرة، إلى الشرق منها عرّجوا على المبيت في قانا الجليل، عند تلميذه « نثنائيل الذي من قانا الجليل » (٢١ : ٢)، فعرف بعرس قائم في قانا، وكانت أُمه بين المدعويين. « فدعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس » (٢ : ٢). فاشتركوا فيه على عادة الشرقيين إلى اليوم.

ويظهر أن الحشد كان أكثر مما قدّره أهل العرس، ويظهر أن وفد يسوع كان كالشعرة التي قسمت ظهر البعير. « فنفدت الخمر » (٢ : ٣). فقامت الضجة خفية بين النساء القائمات على تهيئة الطعام للجمهور. وعرفت العذراء سبب ضجّتهنّ. فأطلّت أمام منزل الرجال، فرآها يسوع، وخرج إليها يستطلع ما تريد.

« فقالت أُمّ يسوع له : لم يبقَ عندهم خمر! فقال لها يسوع : **ما لي ولكِ يا امرأة ؟** إن ساعتي لم تأتِ بعد! » (٢ : ٣ - ٤). جواب يسوع لها اثنان. الأول أن الأمر لا يعنينا. وخطابه لها « يا امرأة » عادة شرقية شعبية قائمة إلى اليوم يستعملها الابن الكبير مع أُمه في موقف حرج؛ وليس فيه من مسّ لكرامة الأمّ، كما سيظهر من سير الأحداث. والجواب الثاني كلمة خطيرة تظهر عظمة الحدث الآتي : « **لم تأتِ ساعتي بعد** » (٢ : ٤).

وهنا تظهر **دالة الأم العذراء على ابنها وعلى ربها.** إن قلبها يحدّثها بأنه مستجيب لرغبتها، بالرغم من ظاهر الأمر، فالتفتت إلى الشباب القائمين على الخدمة وقالت لهم: « مهما قال لهم فافعلوه » (٢ : ٥). فكأنها بذلك تُحرج يسوع على المعجزة - فكانت إذن تعرف من هو ابنها!

فاستسلم يسوع لرغبة أُمه. وإكراماً لها قرّب ساعته في الزمن، فاستجاب القدر في الأزل. فدالة الأم العذراء على ابنها وعلى ربها **بلغت تقريب** « **ساعته** » **في الزمن وفي الأزل.**

تلك هي **الشفاعة المشفّعة** لدى الله والمسيح يظهر فعلها للحال.

« وقال لهم يسوع : املأوا الأجاجين ماء. فملأوها إلى ما فوق. فقال لهم أيضاً : استقوا الآن وقدّموا إلى رئيس المتكئين. فقدّموا » (٢ : ٦ - ٨) فشهد هو وشهدوا جميعاً أن هذه الخمر الجديدة أطيب من المعتّقة. فقد حوّل يسوع الماء إلى خمر طيبة بإشارة منه.

« تلك هي **أولى معجزات يسوع**، صنعها في قانا الجليل، وأظهر مجده، فآمن به تلاميذه » (٢ : ١٢)، كما آمن به أهل المنطقة وأهل بلدته، ولو إيماناً سطحيّاً. وسبقته شهرته إلى الناصرة. فلما جاءها، وقد حضرت صلاة السبت عندهم، دعاه رئيس جامع الناصرة إلى إلقاء خطبة السبت. فكانت خطبة يسوع الأولى في دعوته (لوقا ٤ : ١٤ - ٢٢).

فكانت شفاعة الأم العذراء فاتحة الرسالة المسيحية والدعوة الإنجيلية هذا هو دور أُم المسيح، كما عرفته لها المسيحية على الدوام.

ثانياً : ختام الدعوة بمشهد العذراء في موقف الأمومة العامة

إن الإنجيل بحسب يوحنا يختم دعوة السيد المسيح بمشهد العذراء عند أقدام الصليب (١٩ : ٢٥ - ٢٧)، شهيدة في نفسها، مع الشهيد الأكبر على الصليب. فكان في ختام الدعوة، كما كانت في فاتحتها. وهذا بُعْد صوفي له معناه الرفيع : إن الأم لا تنفصل عن ابنها في تأسيس المسيحية وفي رعايتها.

كلمتان خلاّقتان نطق بهما السيد المسيح في مطلع استشهاده وفي ختامه. **الكلمة الخلاّقة الأولى** قالها في العشاء السري : « هذا هو جسدي، هذا هو دمي » ، فحوّل الخبز إلى جسده، والخمر إلى دمه، في القربان المسيحي، مدى الدهر.

والكلمة الخلاّقة الثانية قالها على الصليب : « نظر يسوع إلى أُمه وبقربها التلميذ الذي كان يحبه، وقال لها : **يا امرأة هذا هو ابنك!** ثم قال للتلميذ : **هذه هي أمّك!** ومنذئذٍ أخذها التلميذ إلى عنده » (١٩ : ٧٦ - ٢٧).

ظاهر المشهد أن يسوع يترك أُمّه وحيدة، لا معيل لها، فسلّمها إلى

« التلميذ الذي كان يحبه » ، والذي تجرّأ وحده بين الصحابة أن يرافق أُمّ المسيح إلى الجلجلة. فكافأه على وفائه لمعلّمه، وعلى مودّته للأم الحزينة.

وهذا المشهد يُظهر أيضاً بطريقة قاطعة أن يسوع كان وحيداً لأمّه، وأن مَن يسمّيهم الإنجيل بلغة شرقية « **إخوة يسوع** » ليسوا إخوته من أُمّه، بل أقرباءه الأدنين من « **أهل البيت** » . وهيجبّس الفلسطيني، من القرن الثاني، نقل الحديث المتواتر بأنهم كانوا أولاد عمّه قلوبّا، أخي القديس يوسف، إن « إخوة يسوع » هم « أهل البيت » ، أولاد عمه. لذلك يسمّي الإنجيل أُمهم مريم « أخت أُمه » (١٩ : ٢٥) أي « **سلفتها** » بلغة العامة. وليس من المألوف أن تسمّى أُختان شقيقتان باسم واحد. وبما أن « إخوة يسوع » كانوا « أهل البيت » ، كان لهم في الكنيسة الأولى مقام صحابة المسيح.

ولو كان « إخوة يسوع » أشقاءه، لَمَا فكّر يسوع أن يسلّم أُمّه لتلميذه الحبيب. ولَمَا رضيت هي أن تذهب إلى بيت تلميذه وبنوها حاضرون! وهل كان بنوها يرضون بأن تذهب أُمهم مع رجل غريب، مهما كان تلميذاً حبيباً، وهم أحياء يُرزقون!

وهبْ أن ما تمّ على الصليب كان في فترة نزاع في جسم الابن وفي قلب الأم، حيث إدراك أبعاد العمل عسير؛ فبعد القيامة المجيدة، وعودة الوعي والسعادة، هل كانت أُم المسيح لترضى أن تذهب مع غريب محبوب، وتترك أبناءها، وهي أنبل أُم عرفتها الأرض والسماء، لو كان « إخوة يسوع » في الحقيقة أبناءها ؟ الواقع يشهد بأنهم لم يكونوا أبناءها، بل من « أهل البيت » ، لذلك سمّوهم « إخوة يسوع » بحسب العادة الشرقية، التي تسمي « أهل البيت » إخوة، حتى اليوم. والعربي البعيد عن العربي يقول حتى اليوم له « يا أخا العرب » : فهل كلهم من أمّ واحدة ؟

اعتذر عن هذا الاستطراد الذي اضطرنا إليه أهل البدعة! فالموقف جَلَل، ولا يتحمل تلك التخرصات.

أمّا المشهد عند أقدام الصليب، فأبعاده أعمق من مظاهره.

إن السيد المسيح، الشهيد الأكبر، بعد أن أعطانا ذاته في القربان

وعلى الصليب، رمزاً وتحقيقاً، لم يبقَ له سوى أُمه، فأراد أن **يعطي أُمّه نفسها أُمّاً لتلاميذه،** بشخص يوحنا الحبيب. فقال كلمته الأخيرة الخلاّقة.

فعندما قال لأمّه : ((**هذا هو ابنك**)) خلق فيها قلب أمّ ليوحنا ولكل مَن يمثلهم. وعندما قال لتلميذه الحبيب : ((**هذه هي أمك**)) ، خلق قلب ابن لمريم العذراء، فيه وفي كل مَن يمثلهم.

فبتلكما الكلمتين الخلاّقتين، جعل السيد المسيح أُمّه أُمّاً لنا أجمعين. فامتدت أُمومتها للمسيح إلى المسيحيين. وامتدت بنوّة المسيح لها إلى المسيحيين، أبناء مريم. **فالبنوة واحدة، والأمومة واحدة،** مع فارق ليس بفارق بين الواقع والروح. فصارت أُمّ المسيح أُمّاً للمسيحي أكثر ممّا أُمّه الطبيعية هي أُمّه. وأُمومة الروح أبلغ من أُمومة الجسد!

وهذا هو أساس تكريم المسيحيين لأم المسيح : إنها **أُمّه وأُمّهم.** وكرامة الأم من كرامة ابنها! كما أن كرامة الابن من كرامة أُمه! فكرامة مريم العذراء هي من كرامة المسيح، وكرامة المسيحيين. لذلك فمهما كرّمها المسيحيون، يظلون مقصّرين. فتكريم مريم العذراء، أُم المسيح، هو تكريم للسيد المسيح نفسه.

إن الإنجيل بيّن لنا، في مشهد قانا الجليل، مدى دالة العذراء على ابنها وعلى ربها، فكانت **الشفيعة المشفّعة** في الزمن وفي الأزل؛ **وبأمومتها العامة** عند الصليب، صارت **الأم الشفيعة،** وشفاعة الأم لا تردّ! لذلك تسميها الصلاة المسيحية عبر الأجيال : ((**شفيعة المسيحيين المشفّعة**)) .

وهذه الأم العظيمة - التي ليس كمثلها أُم - لا تنسى في مجدها السماوي أن أُمومتها المشفّعة كانت **وصية المسيح الأخيرة لها،** وهو على الصليب. لذلك، وهي في السماء، لا يمكن أن تنسى أبناءها على الأرض! حتى ولو هم أنفسهم نسوها!

فيا أُمّ المسيح وأُمّي، إذا ما حملني غرور الحياة وهمومها على أن أنساك، فأنتِ لا تنسيني، يا أُمّاه!

*

استطراد : هل تصحّ تسمية أُمّ المسيح « أُمّ الله » ؟

بنو قومنا يتهمون المسيحيين بشرك، لتسميتهم السيد المسيح « **ابن الله** » ، وبشرك أكبر لتسميتهم أُم المسيح « **أُم الله** » .

إن البرهان قائم في الإنجيل على صحة تسمية السيد المسيح « **ابن الله** » . وقد مرّ بنا بيان ذلك مراراً. لكن هل تصح تسمية أُم المسيح « **أُمّ الله** » ؟ أليس في ذلك مبالغة في التكريم والتعبير تتخطى حدود النقل والعقل، إلى الشرك ولكفر ؟ إنها أُمّ المسيح، **فكيف تكون** « **أُمّ الله** » ؟ والله تعالى، « أنى يكون له ولد، ولم تكن له قطّ صاحبة » ؟ **وكيف تكون مخلوقة أُمّ خالقها ؟**

هذا التساؤل هو تشبيه الخالق بالمخلوق؛ والله تعالى « ليس كمثله شيء » . إن « الله روح » (٤ : ٢٤)، لا جسد له، فلا يقدر - مع أنه القادر على كل شيء - أن يتخذ « صاحبة » ! ومجرّد التفكير بذلك كفر محض. وعلماء المسيحية - وهم صفوة البشرية - ما أضاعوا عقولهم ليقولوا مثل هذا القول : إنه خلط لعالم الخالق بعالم المخلوق. جلّ الله تعالى عن كل تشبيه!

لقد رأينا أن السيد المسيح هو « **ابن الله** » بصفة كونه « **كلمة** » **الله** أي نطقه الذاتي، يصدر من ذات الله، في ذات الله، لذات الله، صدور إبن عن أبيه في عالم المخلوق. فصحت تسميته بلغة البشر « ابن الله » ، وهو « لوغس » ، نطقه الذاتي، بلغة علمية، كلامية. فلا مشاحة في الألفاظ، إن صحّت الحقيقة؛ وهي صحيحة في تنزيل الإنجيل.

كذلك القول في **اسم** « **أُمّ الله** » .

إنه **لقب تكريم** قائم على حقيقة الإنجيل والمسيح.

وقد صحّ في الإنجيل أن السيد المسيح هو « ابن الله » لا على طريقة بشرية « بصاحبة » - بل على الطريقة الإلهية في ذات الله الناطقة، التي يصدر عنها وفيها **نطقها الذاتي،** صدور ابن عن أبيه في عالم المخلوق. إنها **أُبوّة** روحية، نطقية، ذاتية؛ كما هي **بنوّة** روحية، نطقية، ذاتية، في وحدة الجوهر الإلهي الفرد.

إن السيد المسيح هو « **ابن الله** » أي « **كلمته** » ، نطقه الذاتي.

والإنجيل بحسب يوحنا يستفتح بهذه الرباعية :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة فهو منذ البدء في الله »

وبما أن السيدة العذراء هي **أمّ المسيح**؛ والمسيح هو « الكلمة » المتأنس منها؛ « **والله كان الكلمة** » ؛ فيصح أن تلقّب « **أم الله** » ، لأن « الله الكلمة » تجسّد فيها، وولد منها.

فلقب « أمّ الله » على إطلاقه مجاز؛ وأما بالنسبة « **لله الكلمة** » فهو حقيقي : « والله كان الكلمة » . هذا في محكم التنزيل في الإنجيل.

فيصحّ تسمية أم المسيح « أم الله » .

*

يقول كتاب غيرنا : « **وجعلناها وابنها آية للعالمين** » . فالسيد المسيح وأُمه آية واحدة. وليس في لغة البشر أبلغ منها للدلالة على كرامة السيدة العذراء : فكرامتها من كرامة ابنها؛ إنهما آية واحدة للعالمين.

وتلك الكلمة المعجزة هي صدى لكلمة سفر « الرؤيا » : « **وظهرت آية عظيمة في السماء :** امرأة ملتحفة بالشمس، وتحت رجليها القمر، وعلى رأسها أكليل من اثني عشر كوكباً » (١٢ : ١).

هذه هي صورة مريم العذراء في السماء : **مجدها من مجد ابنها.** ولتمثيل هذا المجد السماوي، استجمع صاحب « الرؤيا » بوحي الله كل ما في الكون من جمالات، فألبسها السيدة العذراء : جعل الشمس وشاحاً لها، والقمر موطئاً لقدميها، والكواكب تاج أكليل لها.

إنها « آية عظيمة في السماء »

كما كانت آية عظيمة على الأرض.

هذه هي السيدة العذراء، أُم المسيح، و « أُم الله » في الإنجيل بحسب يوحنا.

فنظرية يوحنا إلى مريم العذراء في سر المسيح وسر الله، هي نظرية شاملة تجمع **نظرية المؤتلفة** في أم المسيح على الأرض، **ونظرية بولس** في أم الله في السماء. وذلك في المشهدين اللذين بهما افتتح الإنجيل وختمه.

ومن مجموع كتابات يوحنا، نرى أنه، من ابنة صهيون، عروس « يهوه » التي تلد المسيح - إلى الكنيسة القائمة في الصحراء تجاه الوحش - مروراً بمريم أُمّنا، إلى « السيدة المصطفاة » (٢ يو ١)، إلى عروس الحمل - هو الذي يرى فيها، كما رأى بولس في المسيح « آدم الثاني » ، **حواء الثانية**، « أمة الرب » الكاملة في إيمانها وفي طاعتها؛ حيث هي **أمّ وبتول معاً**، لم يمسسها بشر، وقد عصمها ربّها من خطيئة بني آدم؛ فكانت **حواء المثالية** على الأرض وفي السماء، **آية الله العظيمة** في العالمين.

* * *

بحث واحد وثلاثون

سر الكنيسة ، في الإنجيل بحسب يوحنا

في الإنجيل بحسب يوحنا نرى بعض الجذور لتأسيس كنيسة المسيح، حاملة رسالته، والأمينة على إنجيله.

عندما دوّن يوحنا الرسول الإنجيل، كان بطرس، زعيم الرسل الحواريين قد استشهد منذ نحو خمسين سنة؛ وبقي هو الحبر الأعظم، بصفته رسولاً، بين المسيحيين. مع ذلك حفظ لبطرس زعامته، واكتفى هو بصفة « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » ، مفضلاً زعامة المحبة على زعامة السلطة. وهذه الشهادة من يوحنا الحبيب، في تأسيس الكنيسة، برهان صحة أيضاً.

١ - تمييز بطرس، بين الصحابة، منذ بدء الدعوة

منذ دعوة الرسل الحواريين، يعرف السيد المسيح المصير الذي يسير إليه.

وجّه المعمدان أنظار تلميذيه يوحنا وأندراوس إلى يسوع. فلحقا به وتبعاه (١ : ٤٠). « فلقي (أندراوس) أولاً أخاه سمعان، فقال له : لقد وجدنا ماسيّا - أي المسيح. وجاء به إلى يسوع. فحدّق إليه يسوع، وقال: أنت سمعان بن يوحنا؛ أنت ستُدعى خيفا - أي بطرس » (١ : ٤١ - ٤٢). « خيفا » بالآرامية، يعني باليونانية « بطرس » ، **وبالعربية صخر.** واسم « صخر » شائع في اللغات السامية[١] .

إن هذا اللقب الرمزي، منذ الساعة الأولى، يكشف عن أهداف يسوع البعيدة، كما سيفسره في حينه، وبطرس ينال هذا اللقب الرمزي، دليلاً على **الدور الأساسي** الذي سيكون له في تكوين جماعة المسيح، الذي يميّزه بين الصحابة منذ بدء الدعوة.

٢ - يسوع يدرّب صحابته على الشعائر الدينية

إن يسوع بعد افتتاح دعوته في بلدته، الناصرة، صعد إلى أورشليم للفصح الأول (١ : ٢٣) وافتتح أيضاً في العاصمة وفي الهيكل دعوته. وبعد رحلة موجزة إلى الجليل تمّ فيها اصطفاء الصحابة الاثني عشر، « قدم يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، وأقام هناك معهم (نحو سنة حتى توقيف المعمدان). **وكان يعمّد** » (٣ : ٢٢).

فسار إذن يسوع في بدء دعوته على أسلوب المعمدان.

« مع أن يسوع لم يكن هو نفسه يعمد، **بل تلاميذه** » (٤ : ٢). وكان أكثرهم من أتباع المعمدان، أخذوا عنه مراسيم العماد. ويسوع بتفويض صحابته في عماد المريدين يدربهم على الشعائر الدينية الجديدة.

وانتشرت دعوة يسوع، وطريقته في العماد، أكثر من يوحنا المعمدان : فقد « نمى إلى الرب أن الفريسيين قد سمعوا بأن يسوع يصطنع تلاميذ، **ويعمّد أكثر من يوحنا** » (٤ : ١)، فأخذوا يلاحقونه ويضايقونه، فكانت هجرته الرسولية من اليهودية إلى الجليل.

---

(١) شهير شعر الخنساء في أخيها صخر :

وان صخراً لتأتم الهداة به   كأنه علم في رأسه نار.

٣ - يسوع يدرّب صحابته على القيادة والرعاية

قامت الدعوة الإنجيلية في الجليل نحو سنة ونصف السنة. كان ختامها معجزة تكثير خمسة أرغفة، لخمسة آلاف رجل، سوى النساء والصبيان؛ تلاها خطاب يسوع في « خبز الحياة » (٦ : ٣٥ و٤٨) الذي سبّب ردة « كثيرين من تلاميذه » عنه (٦ : ٦٦).

ففي معجزة الخبز نرى يسوع يدرّب صحابته على **قيادة الجماهير.** « فقال يسوع (لهم) : **مُروا الناس أن يتكئوا** » (٦ : ١٠). فصفّ الصحابة الجماهير جماعات جماعات.

وبعد الغداء المعجز، لمّا شبعوا، قال لتلاميذه : اجمعوا ما فضل من الكسر » (٦ : ١٢). ففعلوا. وهذا أيضاً تدريب لهم على رعاية شؤون الناس.

٤ - التمييز بين الصحابة وسائر التلاميذ

نرى يسوع لا يطلب من تلاميذه سوى الإيمان والمحبة. أمّا « الاثنا عشر » (٦ : ٦٧) فكانوا صحابته، يلازمونه، ويرعون شؤونه.

وبعد الوعد بإعطاء « جسده » خبز حياة للعالم (٦ : ٥١)، « منذئذٍ ارتدّ عنه **كثيرون من تلاميذه**، وأمسكوا عن المسير معه. فقال يسوع **للإثني عشر :** وأنتم، أفلا تريدون أيضاً أن تذهبوا ؟ فأجابه سمعان بطرس : يا رب إلى من نذهب ؟ إن عندك كلام الحياة الأبدية. فنحن قد آمنا، ونعلم أنك قدوس الله » (٦ : ٦٦ - ٦٩).

إن « الاثني عشر » هم العمدة في تأسيسه؛ وفي المواقف الحرجة يجدهم قربه. وباسمهم بطرس يقول **كلمة الإخلاص والإيمان.** قد يرتد بعض التلاميذ، والصحابة صامدون. يعرف يسوع أن بين صحابته شيطاناً (٦ : ٧٠)، لكن اندفاع بطرس يعزيه عنه. شيئاً فشيئاً نرى التمييز بين الصحابة وسائر التلاميذ في **الصحبة والسلطة.**

٥ - صورة الكنيسة في استعارة معجزة

في حديث الوداع يقول لهم : « أنا الكرمة الحقة وأبي الكرّام ... اثبتوا

فيّ، وأنا فيكم : كما أن الغصن لا يستطيع من نفسه أن يأتي بثمر، إنْ هو لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ. **فأنا الكرمة وأنتم الأغصان** » (١٥ : ١ ـ ٥).

تمثيل شعب الله بكرمة، استعارة متواترة عند الأنبياء. وقول يسوع : « **أنا الكرمة الحقة** » (١٥ : ١) تعريض بإسرائيل، وتحقيق للاستعارة في جماعة المسيح.

ويسوع يريد جماعته كأغصان ثابتة في كرمة ذاته. **إن « الكرمة الحقة » هي المسيح والمسيحيون.** فجماعة المسيح، كنيسته، يجب أن يكونوا هذه الكرمة الحقة. وحياة هذه « الكرمة » السرية، وثباتها وازدهارها، قائمة كلها على ثباتها في المسيح : « اثبتوا فيّ وأنا فيكم » (١٥ : ٤).

صورة كنيسة المسيح هي الكرمة وأغصانها، التي يرعاها « الكرام » الإلهي بالتنقية والإنماء.

٦ ـ وحدة الكنيسة صورة لوحدة « الثالوث » الأقدس

في صلاته الأخيرة، يطلب يسوع من الله أبيه : « أيها الآب القدوس[١] احفظهم باسمك الذي أعطيته لي، ليكونوا واحداً كما نحن واحد » (١٧ : ١١). الاسم الذي أعطاه الله الآب للمسيح الابن **هو البنوة**؛ وهذه البنوة الإلهية هي التي آتاها المسيح الابن تلاميذه. وهذه ميزة مطلقة على كل نبوة ودين.

ويسوع يسأل أن يكون تلاميذه « واحداً كما نحن واحد » ، أي أن تكون وحدتهم صورة لوحدة « الثالوث » الأقدس.

وهو لا يطلب ذلك لصحابته وحدهم، بل أيضاً « لجميع الذين يؤمنون بي على كلامهم : **لكي يكونوا بأجمعهم واحداً**؛ فكما إنك أيها الآب أنت فيّ وأنا فيك، **فليكونوا هم أيضاً فينا** » (١٧ : ٢٠ ـ ٢١) فوحدة الثالوث الأقدس هي مثال لوحدة المسيحيين.

---

(١) يسوع يصف « الآب » بأنه « القدوس » ، كناية في اصطلاح الكتاب والإنجيل عن التنزيه والتجريد في التوحيد، وقطعاً لكل تشبيه.

وأساس هذه المثالية في الوحدة، أن « مجـد » الله فـي المسيح قد أوتـوه هم أيضــاً. **و « المجد » مثل « الاسم »** كناية عن البنوة الإلهية. فهذه البنوة الإلهية التي تجمعهم هي أساس وحدتهم الكيانية والوجودية : « لقد آتيتهم المجد الذي آتيتني، لكي يكونوا واحداً كما نحن واحد » (١٧ : ٢٢).

والسيد المسيح يجعل **وحدة كنيسته امتداداً لوحدة الثالوث الأقدس :** « أنا فيهم، وأنت فيّ، لكي تتم فيهم الوحدة الكاملة » (١٧ : ٢٣). وقد قال في « الروح القدس الفارقليط » أنه « يقيم معكم ويكون فيكم » (١٤ : ١٧). فوحدة الثالوث الأقدس تقيم في وحدة الكنيسة، كما أن وحدة الكنيسة تقوم بوحدة الثالوث الأقدس. وهذا كمال الوحدة الكيانية الوجودية، الحياتية، المطلقة.

هكذا يجب أن يكونوا في رسالتهم إلى العالم : « كما أرسلتني إلى العالم، كذلك أنا أرسلتهم إلى العالم » (١٧ : ١٨). فرسالة الكنيسة امتداد لرسالة المسيح، ووحدتهم الإلهية سبب هداية العالم.

٧ ـ رئاسة بطرس على الكنيسة هي رعاية

قضى السيد المسيح دعوته بالإنجيل، وهو يهيئ صحابته لخلافته في رسالته. ويوم قيامته، عند ظهوره الأول لهم **سلّمهم الرسالة** بقوله : « كما أرسلني الآب، كذلك أنا أُرسلكم » (٢٠ : ٢١). فرسالتهم امتداد إلهي لرسالته.

وبهذه الرسالة **تمّ تأسيس كنيسة المسيح.**

وفي صلاته الأخيرة يقول يسوع : **« لست أنا بعد في العالم،** وأما هم فإنهم في العالم، بينما أنا أرجع إليك » (١٧ : ١١). وهذا القول يقطع بأن هذه الصلاة لم تكن قبل الصلب، بل بعد القيامة وقبل الرفع إلى السماء. ولكن جمع أحاديث يسوع لصحابته جعل مكانها قبل قصة الاستشهاد، فحصلت الشبهة الدائمة في ذلك.

ثم يقول : « كما أرسلتني إلى العالم، **أنا أيضاً أرسلتهم إلى العالم** » (١٧ : ١٨)، بلغة الماضي، إشارة إلى تسليمهم الرسالة يوم قيامته، حيث

الحديث بلغة الحاضر. وهذا دليل آخر على أن **صلاة يسوع** « **الكهنوتية** » كانت بعد القيامة، وقبل الرفع إلى السماء.

ففي صلاته قبل رفعه إلى السماء، يجدّد السيد المسيح رسالة صحابته، لدى أبيه السماوي.

كما ثبّت رئاسة بطرس على صحابته وعلى كنيسته، في ظهوره الثالث لصحابته، عند بحر طبرية (٢١ : ١). فبعد صيد السمك المعجز، « ولمّا تغدّوا » (٢١ : ١٥)، استدرج يسوع بطرس إلى تصريح ثلاثي بمحبته، تكفيراً عن جحوده الثلاثي (٢١ : ١٥ - ١٧)، وتنبأ له بالتكفير الأكبر في استشهاده في شيخوخته (٢١ : ١٨ - ١٩).

وعند تصريح بطرس الثلاثي بمحبة المسيح، **سلّمه رعاية** كنيسته ثلاثاً، بقوله له: « **ارعَ خرافي** » (٢١ : ١٥)، « **ارعَ نعاجي** » (٢١ : ١٦) « **ارعَ نعاجي** » (٢١ : ١٧). فقوله مرة : « ارعَ خرافي » يمثل رعاية الرعاة المسؤولين في الكنيسة؛ وقوله مرتين « ارعَ نعاجي » يمثّل الرعية كلها.

فكان **آخر عمل تأسيسي** للسيد المسيح هو **تثبيت رئاسة بطرس** على الكنيسة جمعاء، من رعاة ورعية.

ويوحنا الرسول ينقل ذلك بعد خمسين سنة تقريباً من استشهاد بطرس؛ وربما كان الرسول الوحيد على قيد الحياة، **يتمتع وحده بقداسة السلطة في الكنيسة**. وفي شهادة « التلميذ الذي كان يسوع يحبه » (٢١ : ٢٠) الحجة الكبرى على صحة رئاسة بطرس على الكنيسة الجامعة، من رعاة ورعية.

وكما انتقلت خلافة الرسل الصحابة إلى خلفائهم، انتقلت خلافة بطرس في زعامة الكنيسة إلى خلفائه.

ويسوع يصف رئاسة بطرس على الكنيسة كلها، ثلاث مرات، بأنها **رعاية** تقوم مقام **رعاية المسيح** « لخرافه » و « نعاجه » . فبطرس هو بكل حق **خليفة المسيح** في رعاية كنيسته. وخلفاء بطرس هم أيضاً بكل حق خلفاء المسيح مثله في رعاية كنيسته.

فالسلطة العليا في الكنيسة هي رعاية بالوكالة عن السيد المسيح. فهذه « الرعاية » تحدّد مفهوم هذه « السلطة » .

وبتأسيس هذه السلطة الرعوية العليا، أنجز السيد المسيح، قبل ارتفاعه إلى السماء، تأسيس كنيسته، حاملة رسالته إلى العالم.

وبدون هذه السلطة الرعوية العليا لا تقوم كنيسة للمسيح. هذا هو منطوق الإنجيل كله، خصوصاً منطق الإنجيل بحسب يوحنا.

* * *

بحث ثانٍ وثلاثون

الحياة المسيحية ، في الإنجيل بحسب يوحنا

كل دين يعلّم عقيدة وشريعة وصوفية.

ولكن لم يقل أحد غير السيد المسيح في الإنجيل : « **وأنا إنّما أتيت لكي تكون لهم الحياة** » (١٠ : ١٠).

هو وحده يستطيع أن يأتينا « بالحياة الأبدية » من السماء (٣ : ١٦ و٣٦؛ ٦ : ٤٠؛ ١٧ : ٣). هذا هو إعجاز رسالته المطلق على كل الرسالات.

والسيد المسيح نفسه **هو « الحياة »** النازلة لنا من السماء (١٤ : ٦)؛ وهو « **خبز الحياة** » (٦ : ٣٥ و٤٨) بإنجيله وقربانه الذي هو « جسده » (٦ : ٥١). لذلك يعلن هذا الإعلان الضخم : « أنا الخبز الحي النازل من السماء : مَن يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ... كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب، فالذي يأكلني **يحيا هو أيضاً بي** » (٦ : ٥٠ و٥١). فهو خبز الله « الذي ينزل من السماء، ويهب الحياة للعالم » (٦ : ٣٣).

هذه هي الحياة المسيحية التي أتانا بها السيد المسيح وآتاناها بذاته وبدعوته.

لا يقدر مخلوق - مهما سما في النبوة والرسالة - أن يعطي البشر حياة الله، إلاّ ابن الله، الوليد الوحيد، النازل « من حضن الآب » (١ : ١٨). وهذا هو إعجاز المسيحية على الأديان قاطبة. فكلها سبيل إلى الله، على صراط مستقيم، أو غير قويم؛ لكنها كلها تقف عاجزة عند عتبة « غيب الله » وحياة الحي القيوم. فلا يدخل « غيب الله » المحجوب عن المخلوق، إلاّ الذي نزل من « غيب الله » ، « من حضن الآب » . ولا يتّحد الإنسان بالله اتحاداً وجوديّاً، حياتيّاً إلاّ مَن هو صلة الوصل الوجودية، الحياتية بين الله والإنسان؛ مَن هو إله وإنسان معاً، يسوع المسيح، « كلمة » الله المتأنس؛ مَن هو « كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » .

هو وحده، بين المرسلين في العالمين، أتانا « **بالحياة الأبدية** » من عند الله، فكانت **الحياة المسيحية**. وفي هذا إعجازها على كل حياة دينية.

نرى الآن حقيقتها، ثم قوامها، ثم وسائلها، ثم مصادرها.

أولاً : حقيقة الحياة المسيحية

الحياة المسيحية هي حياة لله الآب، في المسيح الابن، بالروح القدس، «يقيم معكم، يكون فيكم » (١٤ : ١٧).

١ - الحياة المسيحية هي حياة لله الآب

لقد طوّر السيد المسيح الدين كله، من علاقة عبد بربه، إلى **علاقة ابن بأبيه السماوي.** وهذا هو إعجاز المسيحية المطلق. والصلاة هي روح الدين والإيمان، فعلّم يسوع تلاميذه أن يصلّوا إلى الله : « أبانا الذي في السماوات » . فدينهم وعبادتهم وصَلاتهم هي **صِلات بنوة بأبوة الله تعالى لهم.** هذه هي حقيقة الحياة المسيحية.

إنها من صلْب التوحيد الكتابي، كما عرّفها السيد المسيح نفسه : « الحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الله أحد الحق، والذي أرسلته، يسوع المسيح » (١٧ : ٣). إنها المعرفة « العاملة بالمحبة » ، فهي « عمل

الحقيقة » (٣ : ٢١). والحقيقة هي « إن الله أحب العالم حتى أنه بذل ابنه، الوليد الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل **تكون له الحياة الأبدية** » (٣ : ١٦). فالحياة المسيحية هي « الحياة الأبدية » التي تؤتاها بالمسيح. فهي إذن تصدر من « الآب » ، وترجع إلى « الآب » ، **فالله الآب هو المبدأ والمعاد في الحياة المسيحية.**

فالحياة المسيحية هي حياة لله تعالى، ليس فقط بصفته الجبار القدير الذي نخشاه، وبصفته الرحمان الرحيم الذي نسترضيه، **بل بصفته « الآب »** للمسيح الابن على الحقيقة، وللمسيحيين « أبناء الله » على المجاز.

وتطوير الحياة الدينية إلى صلات الأبوة والبنوة، فوق كل تشبيه، وفي كامل التنزيه والتجريد في التوحيد، هو سمو بالإنسان إلى الله، فوق كل سموّ يمكن أن يدركه.

فالحياة المسيحية هي حياة لله تعالى **بصفته « الآب » :** فأية ثقة بنوية؛ وأية سكينة صوفية، وأي سلام سماوي، وأي فرح إلهي، تبعثه في النفس المسيحية.

٢ ـ الحياة المسيحية هي أيضاً حياة في المسيح

إن الحياة المسيحية هي أيضاً حياة في المسيح، ومن المسيح، وبالمسيح، وللمسيح، الذي هو **مستودع الحياة الإلهية** بتأنسه : « فإن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين به العالم، بل ليخلص به العالم » (٣ : ١٧). وهذا الخلاص هو الحياة الإلهية التي نزل بها « من حضن الآب » إلينا : « وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠).

١) استعارتان لتمثيل الحياة في المسيح

نعتذر عن تكرار الاستشهادات، لأنها ضرورية، وفيها متعة.

الاستعارة الأولى : « أنا هو الخبز الحي النازل من السماء : فمَن يأكل من هذا الخبز **يحيا إلى الأبد** » (٦ : ٥١)؛ « فكما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب، فالذي يأكلني (بالإيمان والقربان) **يحيا أيضاً بي** » (٦ : ٥٧).

الاستعارة الثانية : « أنا الكرمة الحقة، وأبي الكرام ... اثبتوا فيّ وأنا فيكم ... **فأنا الكرمة وأنتم الأغصان :** من يثبت فيّ وأنا فيه، فهو الذي يأتي بثمر كثير » (١٥ : ١ - ٥)، ثمر الحياة الإلهية في المسيح.

٢) كيفية هذه الحياة الإلهية المسيحية فينا

ويسوع يصف كيفية هذه الحياة الإلهية فيه، بهذا الوصف المعجز الذي يسمو على أحلام البشر والمخلوقين.

أولاً بالمعرفة « العاملة بالمحبة » ، **المعرفة الوَجْدية :** « أنا الحي، وأنتم ستحيون! في ذلك اليوم تعلمون أني **أنا في أبي، وأنت فيّ، وأنا فيكم.** فمن يسلك بحسب وصاياي، فهو الذي يحبني؛ **والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه**، وأكشف له ذاتي » (١٤ : ١٩ - ٢١).

ثانياً **بالوحدة الوجْدية مع الله الثالوث :** « الذي يحبني يحفظ كلامي، وأبي يحبه، وإليه نأتي، وفيه نجعل مقامنا » (١٤ : ٢٣)؛ كما أن الروح القدس الفارقليط « يقيم معكم، ويكون فيكم » (١٤ : ١٧).

فالحياة الإلهية، المسيحية، هي حياة من الله، مع الله، في الله؛ ومن المسيح، في المسيح، مع المسيح - حياة وجودية، حياتية، هي **وحدة الوجود الحقّة** - مع خالص التنزيه : « أنا فيهم، وأنت فيّ، لكي تتم فيهم الوحدة الكاملة » (١٧ : ٢١ - ٢٣).

٣) الشرط والواسطة لبلوغ الحياة الإلهية المسيحية

مع ذلك ليست تلك الحياة الإلهية المسيحية، في المسيحيين، أحلام صوفي. **إنما هي عملية تقوم** في الأساس على حفظ وصايا الله والمسيح (١٤ : ٥ و٢٤)؛ وعلى حفظ كلامه (١٤ : ٢٣)، **للثبات في محبته :** « كما أحبني الآب، كذلك أنا أحببتكم : فاثبتوا في محبتي. إن حفظتم وصاياي، ثبتم في محبتي؛ كما أني حفظت وصايا أبي، وأنا ثابت في محبته » (١٥ : ٩ - ١٠)، لأن « مَن لا يحبني، لا يحفظ أقوالي » (١٤ : ٢٤).

ووصايا الله، ووصايا المسيح، أرجعها **إلى واحدة : شرعة المحبة**، محبة الله كأب، ومحبة القريب أي كل إنسان كأخ، على مثال محبة المسيح :

« هذه هي وصيتي أن يحب بعضكم بعضاً، **كما أحببتكم أنا** » (١٥ : ١٢).

تلك هي وصيته الأولى والأخيرة، بل الوحيدة الدائمة : « إني أُعطيكم وصية جديدة أن يحب بعضكم بعضاً، أجل أن يحب بعضكم بعضاً، **كما أحببتكم أنا** » (١٣ : ٣٤).

نلاحظ التركيز على قوله : « **كما أحببتُكم أنا** » (١٣ : ٣٤؛ ١٥ : ١٢). وقد شاهدوا بأُمّ أعينهم كيف أحبهم هو حتى الموت، الموت على الصليب. فالمحبة الحقة تقوم **على بذل الذات**، كما أعلن هو نفسه: « ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه عن أحبائه » (١٥ : ١٣).

فقوام حياة الله فينا وحياتنا في الله، هو حياتنا في المسيح. فكما يحيا الآب في المسيح، والمسيح في الآب؛ نحيا نحن أيضاً من الله في المسيح (٦ : ٥١ و٥٧) : « أيها الآب، **أنت فيّ، وأنا فيك، فلْيكونوا هم أيضاً فينا** » (١٧ : ٢١).

لم ترق أحلام الصوفية والحالمين إلى تمثيل **حياة الوجْد والوحدة** مع الله، في المسيح، إلى القمة السماوية التي بلغتها في الإنجيل بحسب يوحنا.

فالسيد المسيح، ختم الأنبياء، وختم الأولياء؛ بل كلمة الله المتأنس، هو « الحياة » (١٤ : ٦) ويعطي « الحياة » (١٠ : ١٠)، لكي نحيا منه، وبه، وله، وفيه : « كما أنا أحيا بالآب ... يحيا (المسيحي) أيضاً بي » (٦ : ٥٧).

فالحياة الإلهية المسيحية هي أيضاً حياة في المسيح.

٣ ـ الحياة المسيحية هي كذلك حياة بالروح القدس

يجب أن تكون الواسطة على مستوى الغاية : فلا يحيينا بحياة الله في المسيح، إلاّ روح الله، « روح القدس » أي الآب و « روح الحق » أي الابن : « وأنا أسأل الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليقيم معكم على الدوام إلى الأبد ... **يقيم معكم، ويكون فيكم** » (١٤ : ١٦ ـ ١٧).

بروح القدس وروح الحـق، تكون الـولادة الجديـدة السـماوية للحيــاة الإلهيـة المسـيحية « بالماء والروح » (٣ : ٣ - ٥).

وتكون العبادة الجديدة الحقة « بالروح والحق » (٤ : ٢٣).

وتكون العقيدة الخالدة الجديدة « روح وحياة » (٦ : ٦٣).

وتكون الحياة الجديدة المسيحية « كأنهار ماء حي » (٧ : ٣٧).

فالحياة المسيحية كيان إلهي، **روحه هو الروح القدس عينه**، كما هو روح الكيان الإلهي ذاته : « روح القدس » و « روح الحق » .

تلك هي حقيقة الحياة المسيحية، لله الآب، في المسيح الابن، بالروح القدس.

ثانياً : قِوام الحياة المسيحية

إن الحياة المسيحية قوامها حياة الطاعة، والإيمان، والمحبة، في سبيل الاتحاد بالله الآب، في المسيح الابن، بالروح القدس.

١ - إنها حياة الطاعة(١)

إن الإنجيل بحسب يوحنا دعوة متواصلة لطاعة الله، في المسيح.

يظهر ذلك خصوصـاً في وصيته الأخيرة: « إن كنتم تحبوني تحفظون وصـاياي » (١٤ : ١٥)؛ « مَـن يحبنـي يحفـظ كلامـي ... مَـن لا يحبنـي لا يحفـظ أقـوالي. والكـلام الـذي تسمعونه، ليس لي، بل للآب الذي أرسلني » (١٤ : ٢٣ - ٢٤). فطاعة المسيح من طاعـة الله نفسه.

وطاعة الله والمسيح هي **برهان الإيمان، وبرهان المحبـة :** « إن حفظـتم وصـاياي ثبـتم في محبتي، كما أني حفظت وصايا أبي، وأنا ثابت في محبته » (١٥ : ١٠).

إنها طاعة الإيمان المستسلم لله، في المسيح.

---

(١) الطاعة لله هي بلغة غيرنا الإسلام لله .

٢ - إنها حياة الإيمان[١]

الإيمان هو عمل الله الأكبر. سأله اليهود: « ماذا علينا أن نفعل لكي نعمل أعمال الله ؟ أجابهم يسوع قال : **عمل الله** أن تؤمنوا بالذي أرسله » (٦ : ٢٨). فالإيمان هو العمل الإلهي الأكبر، والإيمان بالمسيح من الإيمان بالله: « آمنوا بالله، وآمنوا بي أيضاً » (١٤ : ١). فالإيمان بالمسيح **ضرورة حياة :** « لقد قلت لكم : إنكم ستموتون في خطاياكم، أجل إنكم تموتون في خطاياكم، إن لم تؤمنوا أني أنا هو » (٨ : ٢٤).

حياة الإيمان تجمع التلاميذ حول المسيح (١٠ : ٢٦؛ ١٧ : ٨). كما أشار المعمدان على تلاميذ فتبعوه (١ : ٣٤؛ ٣ : ٢٨ - ٢٩). فشاهدوا « مجده » الإلهي وآمنوا (٢ : ١١). بالإيمان نقبل أقواله وأحكامه (١٢ : ٤٦)؛ ونسمع صوته ونداءه (١٠ : ٢٦) كما سمعه بطرس بعد خطابه في « خبز الحياة » وردّة « كثيرين من التلاميذ » عنه (٦ : ٦٦) فهتف بإخلاص : « يا رب إلى مَن نذهب ؟ إن عندك كلام الحياة الأبدية : فنحن قد آمنا، ونعلم أنك قدوس الله » (٦ : ٦٧ - ٦٩). ولما شاهد توما مجد قيامته صاح بإيمان عميق : « ربي! وإلهي! » (٢٠ : ٢٨).

إن المسيح هو « الصراط والحقيقة والحياة » (١٤ : ٦)؛ فيجب أن ينتصر الإيمان على **شك الصليب ومعثرته** (١٤ : ٢٨؛ قابل ٣ : ١٤)، لأن الصليب طريق البعث والنصر والمجد والرفع حياً إلى السماء (٢٠ : ٨ و٢٥ - ٢٩). والذين يكفرون بالصليب، يكفرون بالاستشهاد وشهادة الدم التي لا تردّ.

هذا الإيمان الحي **هو قوام الحياة المسيحية** التي لا يصح بدونه. فيجب الإيمان بيسوع المسيح (٤ : ٣٩؛ ٦ : ٣٥)، باسمه أي بشخصيته وسرّه (١ : ١٢؛ ٢ : ٢٣). لأن الإيمان به هو الإيمان بالله ذاته (٨ : ٢٤؛ ١٢ : ٤٤) : فالمسيح الابن والله الآب « واحد » (١٠ : ٣٠؛ ١٧ : ٢١)؛ ولأن « مَن رآني فقد رأى الآب » (١٤ : ١١). فوحدة الإيمان بالله والمسيح هي موضوع الإيمان (١٤ : ١٠).

---

(٢) قابل بحثاً سابقاً : إنجيل الإيمان.

وهذا الإيمان يجب أن يكون حيّاً فعّالاً، **أسمى من شواهده،** المعجزات التي تدل عليه (٢ : ١١؛ ٤ : ٤٨؛ ٢٠ : ٢٩). قد يكون الإيمان في بدئه بحاجة إلى أن يرى ويلمس، رؤيا الحدس والوجدان (٢ : ٢٣؛ ١١ : ٤٥) أو رؤية الملموس والمحسوس مثل توما (٢٠ : ٢٧). لكنه يجب أن يتخطى المنظور إلى المعقول (٦ : ٦٩؛ ٨ : ٢٨)، إلى رؤيا غير المنظور (١ : ١٤؛ ١١ : ٤٠).

ومفاعيل هذا الإيمان عظيمة. المؤمن الحق يمشي في النور (٥ : ٢٤) ويملك الحياة الأبدية في ذاته (٣ : ١٦؛ ٦ : ٤٧)؛ ولا تطاله دينونة (٥ : ٢٤)، بل هو في حالة قيامة قائمة ثابتة (٦ : ٤٠؛ ١١ : ٢٥)، لأن من لا يؤمن فقد دين قبل يوم الدين (٣ : ١٨).

وخطورة الإيمان أنه اختيار بين النور والظلام : « على هذا تقوم الدينونة أن النور جاء إلى العالم، والناس آثروا الظلام على النور، لأن أعمالهم كانت شريرة » (٣ : ١٩). إنه اختيار بين الحياة والموت : « أجل تموتون في خطاياكم، إن لم تؤمنوا أني أنا هو » (٨ : ٢٤).

وصعوبة الإيمان أنه صراع ضد عناصر الشر في الإنسان : « لأن كل من يفعل الشر، يبغض النور، ولا يُقبل البتة إلى النور، لئلا تُفضح أعماله! أما من يعمل الحقيقة، فإنه يُقبل إلى النور، لكي يتبيّن أن أعماله مصنوعة في الله » (٣ : ٢٠ - ٢١). وأنه سموٌّ على المحسوس والمنظور : « الحق الحق أقول لكم : إنكم تطلبوني، لا لأنكم عاينتم الآيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز وشبعتم؛ فاقتنوا، لا الطعام الفاني، بل الطعام الباقي للحياة الأبدية، الذي يعطيكموه ابن البشر، لأنه هو الذي ختمه الله الآب نفسه » (٦ : ٢٦ - ٢٧).

وعظمة الإيمان أن يرى بالبصيرة المؤمنة ما لا يُرى بالبصر الغارق في المحسوس : « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا، ونحن قد شاهدنا مجده، مجد الآب في ابنه، الوليد الوحيد، ملء النعمة والحقيقة » (١ : ١٤)؛ « فطوبى للذين يؤمنون، ولا يرون » (٢٠ : ٢٩).

فالإيمان بالمسيح الابن هو **السبيل الوحيد إلى الله الآب،** عقيدةً وحياةً :

« أنا هو الصراط والحقيقة والحياة : لا يأتي أحد إلى الآب **إلاّ بي** » (١٤ : ٦). فبهذا الإيمان يصير أهله أبناء الله في المسيح الابن : « والذين قبلوه آتاهم لكي يصيروا أبناء الله، هم الذين آمنوا باسمه » (١ : ١٢). وبهذا الإيمان يحيا المسيحي من حياة الله في المسيح: « من أحبني يحفظ كلامي، وأبي يحبه، وإليه نأتي، وفيه نجعل مقامنا » (٤ : ٢٤).

فالإنجيل كله **دعوة إلى الإيمان** بالله الآب، والمسيح الابن (١٧ : ٣). هذه غاية الإنجيل بحسب يوحنا : « إنما كتبت هذه (الآيات) لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله؛ ولتكون لكم، إذا آمنتم؛ **الحياة** باسمه » (٢٠ : ٣١). هذا هو مبدأ الإنجيل كله : « مَن يؤمن بالابن، **فله** الحياة الأبدية؛ ومن يرفض أن يؤمن بالابن، فلن يرى الحياة أبداً، بل يحل به غضب الله » (٣ : ٣٦).

فالحياة المسيحية هي حياة الإيمان.

٣ - إنها حياة المحبة (١)

المحبة هي هبة الله الكبرى، المعروضة علينا، والمفروضة علينا.

المحبة تنبع من الله الآب، وبرهانها الذي تتجلّى فيه بأجلى مظاهرها، وقناتها الإلهية إلينا، هما التجسّد والفداء : « هكذا أحب الله العالم حتى أنه بذل ابنه، الوليد الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦).

فالمسيحية هي رسالة المحبة، وحياة المحبة. فالله الآب أعطانا ابنه، وأعطانا به كل شيء : « الآب يحب الابن، وقد جعل في يده كل شيء » (٣ : ٣٥).

وهذه المحبة هي في **العطاء والبذل :** « إن أبي يحبني لأني أبذل حياتي ... وأبذلها باختياري » (١٠ : ١٧ - ١٨). وعلى مقياس محبة الله أحبنا المسيح الابن، ويطلب أن نحبه : « كما أحبني الآب، أنا أيضاً أحببتُكم : فاثبتوا في محبتي » (١٥ : ٩).

---

(١) قابل بحثاً سابقاً : إنجيل المحبة.

وميزة المحبة المسيحية أنها واحدة، ذات وجهين : محبة الله أبينا، ومحبة الإنسان أخينا. ومحبة القريب هي **مقياس ودليل** على محبة الله. هذا هو موجز رسالة يوحنا، التي هي موجز الإنجيل. فالمحبة المسيحية لأخينا الإنسان هي من محبة الله الآب نفسها.

وقصة المحبة الإلهية المسيحية كانت **مأساة تاريخية** في صميم التاريخ والكون كله : « أنا الراعي الصالح، الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف ... أنا الراعي الصالح، أبذل حياتي عن خرافي ... وإن أبي يحبني لأني أبذل حياتي ... وأبذلها باختياري، فلي سلطان أن أبذلها، ولي سلطان أن أسترجعها أيضاً. تلك هي الوصية التي تلقيتها من أبي » (١٠ : ١١ - ١٨).

لذلك صارت المحبة الإلهية المسيحية **قضية مصير، مرتبطة بالإيمان** : « الآب يحب الابن، وقد جعل في يده كل شيء : مَن يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية؛ ومن يرفض أن يؤمن بالابن، فلا يرى الحياة أبداً، بل يحل به غضب الله » (٣ : ٣٥ - ٣٦).

وسلطان المحبة الإلهية المسيحية من سلطان الإيمان : بها يصير المسيحي ابناً لله في المسيح : « والذين قبلوه » آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله، هم الذين آمنوا باسمه » (١ : ١٢)؛ **وبها يحيا حياة الله في المسيح** : « مَن أحبني وحفظ كلامي، يحبه أبي، وأنا أُحبه، وإليه نأتي، وفيه نجعل مقامنا » (١٤ : ٢٣). فالمحبة، بالإيمان، سبيل إلى الحياة الإلهية المسيحية.

وفي هذه المحبة **تصير التجلّيات الإلهية** : « من سلك بحسب وصاياي وحفظها، فهو الذي يحبني؛ والذي يحبني، يحبه أبي، وأنا أُحبه، **وأكشف له ذاتي** » (١٤ : ٢١).

وسبيل المحبة هو حفظ وصايا المسيح (١٤ : ١٥ و٢٣). وهو يعطي من مسلكه مثالاً حيّاً : « إن حفظتم وصاياي ثبتم في محبتي، كما أني حفظت وصايا أبي، وأنا ثابت في محبته » (١٥ : ١٠).

لذلك جعل السيد المسيح المحبة **شرْعة رسالته ووصيته الأخيرة** : « هذه هي وصيتي أن يحب بعضكم بعضاً، وأن يحب بعضكم بعضاً كما أنا

أحببتكم » (١٥ : ١٢؛ ١٣ : ٣٤). فإن هذه المحبة الأخوية هي السبيل إلى محبة الله الآب، غاية المحبة كلها : « ينبغي أن يعرف العالم أني أحب الآب، وأني أعمل بما أوصاني الآب » (١٤ : ٣١).

فقصة الخلق، وقصة التجسّد، وقصة الصليب، وقصة الإيمان، هي **قصة المحبة:** « أيها الآب العادل، إن كان العالم لم يعرفك، فأنا قد عرفتك؛ وهؤلاء قد عرفوا أنك أنت أرسلتني. **لقد عرفتهم اسمك،** وسأعرفهم أيضاً، لتكون فيهم المحبة التي أحببتني، وأكون أنا فيهم » (١٧ : ٢٥ ـ ٢٦).

فالحياة الإلهية المسيحية هي حياة المحبة.

هذا هو قوام الحياة المسيحية : إنها حياة الطاعة، وحياة الإيمان، وحياة المحبة؛ في سبيل الاتحاد بالله الآب، في المسيح الابن، بالروح القدس.

ثالثاً : ينابيع الحياة المسيحية

إن الحياة المسيحية فينا هي هبة الله الآب، في المسيح الابن، بالروح القدس « يقيم معكم ويكون فيكم » .

وقد جعل لها السيد المسيح **سبعة ينابيع** يسمونها « أسرار الكنيسة » .

والإنجيل بحسب يوحنا يفصّل لنا الثلاثة الأساسية منها : الحياة الإلهية المسيحية تنشأ فينا بالعماد، وتتغذّى بالقربان « جسد المسيح » ، وتتجدّد بالغفران. **وكلها تحقيق للتجسّد والفداء فينا.**

١ ـ الحياة المسيحية فينا تنشأ بالعماد

هذا الموضوع كان محور الحوار بين يسوع ونيقوديم، علاّمة إسرائيل.

غاية رسالة المسيح أن يعطي، بصفته كلمة الله المتأنّس، « الذين قبلوه سلطاناً بأن يكونوا أبناء الله » (١ : ١٢).

هذه البنوة الإلهية هي امتداد لبنوة المسيح، وتتحقق **بولادة سماوية**

جديدة : « الحق الحق أقول لك: لا أحد يقدر أن يعاين ملكوت الله ما لم يولد من فوق » (٣ : ٣).

هذه الولادة السماوية في الإنسان تتم بولادة رمزية فعّالة من الماء والروح : « الحق الحق أقول لك : لا أحد يقدر أن يدخل ملكوت السماوات ما لم يولد من الماء والروح » (٣ : ٥). فالعماد المسيحي بالماء المقدس هو **عماد « بالروح »** الإلهي، أي ولادة « بالروح » ، لعالم « الروح » أي عالم الله، لأجل الحياة « بالروح » أي حياة الله.

إن الماء المقدس الذي يغسل المعمود إنما هو رمز فعّال، بفعل « الروح » الإلهي العامل به. ويسوع يشبّه عمل « الروح » بهذا الماء بسرّ هبوب الريح، نشعر بها، ولا نعلم كيف تعمل. هكذا « روح » الله يعمل بواسطة الماء المقدس دون أن ندري كيف يعمل.

لكن نعرف مفعول عمله. يصفه يسوع بآية معجزة : « المولود من الجسد إنما هو جسد؛ والمولود من الروح **إنما هو روح** » (٣ : ٦)، ينتقل من عالم الطبيعة إلى عالم « الروح » أي عالم الله نفسه. فالعماد المسيحي هو ولادة روحية، بواسطة روح الله والمسيح، لحياة روحية، إلهية، مسيحية، في « الروح » . فالمسيحي المعمود هو **رجل « الروح »** يحيا منه، وبه، وفيه، حياة إلهية، مسيحية، « روحية » . ويصير أيضاً « **هيكل الروح القدس** » ؛ « يقيم معكم، ويكون فيكم » .

فالعماد **مدخل إلى الملكوت**، بدونه لا يدخل أحد « ملكوت الله » ولا يعاين « ملكوت السماوات » .

إن العماد هو **النظام السماوي الإلهي الجديد** الذي به تنشأ الحياة الإلهية المسيحية « الروحية » في الإنسان. وذلك **بشهادة** المسيح، شاهد العيان السماوي (٣ : ٩ - ١٢)، **وبتأسيسه.**

وهذا النظام المسيحي يستمدّ **فعاليته الإلهية**، من علّته الفاعلة : « الروح » الإلهي؛ ومن علّته السببية، المصدرية، أولاً التجسّد الذي جعل المسيح « ملء النعمة » النازلة به إلينا؛ ثم الفداء بالصليب : « فكما رفع موسى

الحية في البرية، كذلك ينبغي أن يُرفع ابن البشر، لكي تكون **الحياة الأبدية في كل من يؤمن به** » ، ويعتمد فيه (٣ : ١٤).

فالحياة المسيحية، التي هي الحياة الأبدية الإلهية، النازلة إلينا من السماء، تنشأ بالعماد المسيحي.

٢ ـ الحياة المسيحية تتغذّى بالقربان، جسد المسيح

هذا الموضوع كان محور الخطاب الذي ألقاه يسوع في جامع كفرناحوم، وقد وطّأ له بمعجزة تكثير الخبز، وبمعجزة السير على ماء البحر.

والرمزان المعجزان واضحا الدلالة : فمن يقدر أن يكثر خمسة أرغفة لإشباع خمسة آلاف رجل سوى النساء والصبيان، هو قادر على تكثير « جسده » في القربان لإشباع آلاف المؤمنين؛ ومن يقدر أن يسير على ماء البحر، يقدر أن يكثر « دمه » في القربان لإرواء آلاف المؤمنين، من خمرة السماء، دم المسيح.

مناسبة الخطاب كانت تهوين الفريسيين من **معجزة الخبز :** فأين هي من **معجزة المن** لموسى كليم الله مدة أربعين سنة في تيه الصحراء ؟ « فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم: إن موسى لم يعطكم الخبز من السماء، ولكن أبي يعطيكم **خبز السماء الحقيقي**، لأن **خبز الله** هو الذي ينزل من السماء ويهب الحياة للعالم. فقالوا له : يا سيد أعطنا على الدوام من هذا الخبز » (٦ : ٣٢ ـ ٣٤). **فالمسيح وقربانه هما « خبز الله » ، « خبز السماء الحقيقي ».**

١) السيد المسيح هو « خبز الحياة » بالإيمان به (٦ : ٣٥ ـ ٤٨)

في خطاب أول يُفتتح ويُختتم بالتصدير « **أنا خبز الحياة** » (٦ : ٣٥ و٤٨) يعلن: « مَن يُقبل إليّ فلن يجوع أبداً، ومن **يؤمن بي** فلن يعطش أبداً » (٦ : ٣٥) فالإيمان يطفئ وحده عطش الإنسان وجوعه إلى الله.

فليس هو فقط « ابن مريم » أو « ابن يوسف » كما يتوهمون، ويتحدون أنهم يعرفون أباه وأُمه؛ إنما هو « الابن » الذي نزل من السماء، لكي

« تكون الحياة الأبدية لكل من يرى الابن ويؤمن بـه » (٦ : ٣٨ - ٤٠). فبكل حق يصـرّح: « **أنا هو الخبز النازل من السماء** » (٦ : ٤١) مهما تذمروا من هذا الإعلان.

والبرهـان القـاطع علـى أنـه « الابـن » النـازل مـن السـماء هـو أنـه وحـده بـين العـالمين والمخلوقين رأى الآب المحجوب عن خلقه : « ما من أحد رأى الآب، إلاّ الذي هو من لدن الله، **فهو الذي وحده رأى الآب** » (٦ : ٤٦)، وهذا موسى الكليم نفسه لم يحلم به.

ويطلب يسوع الإيمان المطلق بشهادته : « الحق الحق أقول لكم : إن مَن يؤمن له الحياة الأبدية » (٦ : ٤٧). ويختم : « **أنا خبز الحياة** » (٦ : ٤٨). فالسيد المسيح نفسه هو « خبز الحياة » بالإيمان به.

٢) السيد المسيح هو « خبز الحياة » بقربانه (٦ : ٤٩ - ٥٨)

في خطاب ثان يُفتتح ويُختتم بالتصدير : « آباؤكم أكلوا المن فـي البريـة ومـاتوا » (٦ : ٤٩ و٥٨) **يعلن يسوع** : « هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ... **أنا الخبز الحي** الذي نزل من السماء، من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد » (٦ : ٥٠ - ٥١) ويوضح كلامه بهذا **الإعلان الضـخم** : « **والخبـز الـذي سـأعطيه أنـا هـو جسـدي** لأجـل حيـاة العـالم » (٦ : ٥١). فقربـان المسيح هو « جسده » .

فقامت الضـجة فـي الهيكل، وقـام الجدال بينهم : « كيف يستطيع هذا أن يعطينـا جسـده لنأكله ؟ » (٦ : ٥٢).

فردّ عليهم **بستة تصاريح أخرى** تؤكد جازمة حقيقة إعلانه، ولا تدع مجالاً لمرتـاب أنـه ينطق بالحقيقة، لا بالمجاز, كما في الخطاب الأول.

- جسده في قربانه هو حامل حياة الله، بدونـه لا حياة : « الحق الحق أقول لكم : إن لـم تأكلوا جسد ابن البشر، وتشربوا دمه، فلا حياة لكم في ذواتكم » (٦ : ٥٣).

- جسده مصدر الحياة الإلهية في الدنيا والآخرة : « مَن يأكل جسدي، ويشـرب دمـي فلـه الحياة، وأنا أُقيمه في اليوم الآخر » (٦ : ٥٤).

- جسده هو « خبز الله » الحقيقي: « فإن جسدي مأكل حقيقي، ودمي مشرب حقيقي » (٦ : ٥٥)، فلا مجال لتفسير بالمجاز.

- في « جسد المسيح » بالقربان تتم الوحدة الكيانية والوجودية بين المسيح والمسيحي: « فمن يأكل جسدي ويشرب دمي، يُقيم فيّ وأنا فيه » (٦ : ٥٦).

- في « جسد المسيح » تصل حياة الله إلى المسيحي : « كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب، فالذي يأكلني يحيا هو أيضاً بي » (٦ : ٥٧).

- إن « جسد المسيح » في قربانه هو « خبز السماء » وحامل الحياة الإلهية إلى المؤمنين : « هذا هو الخبز الذي نزل من السماء، فليس هو كالذي أكله الآباء وماتوا! فالذي يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد » في الدنيا والآخرة (٦ : ٥٨).

إن يسوع يتبع في هذا الموضوع الخطير، الذي يصدم حسّ الإنسان وعقله، أسلوب التكرير للتقرير، فيردّد **سبع مرات** : « أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء » بذاته، وفي قربانه (٦ : ٣٥ و٤١ و٤٨ و٥٠ و٥١ و٥٨ مرتين).

فالقربان المسيحي هو **تجديد سر التجسد**؛

وهو **امتداد سر التجسد** إلى كل متناول منه.

والقربان المسيحي هو **تجديد سر الفداء**؛

وهو **امتداد سرّ الفداء** إلى كل متناول منه.

والقربان المسيحي هو **حضور المسيح الدائم** بين المسيحيين؛ فهو وحده الرسول الحي بين جماعته على الدوام وإلى الأبد.

والقربان المسيحي هو **نزول الله نفسه،** في المسيح، إلى الإنسان.

فأي إعجاز ممكن بعد هذا الإعجاز المسيحي!!

إن الحياة المسيحية تتغذّى بالقربان، جسد المسيح ودمه؛ فهي تتغذى بحياة الله فيه، لأنه « خبز الله » ، « خبز السماء » ، « خبز الحياة » .

٣ - الحياة المسيحية تتجدّد بالغفران

طالما الإنسان المسيحي هو في هذه الدنيا، فهو معرّض للخطيئة والإثم. ولم يشإ السيد المسيح عصمة أتباعه بالعماد والقربان، لأنها ترفع المسؤولية في التكليف، وتمنع الأجر عند الله.

١) إن الخطيئة واردة في الحياة المسيحية

إن الإنجيل بحسب يوحنا يذكر أن **الكفر بالمسيح** هو الخطيئة الكبيرة التي تحمل دينونتها معها : « فمن آمن به فلا يُدان، ومَن لا يؤمن به فقد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله، الوليد الوحيد » (٣ : ١٨).

ويعلن مراراً أن محبة الله والمسيح تقوم بحفظ الوصايا (١٤ : ١٥ و٢١ و٢٣)؛ « ومَن لا يحبني لا يحفظ أقوالي » (١٤ : ٢٤). فمخالفة وصايا الله والمسيح خطيئة يتعرض لها المسيحي.

ويوضح أيضاً إن انسلاخ المسيحيين عن المسيح، كالأغصان عن الكرمة، وارد أيضاً: « فمن لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن، فييبس؛ (والأغصان اليابسة) تُجمع وتُلقى في النار فتحترق » (١٥ : ٦).

فالخطيئة إذن واردة في الحياة المسيحية. وهذه الخطيئة تقطع المسيحي عن المسيح وعن الله، كما يُقطع الغصن اليابس من الكرمة. حينئذٍ لا ينفعه العماد ولا القربان، للثبات في المسيح والله.

فهل من سبيل إلى تجديد الحياة المسيحية في المسيحي الخاطئ ؟

٢) سر الغفران هو الدواء الإلهي، لداء الخطيئة

الإثم هو « **سر الشر** » في البشرية، فهل أتانا المسيح **بدواء إلهي** للخطيئة، **الداء البشري** المستشري.

هناك **دواء طبيعي** تعرفه كل الأديان، وهو **التوبة إلى الله**. ولكن هذه التوبة الطبيعية قلّما يتحقق منها الإنسان، فلا يخلص من عذاب الضمير، والقلق على المصير.

وبما أن **عذاب الضمير** هو أفدح مصائب الإنسان، فالدين الذي يأتينا بدواء إلهي، للداء البشري، هو الدين الإلهي الحق، الذي يقدر وحده أن يخلص الإنسان من عذاب الضمير، الشر الأكبر فيه عند النفوس المؤمنة.

والسيد المسيح وحده قد نزل بسلطان الغفران، كما كشف عن ذلك في معجزة شفاء مُقعد كفرناحوم، فهو وحده بين الأنبياء والمرسلين يملك سلطان الله لغفران الخطايا.

ونرى في الإنجيل بحسب يوحنا أن السيد المسيح أعطى هذا السلطان الإلهي للغفران، إلى كنيسته، في شخص الرسل صحابته.

وكان **سلطان الغفران** هدية المسيح لهم، بعد استشهاده وقيامته. فكان **دم المسيح** الشهيد ثمن سلطان الغفران.

٣) يسوع، يوم قيامته، يسلم سلطان الغفران لصحابته

ففي ظهوره الأول لرسله الصحابة، بعد أن أراهم يديه وجنبه، وأكل أمامهم، ليتأكدوا من حقيقة قيامته، وحياته بعد موته، « قال لهم مرة ثانية : السلام عليكم؛ كما أن الآب أرسلني، كذلك أنا أُرسلكم. ولمّا قال هذا **نفخ فيهم** وقال لهم : **خذوا الروح القدس**؛ فمَن غفرتم خطاياهم غُفرت لهم، ومن أمسكتم خطاياهم أُمسكت عليهم » (٢٠ : ٢١ - ٢٣).

قد رأينا تفصيل المشهد في بحث سابق.

إن السيد المسيح يعطي صحابته « الروح القدس » بنفخة من ذاته القدوسة. هذه هبة المسيح الأساسية، برسالته واستشهاده وقيامته. وهو الشاهد الأكبر على **إلهية المسيح :** فلا يعطي « روح الله » إلاّ الله! وهو يعطيه من ذاته، كما تدل الإشارة الرمزية « نفخ فيهم » ؛ فهو مصدر « الروح » مثل الله الآب.

وهو يهب « الروح » الإلهي لصحابته وكنيسته لغايتين : لرسالتهم العامة، فيكون معهم « فارقليط آخر » ، وعربون سلطان الغفران الذي

يسلمهم إياه، بقوله : « مَن غفرتم خطاياهم غُفرت لهم » . فهم وخلفاؤه يملكون سلطان الغفران الإلهي. وهذه **ميزة أخرى للمسيحية** على الأديان قاطبة.

وسلطان الغفران فيهم يفعل فعله في النفوس بقدرة « الروح » الإلهي الذي نالوه. **وراحة الضمير**، بعد نوال الغفران، هي الشاهد المحسوس على عمل « الروح » في سلطان الغفران.

إن العماد والقربان والغفران هي ينابيع الحياة المسيحية التي تميزها على الأديان قاطبة، لأن بها يشترك المسيحيون بحياة الله نفسه، في المسيح، فتكون فيهم « الحياة الأبدية » الإلهية، يحيون مسيحيّاً بها.

رابعاً : مصادر الحياة المسيحية

ترك السيد المسيح للمسيحيين إرثه الكريم في الإنجيل والصليب والكنيسة. والمسيحية تستلهم حياتها من هذه المصادر الكريمة. وهي أيضاً ميزات نيّرات للمسيحية في العالم.

١ - الإنجيل مصادر الحياة المسيحية ورسالتها

إن الإنجيل بحسب يوحنا يعلمنا أن السيد المسيح هو **كلمة الله الذاتي**، الذي يعطينا **كلام الله الأخير** في الإنجيل.

١) التنزيل الذاتي بتجسيد « الكلمة »

كان الوحي والتنزيل قبل المسيح كلاماً من الله **بوسيط ووسط**؛ الوسيط هو النبي، **والوسط أو الواسطة** هو ملاك الله الموحي للنبي.

فصار الوحي والتنزيل في المسيح **ذاتاً إلهية** هي « كلمة الله » النازل إلينا من الله : « هكذا أحب الله العالم حتى أنه **بذل ابنه، الوليد الوحيد**، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦). وصار كلام الله المنزل معه **كشفاً عن مشاهدة العيان** « في حضن الآب » (١ : ١٨).

وفاتحة الإنجيل توجز ذلك بهاتين الرباعيتين :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان في الله ١
والله كان الكلمة فهو منذ البدء في الله ٢

« والكلمة صار بشراً وسكن فيما بيننا
وقد شاهدنا مجده مجد الآب في ابنه، الوليد الوحيد » ١٤
« فهو ملء النعمة والحقيقة »

وبما أنه التنزيل الذاتي بتجسده، « صاح في الهيكل، قال : **مَن رآني فقد رأى الذي أرسلني** » (١٢ : ٤٥). وفي خلوة الوداع، لما سأله الرسل الصحابة أن يريهم الآب، قال لهم مخاطباً السائل : « يا فيلبس، أنا معكم كل هذا الزمان، ولا تعرفني ؟ **مَن رآني فقد رأى الآب**؛ فكيف تقول أنت : أرنا الآب » (١٤ : ٨ - ٩).

ويعلن لليهود في عيد التجديد : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣١)؛ ويفسر لعلمائهم ذلك بقوله: « إن الآب فيّ وأنا في الآب » (١٠ : ٣٨). كما يشهد في الخلوة لصحابته: « أنا في الآب، والآب فيّ » (١٤ : ١١). **فهو مظهر الله الشخصي.**

وبما أنه التنزيل الذاتي، أوجز رسالته بقوله لصحابته : « **أنا الصراط والحقيقة والحياة :** لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (١٤ : ٦).

فالسيد المسيح هو الوحي والتنزيل عينه.

٢) الكشف عن « سر الله » بالتنزيل في الإنجيل

منذ الفاتحة يعلن ميزة التنزيل في الإنجيل : « إن الله لم يره أحد قط؛ الإله، الابن الوليد الوحيد الذي في حضن الآب هو نفسه كشف عنه » (١ : ١٨).

وهذا الكشف عن **مشاهدة العيان؛** هذا ما يعلنه يسوع مراراً.

يقول لنيقوديم: « الحق الحق أقول لك: إننا ننطق بما نعلم، **ونشهد بما شاهدنا** » (٣ : ١١).

ويوحنا الإنجيلي يوجز تعليمه : « يشهد بما شاهد وسمع » (٣ : ٣٢).

وفي هيكل أورشليم يعلن للفقهاء والجماهير : « إن الابن من ذاته لا يعمل، إلاّ ما يرى الآب يعمل : فما يفعله الآب يفعله الابن » (٥ : ١٩).

وفي جامع كفرناحوم بالجليل يصرّح : « ما من أحد رأى الآب، إلاّ الذي هو من لدن الآب، **فهو قد رأى الآب!** الحق الحق أقول لكم : إن مَن يؤمن له الحياة الأبدية » (٦ : ٤٦ ـ ٤٧).

ويكرر في عيد الخيام بأورشليم : « إن الذي أرسلني هو الحق : **وما سمعته منه** به أتكلّم في العالم » (٨ : ٢٦).

وفي خلوة الوداع يشهد لصحابته : « إن الأقوال التي أنطق بها، لا أنطق بها من نفسي؛ بل **الآب المقيم فيّ** هو يعمل أعماله. فصدقوني **أني أنا في الآب، والآب فيّ**؛ وإلاّ فصدقوا من أجل الأعمال » (١٤ : ١٠ ـ ١١).

فالمسيح الابن هو شاهد العيان الإلهي، بمشاهدة إلهية ذاتية.

لقد توقف الوحي كله من قبله عند عتبة « غيب الله » المحجوب عن المخلوق. والمسيح الابن هو وحده كشف لنا « سر الله » , و « سر الروح » ، بالكشف عن « سر المسيح » . هذا هو الإنجيل.

فالإنجيل مصدر الحياة المسيحية ورسالته.

٢ ـ الصليب مثال الحياة المسيحية ورسالتها

هتف بولس بأهل الكتاب والأميين : « إن كلام الصليب عند أهل الهلاك جهالة! أما عندنا نحن أهل الخلاص فهو قدرة الله وحكمة الله » . هذا ما نراه مفصلاً في الإنجيل بحسب يوحنا.

١) الصليب عنوان المحبة

الصليب عنوان محبة الله لنا : « لقد أحب الله العالم حتى أنه بذل ابنه

الوليد الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦).

الصليب عنوان محبة المسيح لله الآب : « ينبغي أن يعرف العالم أني أحب الآب، وأني أعمل بما أوصاني الآب » (١٤ : ٣١).

الصليب عنوان محبة المسيح لنا : « ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه عن أحبائه » (١٥ : ١٣). فهو الراعي الصالح الذي يبذل حياته عن خرافه ليجمعها إليه : « أنا الراعي الصالح. الراعي الصالح يبذل حياته عن الخراف » (١٠ : ١١).

٢) الصليب عنوان الضحية

الصليب هو **الاستشهاد الأكبر** في تاريخ البشرية والنبوة والدين : « إن أبي يحبني لأني أبذل حياتي لكي أسترجعها أيضاً. لا ينتزعها أحد مني، وإنما أنا أبذلها باختياري. فلي سلطان أن أبذلها، ولي سلطان أن أسترجعها أيضاً. تلك هي الوصية التي تلقيتها من أبي » (١٠ : ١٧ - ١٨).

وحين توقيفه في بستان الزيتون حاول بطرس أن يدافع عنه، فقال له : « ردّ سيفك إلى غمده. الكأس التي أعطانيها الآب، أفلا أشربها ؟ » (١٨ : ١١). بلى، وقد شربها حتى الثمالة.

وعلى الصليب، بعد نزاع طويل، يشهد أمام الله والناس : « لقد تمّ، ثم أمال رأسه وأسلم الروح » (١٩ : ٣٠).

٣) الصليب معركة الاستشهاد، للنصر على إبليس، وعلى العالم

يقول يسوع، قُبيل آلامه، للجماهير المحتشدة للفصح في أورشليم : « الآن دينونة هذا العالم! الآن يُلقى رئيس هذا العالم خارجاً » (١٢ : ٣١). لذلك « ثقوا فإني قد غلبت العالم » (١٦ : ٣٣).

ويقولها لصحابته في الخلوة قبل الذهاب إلى الاستشهاد : « لا أطيل معكم الحديث، فإن رئيس هذا العالم يأتي، لكنه ليس له عليّ من سبيل » (١٤ : ٣٠).

٤) الصليب درب الرجوع إلى الله الآب

« أما الآن فإني راجع إلى الذي أرسلني » (١٦ : ٥).

وهذا الرجوع إلى الآب سبب فرح ليسوع ولصحابته : « لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع! لقد سمعتم أني قلت لكم : أنا ذاهب ثم أرجع إليكم : فلو كنتم تحبوني، لكنتم تفرحون بأني راجع إلى الآب » (١٤ : ٢٨).

فلن يكونوا وحدهم في العالم؛ يسوع يعمل فيهم أعمالاً أعظم من أعماله : « الحق الحق أقول لكم : إن مَن يؤمن بي يعمل هو أيضاً الأعمال التي أنا أعملها، ويعمل أعظم منها، بما أني راجع إلى الآب » (١٤ : ١٢).

فالصليب درب المسيح للرجوع إلى الله الآب؛ ودرب أتباعه كذلك إلى الله الآب بآلامهم وأعمالهم.

٥) الصليب درب المجد

أعلن الجماهير قبيل استشهاده: « وأنا متى رفعت عن الأرض، اجتذبت إليّ الجميع » ! (١٢ : ٣٢). ولما خرج يهوذا لخيانته، قال يسوع : « الآن تمجّد ابن البشر، وتمجّد الله فيه. وان كان الله قد تمجّد فيه، فالله أيضاً يمجّده في ذاته، وسيُمجّده » (١٣ : ٣١ - ٣٢). وقبل مباشرة الاستشهاد يسوع يصلي : « يا أبتاه قد أتت الساعة! فمجّدْ ابنك، لكي يمجدك ابنك » (١٧ : ١).

٦) الصليب واسطة تنزيل « الروح » الإلهي

قبل استشهاده وعدهم يسوع بتنزيل « الروح القدس الفارقليط » عليهم (١٤ : ١٦ - ١٧؛ ١٤ : ٢٦). وبعد استشهاده يكرر وعده ثلاثاً (١٥ : ٢٦؛ ١٦ : ٧ - ١١؛ ١٦ : ١٣ - ١٥) فتنزيل الروح القدس معلّق بارتفاع المسيح الشهيد إلى الآب : « إني أقول لكم الحق : إن في انطلاقي خيراً لكم، فإن لم أنطلق لا يأتكم الفارقليط؛ وأما إذا انطلقت أرسلته إليكم » (١٦ : ٧).

٧) الصليب حفظ وتقديس للمؤمنين

هذا ما يعلنه في صلاته الأخيرة: « أيها الآب القدوس، **احفظهم** باسمك الذي آتيتنيه ... قدّسهم في الحق. إن كلامك هو الحق. كما أرسلتني إلى العالم، أنا أرسلتهم إلى العالم. وأنا **أقدّس ذاتي لأجلهم**، لكي يكونوا هم أيضاً مقدّسين بالحق » (١٧ : ١١ و١٧ - ١٨).

٨) الصليب ذروة معرفة الله الآب ومحبته

فيسوع يصلي، بمناسبة استشهاده ورفعه : « أيها الآب العادل، إن كان العالم لم يعرفك، فأنا قد عرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك قد أرسلتني لقد **عرّفتهم اسمك**، وسأعرفهم أيضاً، لتكون فيهم **المحبة** التي أحببتني، وأكون أنا فيهم » (١٧ : ٢٥ - ٢٦).

هكذا يظهر الصليب مثال الحياة المسيحية ورسالتها.

والمسيحيون، في تكريم الصليب، لا يعبدون خشباً ولا حديداً كما يتهمونهم؛ إنما هم يكرّمون **رمز الشهادة، ورمز الضحية، ورمز المحبة**؛ وليس في دين من الأديان رمز للشهادة والضحية والمحبة، مثل رمز الصليب عند المسيحيين.

٣ - الكنيسة موطن الحياة المسيحية ورسالتها

الإنجيل بحسب يوحنا يمثل **جماعة المسيح** برعية هو راعيها، وصحابته هم أعوانه وخلفاؤه في رعايتها : « أنا الراعي الصالح ... أعرف خرافي وهي تعرفني .... ولي خراف أُخَر ليست من هذه الحظيرة، فهذه أيضاً ينبغي أن أجيئ بها، وستسمع صوتي، فيكون قطيع واحد، وراع واحد » (١٠ : ١٤ - ١٦). إن استعارة القطيع، والحظيرة، هي دليل على أن جماعة المسيح تؤلف « رعية واحدة » ، وكنيسة واحدة.

١) الكنيسة تحقيق لملكوت الله في الأرض

أعلن يسوع هدف رسالته كما نقلنا : « وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » . والمسيحيون يحيون من هذه الحياة في كنيسته

التي هي تحقيق لملكوت الله في الأرض : ندخله بالعماد فيها الذي بدونه « لا يعاين أحد ملكوت الله » (٣ : ٣ و٥)؛ وفيه نتغذى من « جسد » المسيح في قربانه : « الحق الحق أقول لكم : إن لم تأكلوا جسد ابن البشر، وتشربوا دمه، فلا حياة لكم في أنفسكم » (٦ : ٥٣)؛ وفيه نتمتع بالغفران الإلهي الذي سلّم يسوع سلطانه إلى صحابته وكنيسته (٢٠ : ٢٢).

٢) الكنيسة مفتوحة لأهل الكتاب والأمميين

الإنجيل بحسب يوحنا يفتح باب الملكوت بوجه الأمميين، **بثلاثة أحداث** تاريخية رمزية: بمعجزة شفاء الضابط الروماني، قائد حامية كفرناحوم الذي « آمن هو وذووه جميعاً » (٤ : ٤٦ - ٥٤) فكان بذرة الكنيسة بين الأمميين؛ وفي رسالة المسيح بين السامريين، فتح باب الملكوت أمام الخوارج : « لقد سمعناه وتأكد لنا أنه حقاً مخلص العالم » (٤ : ٤٢)؛ وفي استقبال وفد الهلّينيين « المتقين » ، مساء أحد الشعانين، حيث يعلن يسوع : « لقد حانت الساعة التي يمجّد فيها ابن البشر » (١٢ : ٢٣).

هذا ما عدا **رحلات يسوع بنفسه إلى أرض المشركين**، غرباً إلى نواحي صور وصيدا؛ وشرقاً إلى منطقة جرش؛ وشمالاً إلى قيصرية فيلبس، بانياس الحالية. ففهم الصحابة تعليم يسوع ومثله، وحطّموا العنصرية في الدين منذ مطلع دعوتهم المسيحية.

فتهافت أهل الكتاب، مثل الأمميين، على الانضمام إلى جماعة المسيح، ليؤلفوا كنيسة المسيح الواحدة التي تحيا من عقيدته وشريعته وصوفيته.

٣) هذه الكنيسة قامت على بعثة الرسل الحواريين

بعد بعثة تدريبية، محصورة ببني إسرائيل، على حياته الأرضية، بعث يسوع صحابته بعثتهم الكبرى إلى العالم ليفتحوه باسمه. فسلّمهم رسالته في يوم قيامته : « فقال لهم مرة ثانية: السلام عليكم. كما أرسلني الآب، كذلك أنا أُرسلكم. ولمّا قال هذا، نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس » (٢٠ : ٢١ - ٢٢). فزوّدهم « بالروح القدس » ، « فارقليط

آخر ... يقيم معكم ويكون فيكم » (١٤ : ١٦ - ١٧)؛ وبسلامه الإلهي الذي يفيض حياة بحياة قيامته. وهو يعد صحابته في رسالتهم العالمية أنهم سيعملون أعماله، بل يعملون أعظم منها (١٤ : ١٢).

٤) رئاسة بطرس تؤمن وحدة الكنيسة في رسالتها

قبل ارتفاعه إلى السماء، جدّد يسوع لبطرس الذي استتوبه رعاية كنيسته من **رعاة ورعية**، بقوله « ارعَ خرافي » (٢١ : ١٥)، « ارعَ نعاجي » مرتين (٢١ : ١٦ - ١٧)؛ وذلك ليؤمن وحدة كنيسته في رسالتها إلى العالم كله. فلا تقوم رسالة الكنيسة في العالم، بدون هذه الرعاية العليا.

٥) بعثة « الفارقليط » توأم لرسالة الكنيسة

لقد رأينا تفصيل الوعد الكبير « بالروح القدس الفارقليط » لصحابته وكنيسته، « فارقليط آخر ليقيم معكم على الدوام، إلى الأبد » (١٤ : ١٦).

فرسالة المسيح تقوم بها في العالم صحابه، ثم كنيسته. ولكن روح هذه الرسالة في الكنيسة هو « الروح القدس الفارقليط، الذي « يفحم العالم بشأن الخطيئة والبر والدينونة » (١٦ : ٨ - ١١)؛ بينما هو يجدّد رسالة المسيح فيهم : « يعلمكم كل شيء » (١٤ : ٢٦)؛ « ويذكركم بجميع ما قلت لكم » (١٤ : ٢٦)؛ « ويرشدكم إلى الحقيقة كلها » (١٦ : ١٣).

فالشهود لرسالة المسيح بكنيسته فريقان : « فهو يشهد لي » ، هذه شهادة الفريق الإلهي، « الروح القدس الفارقليط » (١٥ : ١٦)؛ « وأنتم أيضاً تشهدون بما أنكم معي منذ البدء » (١٥ : ١٧) هذه شهادة الفريق الإنساني، شهود العيان لدعوته ورسالته وبعثتهم. وأيّ رسالة إلهية في العالم اجتمع لها مثل هذين الشاهدين ؟! فبعثة الفارقليط » توأم لرسالة الكنيسة. هذه هي ضمانتها الأولى في نجاحها وسيادتها.

٦) صلاة المسيح الدائمة للكنيسة في رسالتها

صلاة المسيح الأخيرة لصحابته وكنيسته هي صلاته الدائمة لها في رسالتها. وهي ضمانتها الثانية في انتشارها وازدهارها.

يسوع يصلّي : ((أنا لست بعد في العالم، وأما هم فإنهم في العالم، بينما أنا أرجع إليك)) أيها الآب القدوس **احفظهم باسمك ... احفظهم من الشر .. قدّسهم في الحق ...** كما أرسلتني إلى العالم، أنا أيضاً أرسلتهم إلى العالم (١٧ : ١١ - ١٩) فرسالة الصحابة والكنيسة من رسالة المسيح، **فهي إلهية.** ويسوع يطلب لهم على الدوام رعاية الله الآب لهم، سلباً ((من الشر)) ، وإيجاباً ((باسمك)) ، وتقديسهم ((بالحق)) ، بكلام الله الذي تسلموه في الإنجيل.

وعنوان نجاحهم في رسالتهم إلى العالم كله هو **وحدتهم،** فيركز يسوع على طلب الوحدة لهم ((حتى يؤمن العالم أنك أنت أرسلتني)) (١٧ : ٢١)، ((ويعلم العالم أنك أنت أرسلتني)) (١٧ : ٢٣).

فويل للذين يقسمون كنيسة المسيح، فيحدّون من طاقتها في نشر رسالته في العالم!!!

ففي هذه الكنيسة **تتم الحياة المسيحية المعجزة،** التي هي امتداد لحياة الله الثالوث: ((**أيها الآب، كما إنك أنت فيّ وأنا فيك، فليكونوا هم أيضاً فينا**)) ، بالوحدة والحياة (١٧ : ٢١). ومصدر هذه الحياة الإلهية المسيحية فيهم، إن المسيح الابن **آتاهم أيضاً ((مجد)) بنوته:** ((لقد آتيتهم المجد الذي آتيتني ... : **أنا فيهم وأنت فيّ**)) (١٧ : ٢٢ - ٢٣). فبهذه البنوة يحيا المسيحيون من حياة المسيح التي هي حياة الله : ((**أنا فيهم وأنت فيّ**)) .

هل بلغ الحالمون والصوفيون، من المخلوقين أو المرسلين، تصوّر حياة إلهية فيهم كمثل حياة الله والمسيح في المسيحيين ؟

إنها **الإعجاز المطلق** في الحياة الدينية الروحية : ((كما أنك أنت فيّ وأنا فيك، فليكونوا هم أيضاً فينا! أنا فيهم، وأنت فيّ)) ! والفارقليط، الروح القدس أيضاً ((يقيم معكم ويكون فيكم)) !

تلك هي مصادر الحياة المسيحية : في الإنجيل والصليب والكنيسة.

*

القول الفصل : صوفية المسيحية

نقدر أن نوجز الصوفية المسيحية بتعبيرين : من الناحية السلبية **هي الخلاص** من سلطان الشيطان، وسلطان « العالم »، وعبودية الخطيئة؛ ومن الناحية الإيجابية **هي « الحياة »** لله الآب، في المسيح الابن، بالروح القدس. فهي صورة لحياة الله الثالوث، الحي القيوم، في المسيحي الحق.

١ ـ صوفية المسيحية هي أولاً خلاص الإنسان

من الناحية السلبية، تقوم صوفية المسيحية على « **الخلاص** » : « إن الله لم يرسل ابنه إلى العالم، ليدين العالم، بل ليخلص به العالم » (٣ : ١٧).

وهذا الخلاص المسيحي سلبي وإيجابي معاً.

١) الخلاص السلبي هو تحرير الإنسان من سلطان الشيطان

فهو يجعل الإنسان يجهل ربه : « لقد كان في العالم، والعالم له كُوِّن، والعالم لم يعرفه » . (١ : ١٠). بل يجعله يبغضه : « العالم لا يقدر أن يبغضكم، أما أنا فيبغضني لأني أشهد عليه بأن أعماله شريرة » (٧ : ٧).

والسيد المسيح يتحدى : « أبوكم إبليس، ورغبات أبيكم تبتغون أن تحقّقوا! إنه من البدء قتال الناس، ولم يثبت على الحق، لأنه لا حقّ فيه! فإذا ما تكلّم بالكذب فإنه يتكلم بما عنده، لأنه كذوب، وأبو الكذب » (٨ : ٤٤).

لذلك « الآن دينونة هذا العالم! الآن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً » (١٢ : ٣١). فسقط عن سيطرته على العالم : « إن رئيس هذا العالم قد دين » (١٦ : ١١).

لكنه بقي لزبانيته تأثير : « لئن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. فلو كنتم من العالم لكان العالم يحب ما هو له. ولكن لأنكم لستم من العالم، ولأني باختياري لكم قد أخرجتكم من العالم، لأجل ذلك يبغضكم العالم » (١٥ : ١٨ ـ ١٩).

٢) الخلاص السلبي هو أيضاً تحرير الإنسان من « العالم »

« العالم » تعبير يعني كل عداوة لله ولمسيحه. فهذا العالم المعادي للمسيحي يفرح بظلمه : « الحق الحق أقول لكم : إنكم ستبكون وتنوحون، والعالم سيفرح! إنكم ستحزنون، ولكن حزنكم سينقلب فرحاً » (١٦ : ٢٠).

ويضيف : « قد حدثتكم بهذا، ليكون لكم فيّ سلام. **ففي العالم ستكونون** في شدة! ولكن ثقوا، فإني قد غلبت العالم » (١٦ : ٣٣).

٣) الخلاص السلبي هو كذلك تحرير الإنسان من عبودية الخطيئة

تحدى السيد المسيح اليهود والعالم بقوله : « الحق الحق أقول لكم : إن من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة ... فإن حرّركم الابن كنتم حقيقةً أحراراً » (٨ : ٣٤ و٣٦).

والسيد المسيح يحررنا من الخطيئة لأنه المعصوم عن الخطيئة : « مَن منكم يثبت عليّ خطيئة ؟ » (٨ : ٤٦).

ويوحنا مثل المؤتلفة وبولس يجعل **الخلاص في الصليب والقيامة** (١ : ٢٩؛ ١٠ : ١١ و١٥ و١٧ و١٨؛ ١١ : ٥٠؛ ١٢ : ٢٤؛ ١٥ : ١٣). لكنه يمتاز عليهم برد الخلاص إلى مصدره الأول : تأنس كلمة الله. فالكلمة المتجسد في يسوع المسيح، منذ تأنّسه « آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله ... لأنهم من الله قد ولدوا » (١ : ١٢ - ١٣).

والخلاص الإيجابي هو التمتع بنعمة المسيح وحقيقته، إذ هو منذ تأنسه « ملء النعمة والحقيقة » (١ : ١٧).

١) الخلاص الإيجابي هو هبة البنوة الإلهية للإنسان

فالخلاص هو في ولادة جديدة سماوية (٣ : ٣ - ٧) إلى بنوة إلهية، فقد آتاهم سلطانها بتأنسه (١ : ١٢ - ١٣)؛ واستحقها لهم باستشهاده : « إن يسوع سيموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أيضاً في الوحدة **أبناء الله** المتفرّقين » (١١ : ٥٢) ...

٢) الخلاص الإيجابي هو أيضاً هبة النور والحقيقة

تحدى يسوع العالمين بقوله : « أنا نور العالمين : مَن تبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (٨ : ١٢). فقد كان ذلك هدف بعثته : « أنا النور قد جئت إلى العالم لكي لا يمكث في الظلام كل مَن يؤمن بي » (١٢ : ٤٦) ...

٣) الخلاص الإيجابي هو كذلك هبة الحياة

الخوف الأكبر في الإنسان هو الموت، خصوصاً الموت الأبدي. والسيد المسيح هو سيد الحياة : « فكما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، كذلك الابن أيضاً يحيي مَن يشاء » ، في الدنيا والآخرة (٥ : ٢١).

لذلك تحدى العالمين بإعلانه « أنا القيامة والحياة » (١١ : ٢٥). وبرهن على ذلك بإحياء لعازر.

هذا هو خلاص الإنسان في المسيح، « الصراط والحقيقة والحياة » (١٤ : ٦).

٢ ـ صوفية المسيحية هي كذلك الحياة الإلهية في المسيح[١]

هذه هي غاية بعثة المسيح : « وأنا إنما أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (١٠ : ١٠)، « ففيه كانت الحياة، والحياة نور العالمين » (١ : ٤).

١) الحياة المسيحية هي حياة إلهية

إن الحياة المسيحية هي حياة من الله، في الله، لأجل الله. وهذه الحياة قد نزلت إلينا في المسيح: « كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك آتى الابن أن تكون له الحياة في ذاته » (٥ : ٢٦). والمسيح الابن يعطي هذه الحياة الإلهية لمن يشاء » (٥ : ٢١).

---

(١) راجع بحثاً سابقاً : إنجيل الحياة.

٢) هذه الحياة شرطها الإيمان والمحبة

« إن الآب يحب الابن، وقد وضع في يده كل شيء : مَن يؤمن بالابن له الحياة الأبدية (منذ الآن)، ومن يرفض أن يؤمن بالابن فلا يرى الحياة أبداً، بل غضب الله يحلّ عليه » (٣ : ٣٥ ـ ٣٦).

كذلك « مَن يحبني يحبه أبي (وأنا أحبه) وإليه نأتي! وفيه نجعل مقامنا » (١٤ : ٢٣).

٣) هذه الحياة ينبوعها النعمة والقربان

يشبه السيد المسيح نعمته بالماء الحي : « والماء الذي أعطيه أنا لن يصير فيه نبعاً ينبع حياة أبدية » (٤ : ١٤).

ويسوع هو « خبز الحياة » في قربانه (٦ : ٣٥ و٤٨). إنه « خبز الحياة في اليوم الحاضر، وفي اليوم الآخر » (٦ : ٤٠ و ٥٤). وهذه الحياة الإلهية الأبدية فينا لا تنتهي عند الموت كالحياة الطبيعية : « فمن آمن بي، وإن مات، فسيحيا، لأن السيد المسيح هو « القيامة والحياة » (١١ : ٢٣ و٢٥).

٤) الحياة المسيحية إقامة متبادلة

يسوع يشبهها بحياة الأغصان من الكرمة : « يحيا المسيحيون من حياة المسيح، كما تحيا الأغصان من الكرمة » (١٥ : ١ ـ ٨).

ويعبّر عنها بقوله مراراً : « أقام في الله، والله فيه » (٦ : ٥٦؛ ٨ : ٣١؛ ١٥ : ٤ و١٠)[1] . فهي إقامة متبادلة، بلغ السيد المسيح **الإعجاز المطلق** بوصفها : « أنا فيهم، وأنت فيّ » (١٧ : ٢٣)؛ أنت فيّ، وأنا فيك : فلْيكونوا هم أيضاً فينا (١٧ : ٢١).

٥) الحياة المسيحية حياة فعلية من الله، في المسيح، بالروح القدس

فهي ليست اتحاداً معنوياً بالله، كما في غير دين. بل حياة فعلية،

---

(١) قابل رسالة يوحنا الأولى ٢ : ٥ و٦ و١٠ و١٤ و١٧ و٢٤ و٢٧ و٢٨؛ ٣ : ٦ و٩ و١٤ و١٧ و٢٤؛ ٤ : ١٢ و١٣ و١٥ و١٦؛ ٥ : ٢٠

حقيقة، من الله، وبالله، وفي الله؛ لأنها من المسيح الابن، وبالمسيح وفي المسيح القائل : « أنا والآب واحد » (١٠ : ٣١).

كما يحيا الابن بالآب (٥ : ٢٦) يحيا المسيحيون من الله الآب، في المسيح الابن، بروحهما القدوس (١٧ : ٢١ و٢٣؛ ١٤ : ١٧).

هذه هي الصوفية المسيحية في الإنجيل بحسب يوحنا. فهي تمتاز على كل صوفية منزلة أو موضوعة. ولا يمكن أن يحلم بمثلها مخلوق. وحده « القائم في حضن الآب » (١ : ١٨) يمكن أن ينزل بها إلى الإنسان.

فهرس

	صفحة
توطئة : صوفيّة المسيحية، للرسول يوحنا	٥
فصل تمهيدي : رسالة يوحنا العامة وهي تقديم للإنجيل بحسب يوحنا	١٤
ـ بحث أول : تمهيد للرسالة	١٧
ـ بحث ثانٍ : تحليل الرسالة	٢٦
ـ بحث ثالث : تعليم الرسالة	٣١
الكتاب الأول : سرّ المسيح في سيرته ودعوته أو الإنجيل بحسب يوحنا	٤٣
* **الفصل الأول** : تمهيد ـ مسائل ومشاكل	٥٠
ـ بحث أول : بيئة الإنجيل بحسب يوحنا	٥٠
ـ بحث ثانٍ : أهداف الإنجيل بحسب يوحنا	٥٢
ـ بحث ثالث : كاتب الإنجيل بحسب يوحنا	٥٨
ـ بحث رابع : مصادر الإنجيل بحسب يوحنا	٧٠
ـ بحث خامس : صلات يوحنا بالأناجيل المؤتلفة	٨٠
ـ بحث سادس : ميزات الإنجيل بحسب يوحنا	٩٢
ـ بحث سابع : أسلوب الإنجيل بحسب يوحنا	١٠٢
ـ بحث ثامن : تاريخيّة الإنجيل بحسب يوحنا	١١٩
ـ بحث تاسع : صحّة الإنجيل بحسب يوحنا	١٣٤
ـ بحث عاشر : هل من شبهة على الخلاف الظاهر بين يوحنا والأناجيل المؤتلفة	١٦٥
* **الفصل الثاني** : تخطيط الإنجيل بحسب يوحنا	١٧٦
ـ بحث أول : وحدة الإنجيل بحسب يوحنا	١٧٦

صفحة

- بحث ثانِ	: المناقلات المقترحة في الإنجيل	١٧٩
- بحث ثالث	: التخطيطات المقترحة	١٨٥
- بحث رابع	: التخطيط بحسب ظواهر الإنجيل	١٨٦
- بحث خامس	: تحليل الإنجيل بحسب يوحنا	١٩٢
* **الفصل الثالث** : شهادة الإنجيل بحسب يوحنا الرسول		٢٠٨
- تمهيد : ميزات الإنجيل بحسب يوحنا		٢٠٨
- بحث أول	: ظواهر الإنجيل بحسب يوحنا	٢٢٠
- بحث ثانِ	: أهداف الإنجيل بحسب يوحنا	٢٤٧
- بحث ثالث	: الإنجيل بحسب يوحنا هو تكميل الوحي الإنجيلي كله	٢٦٤
- بحث رابع	: الإنجيل هو تتميم الكتاب	٢٦٨
- بحث خامس	: إنجيل الكشف عن سرّ الله والإنسان والكون	٢٨٢
- بحث سادس	: إنجيل التجسّد الإلهي	٢٨٦
- بحث سابع	: إنجيل « مجد » المسيح	٢٩٠
- بحث ثامن	: شهادة يوحنا في مقابلة الوحي الإنجيلي	٢٩٣
- بحث تاسع	: سرّ الله، في الإنجيل بحسب يوحنا	٣٠٧
- بحث عاشر	: ميزة يوحنا بأنه إنجيل إلهيّة يسوع المسيح	٣١٤
	إنه فصل الخطاب في الوحي الإنجيلي كله	٣٣٠
- بحث حادي عشر	: رسالة المسيح في الإنجيل بحسب يوحنا	٣٣٧
- بحث ثاني عشر	: دعوة المسيح في الإنجيل بحسب يوحنا	٣٥٠
- بحث ثالث عشر	: ثمار بعثة المسيح في تلاميذه	٣٦٩
- بحث رابع عشر	: إنجيل الرموز المسيحيّة	٣٨٥
- بحث خامس عشر	: ألقاب المسيح، عند يوحنا	٣٩٧
- بحث سادس عشر	: المسيح « النور » - إنجيل النور	٤٠٣
- بحث سابع عشر	: المسيح « الحقيقة » - إنجيل الحقيقة	٤٠٨
- بحث ثامن عشر	: المسيح « الحياة » - إنجيل الحياة	٤١١

		صفحة
- بحث تاسع عشر	: المسيح « الصراط » - إنجيل « الصراط » المستقيم	٤١٦
- بحث عشرون	: المسيح « القيامة » - إنجيل « اليوم الآخر »	٤٢٠
- بحث واحد وعشرون	: المسيح « الكلمة »	٤٢٢
- بحث ثانٍ وعشرون	: المسيح « أنا هو »	٤٢٧
- بحث ثالث وعشرون	: إنجيل الإيمان	٤٣٠
- بحث رابع وعشرون	: إنجيل المحبة	٤٣٨
- بحث خامس وعشرون	: إنجيل التتميم : « لقد تمّ »	٤٤٤
- بحث سادس وعشرون	: إنجيل الإعلان الإلهي الأسمى في « سرّ الله »	٤٤٩
- بحث سابع وعشرون	: « سرّ المسيح »	٤٥٥
- بحث ثامن وعشرون	: سرّ « الروح »	٤٦٦
- بحث تاسع وعشرون	: سرّ « الثالوث » الأقدس	٤٨٦
- بحث ثلاثون	: العذراء، أمّ المسيح، في الإنجيل بحسب يوحنا	٥٠٠
- بحث واحد وثلاثون	: سرّ الكنيسة، في الإنجيل بحسب يوحنا	٥٠٧
- بحث ثانٍ وثلاثون	: الحياة المسيحيّة، في الإنجيل بحسب يوحنا	٥١٣